

الْفَوَائِدُ لِلْهَيْتِيِّ
عَلَيْهِ
الْحَقِيقَةُ الْوَالِطِيَّةُ

تأليف:

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحنظلي الشافعي

الْفَوَائِدُ لِلْهَيْتِيِّ
عَلَيْهِ
الْحَقِيقَةُ الْوَالِطِيَّةُ

تأليف

أبي محمد بن محمد بن أبي بن زيد الجعفي (الشيخ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَوَاقِدُ الْإِسْلَامِيَّةُ
بِسْمِ
الْحَقِيقَةِ الْوَالِطِيَّةِ

الطبعة الثانية

١٤٤٦هـ

تأليف فضيلة الشيخ:

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زبير الجعفي (الزنجلي)

مقدمة الشارح

الحمد لله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا سمي ولا ند ولا ولد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وكل من أفرد الله تعالى ووحد.

أما بعد:

فإن من النعم الجليلات والمنن العظيمة والأعمال الفضيلات لهو أفراد رب الأرض والسموات بما له من الحقوق في ألوهيته وربوبيته وما له من الأسماء الحسنی الجليلات والصفات العلی الكاملات وذلك لأن الأعمال الفاضلات بشرف معلومها وأشرفها علم توحيد رب البريات وقد يسر الله تعالى وله المنّة والفضل تدريس كتاب **"العقيدة الواسطية"** لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** والتعليق على ما حوته من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة النبوية والعقائد السلفية فشرحته وقربته ثم هذبته بعد تفريغه وربّته ثم إنّي لا أدعي أنني أتيت ببدع من الشرح والتعليق بل أنا متبع لا مبتدع ومقتفي لا مبتدي لكن أحببت أن أدلي بدلوي مع الدلاء لعل الله أن يُكرمني بما أكرم به الفضلاء النبلاء من أهل الإصلاح والزكاء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

والاهتمام بالعقيدة الصحيحة طريقة سلفية وسنة نبوية ففي صحيح البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (١٩) عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مُعَاذَ بْنِ جَبَل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: **«إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيَّ أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ تَعَالَى...»**.



وفي الصحيحين البخاري (٨) ومسلم (١٦): عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

وعند ابن ماجه (٦١) عن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانُ حَزَاوِرَةَ فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازِدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا".

وأخرج مسلم (١٧٣١): عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرَ عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْ صَاهٍ خَاصَتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَعْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيُّهُمْ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ...»، الحديث.

وفي مسلم (٢٤٠٦): عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرٍ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، قَالَ فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؟»، فَقَالُوا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأَتِي بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَانُوا لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيٍّ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلْهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

وفي "سنن الدارقطني" (١٨٦): عن طارق المحاربي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً بِسُوقِ ذِي الْمُجَازِ، وَأَنَا فِي بَاعَةِ لِي أَبِيعُهَا، وَمَرَّةً وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ لَهُ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَقْلِحُوا**»، الحديث.

والشاهد من الحديث: دعوته إلى تحقيق لا إله إلا الله، وإنما سقته بتمامه للفائدة.

وعند مسلم (٨): عن يحيى بن يعمر قال: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصَرَةِ مَعْبُدُ الْجَهَنِّيِّ فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمَيْرِيُّ حَاجِّينِ أَوْ مُعْتَمِرِينَ فَقُلْنَا لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ فَوَفَّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدِ فَاسْتَفْتَانَا أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكُلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ فَقُلْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قَبْلَنَا نَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَفَقَّرُونَ الْعِلْمَ - وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ - وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا قَدَرَ وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنْفُ. قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي، وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» قَالَ صَدَقْتَ، قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ**

الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟»، قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَنَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

وما زال السلف يناظرون من أجلها، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١١٢٩)، قال: لَمَّا خَرَجَتِ الْحُرُورِيَّةُ اجْتَمَعُوا فِي دَارٍ وَهُمْ سِتَّةُ آلَافٍ أَتَيْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبْرِدْ بِالظُّهْرِ لَعَلِّي أَتَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَأَكَلُمُهُمْ. قَالَ: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ. قَالَ قُلْتُ: كَلَّا. قَالَ: فَخَرَجْتُ أَتِيَهُمْ وَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ حُلْلِ الْيَمَنِ فَأَتَيْتُهُمْ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي دَارٍ وَهُمْ قَائِلُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا عَبَّاسٍ فَمَا هَذِهِ الْحُلَّةُ؟ قَالَ قُلْتُ: مَا تَعْيِبُونَ عَلَيَّ لَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الْحُلْلِ وَنَزَلَتْ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، قَالُوا: فَمَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لِأُبَلِّغَكُمْ مَا يَقُولُونَ وَتُخْبِرُونِي بِمَا يَقُولُونَ فَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَهُمْ أَعْلَمُ بِالْوَحْيِ مِنْكُمْ وَفِيهِمْ أَنْزَلَ وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا تُخَاصِمُوا قُرَيْشًا فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَأَتَيْتُ قَوْمًا لَمْ أَرِ قَوْمًا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ مُسَهَّمَةً وَجُوهُهُمْ مِنَ السَّهَرِ كَأَنَّ أَيْدِيَهُمْ وَرُكْبَهُمْ ثِقَنَ عَلَيْهِمْ قُمْصٌ مَرَحَضَةٌ قَالَ بَعْضُهُمْ لِنُكَلِّمَنَّهُ وَلِنَنْظُرَنَّ مَا يَقُولُ. قُلْتُ: أَخْبِرُونِي مَاذَا نَقَمْتُمْ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِهْرِهِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ قَالُوا: ثَلَاثًا. قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالُوا: أَمَّا إِحْدَاهُنَّ فَإِنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي أَمْرِ اللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾

[الأنعام: ٥٧]، وَمَا لِلرِّجَالِ وَمَا لِلْحُكَمِ. فَقُلْتُ: هَذِهِ وَاحِدَةٌ. قَالُوا: وَأَمَّا الْأُخْرَىٰ فَإِنَّهُ قَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ فَلَيْنَ كَانَ الَّذِينَ قَاتَلَ كُفَّارًا لَقَدْ حَلَّ سَبِيَّهُمْ وَعَنِيَمَتُهُمْ وَإِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مَا حَلَّ قِتَالُهُمْ قُلْتُ: هَذِهِ ثِنْتَانِ فَمَا الثَّالِثَةُ؟ قَالُوا: إِنَّهُ مَحَا اسْمَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ. قُلْتُ: أَعِنْدَكُمْ سِوَىٰ هَذَا؟ قَالُوا: حَسْبُنَا هَذَا. فَقُلْتُ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَمِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مَا يُرَدُّ بِهِ قَوْلُكُمْ أَتَرْضَوْنَ؟ قَالُوا: نَعَمْ فَقُلْتُ لَهُمْ: أَمَّا قَوْلُكُمْ حَكَمَ الرِّجَالِ فِي أَمْرِ اللَّهِ فَأَنَا أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ مَا قَدْ رَدَّ حُكْمُهُ إِلَى الرِّجَالِ فِي ثَمَنِ رُبْعِ دِرْهَمٍ فِي أَرْبَبٍ وَنَحْوِهَا مِنَ الصَّيْدِ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، فَنَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ أَحْكُمَ الرِّجَالِ فِي أَرْبَبٍ وَنَحْوِهَا مِنَ الصَّيْدِ أَفْضَلُ أَمْ حُكْمُهُمْ فِي دِمَائِهِمْ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ وَأَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَوْ شَاءَ لَحَكَمَ وَلَمْ يُصَيِّرْ ذَلِكَ إِلَى الرِّجَالِ وَفِي الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥]، فَجَعَلَ اللَّهُ حُكَمَ الرِّجَالِ سُنَّةَ مَا ضِيَّةً أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ قَاتَلَ فَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ أَتَسْبُونَ أَمْكُمْ عَائِشَةَ ثُمَّ تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا يُسْتَحَلُّ مِنْ غَيْرِهَا فَلَيْنَ فَعَلْتُمْ لَقَدْ كَفَرْتُمْ وَهِيَ أُمَّكُمْ وَلَيْنَ قُلْتُمْ كَيْسَتْ بِأُمَّنَا لَقَدْ كَفَرْتُمْ! فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿التَّيُّ أَوَّلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فَانْتُمْ تَدُورُونَ بَيْنَ ضَلَالتَيْنِ أَيُّهُمَا صِرْتُمْ إِلَيْهَا صِرْتُمْ إِلَى ضَلَالَةٍ فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قُلْتُ: أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنَا أَتَيْتُكُمْ بِمَنْ تَرْضَوْنَ أَرَيْكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ كَاتَبَ الْمُشْرِكِينَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو وَأَبَا سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: «اكْتُبْ يَا عَلِي هَذَا مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لَا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ

رَسُولُ اللَّهِ مَا قَاتَلْنَاكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُكَ أَكْتُبُ يَا عَلِيُّ هَذَا مَا اضْطَلَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ»، فَوَاللهُ لَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ وَمَا أَخْرَجَهُ مِنَ النَّبُوءَةِ حِينَ مَحَا نَفْسَهُ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (فَرَجَعَ مِنَ الْقَوْمِ أَلْفَانِ وَقُتِلَ سَائِرُهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ).

وعند مسلم (١٩١): عن يزيد الفقيه قال: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحْجَّ ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ - جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللهُ يَقُولُ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟! قَالَ: فَقَالَ: أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ فِيهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ. قَالَ: ثُمَّ نَعَتْ وَضَعَ الصِّرَاطَ وَمَرَّ النَّاسَ عَلَيْهِ، قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَلِكَ، قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، قَالَ: يَعْنِي فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ. قَالَ: فَيَدْخُلُونَ نَهْرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ فَيَعْتَسِلُونَ فِيهِ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ الْقَرَّاطِيسُ. فَرَجَعْنَا قُلْنَا: وَيَحْكُمُ! أَتُرُونَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فَرَجَعْنَا، فَلَا وَاللهِ، مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ.

إلى غير ذلك من الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية والآثار المروية.

* وأسميت هذا الشرح (الفوائد الذهبية على العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام ابن

تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.



فأسأل الله أن ينفع بهذا الشرح كما نفع بأصله، وأن يغفر لي ولوالديّ ولمشايعي
وللمسلمين.

وكان تدريسي لهذا الكتاب من السبت الثالث من شهر محرّم الحرام لعام ١٤٣٤هـ،
والحمد لله ربّ العالمين^(١).

كتبه:

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زبير الحميري الزنغاري

٨ / جمادى الأولى / ١٤٣٤هـ



(١) إني أشكر الله تعالى أولاً وآخرًا ظاهرًا وباطنًا الذي وفقني لهذا الخير، وأسأله المزيد من فضله.
ثم أشكر لوالدي ومشايعي ومن كان له فضل بعد الله في إعانتني على طلب العلم، رحم الله
أمواتهم وحفظ أحياءهم.
وأشكر الشيخ الفاضل أبو عبد الله محمد باجمال الذي أتحفني بمتن العقيدة الواسطية الذي حققه
على عدة نسخ خطية. أقول: هذا اعترافًا بالفضل لدويه، من باب: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ
النَّاسَ»، والحمد لله رب العالمين.



فوائد تتعلق بالبسملة

قال المصنف رحمه الله:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

افتتح كتابه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله العزيز **قَالَ تَبَارَكَ**: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) .

وجاء عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما في الصحيحين البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٢) من حديث ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كَتَبَ فِي كِتَابِهِ إِلَى هِرَقْلَ: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ**» الحديث .
وعند مسلم (١٧٨٤): عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لَمَّا كَتَبَ الصَّلَحَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَرِيشٍ، قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «**اَكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**»، قَالَ سُهَيْلٌ أَمَّا بِاسْمِ اللَّهِ فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَكِنْ اَكْتُبْ مَا نَعْرِفُ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ.

وجاء عن البراء بن عازب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (١٧٨٣) قَالَ: لَمَّا أُخْصِرَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عِنْدَ الْبَيْتِ، صَالَحَهُ أَهْلُ مَكَّةَ عَلَى أَنْ يَدْخُلَهَا فَيَقِيمَ بِهَا ثَلَاثًا، وَلَا يَدْخُلَهَا إِلَّا بِجُلْبَانِ السَّلَاحِ، السَّيْفِ وَقِرَابِهِ، وَلَا يَخْرُجَ بِأَحَدٍ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهَا، وَلَا يَمْنَعُ أَحَدًا يَمْكُثُ بِهَا مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ، قَالَ لِعَلِيِّ: «**اَكْتُبِ الشَّرْطَ بَيْنَنَا، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**»، فَقَالَ لَهُ الْمُشْرِكُونَ: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ تَابَعْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَأَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَمَحَاهَا، فَقَالَ عَلِيُّ: لَا وَاللَّهِ، لَا أَمَحَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**أَرِنِي مَكَانَهَا**»، فَأَرَاهُ مَكَانَهَا فَمَحَاهَا، وَكَتَبَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ يَوْمُ الثَّلَاثِ قَالُوا لِعَلِيِّ: هَذَا آخِرُ يَوْمٍ مِنْ شَرْطِ صَاحِبِكَ، فَأَمَرَهُ فليُخْرِجَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «**نَعَمْ**»، فَخَرَجَ.

وفي كتاب النبي ﷺ إلى بني أقيش عند أحمد: (٢٣٠٧٧) عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ قَالَ: كُنَّا بِهَذَا الْمَرْبِدِ بِالْبَصْرَةِ قَالَ: فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ مَعَهُ قِطْعَةُ أَدِيمٍ، أَوْ قِطْعَةُ جِرَابٍ، فَقَالَ: هَذَا كِتَابُ كَتَبَهُ لِي النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ: فَأَخَذَتْهُ فَقَرَأَتْهُ عَلَى الْقَوْمِ، فَإِذَا فِيهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، لِبَنِي زُهَيْرِ بْنِ أَيْشٍ: إِنَّكُمْ إِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ، وَآدَيْتُمُ الزَّكَاةَ، وَأَعْطَيْتُمُ مِنَ الْمَغَانِمِ الْخُمْسَ وَسَهْمَ النَّبِيِّ وَالصَّفِيِّ، فَأَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَأَمَانِ رَسُولِهِ»، قَالَ: قُلْنَا: مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يُذْهِبْنَ وَحَرَ الصَّدْرِ».

وقص الله تعالى في القرآن أن سليمان ﷺ لما كتب إلى ملكة اليمن قال: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].

وتُسمَّى الجملة بالبسملة، و(الحمد لله) بالحمدلة، و(سبحان الله) بالسبحلة، و(حسبي الله ونعم الوكيل) بالحسبلة، وتُسمَّى (حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح) بالحيعة، و(لا حول ولا قوة إلا بالله) بالحوقة و(لا إله إلا الله) بالهيللة، ويُقال لهذا النوع من الكلام النحت، والعرب تَنَحُّتُ من كلمتين أو ثلاث كلمة واحدة. و(الباء) في بسم الله للاستعانة، وقيل للمصاحبة، والصحيح الأول، وتأتي لعدة معانٍ تراجع لها المطولات.

والاسم مشتق من السمو وهو العلوّ والإرتفاع وهذا مذهب أهل البصرة؛ وذهب الكوفيون إلى أنه مشتق من الوسم، وهو العلامة والصحيح الأول فيقالون في تَصْرِيفِهِ سَمَّيْتُ وَلَا يَقُولُونَ وَسَمْتُ وَفِي جَمْعِهِ أَسْمَاءٌ لَا أَوْسَامَ وَفِي تَصْغِيرِهِ سَمِي لَا وَسِيمَ. وَيُقَالُ لِصَاحِبِهِ مُسَمَّى لَا يُقَالُ مَوْسُومٌ.

(الله) لفظ الجلالة علمٌ على الذات العلية وهو أعرف المعارف وكلّ الأسماء الحسنى تابعة له **قَالَ تَهَامِي**: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]، وما جاء في قول الله تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١-٢]، فالعطف عطف بيان لا عطف نسق والفرق بين العطفين أنَّ عطف البيان مبين لما قبله وعطف النسق يكون تابعا لما قبله، مثاله: جاء زيدٌ وعمرٌ، فيكون عمرو تابعا لزيد، وفي عطف البيان جاء أبو حفص عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فعمر موضح لأبي حفص ومبين له.

ولفظ الجلالة (الله) مشتق على الصحيح من أقوال أهل العلم، وهو مشتق من الإله والإله هو المعبود محبةً وتعظيمًا حتى قال رؤبة بن العجاج:

لِلَّهِ دُرُّ الْغَايَةِ الْمُنَادِيهِ سَبَّحْنِ وَأَسْتَرْجَعْنِ مِنْ تَأْلِهِي
أي: من تعبدتي.

قال ابن القيم في بدائع الفوائد (١/ ٢٢): زعم أبو القاسم السهيلي وشيخه ابن العربي: أن اسم الله غير مشتق لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا ألم بقلوبهم وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة والقديم لا مادة له فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله ثم الجواب عن الجميع أننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى لا أنها متولدة منها تولد

الفرع من أصله وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلاً وفرعاً ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة. اهـ وهو الاسم الأعظم على الصحيح، وورد في خصوص (اسم الله الأعظم) عدة أحاديث، أشهرها:

حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي سُورَةِ الْقُرْآنِ ثَلَاثٌ: فِي (البَقَرَةِ) وَ(آلِ عِمْرَانَ) وَ(طه)».

رواه ابن ماجه (٣٨٥٦) وفي سنده غيلان بن أنس مجهول.

وحديث أنسٍ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ)، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ».

رواه الترمذي (٣٥٤٤)، وأبوداود (١٤٩٥)، والنسائي (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨).

وحديث بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالْإِسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ».

رواه الترمذي (٣٤٧٥)، وأبوداود (١٤٩٣)، وابن ماجه (٣٨٥٧).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك.

وحديث أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَاللَّهُمَّ اكْبُرْ لِلَّهِ وَلِحَدِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ﴾».



رواه الترمذي (٣٤٧٨)، وأبوداود (١٤٩٦)، وابن ماجه (٣٨٥٥).

والحديث ضعيف، فيه عبيد الله بن أبي زياد وشهر بن حوشب، وكلاهما ضعيف.

وقد اختلف أهل العلم في (اسم الله الأعظم).

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١ / ٢٢٤): وقد أنكره قوم كأبي جعفر الطبري وأبي الحسن الأشعري وجماعة بعدهما كأبي حاتم بن حبان والقاضي أبي بكر الباقلاني فقالوا لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض ونسب ذلك بعضهم لمالك لكراهيته ان تعاد سورة أو تردد دون غيرها من السور لئلا يظن أن بعض القرآن أفضل من بعض فيؤذن ذلك باعتقاد نقصان المفضول عن الأفضل وحملوا ما ورد من ذلك على أن المراد بالأعظم العظيم وأن أسماء الله كلها عظيمة وعبرة أبي جعفر الطبري اختلفت الآثار في تعيين الاسم الأعظم والذي عندي أن الأقوال كلها صحيحة إذ لم يرد في خبر منها انه الاسم الأعظم ولا شيء أعظم منه فكأنه يقول كل اسم من أسمائه تعالى يجوز وصفه بكونه أعظم فيرجع إلى معنى عظيم كما تقدم وقال بن حبان الاعظمية الواردة في الاخبار إنما يراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك كما اطلق ذلك في القرآن والمراد به مزيد ثواب القارئ وقيل المراد بالاسم الأعظم كل اسم من أسماء الله تعالى دعا العبد به مستغرقاً بحيث لا يكون في فكره حالئذ غير الله تعالى فان من تأتى له ذلك استجيب له ونقل معنى هذا عن جعفر الصادق وعن الجنيد وعن غيرهما، وقال آخرون: استأثر الله تعالى بعلم الاسم الأعظم ولم يطلع عليه أحداً من خلقه.

وأثبت آخرون معيناً واضطربوا في ذلك وجملة ما وقفت عليه من ذلك أربعة عشر

قولاً:



الأول: الاسم الأعظم هو ما نقله الفخر الرازي عن بعض أهل الكشف واحتج له بأن من أراد أن يعبر عن كلام معظم بحضرته لم يقل له أنت قلت كذا وإنما يقول هو يقول تأدباً معه.

الثاني: (الله) لأنه اسم لم يطلق على غيره ولأنه الأصل في الأسماء الحسنى ومن ثم أضيفت إليه.

الثالث: (الله الرحمن الرحيم) ولعل مستنده ما أخرجه بن ماجه عن عائشة أنها سألت النبي ﷺ أن يعلمها الاسم الأعظم فلم يفعل فصلت ودعت: اللهم إني أدعوك الله، وأدعوك الرحمن، وأدعوك البر الرحيم، وأدعوك بأسمائك الحسنى كلها، ما علمت منها، وما لم أعلم... الحديث. وفيه: أنه ﷺ قال لها: «إنه لفي الأسماء التي دعوت بها».

* **قلت:** وسنده ضعيف، وفي الاستدلال به نظر لا يخفى.^(١)

الرابع: (الرحمن الرحيم الحي القيوم) لما أخرج الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «اسمُ الله الأعظمُ في هاتين الآيتين: ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهٌُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿إِلَهُهُمُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾».

أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي وحسنه الترمذي وفي نسخة صححه. وفيه نظر؛ لأنه من رواية شهر بن حوشب.

(١) في الزوائد في إسناده مقال. وعبدالله بن عكيم وثقه الخطيب وعده من الصحابة. ولا يصح له سماع. وأبوشيبة لم أر من جرحه ولا من وثقه. وباقي رجال الإسناد ثقات. انتهى **قلت:** أبوشيبة كذبه أبو حاتم وقال البخاري في حديثه عن ابن عكيم نظر.

الخامس: (الحي القيوم) أخرج ابن ماجه (٣٨٥٦) من حديث أبي أمامة الاسم الأعظم في ثلاث سور البقرة وآل عمران وطه قال القاسم الراوي عن أبي أمامة التمسته منها فعرفت أنه الحي القيوم. وقواه الفخر الرازي واحتج بأنهما يدلان من صفات العظمة بالربوبية ما لا يدل على ذلك غيرهما كدلالتهما.

السادس: (الحنان، المنان، بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، الحي القيوم) ورد ذلك مجموعاً في حديث أنس عند أحمد والحاكم وأصله عند أبي داود والنسائي وصححه ابن حبان.

السابع: (بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام) أخرجه أبويعلى من طريق السري بن يحيى عن رجل من طي واثنى عليه قال كنت أسأل الله أن يريني الاسم الأعظم فأريته مكتوباً في الكواكب في السماء.

الثامن: (ذو الجلال والإكرام) أخرج الترمذي من حديث معاذ بن جبل قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: (يا ذا الجلال والإكرام) فقال: «**قد استجيب لك فسل**»، واحتج له الفخر بأنه يشمل جميع الصفات المعتمدة في الإلهية؛ لأن في (الجلال) إشارة إلى جميع السلوب وفي (الإكرام) إشارة إلى جميع الإضافات.

التاسع: (الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث بريدة وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك.

العاشر: (رب رب) أخرجه الحاكم من حديث أبي الدرداء وابن عباس بلفظ: «**اَسْمُ اللهِ الْأَكْبَرُ رَبُّ رَبٍّ**». وأخرج بن أبي الدنيا عن عائشة: «**إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: لَبَّيْكَ عَبْدِي، سَلْ تُعْطَ**» رواه مرفوعاً وموقوفاً.



الحادي عشر: (دعوة ذي النون) أخرج النسائي والحاكم عن فضالة بن عبيد رفعه: «دَعْوَةُ ذِي النَّوْنِ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ».

الثاني عشر: نقل الفخر الرازي عن زين العابدين أنه سأل الله أن يعلمه الاسم الأعظم فرأى في النوم: (هو الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم).

الثالث عشر: هو مخفي في الأسماء الحسنی ويؤيده حديث عائشة المتقدم لما دعت ببعض الأسماء وبالأسماء الحسنی فقال لها **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إنه لفي الأسماء التي دعوت بها».

الرابع عشر: كلمة التوحيد نقله عياض. انتهى

قوله: (الرحمن) اسم من أسماء الله الحسنی، وهو علمٌ على الذات العليّة وهو من الأسماء المختصة بالله كاسم الله والقاهر والقهار والجبار والصمد وغيرها من الأسماء المختصة بالله **عَزَّوَجَلَّ** التي لا يجوز أن يُسمّى بها غيره وهو على وزن فعلان، وصيغته أبلغ من وزن فاعيل وعند علماء البيان والبلاغة أن الزيادة في الأحرف تدلّ على معنى أوسع.

قال ابن القيم بدائع الفوائد (١/ ٢٧): استبعد قوم أن يكون الرحمن نعتاً لله تعالى من قولنا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وقالوا: (الرحمن) علم والأعلام لا ينعت بها، ثم قالوا: هو بدل من اسم الله، قالوا: ويدل على هذا أن (الرحمن) علم مختص بالله تعالى لا يشاركه فيه غيره فليس هو كالصفات التي هي العليم القدير والسميع والبصير ولهذا تجري على غيره تعالى قالوا ويدل عليه أيضاً وروده في القرآن غير تابع لما قبله كقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، و﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١-٢]، و﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَصْرُكُم مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ [الملك: ٢٠] وهذا شأن الأسماء المحضة لأن الصفات لا يقتصر على ذكرها دون الموصوف.

قال السهيلي: والبذل عندي فيه ممتنع وكذلك عطف البيان لأن الاسم الأول لا يفتقر إلى تبين فإنه أعرف المعارف كلها وأبينها ولهذا قالوا: وما الرحمن ولم يقولوا وما الله ولكنه وإن جرى مجرى الأعلام فهو وصف يراد به الشئ وكذلك الرحيم إلا أن الرحمن من أبنية المبالغة كغضبان ونحوه وإنما دخله معنى المبالغة من حيث كان في آخره ألف ونون كالتثنية فإن التثنية في الحقيقة تضعيف وكذلك هذه الصفة فكأن غضبان وسكران كامل لضعفين من الغضب والسكر فكان اللفظ مضارعا للفظ التثنية لأن التثنية ضعفان في الحقيقة ألا ترى أنهم أيضًا قد شبهوا التثنية بهذا البناء إذا كانت لشيئين متلازمين فقالوا الحكماء والعلماء وأعربوا النون كأنه اسم لشيء واحد فقالوا اشترك باب فعلان وباب التثنية ومنه قول فاطمة يا حسنان يا حسينان برفع النون لابنيها ولمضارعة التثنية امتنع جمعه فلا يقال غضباين وامتنع تأنيثه فلا يقال غضبانة وامتنع تنوينه كما لا تنون نون المشى فجرت عليه كثير من أحكام التثنية لمضارعته إياها لفظا ومعنى.

وفائدة الجمع بين الصفتين الرحمن والرحيم الإنباء عن رحمة عاجلة وآجلة وخاصة وعامة تم كلامه.

* قلت: أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت فإنها دالة على صفات كماله فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية فالرحمن اسمه تعالى ووصفه لا تنافي اسميته وصفيته فمن حيث هو صفة جرى تابعا على اسم الله ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورود الاسم العلم.

ولما كان هذا الاسم مختصا به تعالى حسن مجيئه مفردا غير تابع كمجيء اسم الله كذلك وهذا لا ينافي دلالة على صفة الرحمن كاسم الله تعالى فإنه دال على صفة الألوهية ولم يجيء قط تابعا لغيره بل متبوعا وهذا بخلاف العليم والقدير والسميع



والبصير ونحوها ولهذا لا تجيء هذه مفردة بل تابعة فتأمل هذه النكتة البديعة يظهر لك بها أن الرحمن اسم وصفة لا ينافي أحدهما الآخر وجاء استعمال القرآن بالأمرين جميعاً.

وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى هو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف والثاني للفعل فالأول دال أن الرحمة صفته والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته.

وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، ولم يجيء قط رحمن بهم فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب وإن تنفست عندها مرة قلبك لم تنجل لك صورتها. اهـ

ويُقَدَّر الفعل مؤخراً، وقدر فعلاً لأن الأصل في العمل للأفعال، وقدر مؤخراً حتى يُتَبَرَّك بذكر الله قبل كل شيء وحتى لا يسبق اسم (الله) شيء.

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ في بدائع الفوائد (١/ ٢٨): لحذف العامل في بسم الله فوائد عديدة: منها أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوى ذكر الله فلو ذكرت الفعل وهو لا يستغني عن فاعله كان ذلك مناقضاً للمقصود فكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى، ليكون المبدوء به اسم الله كما نقول في الصلاة الله أكبر ومعناه من كل شيء ولكن لا نقول هذا المقدر وليكون اللفظ مطابقاً لمقصود الجنان وهو أن لا يكون في القلب إلا الله وحده فكما تجرد ذكره في قلب المصلي تجرد ذكره في لسانه.

ومنها: أن الفعل إذا حذف صح الابتداء بالتسمية في كل عمل وقول وحركة وليس فعل أولى بها من فعل فكان الحذف أعم من الذكر فإن أي فعل ذكرته كان المحذوف أعم منه.



ومنها: أن الحذف أبلغ لأن المتكلم بهذه الكلمة كأنه يدعي الاستغناء بالمشاهدة عن النطق بالفعل فكأنه لا حاجة إلى النطق به لأن المشاهدة والحال دالة على أن هذا وكل فعل فإنما هو باسمه تبارك وتعالى والحوالة على شاهد الحال أبلغ من الحوالة على شاهد النطق كما قيل:

وَمِنْ عَجَبِ قَوْلِ الْعَوَازِلِ مَنْ بِهِ ❀ وَهَلْ غَيْرُ مَنْ أَهْوَى يُحِبُّ وَيَعْشَقُ
انتهى.

وقد حثَّ الشارع على البدء بالبسملة في كثير من الأمور منها: حال الكتابة كما تقدم وعند إتيان الرجل أهله، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: جَنَّبَنِي الشَّيْطَانُ وَجَنَّبِ الشَّيْطَانُ مَا رَزَقْتَنِي، فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ»، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في البخاري (٣٢٨٣) ومسلم (١٤٣٤)، وبُوبَ عليه البخاري في صحيحه باب ذكر الله عند الوقاع وغيره.

وعند الخروج من البيت لما صحَّ عن أم سلمة وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا خرج من بيته قال: «بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ»، رواه أبو داود (٥٠٩٥)، الترمذي (٣٤٢٧).

وعند ركوب الدابة لما صحَّ عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَنْ عَلِيِّ بْنِ رِبِيعَةَ قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا أَتَى بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ ثَلَاثًا، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثًا، سُبْحَانَكَ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. ثُمَّ ضَحِكَ، قُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَنَعَ كَمَا صَنَعْتُ ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ

لَيُعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ»، أخرجه أبو داود (٢٦٠٢) والترمذي (٢٤٤٣).

وقال النبي ﷺ في قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَلَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١].

وعند دخول البيت لما صحَّ عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٠١٨)، قال ﷺ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لَا مَيِّتَ لَكُمْ وَلَا عِشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمُ الْمَيِّتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُمُ الْمَيِّتَ وَالْعِشَاءَ».

وعند الطعام والشراب ولحديث عمر بن أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي ﷺ: «يَا غُلَامُ، سَمِ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»، البخاري (٥٣٧٦)، مسلم (٢٠٢٢)، ولحديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٠١٧) قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضْعُ أَيْدِنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَضَعُ يَدَهُ وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَانَتْهَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهَا ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذَكَّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ جَاءَ بِهِذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيُّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ يَدُهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا».

وعند إغلاق الأبواب لحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسلم (٢٠١٢) قال النبي ﷺ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ، وَأَطْفِئُوا السَّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا أَنْ

يَعْرِضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ، فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الْفَوَيْسِقَةَ تُضَرُّ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ».

وعند النوم كما صحَّ عن النبي ﷺ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْقُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤).

وعند القيام من النوم، قال الرسول ﷺ: «بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا» من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٣١٢)، وعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسلم (٢٧١١).

وعند الصباح والمساء، لما صحَّ من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٍ، حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٍ حَتَّى يُمِيسَ»، عند أبي داود (٥٠٨٨)، الترمذي (٣٣٨٨)، ابن ماجه (٣٨٦٩).

وعند العلاج وغير ذلك، لما صحَّ عن النبي ﷺ أنه كان إذا جاءه الرجل فيه الجرح بلَّل إصبعه ثمَّ وضعها في التراب ثمَّ وضعها على مكان الألم ثمَّ قال ﷺ: «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ»، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢١٨٦)، ومن حديث عثمان بن أبي العاص ﷺ: أَنَّهُ شَكَاَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ» عند مسلم (٢٢٠٢)، (٣٥٢٢)، وَلَمَّا جَاءَ جِبْرَائِيلُ، أَنَّى النَّبِيُّ ﷺ،

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ أَرْزُقِكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْزِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ، أَوْ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللَّهِ أَرْزُقِكَ»، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٣٥٢٣)، ومسنند أحمد (١١٢٢٥).

وعند إرسال الرسل وتوديع الأصحاب والإخوان لما صحَّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَعْدُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا» مسلم (١٧٣١).

وعند الرمي لما جاء من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ ذَلِكَ الْغُلَامَ لَمَّا عَجَزَ الْمَلِكُ عَنْ قَتْلِهِ قَالَ: «إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جَذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ صَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جَذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ» مسلم (٣٠٠٥).

وعند إرسال الكلب المعلم، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ وَالطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤]، وقال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أُرْسِلَتْ كَلْبُكَ الْمُعَلَّمُ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَكُلْ مَا أَمْسَكَ عَلَيْكَ، فَإِنْ أَكَلَ فَلَا تَأْكُلْ، فَإِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ»، من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (١٧٥) ومسلم (١٩٢٩).

وقال: «إِذَا رَمَيْتَ سَهْمَكَ فَادْكُرِ اسْمَ اللَّهِ فَإِنْ وَجَدْتَهُ قَدْ قَتَلَ فَكُلْ إِلَّا أَنْ تَجِدَهُ قَدْ وَقَعَ فِي مَاءٍ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي الْمَاءُ قَتَلَهُ أَوْ سَهْمُكَ»، من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٩٢٩).

ولما نحر النبي ﷺ أضحيتته قال: «مَنْ كَانَ ذَبَحَ أَضْحِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ - أَوْ نُصَلِّيَ -، فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى، وَمَنْ كَانَ لَمْ يَذْبَحْ، فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ»، من حديث جندب بن سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٩٦٠)، وما لم يذكر اسم الله عليه حال التذكية لا يجوز أكله بحال **قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١١٨]**، **وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِبَيِّنَتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [١١٨] وَمَا لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨-١١٩]**.

قال الشوكاني في فتح القدير: نهى الله سبحانه عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، بعد أن أمر بالأكل مما ذكر اسم الله عليه، وفيه دليل على تحريم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه.

وقد اختلف أهل العلم في ذلك، فذهب ابن عمر، ونافع مولاة، والشعبي، وابن سيرين وهو رواية عن مالك وعن أحمد بن حنبل، وبه قال أبو ثور، وداود الظاهري أن ما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح حرام من غير فرق بين العامد والناسي لهذه الآية. ولقوله تعالى في آية الصيد: **﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾** [المائدة: ٤] ويزيد هذا الاستدلال تأكيداً قوله سبحانه في هذه الآية: **﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾**.

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة، الأمر بالتسمية في الصيد وغيره. وذهب الشافعي وأصحابه، وهو رواية عن مالك، ورواية عن أحمد: أن التسمية مستحبة لا واجبة، وهو مروى عن ابن عباس، وأبي هريرة، وعطاء بن أبي رباح، وحمل الشافعي الآية على من ذبح لغير الله، وهو تخصيص للآية بغير مخصص. وقد روى أبو داود في المرسل أن النبي ﷺ قال: **«ذَبِيحَةُ الْمُسْلِمِ حَلَالٌ، ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ أَوْ لَمْ يَذْكُرْ»**، وليس في هذا المرسل ما يصلح لتخصيص الآية، نعم حديث عائشة أنها قالت للنبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن قوماً يأتوننا بلحمان لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا؟ فقال: **«سَمُّوا أَنْتُمْ وَكُلُّوا»**^(١) يفيد أن التسمية عند الأكل تجزئ مع التباس وقوعها عند الذبح. وذهب مالك، وأحمد في المشهور عنهما، وأبو حنيفة وأصحابه، وإسحاق بن راهويه، أن التسمية إن تركت نسياناً لم تضر، وإن تركت عمداً لم يحل أكل الذبيحة. وهو مروي عن علي، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وعطاء وطاووس، والحسن البصري، وأبي مالك، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، وجعفر بن محمد، وربيع بن أبي عبدالرحمن، واستدلوا بما أخرجه البيهقي عن ابن عباس، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: **«الْمُسْلِمُ إِنْ نَسِيَ أَنْ يُسَمِّيَ حِينَ يَذْبَحُ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ وَلْيَأْكُلْهُ»**، وهذا الحديث رفعه خطأ، وإنما هو من قول ابن عباس. وكذا أخرجه من قوله عبدالرزاق، وسعيد ابن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر؛ نعم يمكن الاستدلال لهذا المذهب بمثل قوله تعالى: **﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾** [البقرة: ٢٨٦]، كما سبق تقريره، وبقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنَّسْيَانُ»**، وأما حديث أبي هريرة الذي أخرجه ابن عدي أن رجلاً جاء إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقال: يا رسول الله، أرايت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى؟ فقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«اسْمُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»**، فهو حديث ضعيف، قد ضعفه البيهقي وغيره. انتهى

وعند السقوط والتعثر، فعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَعَثَرْتُ دَابَّةً، فَقُلْتُ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: **«لَا تَقُلْ تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»**، عند أبي داود (٤٩٨٢)، ومسند أحمد (٢٥٩١).

(١) أخرجه البخاري.

ولما قطعت إصبع طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حَسَّ، فقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو قلت: بسم الله لَرَفَعْتُكَ الملائكة والناسُ ينظرون»، رواه النسائي (٣١٤٩).

هذه بعض المواطن التي تشرع فيها التسمية، وهناك مواطن أخرى لمن أراد التقصي ونسأل الله العون والسداد، ومنها ما تكون التسمية عليه واجبة ومنها ما تكون مستحبة، على تفصيل في كتب الفقه، والله أعلم.



فوائد تتعلق بالحمدلة

قال رحمه الله:

الحمد لله.

لما ابتدأ بالبسملة ثنى بالحمدلة، الحمد: هو الإخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه. قاله ابن القيم في "البدائع" (٩٣/٢). وهذا أحسن تعريف لها؛ وإلا فإن أكثر العلماء يذهبون في تعريفها إلى أنها: الشناء على الله، وذهب بعضهم إلى أنها شكر الله تعالى، وسيأتي الفرق بينهما إن شاء الله تعالى.

وقال كما في بدائع التفسير (١٢٢/١): نجد تحت هذه الكلمة إثبات كل كمال للرب تعالى فعلاً ووصفاً واسماً، وتنزيهه عن كل سوء وعيب فعلاً ووصفاً واسماً فهو محمود في أفعاله وأوصافه وأسمائه منزّه من العيوب والنقائص في أفعاله وأوصافه وأسمائه. اهـ

كما أن قول: (سبحان الله) يتضمن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائص والعيوب، ويستلزم إثبات جميع المحامد.

ولعظم هذه الكلمة (الحمد لله) افتتح سبحانه وتعالى بها خمس سور من القرآن: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر.

وكم يجمع الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم بينهما وبين التسبيح لما تقدم بيانه. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي مالك الأشعري عند مسلم (٢٢٣): «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ».

وقال صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي سلام عن مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أحمد (٤٤٣/٣)، وهو في الصحيح المسند لشيخنا مقبل رحمه الله: «يَخِ بَخٍ! لَخَمْسُ

مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدَاهُ.

ويسمع الله لحامده كما في حديث أبي موسى عند مسلم (٤٠٤) قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ يَسْمَعُ اللَّهُ كُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ».

وأخرج الإمام مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قراءة الفاتحة في الصلاة، وفيه: «فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي».

وهي من أحب الكلام إلى الله، كما في حديث سمرة بن جندب: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بَأْيُهُنَّ بَدَأْتَ» أخرجه مسلم (٢١٣٧).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الصواعق المرسله (٤/ ١٢٢٣): فإنه سبحانه يحمد على أفعاله كما حمد نفسه عليها في كتابه وحمده عليها رسله وملائكته والمؤمنون من عباده فمن لا فعل له البتة كيف يحمد على ذلك فالأفعال هي المقتضية للحمد ولهذا تجده مقروناً بها كقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

وكقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]. اهـ

قال السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير سورة الفاتحة (١/ ٣٦٤): ثم اعلم أن حمد الله تعالى لنفسه حسن لا كحمد المخلوقين لأنفسهم لأن المخلوق لا يخلوا عن نقص فلا

يخلوا مدحه نفسه عن كذب فيقبح منه أن يمدح نفسه وأما الله جل جلاله بريء عن النقص والعيب فكان مدحه نفسه حسناً. اهـ

الفرق بين الحمد والشكر:

وقد ذهب ابن جرير **رَحْمَةُ اللَّهِ** إلى أن الحمد لله هو الشكر لله تعالى ورد هذا التعريف ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ** في (تفسيره): فقال: وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر لأنه اشتهر عند كثير من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية والشكر لا يكون إلا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والأركان كما قال الشاعر:

أَفَادَتْكُمْ النِّعْمَاءُ مِنِّْي ثَلَاثَةً ❁ يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا
وهذا التعريف الذي ذهب إليه ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ** قد رده ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** كما في البدائع (٩٥/٢) وبين أن الثناء هو الحمد إذا تكرر فقال:

فإن الإخبار عن المحاسن إما بتكرار أو لا فإن تكرر فهو الثناء وإن لم يتكرر فهو الحمد فالثناء مأخوذ من الثني وهو العطف ورد الشيء بعضه إلى بعض ومنه تشية الثوب ومنه تشية الاسم، واستدل على ذلك بحديث أبي هريرة عند الإمام مسلم (٣٩٥): **«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ❶ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ❷ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي»**؛ لأنه كرر الحمد.

واللام في الحمد للاستغراق أي إستغراق جميع أجناس الحمد وثبوتها لله تعالى تعظيماً وتمجيذاً قاله القاسمي في "تفسيره".

وقال القرطبي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في التفسير (١٧٧/١): الحمد في كلام العرب، معناه: الثناء الكامل، والألف واللام للإستغراق الجنسي من المحامد؛ فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنی والصفات العلا. اهـ

وكل ما شمله ملكه وقدرته شمله حمده، قاله ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ . اهـ "من طريق الهجرتين".

وقد تقدم ذكر بعض الفروق بين الحمد والشكر من حيث أن الشكر أعم آله أي أنه يكون بالقلب خضوعاً واستكانة وباللسان ثناءً واعترافاً وبالجوارح طاعةً وانقياداً بينما الحمد يكون باللسان وبالقلب فقط.

والشكر يكون على الصفات المتعدية فقط، فتقول شكرته على إحسانه وفضله وعدله ولا تقول شكرته على سمعه وبصره وجماله.

بينما الحمد يكون على الصفات المتعدية واللازمة، تقول حمدته على جماله وإحسانه وحمدته على سمعه وبصره. اهـ بتصرف من "المدارج" (٢/٢٤٦).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: واختلفوا أيهما أعم الحمد أم الشكر على قولين والتحقيق أن بينهما عموم وخصوص ثم ذكر بنحو ما تقدم من كلام ابن القيم.

وقد تكلم أهل العلم في هذه الفروق، وأجمعها ما قال ابن القيم في "البدائع": فنقول الإخبار عن محاسن الغير له ثلاث اعتبارات:

١- اعتبار من حيث المخبر به.

٢- اعتبار من حيث الإخبار عنه بالخبر.

٣- اعتبار من حيث حال المخبر.

فمن حيث الاعتبار الأول ينشأ التقسيم إلى الحمد والمجد، فإن المخبر به إما أن يكون من أوصاف العظمة والجلال والسعة وتوابعها، أو من أوصاف الجمال والإحسان وتوابعها، فإن كان الأول فهو المجد، وإن كان الثاني فهو الحمد، وهذا لأن لفظ (م ج د) في لغتهم يدور على معنى الإتساع والكثرة، فمنه قولهم: أمجد

الدابة علفا أي أوسعها علفا، ومنه مجد الرجل فهو ماجد إذا كثر خيره وإحسانه إلى الناس، قال الشاعر:

أَنْتَ تَكُونُ مَا جِدُّ نَيْلٌ ❀ إِذَا تَهَبُّ شَمْلٌ بَلِيلٌ

ومنهم قولهم في شجر الغار: واستمجد المرخ والعفار، أي كثرت النار فيهما.

ومن حيث اعتبار الخبر نفسه ينشأ التقسيم إلى الثناء والحمد، فإن الخبر عن المحاسن إما متكرر، أو لا، فإن تكرر فهو الثناء، وإن لم يتكرر فهو الحمد، فإن الثناء مأخوذ من الثني وهو العطف ورد الشيء بعضه على بعض، ومنه ثنيت الثوب، ومنه التثنية في الإسم فالمثنى مكرر لمحاسن من يثنى عليه مرة بعد مرة.

ومن جهة اعتبار حال المخبر ينشأ التقسيم إلى المدح والحمد، فإن المخبر عن محاسن الغير إما أن يقترن بإخباره حب له وإجلال أو لا، فإن اقترن به الحب فهو الحمد، وإلا فهو المدح، فحصل هذه الأقسام وميزها. اهـ

مسألة: اختلف العلماء أيهما أفضل قول: (الحمد لله رب العالمين) أم قول: (لا إله إلا الله)؟

فقال بعضهم: (الحمد لله رب العالمين) أفضل؛ لأن في ضمنه التوحيد الذي هو لا إله إلا الله ففي قوله: (توحيد وحمد)، وفي قول لا إله إلا الله توحيد فقط، وقالت طائفة لا إله إلا الله أفضل؛ لأنها تدفع الكفر والإشراك وعليها يقاوم الخلق، وهذا القول هو الراجح لعموم أدلة فضل لا إله إلا الله.

وبدأ **رَحِمَهُ اللَّهُ** بالحمد اقتداءً بكتاب الله تعالى، وعملاً بسنة رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حيث كان يفتتح خطبه بالحمد لله كما هو المشهور من خطبة الحاجة ففي حديث عبدالله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أبي داود (٢١٨) قال: عَلَّمَنا رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حُطْبَةَ الْحَاجَةِ: **«إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ**

وَرَسُولُهُ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴿١٧٦﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٧٧﴾، ﴿١٧٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧٩﴾، ﴿١٨٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١٨١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿١٨٢﴾﴾.

وفي حديث جابر عند مسلم رقم (٨٦٧) قال: كان رسول الله ﷺ يخطب الناس ويحمد الله ويشني عليه بما هو أهله ثم يقول: «مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَخَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ».

وفي رواية: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ».

وفي حديث ابن عباس عند مسلم (٨٦٨): أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَرْدِ شَوْءَةٍ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ قَالَ: فَلَقِيَهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مِنْ شَاءَ فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَمَّا بَعْدُ».

والكلام على الحمد ومواطنه يطول، فيا حبذا لو يُفرد بمؤلف مستقل، فهذا اللفظ من أحب الكلام إلى الله تعالى كما هو معلوم.

وقد اختلف العلماء أيهما أفضل (الحمد لله) أو (لا إله إلا الله) فذهب بعضهم إلى أن الحمد لله أفضل لأنها متضمنة لمعنى لا إله إلا الله ولأن النبي ﷺ



صح عنه أنه قال: «وُسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٢٣).

وأحب الكلام إلى الله سبحانه الله وبحمده وسبحان الله العظيم، قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَسْبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»، لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٤٠٦)، مسلم (٢٦٩٤)، ولما صحَّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «بِخِ بَخٍ، لَخَمْسُ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فِيحْتَسِبُهُ، وَالِدَاهُ» من حديث أبي سلمى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند أحمد (١٥٦٦٢)، في أحاديث كثيرة والصحيح أن لا إله إلا الله أفضل لما صحَّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ»، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٣٣٨٣).

والحمد جاء في مواطن:

منها: بعد الصلاة إذ صحَّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أمر بحمد الله عزَّ وجلَّ من حديث كعبة بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسلم (٥٩٦): «مُعَقَّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ - أَوْ فَاعِلُهُنَّ - دُبُرُ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً».

ومنها: عند النوم لما صحَّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣١١٣) ومسلم (٢٧٢٧) واللفظ له، أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى فِي يَدِهَا وَآتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبِيَّ فَأَنْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ وَلَقِيتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَيْهَا فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا نَقُومُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا»، فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بُرْدَ قَدَمِهِ عَلَى صَدْرِي ثُمَّ قَالَ



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أَعْلَمُكُمْ خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا إِذَا أَخَذْتُمَا مَصَاجِعَكُمَا أَنْ تُكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ وَتُسَبِّحَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ».

وفي مسند أحمد (٦٩١٠): من طرق شُعْبَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «خَصَلَتَانِ - أَوْ خَلَّتَانِ - لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ، تُسَبِّحُ اللَّهُ عَشْرًا، وَتَحْمَدُ اللَّهُ عَشْرًا، وَتُكَبِّرُ اللَّهُ عَشْرًا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ، فَذَلِكَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ، وَتُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ - عَطَاءٌ لَا يَدْرِي أَيُّهُنَّ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ - إِذَا أَخَذَ مَصْجَعَهُ، فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ، فَأَيْكُمُ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَ مِائَةٍ سَيِّئَةٍ؟»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ؟ قَالَ: «يَأْتِي أَحَدَكُمُ الشَّيْطَانُ إِذَا فَرَّغَ مِنْ صَلَاتِهِ، فَيَذْكُرُهُ حَاجَةً كَذَا وَكَذَا، فَيَقُومُ وَلَا يَقُولُهَا، فَإِذَا اضْطَجَعَ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَنْوِمُهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولُهَا»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْقِدُهَا فِي يَدِهِ.

ومنه: قبل الدعاء، لما صحَّ أَنْ أَمَّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، غَدَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: عَلَّمَنِي كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي صَلَاتِي، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَبِّرِي اللَّهَ عَشْرًا، وَسَبِّحِي اللَّهَ عَشْرًا، وَاحْمَدِيهِ عَشْرًا، ثُمَّ سَلِّي مَا شِئْتِ»، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الترمذي (٤٨١)، النسائي (١٢٩٩).

وعند الصباح والمساء، قال الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ

﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧-١٨].

وبعد قراءة القرآن وحضور المجالس، قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ، وَلَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسٍ خَيْرٍ وَمَجْلِسٍ ذِكْرٍ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ كَمَا يُخْتَمُ بِالْخَاتَمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ:

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، أبي داود (٤٨٥٧) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٣٤٣٣)، وجاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وهو من أحب الكلام إلى الله، كما تقدّم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

وهي من غراس الجنة، كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقْرَبُ أَمْتِكَ مِنِّي السَّلَامُ وَأَخْبَرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانُ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ»، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٣٤٦٢)، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٣٤٦٤)، وجاء من حديث النعمان بن شير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ يَنْعُطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيُّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكَّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟»، ابن ماجه (٣٨٠٩).

وعند ركوب الدابة، فقد صحّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنْ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَائِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ»، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسلم (١٣٤٢)، وقد تقدم في حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: الحمد لله حين وضع رجله في الغرز.

وعند الانتهاء من الطعام، قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا»، من حديث أنس بن مالك

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٧٤٣)، وقد حمد الله نفسه في عدة مواطن من القرآن: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [سبا: ١]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١]، وحمد نفسه بعد الانتهاء من القضاء بين العباد حيث قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]، أدخل أهل الجنة الجنة بفضلهم وأدخل أهل النار النار بعدله وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٣٨٠٣) وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٥٠٥٨)، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ».

وأجمل حديث في الحمد وأتمه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَعَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ قُبَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْطَلَقْنَا مَعَهُ، فَلَمَّا طَعِمَ وَغَسَلَ يَدَيْهِ - أَوْ قَالَ: يَدَهُ - قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، مَنْ عَلَيْنَا فَهَدَانَا وَأَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكُلَّ بَلَاءٍ حَسَنٍ أَبْلَانَا الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرِ مُودِّعٍ وَلَا مُكَافٍ وَلَا مُكْفُورٍ وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ مِنَ الطَّعَامِ، وَسَقَى مِنَ الشَّرَابِ، وَكَسَا مِنَ الْعُرْيِ، وَهَدَى مِنَ الضَّلَالَةِ وَبَصَّرَ مِنَ الْعَمَايَةِ وَفَضَّلَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أخرجه الحاكم في "المستدرک" (١/ ٧٣١).

إلى غير ذلك وإِنَّمَا هذه إشارات إلى فضل هذه الكلمة، وهي متضمنة لإثبات كل كمال لله تعالى ومستلزمة لنفي جميع النقائص عن الله عَزَّ وَجَلَّ.



قال رَحِمَهُ اللهُ:

الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا.

قوله: (الَّذِي) اسم موصول عائد على الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وهو بدلٌ منه.

وقوله: (أَرْسَلَ) الإرسال هو البعث والإطلاق ومنه أرسل الناقة أي أطلقها ومنه إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وقوله: (رَسُولُهُ): أي محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، والرسول له شروط:

الأول: أن يكون من بني آدم.

الثاني: أن يكون ذكرًا لقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ [يوسف: ١٠٩].

الثالث: أن يكون حرًّا، فقولنا (ذكر) خرج به الإناث فليس من النساء نبيّة ولا رسولة خلافاً لابن حزم **رَحِمَهُ اللهُ**.

وقولنا: (من بني آدم) خرج به الجنّ فليس من الجنّ رسل وإنما منهم نُذُر قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالُوا يَبْقَوْنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٠]، وأما قول الله تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، فهو مثل قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿مَجَّ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ فَيَأْتِيءُ الْإِنسَ رُسُلًا مِنْكُمْ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن: ١٩-٢٢]، وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من البحر المالح لا العذب على ما ذكره بعض أهل التفسير، وقوله: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾، أي: رسل من بعضكم وهم من الإنس.

وقولنا (حرّ) خرج به العبدفليس من العبيد أنبياء لأنّ الرّق فيه قيود والرقيق كالحيوان يُباع ويُشترى ويورث والنبّي ﷺ والأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً أحرار، وكانوا يُبعثون من أشرف قومهم كما قال هرقل لأبي سفيان لما سأله عن نسبه، قال: (هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ)، قال هرقل: (فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا) من حديث عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣).

واختلف العلماء في الفرق بين النبي والرسول إلى أقوال أصحّها أنّ الرسول من أوحى إليه بشرع وأرسل إلى قوم مخالفين والنبي من أوحى إليه بشرع ولم يُرسل إلى قوم مخالفين، وإنّما هو كالمجدّد لرسالة الرسول الذي قبله، وذهب بعض أهل العلم إلى أنّ النبي من أوحى إليه بشرع ولم يُؤمر بتبليغه وهذا غير صحيح؛ لأنّ الله تعالى أمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإذا كان عوام المسلمين مأمورين بذلك على ما يأتي بيانه في آخر الكتاب - إن شاء الله تعالى - فمن باب أولى الأنبياء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وقوله: (رُسُولُهُ) الإضافة هنا للتشريف، والمراد به محمد ﷺ وسيأتي الكلام على أنواع الإضافات في بابه إن شاء الله.

وقوله: (بِالْهُدَى) هو العلم النافع، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، وكان مبعث النبي ﷺ بخمس آيات من أوّل سورة اقرأ، قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥]، وكان إرساله ﷺ بخمس آيات من أوّل سورة المدثر، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ



فَأَنْذِرْ ❷ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ❸ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ❹ وَالْجَزَّ فَاكْجُرْ ❺ [المدرثر: ١-٥]، والعلم النافع هو علم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ ❀ قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ خُلْفٌ فِيهِ والنبي ﷺ يقول: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧١)، مسلم (١٠٣٧)، وصح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٦٤٥)، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٢٢٠)، ويقول ﷺ: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٥٠٢٨)، وفي رواية: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، البخاري (٥٠٢٧)، ودعا ﷺ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، البخاري (١٤٣) ومسلم (٢٤٧٧)، والهداية تنقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: هداية التوفيق وهذه خاصة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]، وقال الله سبحانه آمراً عباده: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

الثاني: هداية الدلالة والإرشاد وهذه عامة يدخل فيها الأنبياء وغيرهم، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، أي تدل وتُرشد.

الثالث: وهي هداية إلى الجنة والنار، قال الله تعالى: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

الرابع: وهي الهداية العامة التي هي تيسير الناس إلى معاشهم ومكاسبهم بل تيسير جميع المخلوقات لذلك، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

والدعاء من أعظم أسباب الهداية بل الله عَزَّوَجَلَّ قد افترض علينا أن نقول في كل ركعة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، وكان رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالثَّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى» أخرجه مسلم (٢٧٢١) عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علمه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول: «قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ» أخرجه مسلم (٢٧٢٥)، وفي حديث الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٤٦٤): «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ».

وفي مسلم (٧٧٠): عن أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

وقوله: (وَدِينِ الْحَقِّ) هو العمل الصالح.

قال شيخ الاسلام في "الجواب الصحيح" (٣ / ١٠٢): والمسلمون جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح بين الزكا والذكاء فإن الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فالهدى يتضمن العلم النافع ودين الحق يتضمن العمل الصالح ليظهره على الدين كله والظهور يكون بالعلم واللسان ليبين أنه حق وهدى ويكون باليد والسلاح



ليكون منصوراً مؤيداً والله أظهره هذا الظهور فهم أهل الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً غير المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق ولا يعملون به كاليهود ولا الضالين الذين يعملون ويعبدون ويذهبون بلاء علم كالنصارى. اهـ

فالله **عَزَّوَجَلَّ** أرسل رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بالعلم النافع وبالعَمَل الصالح، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُفْرٌ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصِّدْقِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣]، وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، في ست وخمسين آية قرآن فيها الله **عَزَّوَجَلَّ** الإيمان بالعمل الصالح كما ذكرها الآجري **رَحِمَهُ اللَّهُ** في شريعته.

وقوله: (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) ظهور الدين بأمرين:

الأول: العلم النافع.

الثاني: العمل الصالح. على ما تقدم بيانه.

وقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِّنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»، من حديث معاوية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٣٦٤١)، مسلم (١٠٣٧) واللفظ له.

وقوله: (الدِّينِ) يأتي بمعنى الجزاء مثال قوله تعالى: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾، ويأتي بمعنى الملة وهو هنا على الملة والطاعة قال الراغب في "مفردات القرآن": والدين يقال للطاعة والجزاء واستعير للشرعية، والدين كالملة لكنه يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشرعية، **فَالْهَيْسَالُ**: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال:



﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥] أي: طاعة،
﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦]. انتهى

وهذا الظهور يكون إلى قرب قيام الساعة، ففي مسلم (٢٩٠٧) عن عائشة قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كُنْتُ لِأُظَنَّ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] أَنْ ذَلِكَ تَامًا، قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَيَقْبَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ».

وقوله: (وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) قال القرطبي في "أحكام القرآن" (٢٠ / ٣٢٦): أي: كفى الله شهيدًا لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشهادته له تبين صحة نبوته بالمعجزات. وقيل: (شهيدًا) على ما أرسل به، لأن الكفار أبوا أن يكتبوا: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله. انتهى

ومن أسماء الله تعالى الشهيد، **فَالنَّبِيُّ**: ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨]، وقال: ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]، **وَالنَّبِيُّ**: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦] في آيات كثيرات.

قال السعدي (ص: ٩٤٨): (الشهيد) أي: المطلع على جميع الأشياء. سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليها صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه. انتهى
وللشهادة عدة معان:



منها: الإطلاع، قال الله عز وجل: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾

[الزخرف: ١٩].

وتأتي بمعنى: الإخبار، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «شَهِدَ عِنْدِي رَجُلٌ مَرَضِيُونٌ وَأَرْضَاهُمْ عِنْدِي عُمَرُ» البخاري (٥٨١).

وتأتي بمعنى: الحكم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: ٢٦].

وتأتي بمعنى: الحضور، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾

[البقرة: ١٨٥].

وتأتي بمعنى: الإقرار، قال الله عز وجل: ﴿شَهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة:

١٧].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

(وَأَشْهَدُ) أي: أقر وأعترف أنه لا معبود بحق إلا الله، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ

هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

[الحج: ٦٢]، وأفرد الشهادة على ما تقدم من عدم الإنابة في هذا الموطن.

هذه الكلمة هي: كلمة الإخلاص، وكلمة التوحيد، والحسنة، والعروة الوثقى،

والكلمة الباقية في عقب إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** إلى يوم الدين، التي ذكرها الله تعالى في

قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨]، ولها أسماء غير

هذه.

وتتكوّن من ركنين أساسيين:

الأوّل: النفي.

الثاني: الإثبات.



وجُمع بين النفي والإثبات؛ لأنَّ النفي المحض عدم والعدم ليس بشيء والإثبات وحده لا يمنع المشاركة، فكان الإتيان بالنفي والإثبات لمنع المشاركة وبيان اختصاص الله **عَزَّوَجَلَّ** بالالوهية الحقَّة وحصرها فيه.

وهي أفضل الكلام، لحديث الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»، رواه الطبراني (٨٧٤)، وكما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، من حديث جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند ابن ماجه (٣٨٠).

وقد أمر الله تعالى بالعلم بها، قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

ومن مات وهو يعلمها ويعمل بمقتضاها دخل الجنة، كما في حديث عثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٢٦): «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

ومن مات غير شاكِّ بها كان من أهل الجنة، لحديث أبي هريرة وأبي سعيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** في مسلم (٢٧) أنَّ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يُلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وفي مسلم (٣١): عن أبي هريرة قال: ... قال لي النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ قَالَ: «اذْهَبْ بِنَعْلَيْ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»..، الحديث بطوله.

وفضائلها جليلة وعظيمة ليس هذا موطن بسطها.

وهي أول واجب على العبيد، خلافاً للمعتزلة الذين أوجبوا النظر، ويرد عليهم بما أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) عن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا



رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

وفيهما: البخاري (١٣٩٩) ومسلم (٢٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَّا كَانُوا يُؤْذُونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهَا. قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ.

وفي مسلم (٢١): عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢].

وفيه (٢٣) عن طارق بن أشيم قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ». وبها يخرج المؤمن من الدنيا، ففي مسلم (٩١٦) عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

وفيه (٩١٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

وهذه الشروط مأخوذة بالتتابع والاستقراء، وقد نظمها الشيخ حافظ حكيمي بقوله:



الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ وَالْقَبُولُ ❁ وَالْإِنْقِيَادُ فَادِرِ مَا أَقُولُ
وَالصِّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمَحَبَّةُ ❁ وَفَقَّكَ اللَّهُ لِمَا أَحَبَّهُ

ونظمها بعضهم بقوله:

عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقٌ مَعَ ❁ مَحَبَّةٍ وَإِنْقِيَادٍ وَالْقَبُولِ لَهَا
وأضاف بعضهم شرطاً ثامناً ونظمه بقوله:

وَزَيْدٌ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا ❁ سِوَى الْإِلَهِ مِنَ الْأَوْثَانِ قَدْ أُلْهِهَا

قال رحمه الله:

وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

قوله: (وَحْدَهُ) تأكيداً للإثبات وقوله (لا شريك له) تأكيداً للنفي.

فالله عَزَّوَجَلَّ لا شريك له في ملكه ولا شريك له في خلقه ولا شريك له في ربوبيته
وإلهيته ولا شريك له في أسمائه وصفاته بل: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ②﴾
[الإخلاص: ٢-١]، **وقال تعالى:** ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]، **وقال تعالى:** ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، **وقال تعالى:** ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهٌُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقد تنوع كفر المشركين فبعضهم يجعل لله شريكاً في ملكه
وبعضهم يجعل لله شريكاً في خلقه وبعضهم يجعل لله شريكاً في أسمائه وصفاته وكل
ذلك نهى الله عنه وبين أن الوقوع على خلافه فقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ
الصَّمَدُ ②﴾ [الإخلاص: ٢-١]، أي الذي تصمد إليه جميع الخلائق، **وقال تعالى:** ﴿لَمْ
يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾ [الإخلاص: ٣-٤]، ليس له كفؤ ولا
نظير ولا معين ولا ظهير **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

قال رَحِمَهُ اللهُ :

إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا.

قوله: (إِقْرَارًا بِهِ) أي أشهد هذه الشهادة وأنطق بهذه إقرارًا والمُرَادُ: إِقْرَارُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ.

وقوله: (تَوْحِيدًا) التوحيد مصدر وحد يوحده. وهو إفراد الله بما يجب له وبُعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجميع الرسل بالدعوة إلى التوحيد **قَالَ نَسَائِي:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، **وَقَالَ نَسَائِي:** ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وصحَّ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى»، البخاري (٧٣٧٢).

وفي لفظ: لما أُرْسِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَاعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَاعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَآتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»، وفي لفظ: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، الحديث في البخاري (٧٣٧) ومسلم (١٩).

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه في مسلم (١٦): أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ، عَلَى أَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ».

والتوحيد هو إفراد الله تعالى بما يجب له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وتوحيد الله تعالى ثلاثة أقسام:

أولاً: توحيد الربوبية:

فأما توحيد الربوبية فهو الإقرار بأن الله وحده هو الخالق للعالم والمدبر له، والمالك، والرازق، إلى غير ذلك من خصائص ربوبيته، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر.

والإقرار بهذا النوع مركوز في الفطرة لا يكاد يناع فيه أحد من الأمم كما **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾** [الزخرف: ٨٧]، **وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾** [الزخرف: ٩]، **وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [المؤمنون: ٨٤-٨٥].

وهذا في القرآن كثير، ولم ينكر توحيد الربوبية، ويجحد الرب إلا شواذ من المجموعة البشرية تظاهروا بإنكار الرب مع اعترافهم به في الباطن، وإنكارهم له إنما هو من باب المكابرة كما ذكر الله تعالى عن فرعون قوله: **﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾** [القصص: ٣٨]، وقد خاطبه موسى بقوله: **﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾** [الإسراء: ١٠٢].



وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، وهم لم يستندوا إلى حجة في جحودهم، كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].
ومن أكبر الشواهد على وحدانية الله **عَزَّوَجَلَّ:** آياته الكونية **قال تعالى:** ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

وقال الشاعر:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ * تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ
ومن المعلوم: أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قاتل هذه الأصناف التي كانت تقر بأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر مع أن بعضهم يعبد الأبحار، وبعضهم الأشجار، وبعضهم الملائكة، وبعضهم الشياطين.
وربما اتخذوهم وسائط ووسائل للقربة إلى الله تعالى فلم ينفعهم ذلك قال الله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢].

فمن أقر بتوحيد الربوبية لزمه الإقرار بتوحيد الألوهية قال الشيخ سليمان بن عبد الله في "تيسير العزيز الحميد" (١٧): وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الإلهية؛ لأن الله تعالى حكى عن المشركين أنهم مقرّون بهذا التوحيد لله وحده **قال تعالى:** ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، **وقال تعالى:** ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، **وقال تعالى:** ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ

أَلَمْضَطَّرْ إِذَا دَعَاهُ ﴿[النمل: ٦٢] الآية، فهم كانوا يعلمون أن جميع ذلك لله وحده ولم يكونوا بذلك مسلمين، بل **قَالَ نَهْأَي:** ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال مجاهد: في الآية: إيمانهم بالله قولهم: إن الله خلقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره. اهـ

ثانياً: توحيد الألوهية:

وهو إفراد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بالعبادة.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

وهذا أشمل أنواع التعاريف، فالدين كله داخل في العبادة، فالعبادة المأمور بها تتضمن ثلاثة أركان المحبة والرجاء والخوف، وهذا التوحيد يسمى بتوحيد القصد والطلب، وتوحيد الإرادة، والتوحيد العملي.

وهو الذي دعت إليه جميع الرسل **قَالَ نَهْأَي:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ومن أجله خلقت السموات والأرضين والإنس والشیاطين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، **وَقَالَ نَهْأَي:** ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، **وَقَالَ نَهْأَي:** ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، في آيات كثيرات في هذا الباب.

وهذا التوحيد مبني على إخلاص التآله لله تعالى: وهي عبادته محبة وتعظيمًا ومن العبادة: المحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرغبة، والدعاء لله وحده، ويبنى على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها، وباطنها لله وحده لا شريك له، لا

يجعل فيها شيئاً لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما، وهذا التوحيد هو الذي تضمنه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وهذا التوحيد هو أول الأمر وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل، وآخرها، وهو معنى قول: (لا إله إلا الله)، فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة، والخشية، والإجلال، والتعظيم، وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة، وأشقياء أهل النار... وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف.

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، وأبدأ فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال بحيث إن كل سورة في القرآن فيها الدلالة على هذا التوحيد.

وسأذكر من أنواع العبادة ما يكون دلالة إلى ما سواها فمن صرف شيئاً منها لغير الله مما يختص به **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فقد ناقض معنى لا إله إلا الله، فمنها:

- ١- المحبة، فمن أشرك بين الله وبين غيره في المحبة التي لا تصلح إلا لله فهو مشرك، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرَأُ عَنْهُمْ﴾



كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيدُهُمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧].

٢- ومنها التوكل، فلا يتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، **قَالَ تَبٰىءَالِي: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾** [المائدة: ٢٣]، والتوكل على غير الله فيما يقدر عليه شرك أصغر.

٣- ومنها الخوف، فلا يخاف خوف السرّ إلا من الله، ومعنى خوف السر هو أن يخاف العبد من غير الله تعالى أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره، فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقاد للنفع والضرر في غير الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، **قَالَ تَبٰىءَالِي: ﴿فَإِنِّي فَارَهَبُونَ﴾** [النحل: ٥١]، **وَقَالَ تَبٰىءَالِي: ﴿وَأَن يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِذَكَ يَخِثَّرْ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** [يونس: ١٠٧].

٤- ومنها الرجاء، فيما لا يقدر عليه إلا الله، كمن يدعو الأموات، أو غيرهم راجياً حصول مطلوبه من جهتهم، فهذا شرك أكبر **قَالَ تَبٰىءَالِي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾** [البقرة: ٢١٨]، وقال علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يرجون عبد إلا ربه.**

٥- ومنها الدعاء، فيما لا يقدر عليه إلا الله، سواء كان طلباً للشفاعة أو غيرها من المطالب، قال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾** [١٣] **﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾** [فاطر: ١٣-١٤]، **وَقَالَ تَبٰىءَالِي: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾** [غافر: ٦٠]، **وَقَالَ تَبٰىءَالِي: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ**

إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿يونس: ١٠٦﴾، وقوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ أَوْلَوْا بِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: ٤٣].

٦- ومنها الصلاة والركوع والسجود، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، **وَقَالَ نَبِيُّ:** ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

٧- ومنها الذبح، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٦٣]، **وَقَالَ نَبِيُّ:** ﴿يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ وَيَحْفَاوْنَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

٨- ومنها النذر، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ وَيَحْفَاوْنَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]. **وَقَالَ نَبِيُّ:** ﴿وَلْيُؤْفُوا نُدُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

٩- ومنها الطواف، فلا يطاف إلا ببيت الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

١٠- ومنها التوبة، فلا يتاب إلا الله، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، **وَقَالَ نَبِيُّ:** ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

١١- ومنها الاستعاذة، فيما لا يقدر عليه إلا الله، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، **وَقَالَ نَبِيُّ:** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].

١٢- ومنها الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

فمن أشرك بين الله تعالى وبين مخلوق فيما يختص بالخالق تعالى فهو مشرك، وإنما ذكرنا هذه العبادات خاصة؛ لأن عبادة القبور صرفوها للأموات من دون الله تعالى، أو أشركوا بين الله تعالى وبينهم، وإلا فكل نوع من أنواع العبادة، من صرفه

لغير الله **عَزَّجَلَّ**، أو أشرك بين الله تعالى وبين غيره فيه فهو مشرك **قَالَ تَبَّالِي**: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وهذا الشرك في العبادة هو الذي كفر الله به المشركين وأباح دماءهم وأموالهم ونساءهم، وإلا فهم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق المدبر ليس له شريك في ملكه، وإنما كانوا يشركون به في هذه العبادات ونحوها وكانوا يقولون في تلبيتهم: (ليك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك).

ومن أنواع الشرك المنتشرة في البلاد الإسلامية صرف العبادات للقبور والمقبورين، يقفون بساحتها فتسكب العبرات وتنزل بها الحاجات، وتعلق بها القلوب، وترجى في دفع المضرات، وجلب المنافع، وتطلب منها الأرزاق، وتنحرف في ساحتها الجزور، ويقع عندها من الزور ما الله به عليم.

قال ابن الأمير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تطهير الاعتقاد" (٥٠): وقد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا، بمجرد التشفع به والتوسل إلى الرب تعالى، إلا ما ورد في حديث فيه مقال، في حق نبينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أو نحو ذلك، فإنه قد أشرك مع الله غيره، واعتقد ما لا يحل اعتقاده، كما اعتقد المشركون في الأوثان، فضلاً عما ينذر بماله وولده لميت أو حي أو يطلب من ذلك الميت ما لا يطلب إلا من الله تعالى من الحاجات، من عافية مريضه أو قدوم غائبه أو نياله لأي مطلب من المطالب، فإن هذا هو الشرك بعينه الذي كان ويكون عليه عباد الأصنام.

والنذر بالمال على الميت ونحوه والنحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً،



وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً، والأسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني، ضرورة لغوية وعقلية وشرعية، فإن من شرب الخمر وسماها ماء، ما شرب إلا خمراً وعقابه عقاب شارب الخمر، ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية.

وقد ثبت في الأحاديث أنه يأتي قوم يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها، وصدق **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فإنه قد أتى طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسمونها نبيذاً، وأول من سمى ما فيه غضب الله وعصيانه بالأسماء المحبوبة عند السامعين إبليس لعنه الله، فإنه قال لأبي البشر: ﴿بَكَادُمْ هَلْ أَذُكُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠]، فسمى الشجرة التي نهى الله آدم عن قربانها شجرة الخلد، جذبا لطبعه إليها وهزا لنشاطه لقربانها وتدليسا عليه بالاسم الذي اخترعه، كما يسمي إخوانه المقلدون له الحشيشة بلقمة الراحة، وكما يسمي الظلمة ما يقبضونه من أموال عباد الله ظلماً وعدواناً أديباً، فيقولون أدب القتل وأدب السرقة وأدب التهمة، بتحريف اسم الظلم إلى اسم الأدب، كما يحرفونه في بعض المقبوضات إلى اسم (النفاعة) وفي بعضها إلى اسم (السياقة) وفي بعضها أدب المكايل والموازين.

وكل ذلك اسمه عند الله ظلم وعدوان، كما يعرفه من شم رائحة الكتاب والسنة، وكل ذلك مأخوذ عن إبليس حيث سمى الشجرة المنهي عنها شجرة الخلد.

وكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولياً لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بها طواف الحجاج بيت الله الحرام ويستلمونها استلامهم لأركان البيت ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية، من قولهم: على الله وعليك، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها.

وكل قوم لهم رجل ينادونه، فأهل العراق والهند يدعون عبدالقادر الجيلاني، وأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه، يقولون: (يا زيلعي، يا ابن العجيل).



وأهل مكة وأهل الطائف: (يا ابن العباس). وأهل مصر: (يا رفاعي، يا بدوي)،
والسادة البكرية وأهل الجبال: (يا أبا طير). وأهل اليمن: (يا ابن علوان).
وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر،
وهذا هو بعينه فعل المشركين في الأصنام، كما قلنا في الأبيات النجدية:

أَعَادُوا بِهَا مَعْنَى سُوعٍ وَمِثْلِهِ * يَغُوثَ وَوَدَّ بِئْسَ ذَلِكَ مِنْ وَدٍّ
وَقَدْ هَتَفُوا عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِأَسْمِهَا * كَمَا يَهْتَفُ الْمُضْطَرُّ بِالصَّمَدِ الْفَرْدِ
وَكَمْ نَحَرُوا فِي سُوحِهَا مِنْ نَحِيرَةٍ * أَهَلَّتْ لِغَيْرِ اللَّهِ جَهْرًا عَلَى عَمْدِ
وَكَمْ طَائِفٍ حَوْلَ الْقُبُورِ مُقْبِلًا * وَيَسْتَلِمُ الْأَزْكَانَ مِنْهُمْ بِالْأَيْدِ
إلى غير ذلك من الشرك بالله العظيم، نسأل الله **عَزَّجَلَّ** السلامة، وحسن الخاتمة.

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:

وهو الإقرار والإيمان بما سمي ووصف الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** به نفسه في كتابه وبما
سماه ووصفه به رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا
تمثيل، وسيأتي الكثير من ذلك ضمن هذا الكتاب بما يشفي ويكفي إن شاء الله **عَزَّجَلَّ**.
قال الشيخ سليمان في "تيسير العزيز الحميد" (١٩): وهذا أيضاً لا يكفي في
حصول الإسلام، بل لابد مع ذلك من الإتيان بلازمه من توحيد الربوبية، والإلهية،
والكفار يقرون بجنس هذا النوع، وإن كان بعضهم قد ينكر بعض ذلك إما جهلاً، وإما
عناداً كما قالوا: لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، فأنزل الله فيهم: **﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ**
بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠]، قال الحافظ ابن كثير: والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود،
وعناد وتعنت في كفرهم، فإنه قد وجد في بعض أشعار الجاهلية تسمية الله بالرحمن
قال الشاعر:

(وَمَا يَشَأُ الرَّحْمَنُ يَعْقِدُ وَيُطْلِقُ)

وقال الآخر:

(أَلَا قَضَبَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا)

وهما جاهليان.

وقال زهير:

فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفْسِكُمْ * لِيَخْفَى وَمَهُمَا يُكْتَمِ اللَّهُ يَعْلَمِ

* **قلت:** ولم يعرف عنهم إنكار شيء من هذا التوحيد إلا في اسم الرحمن خاصة، ولو كانوا ينكرونه لردوا على النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ذلك كما ردوا عليه توحيد الآلهية، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، لا سيما والسور المكية مملوءة بهذا التوحيد. اهـ

وأهل البدع يشتمّون من ذكر التوحيد ومن الدعوة إلى التوحيد ومن التصريح بالتوحيد بل إن أعظم نُظَّارهم لا يعرف الفوارق بين توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية ويظنهما واحدة وقد ألف عبدالمجيد الزنداني كتاب "توحيد الخالق" ذهب فيه إلى تقرير توحيد الربوبية الذي أقر به اليهود والنصارى والمشركون بل هو نهاية قول المجوس فكُلُّهم يُقَرُّون بأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبّر وإنما وقعت منهم المخالفة أكثر في توحيد الإلوهية.

قال رحمه الله:

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، وسلّم تسليماً مزيداً.

قوله: (وأشهد): أي وأخبر مع اعتقادي الجازم أن محمداً وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب القرشي من ولد عدنان وينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، ولم يبعث الله **عَزَّوَجَلَّ** نبياً من ولد إسماعيل **عَلَيْهِ السَّلَام** إلا محمداً



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وهو بشارة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦]، وقد ذكرته الكتب السابقة كما قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

ففي "مسند أحمد" (١٥٨٤١): فعَنْ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ، قَالَ: كَانَ لَنَا جَارٌ مِنْ يَهُودَ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالَ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنْ بَيْتِهِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ، فَوَقَفَ عَلَى مَجْلِسِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالَ سَلَمَةُ: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ أَحَدُ مَنْ فِيهِ سِنًا، عَلَيَّ بُرْدَةٌ، مُضْطَجِعًا فِيهَا بِفَنَاءِ أَهْلِي، فَذَكَرَ الْبُعْثَ وَالْقِيَامَةَ وَالْحِسَابَ، وَالْمِيزَانَ، وَالْجَنَّةَ، وَالنَّارَ فَقَالَ: ذَلِكَ لِقَوْمِ أَهْلِ شَرْكِ، أَصْحَابِ أَوْثَانٍ، لَا يَرُونَ أَنَّ بُعْثًا كَائِنُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ يَا فُلَانُ تَرَى هَذَا كَائِنًا؟ إِنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَى دَارٍ فِيهَا جَنَّةٌ، وَنَارٌ يُجْزَوْنَ فِيهَا بِأَعْمَالِهِمْ، قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَوْ أَنَّ لَهُ بِحَظِّهِ مِنْ تِلْكَ النَّارِ أَعْظَمُ تَنُورٍ فِي الدُّنْيَا، يُحْمَوْنَهُ ثُمَّ يُدْخِلُونَهُ إِيَّاهُ فَيُطْبَقُ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَنْجُوَ مِنْ تِلْكَ النَّارِ غَدًا، قَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَبِيٌّ يُبْعَثُ مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ مَكَّةَ، وَالْيَمَنِ، قَالُوا: وَمَتَى تَرَاهُ؟ قَالَ: فَظَنَرُ إِلَيَّ وَأَنَا مِنْ أَحَدِثِهِمْ سِنًا، فَقَالَ: إِنْ يَسْتَنْفِذَ هَذَا الْغُلَامُ عُمَرَهُ يُدْرِكُهُ، قَالَ سَلَمَةُ: فَوَاللَّهِ مَا ذَهَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ

أَظْهَرْنَا، فَامْتَنَّا بِهِ وَكَفَرْنَا بِهِ بَغْيًا وَحَسَدًا، فَقُلْنَا: وَيْلَكَ يَا فُلَانُ أَلَسْتَ بِالَّذِي قُلْتَ لَنَا فِيهِ مَا قُلْتَ؟ قَالَ: بَلَى. وَلَيْسَ بِهِ.

وعند ابن حبان (٦٥٨٠): عَنِ الْفُلْتَانِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، فَشَخَّصَ بَصْرُهُ إِلَى رَجُلٍ يَمْشِي فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: **يَا فُلَانُ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟** قَالَ: لَا، قَالَ: **«أَنْتَ قُرْآنُ التَّوْرَةِ؟»** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **«وَالْإِنْجِيلَ؟»** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **«وَالْقُرْآنَ؟»** قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَشَاءَ لَقَرَأْتُهُ، قَالَ: ثُمَّ أَنْشَدَهُ، فَقَالَ: **«تَجِدُنِي فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ؟»** قَالَ: نَجِدُ مِثْلَكَ، وَمِثْلَ أُمَّتِكَ، وَمِثْلَ مُخْرَجِكَ، وَكُنَّا نَرَجُو أَنْ تَكُونَ فِينَا، فَلَمَّا خَرَجْتَ تَخَوَّفْنَا أَنْ تَكُونَ أَنْتَ، فَظَنَرْنَا فَإِذَا لَيْسَ أَنْتَ هُوَ، قَالَ: **«وَلِمَ ذَاكَ؟»** قَالَ: إِنَّ مَعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ سَبْعِينَ أَلْفًا، لَيْسَ عَلَيْهِمْ حِسَابٌ، وَلَا عِقَابٌ، وَإِنَّ مَا مَعَكَ نَفَرٌ يَسِيرُ، قَالَ: **«فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنَا هُوَ، وَإِنِّي لَأُمْتِي، وَإِنَّهُمْ لَأَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا وَسَبْعِينَ أَلْفًا.»**

ومن الإيمان به أن تؤمن أنه خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، فمن اعتقد أن بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي أو رسول فقد كفر، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿[الأحزاب: ٤٠]، أي وآخرهم، ليس كما يقول القاديانية ومن إليهم من الكفرة والزنادقة أن المراد بخاتم النبيين زينة النبيين، ففي الحديث قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مِثْلِي وَمِثْلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطْفُؤُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَا وَضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»** من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٥٣٥)، مسلم (٢٢٨٦)، وفي بعض الروايات: **«لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَلَا رَسُولَ»**، فمن ادعى أن بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولاً أو نبياً فقد كفر.

ومن الإيمان بالنبى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الإيمان بأنه رسول الله إلى الناس كافة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا كُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقد جاء في حديث جابر وأبي هريرة وغيرهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرَّغَبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ» مسلم (٥٢٣).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تَرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ»، وَذَكَرَ خَصْلَةً أُخْرَى. ويدل على ذلك قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ومن العجب أنها قد ظهرت طائفة من القوميين العرب والنصارى يزعمون أَنَّ الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رسول إلى العرب فقط وهذا الاعتقاد فيهم كفر وإن أقرّوا بنبوته ورسالته فإن حصرها على العرب وحدهم كفر وزندقة، وردُّ للقرآن، والسنة، فإنَّ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قد أرسل إلى قيصر وكسرى وإلى النجاشي والمقوقس وأرسل إلى صاحب البحرين يدعوهم إلى الإسلام ويدل على ذلك أَنَّ كثيرًا من النصارى قد أقرّوا بنبوته ورسالته فأقرّ بها النجاشي وأسلم وأقرّ بها هرقل وأبى الإسلام بسبب الملك، وأقرّ بها ورقة بن نوفل وأسلم على الصحيح نقول هذا لأنَّ كثيرًا من الناس

قد جهلوا معنى الإيمان بالرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ومن الإيمان بالرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** طاعته فيما أمر **قَالَ نَبِيُّ**: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] **وَقَالَ نَبِيُّ**: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢] والانتهاه عما نهى عنه وزجر **قَالَ نَبِيُّ**: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وتصديقه فيما أخبر، **قَالَ نَبِيُّ**: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وأن لا يعبد الله إلا بما شرع **قَالَ نَبِيُّ**: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] **وَقَالَ نَبِيُّ**: ﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقوله: (عبده): ردُّ على الصوفيَّة الذين يصرفون له الكثير من العبادات من دون الله فيذبحون له ويرجون له ويتوكلون عليه ويسألونه الشفاعة إلى غير ذلك حتَّى قال بعضهم:

يَا مُحَمَّدُ ذُكُنْ حَيِّي * يَا مُحَمَّدُ ذُكُنْ طَيِّي
وَأَجِرْنِي مِنْ لَهِيي * إِنَّ أَوْزَارِي ثَقَالُ

مع أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يقول مُخْبِرًا عن إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَام**: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هو القائل: **«أَذْهَبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءٌ لَا يُعَادِرُ سَقَمًا»**، من حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** عند مسلم (٢١٩١)، وابن ماجه (١٦١٩)، وأحمد (٥٦٥).

يدعو النبي ﷺ أن يُكَفِّرَ ذَنْبَهُ وَأَنْ يُنَجِّيه مِنَ النَّارِ. وهو القائل ﷺ فيما أخبر الله عزَّ وجلَّ عنه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. ولَمَّا قَالَتِ الْمَرْأَةُ:

(وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَعْلَمُ مَا فِي غَدِ)

قال صلى الله عليه وسلم: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٤٤٥).

بل قد غلو في مولده حتى جعلوه أفضل من ليلة القدر حتى قال بعضهم:

صِفْ لَيْلَةَ الْمَوْلِدِ وَصْفًا حَسَنًا ❁ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ سِوَاهَا عِنْدَنَا

وقد وصف الله نبيه ﷺ بالعبودية في أشرف المواطن: كالإسراء، فقال:

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، والمعراج، **قَالَ نَسَائِي**: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا

أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، وعند الامتنان بإنزال الكتاب، **قَالَ نَسَائِي**: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ

عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، **وَقَالَ نَسَائِي**: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١].

وقوله: (ورسوله): فيه ردٌّ على زنادقة الفلاسفة ومن إليهم من الباطنية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ممَّن يزعمون أنَّ مُحَمَّدًا ﷺ ما هو إِلَّا رَجُلٌ ذَكِيٌّ استطاع أن يُخَيِّلَ للناس تَخَيُّلاتٍ فجمعهم على دينه فخرج في بيئته عربيَّة يُحِبُّونَ النساءَ وأخبرهم أنَّ في الجنة غانيات، فيها من النساء ما تعجز الألسن عن وصفهنَّ حتَّى إنَّ إحداهنَّ لَيُنْظَرُ إِلَى مَخِّ سَاقِيهَا وَلَمَّا كَانُوا يُحِبُّونَ الْخَمْرَ أخبرهم أنَّ في الجنة نهرًا من الخمر ولَمَّا كَانُوا يُحِبُّونَ الْعَسَلَ أخبرهم أنَّ في الجنة نهرًا من العسل، وهكذا أنهار من لبن ولَمَّا كَانُوا يَسْكُنُونَ الْخِيَامَ أخبرهم أنَّ في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوَّفة طولها في السماء ستون ميلًا وَيُحِبُّونَ الْقُصُورَ وَيُحِبُّونَ الطُّيُورَ وهكذا جعل

يُخِيلُ لَهُمْ فَخَوْفُهُمْ بِالنَّارِ وَطَمَعُهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَيَقُولُونَ لَيْسَ هُنَاكَ مَلَائِكَةٌ وَلَا جَنٌّ وَإِنَّمَا هِيَ قَوَى خَيْرٍ وَشَرٍّ.

ولفظ الرسول يُشعر بأن هنالك مُرسل وهو الله **عَزَّجَلَّ**، وقد خيّر الله تعالى نبيّه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بين أن يكون عبداً رسولاً أو ملك رسول فاختار أن يكون عبداً رسولاً، كما صحّ عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أحمد (٧١٦٠)، قَالَ: جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: «إِنَّ هَذَا الْمَلَكُ مَا نَزَلَ مِنْذُ يَوْمِ خُلِقَ، قَبْلَ السَّاعَةِ»، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ، أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: بَلْ عَبْدًا رَسُولًا».

وقوله: (**صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**): الصلاة من الله ذكره له في الملاء الأعلى والصلاة من الخلق الدعاء، قال الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أي: ادع لهم وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لما جاء عبدالله بن أبي أوفى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بالصدقة: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»، من حديث عبدالله بن أبي أوفى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (١٤٩٧)، مسلم (١٠٨٧)، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وفضل الصلاة على النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عظيم ففي مسلم عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** (٤٠٨)، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ عَشْرًا»، وعن كعب بن عجرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقُلْتُ بَلَى فَأَهْدِيهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ؟ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: قُولُوا: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ

حَمِيدٌ مَجِيدٌ، رواه البخاري (٣٣٧٠) ومسلم (٤٠٦)، والصلاة خاصّة بالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على ما بيّته في "شرح السنّة" للبرهاري **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

وقوله: (وعلى آله): الآل يُطلق ويُراد به أهل الرجل ويُطلق ويُراد به أتباعه وقد اختلف العلماء في الآل هنا هل هم أتباع محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أم هم آل بيته؟ فذهب بعض أهل العلم إلى أنّهم آل بيته الذين حُرِّموا الصدقة وهم آل عليّ وآل جعفر وآل العباس وآل عقيل كما في حديث زيد بن أرقم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٢٤٠٨)، قال عندما سأله حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

ومولى القوم منهم فيشمل تحريم الصدقة على مواليتهم وعلى نسائهم كما في حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٦٨٦١): أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «**مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**».

والقول الثاني: أنّ آل الرجل هم أتباعه وهذا القول أيضًا صحيحٌ وعليه أدلّته وهو اختيار كثيرٍ من أهل العلم، حتّى قال نشوان الحميري:

أَلِ النَّبِيِّ هُمْ أَتْبَاعُ مِلَّتِهِ * مِنَ الْأَعَاجِمِ وَالسُّودَانِ وَالْعَرَبِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا قَرَابَتُهُ * صَلَّى الْمُصَلِّي عَلَى الطَّاعِي أَبِي
وبعض أهل العلم يُفَصِّلُ ويقول إذا ذُكِرَ الآل والصحب فالمراد بالآل من حُرِّم الصدقة والمراد بالصحب من لقي النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مؤمنًا به ومات على ذلك ولو تخلّلت ردّةٌ على الصحيح وهذا هو أحسن التعاريف في الصحابي.

وقوله: (وسلم تسليمًا مزيدًا): هو دعاء بالسلامة وينبغي أن يُقرن بين الصلاة والسلام لأن الله أمر بهما **قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** [الأحزاب: ٥٦].



قال رَحِمَهُ اللهُ :

أَمَّا بَعْدُ:

كلمة يؤتى بها للفصل بين الحمد والثناء في الخطبة وبين ما بعدها وغالبًا ما يؤتى بعدها بـ(الفاء)، وتقدير الجملة ومهما ما يكن من شيء بعد فائه كذا وقد اختلفوا في أول من قالها، فقال بعض العلماء هي فصل الخطاب الذي أوتيهِ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]، وقال بعضهم أول من قالها القس ابن ساعدة وقيل غير ذلك والذي يهمنّا أنّ النبي ﷺ كان يقولها في خطبه ومواعظه وبوّب البخاري في صحيحه (باب قول الخطيب: أمّا بعد) واستدلّ بحديث أبي أسيد الساعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى ابْنُ الثُّبَيْيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسِبُهُ، قَالَ: هَذَا مَا لَكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا» ثُمَّ خَطَبَنَا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ». رواه البخاري (٦٩٧٩) ومسلم (١٨٣٢). وهكذا من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند مسلم (٨٦٧)، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَا لَا فَلَاحَ لَهُ وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ».

قال رَحِمَهُ اللهُ :

فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

قوله: (فَهَذَا): اسم إشارة يشير إلى ما في هذا الكتاب، من العقائد السلفية فهذا الذي سأذكره لكم في هذا الكتاب هو اعتقاد الفرقة الناجية.

قوله: (اعْتِقَادُ): مصدر اعتقد وأصله من (عقد الحبل) ثم استخدم في الاعتقاد الجازم.

قوله: (الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ الْمَنْصُورَةُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ): هذه أوصاف أهل السنة والجماعة فمن أسمائهم الفرقة -بكسر الفاء- الناجية، ناجون من البدع وناجون من النار إن شاء الله لحديث النبي ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فِإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»، قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ»، من حديث عوف بن مالك

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٣٩٩٢)، وجاء عن معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وله طرق يصح بها.

فالفرقة يراد بها الطائفة **قَالَ تَعَالَى:** ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا

فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، والفرقة بالضم المراد بهم أهل البدع، فهم أهل الفرقة والاختلاف ولا يكون الاعتقاد حقاً إلا أن يكون موافقاً لاعتقاد هذه الفرقة.

وهم السواد الأعظم فعن سَعِيدُ بْنُ جُمَهَانَ قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى وَهُوَ مَحْجُوبُ الْبَصَرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا سَعِيدُ بْنُ جُمَهَانَ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ وَالِدُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: قَتَلْتُهُ الْأَزَارِقَةَ، قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْأَزَارِقَةَ، لَعَنَ اللَّهُ الْأَزَارِقَةَ، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْهُمْ كِلَابُ النَّارِ»، قَالَ: قُلْتُ: الْأَزَارِقَةُ وَحَدَّاهُمْ أَمْ

الْخَوَارِجُ كُلُّهَا؟ قَالَ: (بَلِ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا). قَالَ: قُلْتُ: فَإِنَّ السُّلْطَانَ يَظْلِمُ النَّاسَ، وَيَفْعَلُ بِهِمْ، قَالَ: فَتَنَاوَلَ يَدَيَّ فَعَمَزَهَا بِيَدِهِ عَمَزَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: (وَيَحْكُ يَا ابْنَ جُمَّهَانَ عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ، عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ إِنْ كَانَ السُّلْطَانُ يَسْمَعُ مِنْكَ، فَأَتَيْهِ فِي بَيْتِهِ، فَأَخْبِرْهُ بِمَا تَعْلَمُ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْكَ، وَإِلَّا فَدَعُهُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِأَعْلَمَ مِنْهُ). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٩٤١٥).

وهم الجماعة ووصفهم النبي ﷺ أَنَّ الَّذِينَ يُطِيعُهُمْ أَقَلُّ مِمَّنْ يَعَصِيهِمْ وَهُمْ نَزَاعٌ مِنَ الْقَبَائِلِ يَصْلَحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ.

وقوله: (المنصورة) يدلُّ عليها حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُسْلِمَ (١٠٣٧)، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ (مَنْصُورَةٌ)، وَأَخْرَجَ مُسْلِمَ (١٩٢٠) عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ».

قوله ﷺ: «لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ». المخالف لهذه الطائفة هم أهل البدع ومن إليهم سواء البدع المكفّرة أو المفسّقة ويدخل فيهم جميع المخالفين من اليهود والنصارى وغيرهم فهذا وعد رَسُولِ اللَّهِ ﷺ المبلّغ عن الله عزَّ وجلَّ الذي لا خُلفَ له، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]، فما زال أهل السنّة والحمد لله ظاهرون قاهرون لغيرهم مع كثرة المخالفين، بهم حفظ الله تعالى الدين وبه رُفِعُوا، فالحمد لله ربّ العالمين.

وقوله ﷺ: «وَلَا مِنْ خَذَلَهُمْ»، إشارة إلى أَنَّ التَّخْذِيلَ قَدْ يَقَعُ عَلَيْهِمْ مِنْ دَاخِلِ الصِّفِّ السَّلْفِيِّ، وَمَعَ ذَلِكَ هُمْ مَنْصُورُونَ.

* **تنبيه:** السرورية ومن إليهم يُفرّقون بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة فعندهم أهل السنة السلفيون هم الطائفة الناجية والنصر حليف الإخوان المسلمين والسروريين والجهاديين على حدّ تعبيرهم واصطلاحهم الذي صار عليه مثل سفر الحوالي وسلمان العودة ومن إليهم والصحيح أنّ الفرقة الناجية والطائفة المنصورة وأهل السنة والجماعة وأهل الحديث وأهل الأثر كلّها أسماء لمسمّى واحد وهم أهل السنة والجماعة أتباع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

وفي البخاري (٣٦٤٠) ومسلم (١٩٢١): عَنْ الْمُغِيرَةِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: «لَنْ يَزَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»، وفي صحيح مسلم (١٥٦) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: «فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ تُكْرِمُهُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ».

وقد مرّ معنا أنّ سبب ظهور هذه الطائفة هو العلم والعمل، **قَالَ هَسَالِي: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾** [التوبة: ٣٣]، وهذه الطائفة المنصورة، الفرقة الناجية تُسمّى بأهل الحديث نسبة إلى حديث النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حيث يتعبّدون لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ** ويُسمّون بأهل السنة نسبة إلى سنة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما أشار ويُسمّون بالجماعة نسبة إلى اجتماعهم على الحقّ والأخذ بما كان عليه الجماعة وهم الصحابة رضوان الله عليهم ويُسمّون بالسلفيين نسبة إلى السلف الصالح رضوان الله عليهم والسلف إذا أُطلق يدخل فيه الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ابتداءً وذروتهم هو النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ودليلها قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنِّي نَعَمَ السَّلَفُ أَنَا لَكَ»**، من حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** في البخاري (٦٢٨٥) ومسلم (٢٤٥٠).

وَصَدَّ السَّلَفُ: الْخَلْفُ، وَتَأْتِي الْخَلْفُ عَلَى الْمَدْحِ وَالذَّمِّ، فَإِذَا قِيلَ: وَهَذِهِ طَرِيقَةُ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ فَالْمُرَادُ بِالسَّلَفِ الْمَتَقَدِّمُ وَالْخَلْفِ الْمَتَأَخِّرُ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ الَّذِينَ سَارُوا عَلَى سِيرِهِمْ وَإِذَا قِيلَ هَذَا اعْتِقَادُ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَخَالَفَهُمُ الْخَلْفُ فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالْخَلْفِ أَهْلُ الْبِدْعِ لَكِنْ إِذَا كَانَتْ بِالتَّسْكِينِ الْخَلْفُ فَلَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الذَّمِّ **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿* فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا

﴾ [مريم: ٥٩].

قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ» المراد به قرب قيام الساعة، قلنا ذلك لأنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول كما في حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (١٤٨): «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ اللَّهُ اللَّهُ».

وفي مسلم (١٩٢٤): عن عَبْدِ اللَّهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرُّ مَنْ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، فَيَنْمَأُ هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةً بْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ، أَسْمَعُ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، يَقُولُ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، فَاهْرِبِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَجَلٌ، «ثُمَّ يَنْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسَّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»، وقال الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ يَنْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلَا تَدْعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ - قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ: مِثْقَالُ حَبَّةٍ، وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ»، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مسلم (١١٧).

فإذا جاءت الآيات العظام قبض الله المؤمنين ويرفع الله القرآن من المصاحف ومن صدور الرجال، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يُذَرُّ الْإِسْلَامُ كَمَا يُذَرُّ وَشْيٌ

الثَّوبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ. وَلَيْسَ عَلَى كِتَابِ
 اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَنْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ». من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 عند ابن ماجه (٤٠٤٩).

قوله: (أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ): بدل من الفرقة، والسنة هي الطريقة، والمراد بها هنا
 طريقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد اختلف الناس في معنى الجماعة على خمسة أقوال:

أحدها: إنها السواد الأعظم من أهل الإسلام، وهو الذي يدل عليه كلام أبي
 غالب: إن السواد الأعظم هم الناجون من الفرق، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو
 الحق، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية، سواء خالفهم في شيء من الشريعة، أو في
 إمامهم وسلطانهم فهو مخالف للحق.

وممن قال بهذا أبو مسعود الأنصاري وابن مسعود، فروى أنه لما قتل عثمان سئل
 أبو مسعود الأنصاري عن الفتنة فقال: عليك بالجماعة، فإن الله لم يكن ليجمع أمة
 محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ضلالة، واصبر حتى تستريح أو يستراح من فاجر.

وقال: إياك والفرقة، فإن الفرقة هي الضلالة.

وقال ابن مسعود: بالسمع والطاعة فإنها حبل الله الذي أمر به، ثم قبض يده، وقال:
 إن الذي تكرهون في الجماعة خير من الذين تحبون في الفرقة.

وعن الحسين قيل له: أبو بكر خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال: أي والذي لا
 إله إلا هو، ما كان الله ليجمع أمة محمد على ضلالة.

فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدو الأمة وعلمائها وأهل الشريعة
 العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم؛ لأنهم تابعون لهم ومقتدون بهم، فكل
 من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذوا، وهم نهب الشيطان، ويدخل في هؤلاء جميع
 أهل البدع؛ لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة لم يدخلوا في سوادهم بحال.

والثاني: إنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين، فمن خرج مما عليه علماء الأمة مات ميتة جاهلية؛ لأن جماعة الله العلماء جعلهم الله حجة على العالمين، وهم المعنيون بقوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«إِنَّ اللَّهَ لَنْ يَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ»** عن عبدالله بن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** أخرجه الحاكم (١/١١٦). وذلك أن العامة عنها تأخذ دينها، وإليها تفرع من النوازل، وهي تبع لها، فمعنى قوله: **(لَنْ يَجْمَعَ أُمَّتِي)** لن يجتمع علماء أمتي على ضلالة.

وممن قال بهذا عبدالله بن المبارك وإسحاق بن راهوية وجماعة من السلف، وهو رأي الأصوليين، فقليل لعبدالله بن المبارك: من الجماعة الذين ينبغي أن يقتدي بهم؟ قال: أبوبكر وعمر فلم يزل يحسب حتى انتهى إلى محمد بن ثابت والحسين بن واقد فقليل: هؤلاء ماتوا: فمن الأحياء؟ قال: أبو حمزة السكري.

وعن المسيب بن رافع قال: كانوا إذ جاءهم شيء من القضاء ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله سموه صوافي الأمراء، فجمعوا له أهل العلم، فما أجمع رأيهم عليه فهو الحق، وعن إسحاق بن راهوية نحو مما قال ابن المبارك.

والثالث: إن الجماعة هي الصحابة على الخصوص فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً، وقد يمكن فيمن سواهم ذلك، ألا ترى قوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللَّهُ اللَّهُ»** أخرجه مسلم (١٤٨) عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وقوله: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ»** أخرجه مسلم (٢٩٤٩) عن ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فقد أخبر **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أن من الأزمان أزماناً يجتمعون فيها على ضلالة وكفر، قالوا: وممن قال بهذا القول عمر بن عبدالعزيز، فروى ابن وهب عن مالك قال: كان عمر بن عبدالعزيز يقول: سن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وولاه الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال



لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر فيها! من اهتدى بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خافها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا، فقال مالك: فأعجبني عزم عمر على ذلك.

فعلى هذا القول فلفظ الجماعة مطابق للرواية الأخرى في قوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**:
«مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

والرابع: إن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم، وهم الذين ضمن لنبيه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أن لا يجمعهم على ضلالة فإن وقع بينهم اختلاف فواجب تعرف الصواب فيما اختلفوا فيه.
قال الشافعي: الجماعة لا تكون فيها غفلة عن معنى كتاب الله ولا سنة ولا قياس، وإنما تكون الغفلة في الفرقة.

وكأن هذا القول يرجع إلى الثاني وهو يقتضي أيضًا ما يقتضيه، أو يرجع إلى القول الأول وهو الأظهر وفيه من المعنى ما في الأول من أنه لا بد من كون المجتهدين فيهم، وعند ذلك لا يكون مع اجتماعهم على هذا القول بدعة أصلًا فهم إذا الفرقة الناجية.

والخامس: ما اختاره الطبري الإمام من أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير فأمر **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بلزومه ونهى عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم؛ لأن فراقهم لا يعدو إحدى حالتين، إما للنكير عليهم في طاعة أميرهم والطعن عليه في سيرته المرضية لغير موجب بل بالتأويل في إحداث بدعة في الدين كالحروية التي أمرت الأمة بقتالها، وسماها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مارقة من الدين، وإما لطلب إمارة من انعقاد البيعة لأمر الجماعة فإنه نكث عهد ونقض عهد بعد وجوبه، وقد قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«مَنْ جَاءَ إِلَى أُمَّتِي لِيُفَرِّقَ جَمَاعَتَهُمْ فَأَضْرِبُوا عُنُقَهُ**

كَائِنًا مَنْ كَانَ» عن عرفة أخرجه مسلم (١٨٥٢). قال الطبري: فهذا معنى الأمر بلزوم الجماعة.

* **وحاصله:** أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة المذكور في الأحاديث المذكورة كالخوارج ومن جرى مجراهم. فهذه خمسة أقوال دائرة على اعتبار أهل السنة والاتباع وأنهم المرادون بالأحاديث. قاله الشاطبي في "الاعتصام" (٢/ ٢٥٠-٢٥٥).

وقد أمر رسول الله ﷺ بلزوم الجماعة فصح عن الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٨٦٣): «وَأَنَا أَمُرُّكُمْ بِخَمْسِ اللَّهِ أَمْرَيْنِ بِهِنَّ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهَجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ».

وفي البخاري (٧٠٨٤) ومسلم (١٨٤٧) عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُذَرِّكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاءٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصِيَ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُذَرِّكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».

ثم إن أساس الجماعة هم أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلافهم ضلال وفساد قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

والمؤمنون هنا هم أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أزكى الناس عقولاً وأطهرهم قلوباً، وأصفاهم معتقداً فمن سلك غير سبيلهم جاهلاً زل، ومن تركه متعمداً ضل، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّادِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وفي حديث أبي موسى عند مسلم (٢٥٣١) قال: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ: فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ: «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ» قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءُ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ».

وفي حديث ابن مسعود عند أحمد (٣٦٠٠): (إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَتْهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ.

هذه هي الأصول الستة التي اتفقت عليها الرسل عليهم الصلاة والسلام فجميع الرسل من نوح عَلَيْهِ السَّلَام إلى أن ختم الله الرسالة بالنبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متفقون على هذه الأصول الستة وهو الإيمان بالله، ومَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، حُلُوهُ وَمُؤَرَّهُ، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فهذه الآية تضمنت خمس أصول والأصل السادس هو المذكور في قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وفي قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفي حديث عمر الطويل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: .. قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرُّهُ»، انفرد به مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو المشهور بحديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَام، واتفق عليه البخاري (٥٠) و(٤٧٧)، ومسلم (٨) و(٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

♦ الأصل الأول: الإيمان بالله عزَّ وجلَّ:

ويتضمن هذا الأصل أربعة أركان لا يتم إيمان العبد بالله عزَّ وجلَّ إلا بها:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى، وهذا دليله عقلي وفطري ونقلي.

أما العقلي: فقليل لأعرابي: بم عرفت ربك؟ فقال: الأثر يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على السميع البصير؟

وأما الفطري: فالناس مفطورون على الإيمان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأنه هو خالقهم ورازقهم ومدبرهم إلا من تغيرت فطرته وقد علم ضرورة حاجة الناس إلى الخالق المالك المدبر.

وأما النقلي: فهو كثير في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وكل ما سوى الله تعالى عالم.

الثاني: الإيمان بربوبية الله، وهو: أن الله هو الخالق، المالك، الرازق، المدبر، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ يَدْعُو مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

الثالث: الإيمان بألوهيته، وهي: إفراد الله عزَّ وجلَّ بأفعال المكلفين، فلا يُعبد إلا هو ولا يُذبح إلا له، ولا يُنذر إلا له، وبهذا أرسل الرسل وأنزل الكتب، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا

بِهِ شَيْئًا» [النساء: ٣٦]، ﴿وَالَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وَقَالَ نَبِيُّ مَخْبَرًا عَنْ كَفَّارِ قَرِيشٍ: ﴿أَجْعَلِ الْأَلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصفات: ٣٥].

الرابع: الإيمان بأسماء الله وصفاته، وسيتكلم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا المصنّف على هذا النوع من أركان الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ.

♦ الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة:

وملائكة الله خلقٌ من خلقه خلقهم من نور كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»، مسلم (٢٩٩٦).

قوله: «مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» أي: في القرآن، قَالَ نَبِيُّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۝ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] وَقَالَ نَبِيُّ: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝﴾ [الطارق: ٦-٧].

والملائكة خلقٌ من خلق الله خلافاً لما يقوله الفلاسفة والعقلانيون حيث يزعمون أنّ الملائكة قوى خير والصحيح أنّ الملائكة خلقٌ له أجنحة كما قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنَحَةٌ مَشْنُوقَةٌ وَتِلْكَ وَرُيُوعٌ﴾ [فاطر: ١]، ولهم قدرة عظيمة على التكيف رزقهم الله إياها. وقد صح عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها رأت جبريل. ورآه غير واحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وصح عن طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: رأيت عن يمين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن يساره يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض لم أر أحسن منهما،



والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ»، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٤٣٩٦)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُهُ مُنْهِيطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عَظَمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رواه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧)، ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٤٧٢٨).

ويطلق عليهم رجال لحديث سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٠٤٧)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيمُ الْمَرَّةَ، الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحْشُشُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكُ خَازِنُ جَهَنَّمَ»، وفي لفظ (٣٢٣٦) قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي قَالَا الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكُ خَازِنُ النَّارِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا ميكائيلُ». وللحديث السابق: رأيت عن يمين رسول الله رجلين. إلى غير ذلك من الأحاديث.

وهم ذكورٌ ومن زعم أنهم إناثٌ فقد كفر، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، حيث كان كفار قريش يعتقدون -تعالى الله عن قولهم- أن الله عَزَّ وَجَلَّ يتزوج بسروات الجن فتنجب الملائكة وجعلوهم بنات الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، لم يكن له صاحبة ولا ولد، **قَالَ نِسَائِي**: ﴿فَاسْتَفْتَيْتُهُمُ الْبَنَاتُ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ ١١٩ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَهِدُونَ ١٢٠ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ١٢١ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ١٢٢ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ١٢٣ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ١٢٤ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٢٥ أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُبِينٌ ١٢٦ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٢٧ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتْ لَاجِنَةُ إِيَّاهُمْ لَمَحْضَرُونَ ١٢٨ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ١٢٩ [الصافات: ١٥٤-١٥٩]

ويكون الإيمان بما أخبرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أسمائهم كجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإسرافيل وميكائيل ومالك خازن النار وملك الموت ولم يثبت أن اسمه عزرائيل

وهكذا خازن الجنة لم يثبت أن اسمه رضوان، ونؤمن أنهم مكلفون بأعمال كثيرة ذكرها الله في أول سورة الصافات حيث **قَالَ نَبِيُّ**: ﴿وَالصَّفَاتِ صَفًا ١﴾ **فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ٢﴾** فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ٣﴾ [الصافات: ١-٣]، وفي أول سورة المرسلات **قَالَ نَبِيُّ**: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ١﴾ **فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ٢﴾** **وَالنَّشْرِتِ نَشْرًا ٣﴾** **فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا ٤﴾** **فَالْمَلَكِيَّاتِ ذِكْرًا ٥﴾** [المرسلات: ١-٥]، وفي سورة النازعات: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ١﴾ **وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ٢﴾** **وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ٣﴾** **فَالسَّيْقَاتِ سَبْقًا ٤﴾** **فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ٥﴾** [النازعات: ١-٥]، **وَقَالَ نَبِيُّ**: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلنَّبِيِّ﴾ [المدر: ٣١]، وذكر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه رأى ليلة أُسري به البيت المعمور ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك آخر ما عليهم وقد ذكر أن مع كل قطرة ملك ينزل بها والله أعلم وهناك ملائكة موكلون بالأرحام على ما في حديث عبدالله بن مسعود وحذيفة بن أسيد وأنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ولفظ ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣) قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَنْبِثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيَقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَسَقِيَّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

وهناك ملائكة موكلون بالقبر وبما فيه، وهم المذكورون في حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَنَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْزَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،

وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنُومَةَ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُتَأَفِّقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: التَّيَّمِّي عَلَيْهِ، فَتَلْتَمِمْ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ» أخرجه الترمذي (١٠٧١).

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (١٨٥٣٤) قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَانَ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ يَبْضُ الْوُجُوهَ، كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنَ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ»، إِلَى أَنْ قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَخْرِجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ».. الحديث.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا قام من الليل قال: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى

صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٧٧٠)، يتوسل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بربوبيته لرؤساء الملائكة، فجبريل عَلَيْهِ السَّلَام موكل بحياة الأرواح، وميكائيل عَلَيْهِ السَّلَام هو الموكل بالقطر الذي به حياة الأبدان، وإسرافيل عَلَيْهِ السَّلَام هو الموكل بالنفخ في الصور للإماتة والإحياء ومنهم الكرام الكاتبين: ﴿كَرَامًا كَتِيبِينَ﴾ [الانفطار: ١٨]، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، وخلقوا للطاعة **قَالَ نَبِيُّ**: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٨﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدْ التَّقَمَ الصُّورَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَضْغَى سَمْعَهُ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ»**، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (١١٦٩٦)، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطْبَ السَّمَاءِ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ»**، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٣١٢)، ابن ماجه (٤١٩٠).

♦ الأصل الثالث: الإيمان بالكتب:

كتب الله عَزَّ وَجَلَّ المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام كثيرة، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥]، هذه الآية يُستدل بها العلماء على أن كتب الله كثيرة والمذكور منها الزبور والتوراة والإنجيل، وصحف إبراهيم وموسى والقرآن، فيجب علينا الإيمان بها جملةً بأن الله

كتباً أنزلها إلى رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ونؤمن بأن التوراة والإنجيل وغير القرآن قد دخله التحريف والتبديل كما أخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** وإنما الذي يجب علينا أن نؤمن به إجمالاً وتفصيلاً هو القرآن العظيم: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وهو الكتاب المحفوظ، **قَالَ تَعَالَى**: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والمهيمن على غيره، **قَالَ تَعَالَى**: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وله أسماء كثيرة ذكرها السيوطي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الاتقان" وكل اسم يتضمن صفة من الصفات.

♦ الأصل الرابع: الإيمان بالرسول:

رسل الله **عَزَّوَجَلَّ** كثيرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [١٣٢] ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [١٦٤] ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥]، وقال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، بعد أن ذكر ثمانية عشر رسولاً.

وقد صح عن أبي أُمَامَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند الطبراني في "الكبير" (٧٥٤٥): أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَبِيًّا كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: **«نَعَمْ»**، قَالَ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: **«عَشْرَةُ قُرُونٍ»**، قَالَ: كَمْ كَانَ بَيْنَ نُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: **«عَشْرَةُ قُرُونٍ»**، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ كَانَتِ الرُّسُلُ؟ قَالَ: **«ثَلَاثُ مِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ»**، وهو في "الجامع الصحيح" لشيخنا مقبل **رَحِمَهُ اللَّهُ** برقم (٢٢٨٨).

ومن كفر برسول واحد أو نبي واحد أو ملك واحد فقد كفر بهم جميعاً كما قال الله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، ومن الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنهم خاتمهم وسيدهم وأنه صفوتهم وأنه بُعث للناس كافة والإيمان بما جاء به صلى الله عليه وسلم جملةً وتفصيلاً: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤] على ما تقدم، والحمد لله.

♦ الأصل الخامس: الإيمان بالبعث بعد الموت:

والعث في اللغة هو التحريك والإثارة وهو إخراج الناس من قبورهم بعد موتهم قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [الأنبياء: ٧٨-٧٩]، وفي هذه الآيات ذكر قدرته على الإعادة والإعادة أسهل من البداية: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: حَتَّى يَشْهَدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَحَتَّى يُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَحَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»، من حديث علي رضي الله عنه عند أحمد (٧٥٨).

وقد أجمعت الرسل عليهم والسلام على ذكر البعث والنشور وعلى ذكر ما فيه ويدخل في الإيمان بالبعث الإيمان بأشراط الساعة الكبرى والإيمان بالصراط والميزان والحوض على ما يأتي بيانه في أواخر الكتاب.

♦ الأصل السادس: الإيمان بالقدر:



القدر من التقدير والقدر هو سر الله وعلم الله لم يُطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا والخير والشر من الله **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] **وَقَالَ نَبِيُّ:** ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] وقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ أَوْ الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ»، من حديث عبد الله بن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٢٦٥٥) ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وسيأتي الكلام على أغلب هذه الأركان في الكتاب وإنما هذه إشارات.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ.

(مِن) للتبعض وقد مر بنا أن أركان الإيمان بالله أربعة وهي الإيمان بوجوده وإلوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.**

طريقة أهل السنة في هذا الباب ما قرره شيخ الإسلام وغيره، قال **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "منهاج السنة" (٢/ ٥٢٣): وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكيف ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقين: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فقولهم في الصفات مبني على أصليين:

الأول: أن الله تعالى منزّه عن صفات النقص كالسنة والنوم والعجز.



الثاني: أنه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها على وجه الاختصاص بما له من الصفات، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات. اهـ

وأما المخالفون لطريقهم فكلهم على ضلال مبين، وطريق غير مستقيم وهم أقسام عدة، يبينه قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وهذه الأقسام مجموعة في:

القسم الأول: قول الجهمية والقرامطة ومن نحا نحوهم، وذلك أنهم يصفون الله بالسلوب على وجه التفصيل ولا يثبتون إلا وجودًا مطلقًا لا حقيقة له عند التحصيل، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان يمتنع تحققه في الأعيان، فقولهم يستلزم غاية التعطيل، وغاية التمثيل، فإنهم يمثلونه بالمتنعات والمعدومات والجمادات ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلًا يستلزم نفي الذات، فغالبيتهم يسلبون عنه النقيضين فيقولون: لا موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت، ولا جاهل ولا عالم؛ لأنهم يزعمهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات، وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات ولا يخفى فساد قولهم.

القسم الثاني: طائفة من الفلاسفة وأتباعهم فوصفوه بالسلوب والإضافات دون صفات الإثبات، فيقولون: ليس بعالم ليس بسميع ولا بصير، ثم يرجعون وينفون النفي فيقولون: ولا ليس بعالم ولا ليس بسميع ولا هو خارج العالم ولا هو داخله^(١).

(١) (السلوب) أي بالصفات السلبية أي بالنفي، فالسلب هو النفي. (والإضافات) هي الصفات الإضافية، والإضافة هي النسبة والشيء الإضافي هو الشيء النسبي، فهو ليس أمرًا وجوديًا بل أمر اعتباري معنوي، فالصفة الإضافية هي المعنى الذي لا يعقل إلا بوجود مقابل له، ومثال ذلك القبلية والبعدية والأبوة والبنوة، فالقبلية مثلاً ليست صفة ذاتية للشيء، بل صفة باعتبار ما بعده وكذا الأبوة فهي صفة باعتبار ابنه وإن كان هذا الأب ابنًا باعتبار أبيه، فهو اكتسب الصفة بالنسبة لغيره، وليست صفة ملازمة له كيداه وطوله ولونه.

القسم الثالث: المعتزلة ومن وافقهم فأثبتوا له الأسماء دون ما تضمنته من الصفات، فمنهم من جعل العليم والسميع والبصير كالأعلام المحضة المترادفات، ومنهم من قال: عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، سميع بصير بلا سمع ولا بصر، فأثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات.

وكل هذه الطوائف معطلة، ويدخل فيهم الأشاعرة، فهم يثبتون بعض الصفات، وينفون غيرها على ما يأتي تقريره إن شاء الله تعالى.

القسم الرابع: أهل التمثيل وهم الذين يثبتون لله تعالى الصفات، ولكنهم يشبهونها بصفات المخلوقين راثنين قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فتعالى الله عن أقوال هذه الأقسام علواً كبيراً.

القسم الخامس: وهم أهل التجهيل، وهم من أشر أهل البدع كما قال شيخ الإسلام، وهم المفوضة الذين يثبتون ألفاظ الصفات كما وردت في الكتاب والسنة مع تفويضهم العلم بمعانيها إلى الله تعالى، فلا يعلم معناها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا أحد أبداً.

ولازم قولهم: أن الله خاطبنا بكلام لا نعرف معناه، والله يقول: ﴿حَمَّ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۖ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ وَفُزَّانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ١-٣].

ويلاحظ أن هذه الصفات الإضافية لا وجود لها حقيقة، وإنما وجودها عقلي معنوي. ومن الأمثلة التي تذكر لذلك تسمية الفلاسفة لله تعالى العلة الأولى، وهذا مثل تسمية المتكلمين لله تعالى بالقديم.

فكون الشيء علة يقتضي معلولاً، فالعلية صفة إضافية باعتبار وجود معلول، فهي صفة إضافية نسبية لا وجود لها حقيقة، بخلاف صفة الخلق واسم الخالق فالله تعالى هو الخالق اسماً ووصفاً، ولو لم يوجد خلق فهو لم يكتسب هذه الصفة من شيء خارج عنه -وهو الخلق- كما تكتسب العلة وصف العلية باعتبار وجود المعلول، وكما يكتسب الأب وصف الأبوة بوجود ابن له.

وقوله: ﴿الرَّ كِتَبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١]، ويُجْهَلُونَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الكرام وأنهم لم يعرفوا مراد الله تعالى إلى غير
ذلك، أو أنهم عرفوا ثم كتموا، وكلا القولين ضلال مبين، ولا حول ولا قوة إلا بالله
الملك الحق المبين.



الشبه التي أوصلت المبتدعة إلى التعطيل والتمثيل والرد عليها

الرد على أنواع أهل البدع في هذا الباب:

إن أهل الزيغ والضلال قد تخططوا وخلطوا في هذا الباب وغيره غاية التخليط والتخبيط، بل تجد العجب العجيب من تناقضاتهم، فيفرون من شيء فيقعون في شيء منه، وسنناقش بإذن الله تعالى هذا التناقض باختصار غير مخل، فالله يوفق ويسدد.

الرد على الجهمية:

تقدم معتقد الجهمية في الأسماء والصفات، وأنهم انقسموا إلى قسمين: قسمٌ منهم: يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل ولا يثبتون إلا وجودًا مطلقًا لا حقيقة له عند التحصيل.

وقسم يصفونه بالسلوب والإضافات دون صفات الإثبات وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق.

معنى قولهم: أنهم يصفون الله بالصفات السلبية على وجه التفصيل، أي كقولهم: ليس بمستوي على عرشه، ولا يغضب، ولا يحب، ولا ينزل... إلى غير ذلك، وهذا خلاف معتقد السلف، فإن طريقة الرسل وأتباعهم هو الإثبات المفصل: تقول سميع بصير حي مرید... إلى غير ذلك، والنفي المجمل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

وأما قولهم بإثبات الوجود المطلق، فمعناه أن الوجود المطلق هو المجرد عن جميع الصفات، وهذا الوجود لا حقيقة له إلا في الذهن، وليس له وجود خارجي بتاتًا؛ لأن الذات لا تتحقق بلا صفة أصلاً، كمن يقول: أثبت نخلة لا جذع لها ولا ساق ولا ليف ولا غير ذلك.

قال شيخ الإسلام في "التدمرية" بعد ذكر قولهم السابق (ص ١٥-١٦): فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل، فإنهم يمثلونه بالمتنوعات والمعدومات والجمادات، ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلًا يستلزم نفي الذات، فغاليتهم يسلبون عنه النقيضين، فيقولون: لا موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل؛ لأنهم -بزعمهم- إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات، وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات، فسلبوا عنه النقيضين، وهذا ممتنع في بدائه العقول، وحرّفوا ما أنزل الله من الكتاب، وما جاء به الرسول ﷺ، ووقعوا في شر مما فروا منه، فإنهم شبهوه بالمتنوعات. اهـ

ولتعلم أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان في آن واحد، بل يلزم من ثبوت أحدهما عدم الآخر، ومن نفي أحدهما ثبوت الآخر. وأما قول أصحاب القسم الثاني، الذين يصفونه بالسلب والإضافات، فالسلب جمع سلب، والسلب هو النفي، وذلك مثل قولهم: إن الله ليس بجسم ولا عرض ولا متحيز.

والإضافات: هي الأمور المتضايفة التي لا يعقل الواحد منها إلا بتعقل مقابله، مثل قولهم: إن الله مبدأ الكائنات وعلة الموجودات، أي أنه لا تعقل العلة إلا بمعلولها، ولا المعلوم إلا بعلته، ومن أمثلة الأمور المتضايفة الأبوة والبنوة، فلا تعقل الأبوة إلا ببنوة ولا ببنوة إلا بأبوة.

وقولهم: دون صفات الإثبات، أي أن الله تعالى مجرد عن الصفات الثبوتية ليس له حياة ولا علم ولا قدرة ولا كلام.



قوله: (وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق): يعني أن وجود الله مشروط بسلب كل أمر ثبوتي وعدمي، أو بسلب الأمور الثبوتية كما قال بعضهم، أفاده صاحب "التحفة المهدية" (٥٢).

قال شيخ الإسلام في "التدمرية" (ص ١٧): وقد علم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن، لا فيما خرج عنه من الموجودات، وجعلوا الصفة هي الموصوف، فجعلوا العلم عين العالم مكابرة. اهـ

شبهة الجهمي والرد عليها:

ويقال لهذا الجهمي: لماذا تنفي الأسماء والصفات؟ فسيقول: لأن إثبات ذلك يستلزم التشبيه بالموجود الحي العليم القدير.

قيل له: وكذلك إذا قلت: ليس بموجود ولا حي ولا عليم ولا قدير كان ذلك تشبيهاً بالمعدومات، وذلك أقبح من التشبيه بالموجودات؟
فإن قال: أنا أنفي النفي والإثبات؟ قيل له: فيلزمك التشبيه بالممتنع، فإنه يمتنع أن يكون الشيء موجوداً معدوماً أو لا موجود ولا معدوم. اهـ "التدمرية" (ص ٣٦).

الرد على المعتزلة الذين أثبتوا الأسماء دون ما تضمنته من صفات:

فهم انقسموا إلى قسمين كما بين ذلك شيخ الإسلام في "التدمرية" قسم جعلوا أسماء الله كالأعلام المحضة المترادفات - أي الأعلام الخالصة الخالية من الدلالة على شيء آخر - والمترادفات على ذات واحدة.

وقسم قالوا: عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، فأثبتوا الاسم دون ما تضمنته من الصفات. اهـ بزيادة.

وهؤلاء عطلوا الله مما يختص به **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فراراً من التشبيه فوقعوا في شر منه - أي التشبيه بالمعدومات والممتنعات - مع ما يلزمهم من التحريفات والتعطيلات.



قال شيخ الإسلام في "التدمرية" (ص ٢٠): وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو واجب قديم بنفسه - أي خالق وهو الله تعالى - وما هو محدث ممكن - أي مخلوق - يقبل الوجود والعدم، فمعلوم أن هذا موجود وهذا موجود ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا، بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه... فلا يقول عاقل: (العرش شيء موجود وأن البعوض شيء موجود)، إن هذا هو هذا لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود...

ولهذا سمي الله نفسه بأسماء، وسمى صفاته بأسماء، فكانت تلك الأسماء مختصة به، إذا أضيفت إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من تماثل الاسمين تماثل مسماهما، واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص...

فقد سمي الله نفسه حياً **قَالَ تَبَارَكَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾** [البقرة: ٢٥٥]، آل عمران: ٢، وسمى بعض عباده حياً، فقال: **﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾** [الروم: ١٩]، وليس هذا الحي مثل هذا الحي؛ ثم استطرد **رَحْمَةُ اللَّهِ** في ذكر بعض ما سمي الله به نفسه وسمى به بعض مخلوقاته والخالق منزّه عن مشابهة المخلوق.

شبهة المعتزلي والرد عليها:

ويقال للمعتزلي الذي يثبت الأسماء وينفي الصفات، ما ذكره شيخ الإسلام في "التدمرية" (ص ٣٥): لا فرق بين إثبات الأسماء وبين إثبات الصفات، فإنك إن قلت: إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيهاً وتجسيماً لأننا لا نجد في الشاهد متصفاً بالصفات إلا ما هو جسم؟



قيل له: ولا تجد في الشاهد مسمى بأنه حي عليم قدير إلا ما هو جسم، فإن نفيت الصفات لكونه لا يوجد في الشاهد إلا ما هو جسم فانف الأسماء، بل وكل شيء؛ لأنك لا تجد في الشاهد إلا ما هو جسم. اهـ

وإن قال المعتزلة: إثبات العلم والقدرة والإرادة يستلزم تعدد الصفات، وهذا تركيب ممتنع.

قيل: وإذا قلت أنه موجود واجب وعقل وعادل ومعقول، أفليس المفهوم من هذا هو المفهوم من هذا، فهذه معاني متعددة متغايرة في العقل، وهذا تركيب عندكم؟ فإن قالوا: هذا توحيد في الحقيقة وليس تركيباً ممتنعاً.

قيل: واتصاف الذات بالصفات اللازمة لها توحيداً في الحقيقة، وليس هو تركيباً ممتنعاً.

القول في الصفات كالقول في الذات

وكذلك من الرد عليهم: أن القول في الصفات كالقول في الذات، فإذا أثبت لله ذاتاً حقيقية لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل صفات سائر الذوات.

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الصواعق المرسلة" (٢/ ٧٢٨): ومن ذلك خروجهم عن صريح العقل في قولهم: إن الرب عالم بلا علم، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، قدير بلا قدرة، حي بلا حياة، فأنكر عليهم ذلك طوائف العقلاء. اهـ

الرد على الأشاعرة ومن وافقهم ممن يثبتون الأسماء وبعض الصفات فقط:

من المعلوم أن الأشاعرة ومن وافقهم يثبتون سبع صفات جمعها أحدهم نظاماً:
حَيٌّ مُرِيدٌ قَادِرٌ عَالِمٌ ❁ لَهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ



ويقولون: هذه الصفات دل عليها العقل، فيجعلونها حقيقة، ثم ينازعون في المحبة والرضا والسخط ويفسرونها إما بالإرادة أو ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات.

قيل له: القول في بعض الصفات كالقول في بعض؟

فإن قلت: له إرادة كإرادة المخلوقين، فكذلك محبته وغضبه وهذا هو التمثيل بعينه، وإن قال له: إرادة تليق به، قيل له: وكذلك له محبة تليق به.

فإن قال: الغضب غليان الدم في القلب لطلب الانتقام؟ قيل له: الإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة ودفع مضرة.

فإن قال: هذه إرادة المخلوق؟ قيل له: هذا غضب المخلوق.

فإن قال: هذه الصفات السبع إثباتها بالعقل؛ لأن الحادث دل على قدرة والتخصيص دل على الإرادة والإحكام دل على العلم، وهذه الصفات مستلزمة للحياة، والحي لا يخلو من السمع والبصر والكلام أو ضد ذلك؟
قيل له: لك جوابان:

الأول: افترض أن العقل لم يدل عليها، فقد دل عليها دليل آخر وهو الكتاب والسنة، وانتفاء الدليل لا يلزم منه انتفاء المدلول.

الثاني: يمكن إثبات هذه الصفات بنظير ما أثبت به تلك - أي العقل - فيقال: نفع العباد بالإحسان إليهم يدل على الرحمة وإكرام الطائعين يدل على محبتهم وعقاب الكفار يدل على بغضهم؟ وهكذا دوليك.

الرد على الممثلة:

أقسام الممثلة:

الأول: من شبه ذات الرب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بذات المخلوق، ومن أمثلة هذه السبئية والهاشمية.

السبئية: هم الذين قالوا إن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إله، وشبهوه بذات الله.

والهاشمية: هم أتباع هشام بن الحكم -لعنه الله- الذي قال: إن الله سبعة أشبار بشبر نفسه، تعالى الله عن هذا البهتان علواً كبيراً.

الثاني: من شبه صفات رب العالمين بصفات غيره من المخلوقات، وضلال مذهبهم ظاهر البطلان، فالله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، اهـ من "القواعد الكلية" (ص ٤٣-٤٤).

قال شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (١٢/٢٦٤): فليس فيها (أي النصوص والآثار) أن صفة المخلوق هي صفة الخالق، بل ولا مثلها، بل فيها الدلالة على الفرق بين صفة الخالق وبين صفة المخلوق، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٣/٨٧): فإن التماثل في الصفات والأفعال يتضمن التماثل في الذات، فإن الذاتين المختلفين يمتنع تماثل صفاتهما وأفعالهما؛ إذ تماثل الصفات والأفعال يستلزم تماثل الذوات. اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٣/٨٧): فإن الحقيقتين إذا تماثلتا جاز على كل واحدة ما يجوز على الأخرى، ووجب لها ما وجب للأخرى، فيلزم أن يجوز على الخالق القديم الواجب بنفسه ما يجوز على المحدث المخلوق من العدم والحاجة، وهذا مما يعلم به بطلان قول المشبهة. اهـ بتصرف.

فَعَلِمَ مِنْ هَذَا: أن الله تعالى مُتَّصِفٌ بِالْكَمَالِ الْمُقَدَّسِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى أَنَّ الْمَثْبُتَ لَا بَدَأَ أَنْ يَتَخَلَّى مِنْ مُحْضُورِي التَّكْيِيفِ وَالتَّمَثِيلِ، لِأَنَّ مِنْ أَثْبَتِ الْمَثَلِ لِلَّهِ



تعالى فقد وصفه بالنقص وعطله من كماله المقدس، ثم عطل أدلة الأسماء والصفات مما دلت عليه من الكمال، ولهذا قيل كل ممثل معطل.
ثم من المحال أن يكون القيوم الصمد مماثلاً للمخلوق المحتاج الناقص.

الرد على أهل التفويض:

سماهم ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أهل التجهيل؛ لأنهم جهلوا السلف والأنبياء رضوان الله وسلامه عليهم أجمعين، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصواعق المرسلة" (٢/٤٢٢): الصنف الثالث أهل التجهيل الذين قالوا نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا ندري ما أراد الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها، ولكن نقرها ألفاظاً لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله وهي عندنا بمنزلة: ﴿كَهَيْعَصَ﴾ [مريم: ١]، ﴿حَم * عسق﴾ [الشورى: ١-٢]، ﴿الْمَصَّ﴾ [الأعراف: ١]... إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وبنوا هذا المذهب على أصليين:

أحدهما: أن هذه النصوص من المتشابه.

الثاني: أن للمتشابه تأويلاً لا يعلمه إلا الله.

فنتج من هذين الأصلين تجهيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأنهم كانوا يقرؤون: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، ويروون: ﴿يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا﴾، ولا يعرفون معنى ذلك.

ولازم قولهم: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه، ثم تناقضوا أقبح تناقض، فقالوا: تجري على ظواهرها وتأويلها مما يخالف الظواهر باطل، ومع ذلك فلها تأويل لا يعلمه إلا الله، فكيف يشبتون لها تأويلاً ويقولون تجري

على ظواهرها، ويقولون: الظاهر منها غير مراد، والرب منفرد بعلم تأويلها، وهل في التناقض أقبح من هذا.

فهؤلاء غلطوا في المتشابه وفي كون المتشابه لا يعلم معناه إلا الله، وفي جعل هذه النصوص من المتشابه، فأخطئوا في المقدمات الثلاث. اهـ

ومن الأدلة على بيان فساد منهجهم قول الله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال تعالى واصفًا القرآن بأنه عربي، والكلام العربي يُعقل ويعرف المراد منه، قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، وقال: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ۖ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۖ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، إلى غير ذلك من الآيات في هذا الباب.

وقد دلت النصوص على تيسير القرآن للناس حتى يفهموه ويعقلوه، **فقال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

وأمر بالتدبر سبحانه، وإنما يكون التدبر لما يعقل ويفهم، **فقال تعالى**: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، إلى غير ذلك من النصوص الواردة في الكتاب والسنة.



وكذلك كثرة الآيات الدالة على إثبات الصفات، ولم يرد في حرف واحد أن الصحابة رضوان الله عليهم سألوا عن معانيها، أو ما المراد بها؛ لأنهم فقهوا قول الله ومراد الله عز وجل.

ويستحال عقلاً أن النبي صلى الله عليه وسلم الذي علمنا كل شيء حتى الخراءة كما قال سلمان رضي الله عنه، وترك هذا الباب بدون بيان، وهو القائل: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيَّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ».

وعلم الأسماء والصفات هو أشرف العلوم، فمن المحال أنهم لا يعرفون معاني الآيات ورَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم لا يسألونه ولا يعلمهم، وقد تقدم النقل عن ابن القيم رحمه الله في بيان تناقض مذهبهم، وما هذا إلا لبطلانه وفساده.

هذه الجملة تضمنت معتقد أهل السنة في باب الأسماء والصفات، وقد تناقلها علماء أهل السنة قاطبة وقد أمر الله بالإيمان بالكتاب، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]، ويدخل في الإيمان بالله والرسول والكتاب الإيمان بكل ما أخبر الله تعالى به وبما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم وما تضمنه القرآن ويدخل في ذلك الإيمان بالأسماء والصفات وما جاء عن رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كما جاء عن الله عز وجل من حيث الحُجَّةِ قَالَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، ومنه أسماء الله وصفاته عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَطُّقُ عَنِ أَهْوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وفي هذه القاعدة من الفوائد العظيمة أن باب الأسماء والصفات توقيفي لا مجال للعقل فيه وإنما يُتَلَقَّى من الكتاب والسنة والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣]، ولا يعرف كيف هو إلا هو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فلا تُتَلَقَّى أسماء الله وصفاته إلا من كتاب الله وسنة نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهنا إشارة للمسلم إلى ما يجب سلوكه في هذا الباب وهو الجمع بين النفي والإثبات فيثبت لله ما أثبتته لنفسه وما أثبتته له رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ويُنفى عنه ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مع الحذر من أمرين حال الإثبات ومن أمرين حال النفي، أما حال الإثبات فالتمثيل والتكييف وكلاهما كفر فمن مثل الله بخلقه كفر، فمن زعم مثلاً أن وجه الله كوجه المخلوق فهو كافر بالله العظيم ومن كَيَّفَ صفات الله **عَزَّجَلَّ**، فقد كفر لأنه يقول على الله بغير علم ولأنَّ الإنسان مهما تخيَّل الكمال لله فعقله عاجزٌ وناقص لا يمكن أن يثبت لله تعالى الكمال المقدس، لأنَّ قدرة العقل محدودة ولهذا جاء في الأثر (تفكروا في مخلوقات الله ولا تتفكروا في الله)، وأيضاً عند تنزيه الله **عَزَّجَلَّ** من مشابهة ومماثلة المخلوقين كن على حذر من التحريف والتعطيل.

التحريف: لغة هو التغيير والتبديل والإمالة **قَالَ تَبَالَى**: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ

مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦].

وينقسم التحريف إلى قسمين:

(تحريف لفظي، وتحريف معنوي).

وغالباً ما ينتج عن التحريف اللفظي التحريف المعنوي، فمثلاً جاء رجل إلى أبي عمرو بن العلاء فقال له: (يا أبا عمرو اقرأ: وكَلَّمَ الله موسى)، وسيكون المعنى؟ أن الله تعالى هو الْمُكَلِّمُ وأنَّ موسى **عَلَيْهِ السَّلَام** هو الْمُتَكَلِّمُ، وهكذا قال المبتدعة في قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، قالوا استولى فزادوا (اللام) فهذا التحريف اللفظي أدى إلى التحريف المعنوي وهو تعطيل الله **عَزَّجَلَّ** من صفة الاستواء وأما التحريف المعنوي فقد لا يكون باللفظ لكن تقول له: ﴿بَلْ يَدَاهُ



مَبْسُوطَتَانِ [المائدة: ٦٤]، قال المراد باليد النعمة، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٢٨]، قالوا المراد بالوجه الإحسان، فيُحَرِّفون الكلم عن مواضعه.

التعطيل في اللغة: مأخوذ من العطل الذي هو: الخلو والفرغ والترك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُزَيِّرُ مُعْطَلَةً﴾ [الحج: ٤٥]، أي أهملها أهلها وتركوا ردها.

وهو في الاصطلاح: تعطيل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من أسمائه وصفاته أو تعطيل أسمائه عمّا تتضمن من الصفات وتعطيل الأدلة عمّا تدلّ عليه من المعاني الجليلة العظيمة اللائقة بالله تعالى. والتعطيل في حق الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تعطيل مصنوع عن صانعه وخالقه، وهو المتمثل فيمن ينكر وجود خالق لهذا الكون، مثل تعطيل الإشتراكيين والطبائعيين ومن إليهم من الملحدين.

القسم الثاني: ما يجب له **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من حقيقة التوحيد وإفراده بالعبادة، وهو المتمثل في أهل الشرك الذين صرفوا شيئاً من العبادة لغير الله **عَزَّ وَجَلَّ**.

القسم الثالث: تعطيل الله **عَزَّ وَجَلَّ** عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله، وهذا القسم هو المراد هنا.

التمثيل: التمثيل والتشبيه بمعنى واحد في هذا الباب، وإن كان بينهما فروق عند أهل اللغة.

فالمماثلة هي: المساواة من كل وجه.

والمشابهة هي: مساواة الشيء لغيره في أكثر الوجوه، والأولى التعبير بنفي التمثيل لمجئ القرآن به.

ولهذا لم يقل ولا تشبيه ولأن التمثيل جاء بنفيه القرآن **قَالَ تَبٰىءُ**: ﴿فَلَا تَضْرِبُوْا لِلّٰهِ

الْأَمْثَالَ [النحل: ٧٤]، **وَقَالَ تَبٰىءُ**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٧]،



ثم إن التمثيل هو المساواة من كل وجه والتشبيه يطلقه المبتدعة على كل من أثبت لله عزَّ وجلَّ الأسماء والصفات.

التكييف: التكييف من (كَيْف، يُكَيِّف، تَكْيِيفًا)، أي يجعل للصفة كيفية معلومة، وهو حكاية كيفية الصفة من غير أن يقيد بها بمماثل.

بينما التمثيل: هو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين.

والتكييف أعم من التمثيل، فكل تمثيل تكييف؛ لأن من مثل صفات الخالق بصفات المخلوقين فقد كَيَّف تلك الصفة.

وليس كل تكييف تمثيل؛ لأن من التكييف ما ليس فيه تمثيل مثل قولهم: طوله كعرضه.

ومعنى قول أهل السنة: من غير تكييف: أي من غير تكييف يعقله البشر، وليس المراد أنهم ينفون الكيف مطلقاً، فإن كل شيء لا بد أن يكون له كيفية ما، ولكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيف إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه.

فأهل السنة يفوضون معرفة الكيف ويثبتون المعاني والمفوضة يفوضون المعاني والكيف وهم ضالون مبتدعون مخطئون وأهل السنة موفقون مسددون مصيبون، وكيفية الصفة لا تعلم إلا بثلاثة أمور:

الأول: النظر إلى الصفة.

الثاني: النظر إلى مثيلها.

الثالث: إخبار من رآها عنها، وكل هذا متنفذ في حق الله تعالى.

قال رحمه الله:

بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٧].

أي: طريقة أهل السنّة الإيمان بأنّ الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله معظّمين الله تعالى المتّصف بصفات الجمال والجلال والكمال والعظمة معتمدين في إثباتهم ونفيهم على هذه الآية العظيمة التي هي عمدة في الباب فجمعت بين النفي والإثبات فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ردُّ على الممثلة والمكيّفة وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ردُّ على المعطّلة من الجهمية والمعتزلة الذين يزعمون أنّ الله لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلّم إلى غير ذلك، وفيها إشارة إلى الجمع بين النفي والإثبات على ما تقدّم وفيها وجوب الأخذ بدلالة الآية جميعاً فالمعطّلة أخذوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وعطلّوا الله من صفاته والممثلة أخذوا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فمثّلوا الله بخلقه وأهل السنّة أثبتوا له صفات تليق بجلاله عزّ وجلّ.

وقد اختلف المفسّرون في (الكاف) في هذه الآية، فقال بعضهم هي صلة وتوكيد، ويكون تقدير العبارة (ليس مثله شيء)، وقال بعضهم هي داخلة على محذوف وهو (ليس مثل مثله شيء)، فلو قدّر الله مثل فليس كمثله شيء فكيف بالله تعالى؟ وقالوا غير ذلك.

والصحيح أنّها صلة وتوكيد كقول الشاعر:

لَيْسَ كَمِثْلِ الْفَتَى زُهَيْرٌ ❀ خُلِقَ يُوزِيهِ فِي الْفَضَائِلِ
أي: ليس مثل زهير أحدٌ يوازيه في الفضائل فالمراد هنا بـ (ليس كمثله شيء) أي ليس مثل الله عزّ وجلّ شيء.

تلخص أنّ: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، عمدة في هذا الباب، المعطّلة يستدلّون بالشرط الأوّل منها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فيقولون الله

عَزَّجَلَّ ليس له صفات، والممثلة يستدلون بالشرط الثاني منها: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فيقولون يسمع كسمعنا ويصير كبصرنا، أهل السنة يستدلون بها جميعاً فوَفَّقُوا إلى سواء السبيل، فالله **عَزَّجَلَّ** موصوف بصفات الكمال والجلال وهو منزّه عن مماثلة المخلوقين.

قال في "أضواء البيان": قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ الْإِلَّهِ النَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤] الآية.

هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الصفات كقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] ونحو ذلك. أشكلت على كثير من الناس إشكالاً ضل بسببه خلق لا يحصى كثرة، فصار قوم إلى تعطيل وقوم إلى التشبيه - **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** علواً كبيراً عن ذلك كله - والله **جَلَّ وَعَلَا** أوضح هذا غاية الإيضاح، ولم يترك فيه أي لبس ولا إشكال، وحاصل تحرير ذلك أنه **جَلَّ وَعَلَا** بين أن الحق في آيات الصفات متركب من أمرين: **أحدهما**: تنزيه الله **جَلَّ وَعَلَا** عن مشابهة الحوادث في صفاتهم تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

والثاني: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ لأنه لا يصف الله اعلم بالله من الله: ﴿أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الذي قال فيه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤] فمن نفى عن الله وصفاً أثبتته لنفسه في كتابه العزيز، أو أثبتته له رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** زاعماً أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله **جَلَّ وَعَلَا**، فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله بما يليق بالله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق، فهو مشبه ملحد ضال، ومن أثبت لله ما أثبتته لنفسه أو أثبت له رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مع تنزيهه **جَلَّ وَعَلَا** عن مشابهة الخلق، فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتنزيه عن مشابهة الخلق، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل، والآية التي أوضح الله بها هذا: هي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فنفي عن نفسه **جَلَّ وَعَلَا** مماثلة الحوادث بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فصرح في هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الانصاف بصفات الكمال والجلال.

والظاهر أن السر في تعبيره بقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ دون أن يقول مثلاً: وهو العلي العظيم أو نحو ذلك من الصفات الجامعة أن السمع والبصر يتصف بهما جميع الحيوانات. فبين أن الله متصف بهما، ولكن وصفه بهما على أساس نفي المماثلة بين وصفه تعالى، وبين صفات خلقه. ولذا جاء بقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ففي هذه الآية الكريمة إيضاح للحق في آيات الصفات لا لبس معه ولا شبهة البتة. انتهى

قال رحمه الله:

فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ: مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ.

لأن نفي ما وصف الله به نفسه ردُّ للقرآن والسنة والواجب علينا تصديق خبر الله وخبر رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهنا قاعدة عند العلماء وهي أن الخبر إذا توفّر فيه ثلاثة أمور وجب قبوله:

الأول: صدق المخبر.



الثاني: بيان المخبر.

الثالث: علم المخبر.

والله **عَزَّجَلَّ**: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، وهو أصدق قِيلاً وأحسن حديثاً **قَالَ نَبِيُّ**: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً﴾ [النساء: ٨٧]، فلا يتردد في قبول خبره إلا من سفه نفسه، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَنْ يُرَغِّبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وأيضاً النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أصدق حديثاً من غيره من البشر وكان يُسمَّى بالصادق الأمين وأعلم بالله من غيره لأن الله أوحى إليه، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، **وقَالَ نَبِيُّ**: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وأيضاً قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ»**، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٢٩٧٧)، مسلم (٥٢٣)، فهو أفصح من نطق بالضاد كما يقال، أفصح البشر ومن خصائصه على بقية الأنبياء فضلاً عن غيرهم أن الله بعثه بجوامع الكلم وهي الكلمة المختصرة التي تدل على معاني عظيمة ومنها حديث سفيان بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٣٨)، قال: **قُلْتُ**: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ - قَالَ **أَبُو مُعَاوِيَةَ**: بَعْدَكَ - قَالَ: **«قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ»**.

فهذه الكلمة تشتمل على الإيمان والدين كله وفيها الحث على الاستمرار والثبات عليه وفيها الحذر من الزيغ والانحراف وفيها وجوب الاستمرار على الطاعات إلى غير ذلك من المعاني التي إذا أردنا أن نتوسّع فيها لخرجنا عن المقصود، وأيضاً جاء رجل إلى الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقال: أَوْصِنِي، قَالَ: **«لَا تَغْضَبُ»** **فَرَدَّدَ مَرَّارًا**، قَالَ: **«لَا تَغْضَبُ»**، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** رواه البخاري



(٦١١٦) واللفظ له، والترمذي (٢٠٢٠)، وأحمد (٨٧٤٤)، فقال الراوي: فنظرنا فإذا الغضب يحوي ذلك كله، كل بلاء سببه الغضب لغير الله **عَزَّوَجَلَّ**، وهكذا قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**»، من حديث جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أخرجه البخاري (٦٠٢١)، وعن عبدالله بن يزيد الخطمي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أحمد (١٨٧٤١)، وأعرف المعروف لا إله إلا الله وأدناه إزالة الأذى عن الطريق، إذا الدين كله داخل في هذا الحديث، زد على ذلك أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنصح الناس للناس فلا يتردد في قبول خبره إلا سفيه راؤ لخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** ولخبر رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وكذلك راؤ لأمر الله **عَزَّوَجَلَّ** ولأمر رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فإذا علمنا هذا فلا يجوز أن ننفي عن الله ما أثبتته لنفسه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وما أثبتته له رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

فكيف يُخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** عن نفسه بقوله: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ [المائدة: ٦٤]، ثم يقول هذا المعطل ليس له يدان، نعوذ بالله من الخذلان.

قال رحمه الله:

وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

ومن طريقة أهل السنة أنهم لا يحرفون الكلم عن مواضعه كما هو صنيع المعتزلة والجهمية ومن إليهم وتحريف الكلام عن مواضعه طريقة يهودية لا طريقة إسلامية، أمّا المسلمون فقد وصفهم الله **عَزَّوَجَلَّ** في قوله: ﴿**وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وأمّا اليهود فقد قال الله **عَزَّوَجَلَّ** عنهم: ﴿**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ**﴾ [المائدة: ١٣]، فالخيانة وتحريف الكلم وتبديل الحقّ ولبس الحقّ بالباطل دين اليهود والنصارى قال الله تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْمُنُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ**﴾ [آل عمران: ٧١]، والتحريف هو الميل، حرف الشيء أي أماله فيحرفون كلام

الله **عَزَّوَجَلَّ** عن دلالة الحقّة إلى دلالة باطلة على ما يأتي في باب الصفات فحين يقرءون قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، يقولون بل نعمته، ويقولون بل قوّته، ويقولون بل قدرته، وهذا سيأتي فساده في كلامنا على صفة اليدين بإذن الله **عَزَّوَجَلَّ**، فأهل السنّة لا يُحرّفون الكلم عن مواضعه، أثبت الله له وجهًا نثبت له وجهًا، أثبت له سمعًا وبصرًا نثبت له سمعًا وبصرًا، أثبت له قدرة وإرادة نثبت له قدرة وإرادة، وهكذا.

قال رحمه الله:

وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ.

(ل ح د) تأتي بمعنى الإمالة ومنه لحد القبر فاللحد هو الشقّ الذي يُدخل به إلى داخل القبر إلى جهة القبلة وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**اللَّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لِغَيْرِنَا**»، من حديث ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** عند أبي داود (٣٢٠٨)، الترمذي (١٠٤٥)، النسائي (٢٠٠٩)، ابن ماجه (١٥٥٤)، ولَمَّا قُبِرَ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لُحِدَ له حتّى قال سعد بن أبي وقاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «**الْحَدُّوا لِي لَحْدًا، وَأَنْصِبُوا عَلَيَّ اللَّيْنَ نَصْبًا، كَمَا صُنِعَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»، رواه مسلم (٩٦٦)، فالإلحاد في آيات الله **عَزَّوَجَلَّ** هو الميل بها عن دلالتها إلى غير ذلك وهو أنواع تُجمل فيما يأتي:

النوع الأول: إلحاد الجهميّة وهو تعطيل الله من أسمائه وصفاته فلا يُسمّون الله ولا يصفونه ويقولون إنّ الأسماء التي هي لله هي أسماء لمخلوقاته، وإنما هي مجاز في حق الله تعالى.

النوع الثاني: إلحاد المعتزلة وهم يؤمنون بالأسماء ويقولون نحن نؤمن بأسماء الله: (الله، الرحمن، الرحيم، الملك، القدّوس، العليم...)، لكن هذه الأسماء لا تتضمن صفات ولا تدلّ على شيء من المعاني وإنّما هي كالأسماء المجردة وهذا

إِلْحَادٍ لِأَنَّ كُلَّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ **عَزَّجَلَّ** يَتَضَمَّنُ صِفَةً كَمَالٍ وَمَدْحٍ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

النوع الثالث: إلحاد الأشاعرة وهم يُثبتون الأسماء وسبع صفات ويُعطّلون بقيّة الصفات لا سيّما صفات الأفعال وصفات الأخبار فيقولون:

حَيٍّ، مُرِيدٌ، قَادِرٌ، عَلَامٌ ❁ لَهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ
قالوا: هذه الصفات السبع دلّ عليها العقل فيقولون وجود المخلوقات يدلّ على القدرة والتخصيص دلّ على الإرادة والاتقان دلّ على العلم وهذه الصفات تدلّ على الحياة والحَيِّ إمّا أن يكون سميعًا بصيرًا متكلمًا أو العكس، وإذا قلت لهم الله يرضى، يُحِبُّ، يسخط، في العلوّ قالوا لا، هذه عندهم لا يدلّ عليها العقل مع أنّ العقل دالٌّ عليها وهي ثابتة بأدلة الكتاب والسنة فإن خالف العقل الكتاب والسنة فهو للوث ولمرضٍ فيه، وأمّا العقل الصحيح كما قال شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (لا يناقض النقل الصحيح).

النوع الرابع: إلحاد الممثلة وهم الذين يقولون لله صفات، نؤمن أنّ لله صفة السمع، واليد، والبصر، والقدرة، والوجه، والأصابع، وغير ذلك ممّا ذكره الله **عَزَّجَلَّ** في كتابه والنبى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في سنته إلّا أنّنا لا نعرف سمعًا إلّا كسمع المخلوق، ولا بصرًا إلّا كبصر المخلوق، ولا يدًا إلّا كيد المخلوق، وهذا إلحادٌ لأنّهم مثّلوا الله **عَزَّجَلَّ** الكامل من كلّ وجه بالمخلوق الناقص.

النوع الخامس: إلحاد المشركين الكفار الذين يشتقّون آلِهتهم أسماءً من أسماء الله **عَزَّجَلَّ** كما صنع كفّار قريش حين سمّوا اللات واشتقّوه من اسم الإله، ومناة من المنان، والعزّى من العزيز.



النوع السادس: إلحاد النصارى والصوفية ومن إليهم الذين يُسمّون الله **عَزَّجَلَّ** بما لم يُسمَّ به نفسه، فيُسمّونه بالأب والابن والعلّة الفاعلة والعشق والعاشق واللذة وهكذا، وهذا إلحادٌ لأنّهم يُسمّون الله **عَزَّجَلَّ** بأسماء لم تأت في الكتاب والسنة وفيه قلة أدب مع الله **عَزَّجَلَّ** مع ما يؤدّي إليه من المعاني الباطلة.

النوع السابع: إلحاد المفوضة وهم الذين يقولون بأن أدلة الأسماء والصفات ليست لها معاني على ما تقدم.

والإلحاد جنابة عظيمة في حقّه **عَزَّجَلَّ**، قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وآيات الله منها الكوني والشرعي فالإلحاد في الآيات الكونية يكون بدعوى أنّ مع الله معين أو ظهير أو شريك والإلحاد في الآيات الشرعية يكون بالتكذيب والتحريف والردّ وغير ذلك فنسأل الله أن يرزقنا القبول والانقياد.

قال رحمه الله:

وَلَا يُكَيِّمُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفَّاءَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ.

فيه: أن أهل السنة يثبتون لله ما يليق بجلاله ولا يقولون إنّ صفات الله كصفات المخلوقين لأنّ الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ويقول: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

قال الطبري **رحمه الله:** والكُفُوُ والكُفَى والكِفَاء في كلام العرب واحد، وهو المثل والشّبه، ومنه قول نابغة بني ذبيان:

لَا تَقْذِفْنِي بِرُحْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ ❀ وَلَوْ تَأْتَفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفْدِ
يعني: لا كِفَاءَ له: لا مثل له. انتهى

ويقول عز وجل: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وهذا استفهام إنكاري وضابطه أنه بمعنى حرف النفي، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هل تعلم للرب مثلاً أو شبهاً.

وكذلك قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن جريج وغيرهم.
ويقول تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، قال أبو جعفر الطبري: والأنداد جمع ندّ، والندّ: العدل والمثل، كما قال حسان بن ثابت:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنْدٌ ❀ فَشَرُّكُمْ لِخَيْرِكُمْ الْفِدَاءُ
يعني بقوله: (ولست له بند)، لست له بمثل ولا عدل. وكل شيء كان نظيراً لشيء وله شبيهاً فهو له ند. انتهى هذه العبارات الثلاث (لا كفؤ، ولا سمّي ولا ند له) معانيها متقاربة.

وقوله: (لَا إِلَهَ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيٍّ لَهُ.. إلخ): تعليل لقوله عن أهل السنة لا يمثلون على ما تقدم.

قال رحمه الله:

وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الخطيب في "الفقيه والمتفقه": القياس على ضربين: ضرب منه في التوحيد، وضرب في أحكام الشريعة: فالقياس في التوحيد على ضربين: ضرب هو القياس الصحيح وهو: ما استدل به على معرفة الصانع تعالى وتوحيده، والإيمان بالغيب، والكتب، وتصديق الرسل، فهذا قياس محمود فاعله، مذموم تاركه والضرب الثاني من القياس في التوحيد: هو القياس المذموم الذي يؤدي إلى البدع والإلحاد، نحو تشبيه الخالق بالخلق، وتشبيه صفاته بصفات المخلوقين، ودفع قايسه ما أثبت الله تعالى لنفسه، ووصفته به رسله مما ينفية القياس بفعله وأما الضرب الثاني من الأصل

وهو المتعلق بأحكام الشريعة فهو على وجهين أيضًا: أحدهما: قياس الشيء على نظيره وشبيهه، فذلك محمود، والآخر: قياسه على غير نظيره وشبيهه، فذلك مذموم. انتهى

وقال ابن عبد البر في "جامع بيان العلم": لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السنة، وهم أهل الفقه والحديث في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الأحكام إلا داود بن علي بن خلف الأصفهاني ثم البغدادي ومن قال بقولهم، فإنهم نفوا القياس في التوحيد والأحكام جميعا، وأما أهل البدع فعلى قولين في هذا الباب سوى القولين المذكورين، منهم من أثبت القياس في التوحيد والأحكام جميعا، ومنهم من أثبت في التوحيد ونفاه في الأحكام. انتهى

والقياس في باب التوحيد ثلاثة أقسام:

(١) قياس الأولى: ومضمونة كل كمال ثبت للمخلوق وجاز أن يتصف الله به؛ فالله أولى به، وكل نقص تنزه عنه المخلوق، فالخالق أحق بالتنزه عنه.

قال شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ** كما في "المجموع" (١٢/٣٥٠): ولهذا كانت الطريقة النبوية السلفية أن يستعمل في العلوم الإلهية قياس الأولى، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، إذ لا يدخل الخالق والمخلوق تحت قضية كلية تستوي أفرادها، ولا يتماثلان في شيء من الأشياء، بل يعلم أن كل كمال لا نقص فيه بوجه ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص وجب نفيه عن المخلوق فالخالق أولى بنفيه عنه. اهـ

(٢) قياس التمثيل: وهو القياس الذي يستوي فيه الأصل والفرع والله منزّه عن هذا بل هذا النوع من الأقيسة في حقه كفر وضلال؛ لأن من مثل الله بخلقه كفر.



(٣) قياس الشمول: وهو الذي تستوي أفرادُه وضابطه عندهم الاستدلال بكلي على جزئي بواسطة اندراج ذلك الجزئي مع غيره تحت هذا الكلي، وهذا قياس باطل وضلال وكفر؛ لأنه يؤدي إلى مماثلة الخالق بالمخلوق.

قال شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ** كما في "المجموع" (٢٠٠/٥): ومعلوم أن كل كمال حصل للمخلوق فهو من الرب **عَزَّجَلَّ** وله المثل الأعلى، فكل كمال حصل للمخلوق فالخالق أحق به، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أحق أن ينزه عنه؛ ولهذا كان لله المثل الأعلى، فإنه لا يقاس بخلقه ولا يمثل بهم، ولا تضرب له الأمثال. فلا يشترك هو والمخلوق في قياس تمثيل بمثل؛ ولا في قياس شمول تستوي أفرادُه، بل: **﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** [الروم: ٢٧]. اهـ

فالواجب على المسلمين: أن يشبّثوا ما أثبتته الله **عَزَّجَلَّ** لنفسه وما أثبتته رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل مع إثبات الكمال المقدس لله **عَزَّجَلَّ**، وسيأتي بيان مذهب السلف الصالح في هذا الباب إن شاء الله تعالى. فكما أن القياس محرم في باب التوحيد والعقائد، ولا يجوز كذلك رد الأدلة بالأقيسة الفاسدة، فلا يجوز كذلك ضرب الأمثال الباطلة المخالفة للأدلة والتي تؤدي إلى ترك الحق والسنة، فما جاءك من أمر الله **عَزَّجَلَّ** وأمر رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فخذهِ واعمل به على ما جاء، سواء كان اعتقاداً، أو عملاً، من غير اتباع الهوى وضرب الأمثال الباطلة؛ فإن اتباع الأهواء سبب للضلال.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلاً، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

بيان وتعليل لصحة طريقة السلف في هذا الباب وغيره، حيث أخذوا العلوم من الكتاب والسنة، ومعلوم أن الوحي من الله تعالى، وهو أعلم بنفسه وبغيره، **فَالْهَيْبَانِي:**



﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، وهو تعالى أصدق قيلاً، وأحسن حديثاً قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٣٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً﴾ [النساء: ٨٧]، وهذا بيان من المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ إلى وجوب قبول خبر الله تعالى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ [مُصَدِّقُونَ]^(١).

أي: صادقون في أنفسهم، مصدوقون من ربهم ومليكمهم.
قال الهراس: وَبَيَّانُ ذَلِكَ أَنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا تَقْصُرُ دَلَالَتُهُ عَلَى الْمَعَانِي الْمُرَادَةِ مِنْهُ لِأَحَدٍ ثَلَاثَةِ أَسْبَابٍ: إِمَّا لِجَهْلِ الْمُتَكَلِّمِ وَعَدَمِ عِلْمِهِ بِمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَإِمَّا لِعَدَمِ فَصَاحَتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْبَيَانِ، وَإِمَّا لَكُذِبِهِ وَغِشِّهِ وَتَدْلِيلِهِ، وَنُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةُ بَرِيئَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فَكَلَامُ اللَّهِ وَكَلَامُ رَسُولِهِ فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ وَالْبَيَانِ؛ كَمَا أَنَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي الصِّدْقِ وَالْمُطَابَقَةِ لِلْوَاقِعِ؛ لِصُدُورِهِ عَنْ كَمَالِ الْعِلْمِ بِالنَّسَبِ الْخَارِجِيَّةِ، وَهُوَ كَذَلِكَ صَادِرٌ عَنْ تَمَامِ النُّصْحِ، وَالشَّفَقَةِ، وَالْحِرْصِ عَلَى هِدَايَةِ الْخَلْقِ وَإِرْشَادِهِمْ.

فَقَدْ اجْتَمَعَتْ لَهُ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي هِيَ عَنَاصِرُ الدَّلَالَةِ وَالْإِفْهَامِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ.
فَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِمَا يُرِيدُ إِخْبَارَهُمْ بِهِ، وَهُوَ أَقْدَرُهُمْ عَلَى بَيَانِ ذَلِكَ وَالْإِفْصَاحِ عَنْهُ، وَهُوَ أَحْرَصُهُمْ عَلَى هِدَايَةِ الْخَلْقِ، وَأَشَدُّهُمْ إِرَادَةً لِدَلِّكَ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقَعَ فِي كَلَامِهِ شَيْءٌ مِنَ النِّقْصِ وَالْقُصُورِ؛ بِخِلَافِ كَلَامِ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ نَقْصٍ فِي أَحَدٍ هَذِهِ الْأُمُورِ أَوْ جَمِيعِهَا، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُعَدَلَ بِكَلَامِهِ كَلَامَ غَيْرِهِ فَضْلاً عَنْ أَنْ يُعَدَلَ عَنْهُ إِلَى كَلَامِ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ غَايَةُ الضَّلَالِ، وَمُنْتَهَى الْخِذْلَانِ. انتهى

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١) وفي (ف): [مُصَدِّقُونَ]، قال ابن القاسم في الحاشية: في نسخة: [مُصَدِّقُونَ].

بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ.

أي: من أهل البدع والإلحاد والتعطيل والتمثيل فكل من ضلّ في هذا الباب فهو بسبب قوله بغير علم، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] وذلك بسبب بعدهم عن فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلِهَذَا قَالَ **رَحِمَهُ اللَّهُ:** ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٨٠].

قَوْلُهُ: (وَلِهَذَا قَالَ.. إلخ) تَعْلِيلٌ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ كَوْنِ كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ أَكْمَلَ صِدْقًا، وَأَتَمَّ بَيَانًا وَنُصْحًا، وَأَبْعَدَ عَنِ الْعُيُوبِ وَالْآفَاتِ مِنْ كَلَامِ كُلِّ أَحَدٍ. وَ(سُبْحَانَ) اسْمٌ مُصَدَّرٌ مِنَ التَّسْبِيحِ، الَّذِي هُوَ التَّنْزِيهِ وَالْإِبْعَادُ عَنِ الشُّوْءِ، وَأَصْلُهُ مِنَ السَّبَحِ، الَّذِي هُوَ السَّرْعَةُ وَالْإِنْطِلَاقُ وَالْإِبْعَادُ، وَمِنْهُ فَرَسٌ سَبُوحٌ؛ إِذَا كَانَتْ شَدِيدَةً الْعَدُو.

وَإِضَافَةُ الرَّبِّ إِلَى الْعِزَّةِ مِنْ إِضَافَةِ الْمَوْصُوفِ إِلَى صِفَتِهِ، وَهُوَ بَدَلٌ مِنَ الرَّبِّ قَبْلَهُ. أَفَادَهُ الْهَرَّاسُ

وكلمة (سبحان الله) يؤتى بها للتنزيه (سبحان ربك) أي: يُنْزَهُ رَبُّكَ **عَزَّوَجَلَّ** عَمَّا يصفه به المبطلون ولهذا جاء عن أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا صَعَدُوا كَبَرُوا وَإِذَا نَزَلُوا سَبَّحُوا، قَالَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَى ذَلِكَ: إِنَّ النُّزُولَ سُفْلَ وَاللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ** مَنْزَهُ عَنِ السُّفْلِ فَنَاسَبَ أَنْ يُنْزَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مُتَضَمِّنَةٌ لِنَفْيِ جَمِيعِ النِّقَاطِصِ عَنِ اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ** وَتُسْتَلْزَمُ إِثْبَاتُ جَمِيعِ الْمَحَامِدِ لِلَّهِ **عَزَّوَجَلَّ** لِأَنَّ نَفْيَ النِّقَاطِصِ يُلْزَمُ مِنْهُ إِثْبَاتُ الْمَحَامِدِ وَهِيَ ضِدُّ كَلِمَةِ الْحَمْدِ لِلَّهِ مِنْ نَاحِيَةِ التَّضَمُّنِ وَالْإِلْتِزَامِ فَكَلِمَةُ

الحمد لله تتضمن إثبات جميع المحامد لله **عَزَّوَجَلَّ** وتستلزم نفي جميع النقائص عن الله **عَزَّوَجَلَّ**.

وأضاف الله تعالى الربوبية إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهي ربوبية خاصة تقتضي معنى أخص وهو العناية والتوفيق والتسديد والحفظ، والربوبية العامة يدخل فيها البر والفاجر والمؤمن والكافر.

* ونذكر هنا للفائدة بعض المواطن التي يُشرع فيها التسبيح:

فمنها في دبر الصلاة، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقَالُوا ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالْذَّرَجَاتِ الْعُلَا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحْجُونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ وَيُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يَذَرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ وَكُتِبَتْ خَيْرٌ مِنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتُحَمِّدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا فَقَالَ بَعْضُنَا نُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَنُحَمِّدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ تَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمْ كُلُّهُمْ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ»، رواه البخاري (٨٤٣) ومسلم (٥٩٥).

ومنها في الركوع وفي السجود، لحديث حذيفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٧٧٢)، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا. ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مِثْرَسًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ». فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ». ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ثُمَّ

سَجَدَ فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى». فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. قَالَ وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ فَقَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ».

ومنها عند النوم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٣٠) ولفظه عند مسلم (٢٧١٤)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ وَلْيُسِّمِ اللَّهَ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلْفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجَعَ فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ وَلْيَقُلْ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاعْفِرْ لَهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ».

ومنها عند النزول، لحديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا»، رواه البخاري (٢٩٩٣).

ومنها عند رؤية سماع ما يُتَعَجَّبُ منه، فعن عَائِشَةَ أَنَّ أَسْمَاءَ سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ فَقَالَ: «تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَتَسِدُّهَا فَتَطَهَّرُ فَتُحَسِّنُ الطُّهُورَ ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهَا ذَلِكَ شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ شُؤْنَ رَأْسِهَا ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ. ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا». فَقَالَتْ أَسْمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِينَ بِهَا». فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ تَتَبَّعِينَ أَثَرَ الدَّمِ. وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ فَقَالَ: «تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهَّرُ فَتُحَسِّنُ الطُّهُورَ - أَوْ تُبْلِغُ الطُّهُورَ - ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهَا حَتَّى تَبْلُغَ شُؤْنَ رَأْسِهَا ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ». فَقَالَتْ عَائِشَةُ نَعَمْ السَّاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ، رواه مسلم (٣٣٢).

وعند أن يذكر الله عَزَّوَجَلَّ بسوء، قَالَ النَّبِيُّ: «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ» [الصفات: ١٨٠]، أَي يُنَزِّهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْ هَذَا وَهِيَ مِنْ أَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ وَمِنْ أَثْقَلِ

الكلام في الميزان، قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤)، وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٦٥٨٣) قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصُّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَةً، فَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ».

وقوله: (رب العزة) أي الموصوف بالعزة وقد جاء في الحديث: «اجْعَلْ يَدَكَ الْيُمْنَى عَلَيْهِ-أي الوجود- وَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ، وَأُحَازِرُ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَقُلْتُ ذَلِكَ، فَشَفَانِي اللَّهُ»، أخرجه ابن ماجه (٣٥٢٢) واللفظ له، وأبوداود (٣٨٩١)، وأحمد (١٦٢٦٨)، من حديث عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصله في مسلم ومن المعلوم أن الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله لا يجوز، فكانت الاستعاذة هنا بالله عَزَّوَجَلَّ وبصفته وفي يمين إبليس: «قَالَ فِعِزَّتِكَ لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» [ص: ٨٢]، وفي يمين أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٢٧٩)، وهي صفة يتضمَّن اسم العزيز وهي بمعنى مقارب لمعنى القوة فالله عَزَّوَجَلَّ القويَّ صاحب العزة الموصوف بها.

وقوله: (عما يصفون) أي عَمَّا يصفه به المخالفون للرسول من قولهم إنَّ له صاحبة وولداً ويدخل في ذلك من ينكر أسماء الله وصفاته وقوله عما يصفون لكثرة المخالفين في هذا الباب.



قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ١٨١]..

قوله: (وسلام) دعاء بالسلامة والله هو السلام، ولما خلق الله عَزَّجَلَّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «أَذْهَبَ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيِيكَ تَحِيَّتَكَ وَتَحِيَّةَ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٣٢٦) ومسلم (٢٨٤١)، وفي الحديث: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»، من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٥٩١)، وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا صَلَّوْا خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فَلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ»، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه البخاري (٧٣١) و(٨٣٥) و(٦٢٣٠) و(٦٣٢٨) و(٧٣٨١)، ومسلم (٤٠٢).

وقوله: (على المرسلين) المراد بهم من أرسل الله عَزَّجَلَّ وأوحى إليهم بشرع ويُرسل إلى قوم مخالفين على ما تقدّم، ثم إنهم قد جمعوا لكونهم قد اتفقوا في باب العقائد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨] وعن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنَا أَوَّلَى النَّاسِ بِعِيسَى الْأَنْبِيَاءِ أَبْنَاءِ عَلَاتٍ وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى نَبِيٌّ» أخرجه مسلم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :



﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ١٨٢].

حمد نفسه سبحانه لما له من نعوت الجلال، والكمال، والجمال، والعظمة، وهو سبحانه المتصف بالكمال المقدس من كل وجه، وهو سبحانه يحب المدح ففي عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهِ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفِحٍ عَنْهُ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحَةُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ». أخرجه مسلم (١٤٩٩)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ». أخرجه البخاري (٤٦٣٤)، ومسلم (٢٧٦٠).

قال أبو جعفر الطبري: قد مضى البيان عن تأويل اسم الله الذي هو (الله)، في (بسم الله)، فلا حاجة بنا إلى تكراره في هذا الموضع.

وأما تأويل قوله: (رَبِّ)، فإنَّ الرَّبَّ في كلام العرب منصرفٌ على معان: فالسيد المطاع فيها يدعى ربًّا، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة:

وَأَهْلَكُنْ يَوْمَارَبَّ كِنْدَةَ وَابْنَهُ ❀ وَرَبَّ مَعَدٍّ بَيْنَ خَبْتٍ وَعَزَعَرٍ

يعني: ربَّ كندة: سيد كندة. ومنه قول نابغة بني ذبيان:

تَحُبُّ إِلَى النُّعْمَانِ حَتَّى تَنَالَهُ ❀ فِدَى لَكَ مِنْ رَبِّ طَرِيفِي وَتَالِدِي

والرجل المصلح للشيء يُدعى ربًّا. انتهى

كل ما سوى الله عالم والعالمون جمع عالم، والعالم: جمع لا واحد له من لفظه، كالأنام والرهط والجيش، ونحو ذلك من الأسماء التي هي موضوعات على جماع لا واحد له من لفظه.

وقوله: ({ الْعَالَمِينَ }): العالم اسم لأصناف الأمم، وكل صنف منها عالم، وأهل كل قرن من كل صنف منها عالم ذلك القرن وذلك الزمان. فالإنس عالم، وكل أهل زمان منهم عالم ذلك الزمان. والجن عالم، وكذلك سائر أجناس الخلق، كل جنس منها عالم زمانه. ولذلك جمع فقيلاً: عالمون، وواحد جمع، لكون عالم كل زمان من ذلك عالم ذلك الزمان. ومن ذلك قول العجاج:

(فَخِنْدَفٌ هَامَةٌ هَذَا الْعَالَمِ)

فجعلهم عالم زمانه. وهذا القول الذي قلناه، قول ابن عباس وسعيد بن جبير، وهو معنى قول عامة المفسرين. انتهى

قال رحمه الله:

فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالَفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

أي: نزه نفسه عما وصفه به المخالفون في هذا الباب ولأن قولهم متضمن للتعطيل والتمثيل والتحريف والتأويل بما يؤدي إلى تمثيل الله **عَزَّوَجَلَّ** بالجمادات والمتناقضات.

قوله: (وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ): سلم على المرسلين لسلامة طريقهم وسلامة ما قالوه، فالمرسلون أعلم الناس بالله تعالى والمبلغون وحيه وتنزيله، فطريقهم هو السبيل القويم، والطريق المستقيم الذي من خالفه مخطأ زل ومن خالفه متعمدا ضل.

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ "فتح القدير": ثم نَزَّ سبحانه نفسه عن قبيح ما يصدر منهم، فقال: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٨٠] العِزَّة: الغلبة، والقوة، والمراد: تنزيهه عن كل ما يصفونه به مما لا يليق بجناحه الشريف، ورب العِزَّة بدل من ربك.

ثم ذكر ما يدل على تشريف رسله، وتكريمهم، فقال: ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ١٨١] أي: الذين أرسلهم إلى عباده، وبلغوا رسالاته، وهو من السلام الذي هو: التحية. وقيل: معناه: أمن لهم، وسلامة من المكاره: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ١٨٢] إرشاد لعباده إلى حمده على إرسال رسله إليهم مبشرين، ومنذرين، وتعليم لهم كيف يصنعون عند إنعامه عليهم، وما يثنون عليه به. وقيل: إنه الحمد على هلاك المشركين، ونصر الرسل عليهم، والأولى أنه حمد لله سبحانه على كل ما أنعم به على خلقه أجمعين كما يفيد حذف المحمود عليه، فإن حذفه مشعر بالتعميم كما تقرّر في علم المعاني، والحمد هو: الثناء الجميل بقصد التعظيم. انتهى

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - قَدْ جَمَعَ فِيهَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

أي: جمع الله تعالى بين النفي والإثبات لأن النفي وحده عدم والعدم ليس بشيء والإثبات وحده لا يمنع المشاركة ويشترط في الصفات المنفية أو السلبية أن تكون متضمنة لكمال الضدّ، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، لكمال قوّته، وقال الله عَزَّجَلَّ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، لقيوميّته وحياته، وقال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، لكمال علمه وقدرته فكلّ صفة سلبية دلّ عليها القرآن والسنة تتضمن كمال

الضدّ، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، لكمال عدله، والصفات المنفية يشترط فيها أمران:

الأوّل: دلالة الكتاب والسنة على ذلك.

الثاني: أن لا يكون النفي محضاً، ولهذا قال بعض الشعراء يهجو قبيلته:

فُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ ❀ وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
وقال الآخر:

وإِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ ❀ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
لأنهم لا يستطيعون الشرّ أصلاً، وإلا لو كان الإنسان يستطيع الشرّ وتركه، يكون مدحا في حقه، فصفات الله **عَزَّوَجَلَّ** الثبوتية تدلّ على الكمال، السمع والبصر والقدرة والإرادة، وصفات الله المنفية تتضمّن كمال الضدّ.

ومن هذا علم أن الصفات تنقسم إلى قسمين:

❀ **القسم الأول صفات ثبوتية**: وهي ما أثبتّه الله **عَزَّوَجَلَّ** لنفسه وما أثبتّه له رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهي منقسمة إلى ثلاثة أقسام:

الأوّل: صفات ثبوتية معنوية: كالعلم، والقدرة، والسمع، وغير ذلك.

الثاني: صفات ثبوتية خبرية: كالوجه، واليدين، والساق، والساعد، وغير ذلك.

الثالث: صفات فعلية: كالغضب، والرضا، والسخط، وغير ذلك. وهي المتعلقة بمشيئة الله **عَزَّوَجَلَّ**.

❀ **القسم الثاني صفات منفية**: وهو ما نفاه الله **عَزَّوَجَلَّ** عن نفسه ونفاه عنه رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مع اعتقاد أن هذه الصفات تتضمّن كمال الضدّ.



*** فائدة:** الأصل وصف الله **عَزَّجَلَّ** بالصفات الثبوتية لأن الصفات الثبوتية كمال فكلما تعددت وتنوعت ظهر من كمال الله **عَزَّجَلَّ** ما لم يكن ظاهرًا من قبل بينما الصفات المنفية يؤتى بها في حق الله **عَزَّجَلَّ** لثلاثة أمور:

الأول: لدفع توهم نقص كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، لما أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام قد يتوهم متوهم ممن لم يعرف قدرة الله **عَزَّجَلَّ** أن الله إنما خلق السموات والأرض في هذه الأيام لعجز أو تعب كما قالت اليهود إنه استراحه في اليوم السابع فقال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ .

الثاني: دفع ما ادّعاه في حقه المبطلون كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، لما زعموا أن له ولد وأن له صاحبة قال سبحانه: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١].

الثالث: لبيان عموم الكمال في مثل قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال تعالى: ﴿هَلْ نَعْمَرُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

قال رحمه الله:

فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُرْسَلُونَ.

العدول هنا بمعنى: أي فلا ميل ولا إنحراف، أي تميلون، لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، ثم هو لا يساون شيئًا بما جائتهم به الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- عن الله تعالى، وفي هذا بيان لأهمية المتابعة للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في كل ما جل ودق وكبر وصغر، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، قال الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وَقَالَ نَبِيُّ ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وَقَالَ نَبِيُّ ﷺ: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وَقَالَ نَبِيُّ ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وَقَالَ نَبِيُّ ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: (اتَّبِعُوا، وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفَيْتُمْ، كُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ).
وَعَنْ أَبِي الصَّلْتِ قَالَ: كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقَدَرِ فَكَتَبَ أَمَّا بَعْدُ أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالْإِقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ وَاتَّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَتَرْكِ مَا أَحَدَثَ الْمُحَدِّثُونَ بَعْدَ مَا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ وَكُفُّوا مُؤَنَّتَهُ فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ فَإِنَّهَا لَكَ بِإِذْنِ اللَّهِ عِصْمَةٌ ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَتَدَّعِ النَّاسُ بَدْعَةً إِلَّا قَدْ مَضَى قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا أَوْ عِبْرَةٌ فِيهَا فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا وَلَمْ يَقُلْ ابْنُ كَثِيرٍ مَنْ قَدْ عَلِمَ مِنَ الْخَطِئِ وَالزَّلَلِ وَالْحُمُقِ وَالتَّعَمُّقِ فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ فَإِنَّهُمْ عَلَى عِلْمٍ وَقَفُوا وَبَصَّرُوا نَافِذِ كُفُّوا وَهُمْ عَلَى كَشْفِ الْأُمُورِ كَانُوا أَقْوَى وَبِفَضْلِ مَا كَانُوا فِيهِ أَوْلَى فَإِنْ كَانَ الْهُدَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ وَلَيْنَ قُلْتُمْ إِنَّمَا حَدَّثَ بَعْدَهُمْ مَا أَحَدَّثَهُ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ هُمُ السَّابِقُونَ فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِي وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي فَمَا دُونَهُمْ مِنْ مَقْصَرٍ وَمَا فَوْقَهُمْ مِنْ مَحْسَرٍ وَقَدْ قَصَرَ قَوْمٌ دُونَهُمْ فَجَفَّوْا وَطَمَحَ عَنْهُمْ أَقْوَامٌ فَعَلَوْا وَإِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ كَتَبْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْإِفْرَارِ بِالْقَدَرِ فَعَلَى الْخَيْرِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَعْتَ

مَا أَعْلَمُ مَا أَحَدَتِ النَّاسُ مِنْ مُحَدَّثَةٍ وَلَا ابْتَدَعُوا مِنْ بَدْعَةٍ هِيَ أَبِينُ اثْرًا وَلَا أَثْبَتُ أَمْرًا مِنْ الْإِفْرَارِ بِالْقَدَرِ لَقَدْ كَانَ ذِكْرُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجُهَلَاءِ يَتَكَلَّمُونَ بِهِ فِي كَلَامِهِمْ وَفِي شَعْرِهِمْ يُعْزُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا فَاتَهُمْ ثُمَّ لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا سَلَامٌ بَعْدُ إِلَّا شِدَّةً وَلَقَدْ ذَكَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ وَلَا حَدِيثَيْنِ وَقَدْ سَمِعَهُ مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ فَتَكَلَّمُوا بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ يَقِينًا وَتَسْلِيمًا لِرَبِّهِمْ وَنَضْعِيفًا لَأَنْفُسِهِمْ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ لَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمُهُ وَلَمْ يُحْصِ كِتَابُهُ وَلَمْ يَمُضِ فِيهِ قَدْرُهُ وَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَفِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ مِنْهُ اقْتَبَسُوهُ وَمِنْهُ تَعَلَّمُوهُ وَلَكِنْ قُلْتُمْ لِمَ أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةً كَذَا لِمَ قَالَ كَذَا لَقَدْ قَرَأُوا مِنْهُ مَا قَرَأْتُمْ وَعَلِمُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا جَهِلْتُمْ وَقَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ بِكِتَابٍ وَقَدَرٍ وَكُتِبَتِ الشَّقَاوَةُ وَمَا يُقَدَّرُ يَكُنْ وَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَلَا نَمْلِكَ لِأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ثُمَّ رَغَبُوا بَعْدَ ذَلِكَ.

قال رحمه الله:

فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالصَّادِقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ.

هذه الفقرة تعليل لقوله: (فلا عدول لأهل السنة) فهذا هو السبب الذي يلزم به أهل السنة طريق السلف، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، والصراط المستقيم هو الكتاب والسنة ولا يكون إلا واحدا قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال عز وجل: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ⑦ صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑧ [الفاتحة: ٦-٧]، فالصراط كما قال ابن القيم رحمه الله يتضمن خمسة شروط: أن يكون مستقيماً، وأن يوصل إلى المطلوب، وأن يكون واسعاً، وأن يكون مسلوفاً وأن يكون سهلاً.

والصراط ينقسم إلى قسمين:

١- صراط حسّي.

٢- وصراط معنوي.

فأما الصراط الحسّي فهو الجسر الممدود على متن جهنّم يجوزه المؤمنون يوم القيامة، وأما الصراط المعنوي فهو الإسلام كما في حديث النّوّاس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، (١٧٦٣٤) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْهِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرَخَّاءٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلْجُهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ: مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ».

فمن سلم على الصراط المعنوي سلم على الصراط الحسّي ومن انحرف عن الصراط المعنوي انحرف عن الصراط الحسّي بقدر انحرافه.

قوله: (أنعم عليهم) بالإسلام، كما **قَالَ نَسَائِي**: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية، في أحكام الدين أصوله وفروعه.

فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره، فهو جاهل، مبطل في دعواه، قد زعم أن



الدين لا يكمل إلا بما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله، ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ الظاهرة والباطنة، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أي: اخترته واصطفيته لكم ديناً، كما ارتضيتكم له، فقوموا به شكراً لربكم، واحمدوا الذي منَّ عليكم بأفضل الأديان وأشرفها وأكملها. انتهى

قوله: (من النبيين) من لبيان الجنس لا للتبعض فكل رسل الله تعالى وأنبيائه منعمٌ عليهم، ويدخل في الآية المرسلون دخولاً أولياً لأنهم أفضل من الأنبياء ولأن كل رسول نبي ولا عكس.

قوله: (الصدّيقين) وهم: الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، فعلموا الحق وصدقوه بيقينهم، وطبقوه قولاً وعملاً وحالاً وقالوا وهم أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صديقاً وقال تعالى في مريم عليها السلام: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: و(الصدّيقة) (الفعلية)، من (الصدق)، وكذلك قولهم: (فلان صدّيق)، (فِعِيل) من (الصدق)... وقد قيل إن (أبا بكر الصدّيق) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما قيل له: (الصدّيق) لصدقه. وقد قيل: إنما سمي (صديقاً)، لتصديقه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسيره في ليلة واحدة إلى بيت المقدس من مكة، وعوده إليها. انتهى

قوله: (الشهداء) جمع (شهيد)، وهم من قُتل في سبيل الله، وذروتهم من قُتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى وفي البخاري (٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤) عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً أَيْ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ قَاتَلَ لِنُكُونِ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

وفي مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٩١٥). عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا تَعُدُّونَ الشَّهيدَ فِيكُمْ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شهيدٌ، قَالَ:



«إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيتُ»، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونَ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبُطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ»، قَالَ ابْنُ مِقْسَمٍ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِيكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ: «وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ».

وقوله: (الصالحين) جمع (صالح)، وهو كل من صلحت سريره وعلايته، وهو القائم بحدود الله تعالى وحقوق العباد ويشملهم قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢] مع تفاوت بينهم.

قال رحمه الله:

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ.

هذا شروع من المصنف **رحمه الله** في سوق بعض الأدلة مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل هو **عَزَّوَجَلَّ** ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وهنا قواعد أذكرها قبل الشروع في التفصيل:

القاعدة الأولى: الله **عَزَّوَجَلَّ** موصف بما وصف به نفسه في كتابه الكريم وما صح عن نبيه محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الصادقين الأمين، وبيان ذلك أن أسماء الله **عَزَّوَجَلَّ** توقيفي يُتوقف في أثبتها على الكتاب والسنة الصحيحة؛ لأنه لا يعرف كيف الله إلا الله **عَزَّوَجَلَّ**، وقد أوحى الله **عَزَّوَجَلَّ** بذلك إلى محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وقد تقدم شيء من ذلك.

والدليل على هذه القاعدة: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿[الأعراف: ٣٢].

القاعدة الثانية: يجب على جميع المسلمين أن ينقادوا للكتاب والسنة، ولا سيما في هذا الباب، فما أثبتته الله **عَزَّجَلَّ** ورسوله صلى الله عليه وسلم أثبتناه، وما نفاه الله **عَزَّجَلَّ** ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** نفيناه، والدليل قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]. ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ومثال الإثبات: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. فنثبت لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** السمع والبصر.

ومثال النفي: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فينزه الله **عَزَّجَلَّ** عن النوم، ومقدماته لكمال قيوميته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ ولأنه نفى ذلك عن نفسه. وهنا تنبيه يعرف بالقاعدة الثالثة.

القاعدة الثالثة: عند الإثبات والنفي يجب التخلي من محاذير تجر إلى الباطل والضلال وتجر إلى الزيغ والانحراف.

أولاً: عند الإثبات: الحذر كل الحذر من التكيف والتمثيل، والتكيف: أن تتخيل لصفة الله **عَزَّجَلَّ** كيفية وهيئة، فإن اقترن هذا التكيف بشيء موجود كان تمثيلاً، وإن لم يقترن كان تكيفاً، والتكيف والتمثيل من أعظم الإلحاد في أسماء الله وصفاته، فالله تعالى يقول: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، ويقول سبحانه: ﴿هَلْ نَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ويقول تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. وفي أثر نعيم بن حماد شيخ البخاري: (من شبه الله بخلقه كفر).



ويجب أن نؤمن أن لصفات الله **عَزَّجَلَّ** كيفية وحقيقة لكننا نجهلها؛ لأنها لا تعلم كيفية الشيء إلا بالنظر إليه أو إلى مثيله، أو يحدثك من رآه عنه، وكل هذه متفية في حق الله تعالى.

وعند التنزيه يجب التخلي من محذورين:

الأول: التعطيل، **والثاني:** التحريف.

والتعطيل في اللغة: هو التفرغ، **وفي الاصطلاح:** هو تعطيل الله **عَزَّجَلَّ** من معاني الصفات. والتحريف: هو الميل، وفي الاصطلاح: يكون التحريف إما بتغيير اللفظ بزيادة أو نقصان أو بهما أو تغيير المعنى.

ومن هذه الأمثلة المحذورة قول القائل: يد الله كيدي، فهذا باطل وكفر، أو قوله: يد الله **عَزَّجَلَّ** كذا وكذا على كيفية ليست كالمخلوقات نقول: وهذا باطل، وكفر وحرام؛ لأنك تقول على الله ما لا تعلم.

ومن أمثلتها في باب التحريف والتعطيل أن يقول القائل: يد الله، هي نعمته، نقول: هذا باطل وحرام وكفر؛ لأنك صرفت اللفظ عن ظاهره الذي أرداه الله **عَزَّجَلَّ**، وهو إثبات اليد لله سبحانه يداً تليق بجلاله لا تماثل صفات المخلوقين؛ إذ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

القاعدة الرابعة: كل اسم من أسماء الله يتضمن صفة: كقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، فاسم الحي يتضمن صفة الحياة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، وكقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] يتضمن اسم السميع صفة السمع واسم العليم صفة العلم؛ لأن أسماء الله أعلام وأوصاف، ولهذا كانت حسنى تدل على الذات وتدل على الوصف.



القاعدة الخامسة: كل فعل إضافة لله **عَزَّجَلَّ** إلى نفسه يشتق منه صفة كقوله: ﴿قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى﴾ [آل عمران: ٥٥]، وكقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] فنثبت لله صفة الكلام كما يليق بجلاله وكقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ﴾ الحديث في الصحيحين البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فنثبت لله **عَزَّجَلَّ** صفة النزول كما يليق بجلاله.

القاعدة السادسة: ما أضيف إلى الله **عَزَّجَلَّ** من المعاني التي تقوم بغيرها كالوجه والعين والكلام واليد وغير ذلك، فهو إضافة صفة إلى موصوف، وما أضيف إلى الله **عَزَّجَلَّ** من المعاني التي تقوم بنفسها فإضافتها إلى الله إضافة خلق أو ملك كناية الله **عَزَّجَلَّ**.

القاعدة السابعة: كل دليل يدل على وصف الله **عَزَّجَلَّ** فإنه يبقى على ظاهره المتبادر للسان العربي، والفترة السليمة المستقيمة ولا يجوز تحريفه؛ لأن هذا من الإلحاد الذي حرمه الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومعلوم أن الله **عَزَّجَلَّ** أنزل القرآن: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] فصرف اللفظ من المعاني الحقة إلى معاني باطلة يعتبر جناية على القرآن وعلى رب العالمين.

القاعدة الثامنة: ليُعلم أن المتصف بالصفات أكمل من الذين لا صفات له، فلا يعقل أن يكون المخلوق المربوب الضعيف المحتاج يسمع ويصبر ويعلم ويقدر، والله **عَزَّجَلَّ** معطل عن ذلك، بل يثبت لله **عَزَّجَلَّ** الكمال اللائق به مما أثبتته لنفسه وما أثبتته له رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

القاعدة التاسعة: لسنا أحرص من السلف رضوان الله عليهم، فهم قد أثبتوا لله **عَزَّجَلَّ** ما أثبتته لنفسه، وما أثبتته له رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من غير تحريف ولا تعطيل ولا

تكيف ولا تمثيل، فلا يلبس علينا شياطين الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، والقرامطة والفلاسفة بشبه أوهى من خيط العنكبوت.

(وَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفَ)

القاعدة العاشرة: طريقة السلف أعلم وأحكم، فالسير عليها في جميع جوانب الحياة فما من خير إلا وسبقونا إليه، وما من شر وضير إلا وحذرونا منه، وقديماً قيل: عليك بآثار السلف وإن كرهك الناس.

القاعدة الحادية عشرة: الله عَزَّوَجَلَّ أنزل القرآن وذكر فيه صفاته وأسمائه وذكر فيه الأحكام وغير ذلك، وكل هذه الآيات تُتلى على العالم والجاهل والذكر والأنثى، فليبلغ دين الله الحق وخصوصاً في هذا الباب.

القاعدة الثانية عشرة: أن القول في بعض الصفات كالقول في الصفات الأخرى، وهذه القاعدة رد على الأشاعرة الذين يشبّون الله عَزَّوَجَلَّ سبع صفات وهي: حي، مرئد، قادر، علام له السمع والبصر والكلام، زاعمين أن هذه دل عليها العقل، فيلزمهم أن يشبّوا الله عَزَّوَجَلَّ هذه الصفات التي دل عليها الشرع والعقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح والعقل يعتبر في هذا الباب منقاداً لا قائداً.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ.

جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند مسلم (٨١٢) عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**احْشُدُوا، فَإِنِّي سَاقِرٌ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَأَ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أَرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،



فَقَالَ: «إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ غَيْرِ هَذَا.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُؤْمَهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ افْتَسَحَ: يَقُلُ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَضَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَإِمَّا تَقْرَأُ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدْعَهَا، وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَوْمَكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يُؤْمَهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا آتَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ» فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُهَا، فَقَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَذْخَلَكَ الْجَنَّةَ»، الْبُخَارِيُّ (١/ ١٥٥).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِهِ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَضَعُ ذَلِكَ»، فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: (لَأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا)، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٣٧٥) مُعَلَّقًا، وَمُسْلِمٌ (٨١٣).

وَجَاءَ فِي فَضْلِهَا أَحَادِيثُ مِنْهَا حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٥٠١٣) أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يَرُدُّدَهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ».



وفي صحيح مسلم (٨١١) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَيَعِزُّكُمْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ».

وعند أحمد (١٠٩١٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى خَتَمَهَا، فَقَالَ: «وَجَبَتْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «الْجَنَّةُ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ فَأُبَشِّرُهُ، فَأَثَرْتُ الْغَدَاءَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَرِقْتُ أَنْ يَقُوتَنِي الْغَدَاءَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الرَّجُلِ فَوَجَدْتُهُ قَدْ ذَهَبَ.

وسُمِّيت سورة الإخلاص لخلوصها ودلالاتها على التوحيد، ودلالاتها على توحيد الأسماء والصفات أصرح وأظهر وهي دالة على جميع أنواع التوحيد الثلاثة، فقله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، لفظ الجلالة (الله) مشتق من الإله فهو دال على توحيد الألوهية و(الأحد) كذلك دال على إفراد الله عزَّجَلَّ سواء في باب الألوهية أو في باب الربوبية أو في باب الأسماء والصفات ودلَّت على الأسماء والصفات لأنَّها تضمَّنَت أسماء وصفات على ما يأتي بيانه موضحاً إن شاء الله عزَّجَلَّ وسورة الكافرون تُسمَّى أيضاً بسورة الإخلاص حتى ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في التدمرية أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقرأ بسورتي الإخلاص في المغرب، وجاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند النسائي (٩٩٢)، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَمَقْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرِينَ مَرَّةً، يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَفِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ.

وجاء في الصحيح أنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يقرأهما في الفجر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَرَأَ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. رواه مسلم (٧٢٦).

وفي الطواف جاء عن جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (١٢١٨) قال: كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَمَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا.

وهكذا صحَّ عن أَبِي بِن كعب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند النسائي (١٦٩٩)، أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كَانَ يُوتِرُ بِثَلَاثِ رَكَعَاتٍ، كَانَ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى بِسَبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَفِي الثَّانِيَةِ بِـ {قُلْ يَتَّيُّهَا الْكَافِرُونَ} ، وَفِي الثَّالِثَةِ بِـ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} .

فـ {قُلْ يَتَّيُّهَا الْكَافِرُونَ} أَخْلَصَتْ تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ، وَ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} خَلَصَتْ تَوْحِيدَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَاسْتَدَلَّ شَيْخُ الْإِسْلَام **رَحِمَهُ اللَّهُ** بهاتين السورتين عَلَى أَنَّ أَصْلِي التَّوْحِيدِ هُوَ بَابُ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِثْبَاتِ وَهَذَا مُتَعَلِّقٌ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَيَدْخُلُ فِيهِ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ أَيُّ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْأَصْلُ الثَّانِي تَوْحِيدُ الشَّرْعِ وَالْقَصْدُ وَالطَّلَبُ وَيَدُلُّ عَلَيْهَا: ﴿قُلْ يَتَّيُّهَا الْكَافِرُونَ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢﴾ [الكافرون: ١-٢].

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

أي: قل يا محمد، فالأمر للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أمر لأُمَّتِهِ، وجاء في سبب نزولها ما لا يثبت، ومنه: ما أخرجه أحمد (٢١٢١٩) الترمذي (٣٣٦٤) وغيرهما من طريق أبي جَعْفَرِ الرَّازِيِّ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنِ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أَبِي بِن كَعْبٍ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: يَا مُحَمَّدُ، انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤﴾

[الإخلاص: ١-٤]. وأخرجه الترمذي (٣٣٦٥) من طريق عبيد الله بن موسى، والطبري (٣٤٣/١) من طريق مهران بن أبي عمر العطار، والعقيلي (١٤١/٤) من طريق أبي النضر هاشم بن القاسم، ثلاثتهم عن أبي جعفر، به مراسلاً. وقال: هذا أصح من حديث أبي سعد. قلنا: وهو ضعيف أيضاً لضعف أبي جعفر الرازي.

وقوله: (الله) اسم الله **عَزَّجَلَّ** علم على الذات العلية وهو متضمن لصفة الألوهية ويستلزم إثبات جميع صفات الجلال والكمال والعظمة والكبرياء وهو من الأسماء الخاصة بالله **عَزَّجَلَّ** وهو الاسم الأعظم على ما تقدم.

وقوله: (أحد) من أسماء الله الحسنى وهو يتضمن صفة الأحدية التي تمنع المشاركة والمماثلة، وهو بمعنى الواحد، قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهٌُ وَحِدٌ لَا إِلَهَ﴾ [البقرة: ١٦٣]، قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ﴾ [الرعد: ١٦]، في البخاري (٤٩٧٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْتًا أَحَدٌ».

في سنن أبي داود (٩٨٥) عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ عَلِيٍّ، أَنَّ مِجْنَنَ بْنَ الْأَدْرَعِ، حَدَّثَهُ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ، وَهُوَ يَتَشَهَّدُ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ الْأَحَدَ الصَّمَدَ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، قَالَ: فَقَالَ: «قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ» ثلاثاً.



قال رحمه الله:

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢].

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (الصَّمَدُ) يقول: السيد الذي قد كُمل في سُؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته، لا تنبغي إلا له.. أخرج الطبري فاسم الصمد من الأسماء الحسنى العظيمة المتضمنة لصفة الصمدية المتضمنة لنفي جميع النقائص، والمستلزمة لإثبات جميع صفات الكمال لله عز وجل.
في سنن أبي داود (١٤٩٣) عن بُريدة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ:
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالْإِسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ».

قال رحمه الله:

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

أي: لم يكن له ولد ولم يكن له والد وفي هذا بيان لما عليه أهل الحق من تنزيه الله تعالى عن مماثلة الخلق وفيه ردٌّ على النصارى ومن قال بقولهم من الضالين، وهذه من الصفات المنفية وقد تقدّمت القاعدة وأنه يُثبت بها كمال الضدّ وهو هنا كمال حياته وقيوميته.

وهذا كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ

الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ
الْأَرْضُ وَخِزُّ الْجِبَالِ هَذَا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا
﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ
عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ عِندَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ [مريم: ٨٨-٩٥]، وَقَالَ نَبِيُّ ﷺ: ﴿وَقَالُوا
أَتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٩٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ
بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، وَقَالَ نَبِيُّ ﷺ: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ
عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿٩٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الصفات: ١٥٨-١٥٩]. وَفِي
صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: «لَا أَحَدٌ أَضْبَرُ عَلَى أَذَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ
يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ» وقد تقدم.

قال رحمه الله:

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ولم يكن له شبهه
ولا مثل وقال آخرون: معنى ذلك، أنه لم يكن له صاحبة. والصحيح الأول قال
الطبري: والكُفُوُ والكُفَى والكِفَاء في كلام العرب واحد، وهو المثل والشبه؛ ومنه قول
نابغة بني ذبيان:

لَا تَقْذِفْنِي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ ❀ وَلَوْ تَأْتَفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفْدِ

يعني: لا كِفَاءَ له: لا مثل له. انتهى

فلم يكن له مثل ولن يكون لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته، قال الله تعالى:
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ
سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، وقال الله
تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠].

قال السعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: فإن قوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] أي: الله متفرد بالعظمة والكمال، ومتوحد بالجلال والجمال والمجد والكبرياء، يحقق ذلك قوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢] أي: الله السيد العظيم الذي قد انتهى في سؤدده ومجده وكماله، فهو العظيم الكامل في عظمته، العليم الكامل في علمه، الحكيم الكامل في حكمه، فهو الكامل في جميع نعوته وأسمائه وصفاته، ومن معاني الصمد أنه الذي تصمد إليه الخلق كلها وتقصده في جميع حاجاتها ومهماتا، فهو المقصود، وهو الكامل المعبود. فإثبات الوحدانية لله ومعاني الصمدية كلها يتضمن إثبات تفاصيل جميع الأسماء الحسنى والصفات العلي، فهذا أحد نوعي التوحيد، وهو الإثبات وهو أعظم النوعين، والنوع الثاني: التنزيه لله عن الولادة والند والكفو والمثل، وهذا داخل في قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [التنزيل: ٢] **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** [الإخلاص: ٣-٤]، أي: ليس له مكافئ ولا مماثل ولا نظير، فمتى اجتمع للعبد هذه المقامات المذكورة في هذه السورة، بأن نزه الله وقده عن كل نقص وند وكفو ومثل، وشهد بقلبه انفراد الرب بالوحدانية والعظمة والكبرياء وجميع صفات الكمال التي ترجع إلى هذين الاسمين الكريمين وهما الأحد، الصمد، ثم صمد إلى ربه وقصده في عبوديته وحاجته الباطنة والظاهرة، متى كان كذلك - تم له التوحيد العلمي الاعتقادي والتوحيد العملي، فحق لسورة تشتمل على هذه المعارف أن تعدل ثلث القرآن. اه كلامه **رَحْمَةُ اللَّهِ** التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة (ص: ٢١).

*** وهذه السورة تضمنت قواعد يسير عليها أهل السنة:**

القاعدة الأولى: أن الأصل في الإثبات التفصيل لا الإجمال، في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١] **اللَّهُ الصَّمَدُ** [٢] [الإخلاص: ١-٢]، فنقول (الله السلام، المؤمن، المهيمن، البصير، السميع، القوي، العزيز...)، ونقول (يسمع، يبصر، يتكلم، يريد، يشاء...)،



وقد يأتي الإجمال في الإثبات وهذه السورة دالة على ذلك فاسم (الصمد) وإن كان من باب التفصيل كذلك يتضمّن إجمالاً من حيث أنّه السيّد الذي كمل في سؤدده فهو متضمّن لصفات كثيرة ومنه قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿تَبَرُّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، أي تعالى وتعاضم عن صفات المخلوقين، **قَالَ هَسَالِي**: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، كلّ هذا من الإجمال في الإثبات على ما يأتي بيانه.

القاعدة الثانية: أنّ الأصل في النفي الإجمال وهذه السورة تضمّنت ذلك لقوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، فهذا إجمال في النفي ويؤتى بالنفي لثلاثة أمور:

الأوّل: لدفع توهم نقص كما في قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].
الثاني: لبيان عموم كمال كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾،
 وأيضاً قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].
الثالث: لدفع ما ادّعه في حقّه المبطلون مثل قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الأنعام: ١٠١].

فهذه السورة تضمّنت الإجمال في النفي والتفصيل في النفي مثل قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، وقد اختلفوا في معنى قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»، والصحيح أنّ القرآن أحكام وتوحيد وقصص فكانت سورة الإخلاص ثلث القرآن من حيث أنّها تتكلّم في التوحيد.

وفي هذا الحديث بيان أنّ القرآن يتفاضل على ما يأتي.



قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ.

أي: يدخل فيما تقدّم من الكلام فيما وصف به نفسه في أعظم آية من كتاب الله وهذه الآية هي آية الكرسي، جاء عن النبي ﷺ أنه قال لأبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ ﷺ: «وَاللَّهُ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»، مسلم (٨١٠)، وقال النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»، من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند النسائي في "عمل اليوم والليلة" (١٠٠) وصححه العلامة مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المسند (٤٧٨).

وحديث أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدلّ على أن أسماء الله وصفاته تتفاضل لأن آية الكرسي من كلام الله وكانت أفضل آية في القرآن وأعظم آية في القرآن فدلّ على أن الأسماء والصفات تتفاضل، وفي هذا الباب ما أخرجه البخاري (٤٤٧٤) عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أَصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]». ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ»، قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ.

قال رحمه الله:

حَيْثُ يَقُولُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥]، [ولهذا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي لَيْلَةٍ، لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ].

الحديث الذي أشار إليه المصنف أخرجه البخاري رحمه الله معلقاً (٢٣١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَأَ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ» فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَأَ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّلَاثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أَعْلَمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ

يَزَالُ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَأُصْبِحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ؟»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَخْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَلِكَ شَيْطَانٌ». وجاء من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحو هذا الحديث.

وهذه الآية تضمنت معانٍ كثيرة، منها:

إثبات اسم الله ﷻ وهو من الأسماء الخاصة به وفيه إثبات صفة الألوهية فكل اسم يتضمن صفة وإن كان اسم (الله) يدل على الذات والصفة بالمطابقة ويدل على صفة الألوهية بالتضمن وتثبت به بقية الصفات بالالتزام لأن الله ﷻ هو الإله الحق هو الذي يسمع ويبصر ويتكلم ويريد ويشاء ويعلم وغير ذلك من خصائصه عَزَّجَلَّ.

وقوله: (﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾) هذا معنى لا إله إلا الله، وفيه إثبات اسم الإله ﷻ عَزَّجَلَّ وهو من الأسماء الحسنى وجمع الله ﷻ بين النفي والإثبات لأن النفي وحده عدم والعدم ليس بشيء والإثبات وحده لا يمنع المشاركة ولهذا يوصف الله ﷻ بالنفي والإثبات فقوله (لا إله) نفي للآلهة الباطلة وقوله (إلا الله) إثباته الألوهية الحقّة ﷻ ومعنى (لا إله إلا الله) أي لا معبود بحق إلا الله ﷻ **قَالَ تَبَّيُّنَ:** ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقوله: {الْحَيُّ الْقَيُّومُ} من أسماء الله **عَزَّجَلَّ** الحسنى والحي يتضمّن صفة الحياة العظيمة الكاملة التي لم تُسبق بعدم ولا يلحقها فناء و(القيوم) يتضمّن صفة القيومية وهو الذي يقيم الخلائق وهو قائم بنفسه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ولهذا جاء في البخاري (١١٢٠) مسلم (٧٦٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَآخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

و{الْحَيُّ الْقَيُّومُ} بمعنى واحد وقد اختلف في الاسم الأعظم فذهب كثير من أهل العلم إلى أنه (الحي القيوم) وهو المذكور في سورة البقرة وآل عمران وسورة طه، واستدلوا بحديث النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في ذلك الرجل الذي قال: «اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الحي القيوم»، وكان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول في دعائه: «يا حي، يا قيوم»، كما في حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أبي داود (١٤٩٥)، ولا دلالة للصوفية ومن إليهم بهذه الآية على أن الله **عَزَّجَلَّ** يذكر (هو، هو، هو)؛ لأن الله له الأسماء الحسنى وليس من أسمائه (هو).

وقوله: {لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ} هذه من الصفات المنفية، نفي السنة وهي مقدّمة النوم وأوائل النعاس ونفي النوم وهو معروف وتعريف المعروف تكلف فهما صفات سلبيتان منفيّتان والقاعدة عند أهل السنّة والجماعة أنّ الصفات المنفية في حقّ الله **عَزَّجَلَّ** لا بدّ أن تتضمّن كمال الضدّ، فقوله: {لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ} لكمال

حياته وقِيومِيَّتِهِ وإِنَّمَا يحتاج النوم المخلوق الضعيف للراحة، والنوم أخو الموت، فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البيهقي في شعبه: (٤١٦) و (٤٧٤) قال: سأل رجل رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أينام أهل الجنة؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ، وَلَا يَمُوتُ أَهْلُ الْجَنَّةِ».

وقوله: (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) هذا أيضاً من الوصف المجمل في الإثبات وإن كان يدل على الإثبات المفصل لبيان ملك الله عَزَّوَجَلَّ وهذا يدل على أن العبيد عبيد الله والملك ملكه، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، قال الله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

وقوله: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) فيه إثبات الشفاعة المثبتة وهي ما توفرت فيها ثلاث شروط: رضى الله عن الشافع، ورضى الله عن المشفوع له، وإذن الله للشافع، قال الله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وهي دالة على الشفاعة المنفية بالمفهوم قال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَا تَتَفَعَّلُمُ شَفْعَةَ الشَّفِيعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، ولهذا حين يستشفع الناس بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة، يقوم ويسجد لربه ثم يقول له: «اشفع تُشَفِّع»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٣٤٠)، مسلم (١٩٤)، يأذن الله عَزَّوَجَلَّ له إكراماً له وسيأتي الكلام على الشفاعة في باب إن شاء الله.

وقوله: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) فيه إثبات علم الله عَزَّوَجَلَّ وأنه محيط بجميع المعلومات جزئياً و كلياً خلافاً للمعتزلة وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا

خَلَقَهُمْ ﴿[البقرة: ٢٥٥]، أي يعلم ما سلف وما سيأتي، قال الله عَزَّوَجَلَّ في شأن الكفار لما سأله العودة إلى الأرض: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وسيأتي الكلام على صفة العلم بأوسع من هذا.

وقوله: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ} استدل أهل السنة والجماعة بهذه الآية على أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ غير محصورة بعدد معلوم لنا وأدلة هذه المسألة كثيرة ذكرتها في كتابي "التبيين لخطأ من حصر أسماء الله عَزَّوَجَلَّ في تسع وتسعين"، ومن الأدلة على أن أسماء الله غير محصورة بعدد معلوم لنا، قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ومنها أن متبّع القرآن والسنة يجد فيها أكثر من التسعة والتسعين ومنها حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي سَجُودِهِ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمَعَاذِكَ مِنْ عِقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»، مسلم (٤٨٦).

والدلالة من هذا الحديث: أنه لو كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم أسماء وصفات الله عَزَّوَجَلَّ كلها لأحصى الشاء عليه ومنها حديث الشفاعة قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا»، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٤١٠) واللفظ له ومسلم (١٩٣).

فلو كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أحصى أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته لما علّم في ذلك الموطن محامد أخرى لأنه يعلمها ويدلّ على ذلك وهو من أصرحها حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٧١٢) و(٤٣١٨) وغيره: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمْتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ

رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي»، والحديث ضعّفه بعضهم والصحيح: أنّ الحديث محتجّ به لأمر بينهما الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في الصحيحة وذكرت معها ما صحّ من الأحاديث في الكتاب المذكور آنفاً ومن زعم أنّها محصورة بتسعة وتسعين وعددٍ معلومٍ لنا فقد وافق المعطّلة من بعض الوجوه ولهذا ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في بعض المواطن أنّ الذين يقولون بهذا القول هم المخطئون المعطلّون الضالّون المبتدعون ولم يقل بحصر أسماء الله عزَّجَل بتسعة وتسعين إلّا ابن حزم^(١).

وابن حزم رَحِمَهُ اللهُ في العقيدة جهميّ كما قال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللهُ، وقد نقل الإجماع غير واحدٍ من أهل العلم على أنّ أسماء الله غير محصورة بعددٍ معلومٍ لنا. ونقل القول بالحصر أيضاً عن ابن كجّ كما أشار الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في تلخيص الحبير وابن كجّ ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في البداية والنهاية أنّ له غرائب فعلٌ هذا منها. وهذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، أي لا يعلمون من أسمائه وصفاته إلّا ما علّمهم ومثل قوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [إِنَّا مَن رَّزَقْنِي مِن رَّسُولٍ] [الجن: ٢٧].

وقوله: {إِلَّا بِمَا شَاءَ} فيه إثبات المشيئة لله عزَّجَل، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال عزَّجَل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

(١) ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ إمام له زلّات وأخطاء وهو ظاهريّ المذهب ولكن مع ذلك له ترجيحات ونقولات قويّة حتّى قيل في من حوى كتابه "المحلّي" و"المغني" لابن قدامة، ولكبريى للبيهقي والتمهيد لابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ فهو العالم حقّاً، وزلّاته تُترك، وسبب انحرافه في هذا الباب أنّه تتلمذ على بعض الفلاسفة ثم بعد ذلك لم يستطع أن ينزع الشبه التي طرأت على عقله فأراد أن يجمع بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآراء الفلسفية فما استطاع وفي مسائل الإيمان هو من أفاضل من ردّ على الخوارج والمرجئة.

قوله عَزَّجَلَّ ({وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ}) فيها إثبات الكرسي، وقد فسره ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** وجاء عن أبي موسى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه موضع قدمين الرحمن، وهو في مقدّمة العرش كالمراقبة التي أمام السرير والعرش هو سرير الملك وسيأتي الكلام عليه في بابه وبعضهم يُنكر الكرسي ويزعم أنه العلم والصحيح أن هذا القول باطل فالكرسي جُرمٌ مخلوقٌ خلقه الله **عَزَّجَلَّ** وليس بالعلم، ثم إذا كان الكرسي هو العلم، فيلزم أن ليس في علم الله إلا السماوات والأرض، وذكر هذا التفسير البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ** في صحيحه وليته لم يذكره فإنه قال قال مجاهد الكرسي العلم، وهذا تفسير باطل.

وقوله: ({وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا}) أي لا يكرّثه حفظهما وهذا أيضًا من الصفات السلبية وتتضمّن كمال الضدّ وهو كمال قوّة الله **عَزَّجَلَّ** وقدرته، ومثله قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥].

وقوله: ({وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}) فيه إثبات اسم (العليّ) وهو دالٌّ على صفة العلوّ بالمطابقة والتضمّن، ويثبت لله العلوّ المطلق من كلّ وجه، علوّ الذات على عرشه **عَزَّجَلَّ** وعلوّ القهر وعلوّ القدر، وسيأتي الكلام على صفة العلوم بما يكفي إن شاء الله و(العظيم) اسم من أسماء الله الحسنى وهو دالٌّ على صفة العظمة لله **عَزَّجَلَّ** وفيها غير ذلك ولكن هذا مختصر.



إثبات صفة الحياة لله عز وجل

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].^(١)

التوكل هو صدق الاعتماد على الله عز وجل وهو فعل أمر يفيد الوجوب، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقوله: (عَلَى الْحَيِّ) أي على الله المتصف بالحياة الأزلية الأبدية التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، الحياة الكاملة من كل وجه، وقد تقدم قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله: (الَّذِي لَا يَمُوتُ): صفة سلبية والصفات السلبية تقدمت القاعدة فيها وأنها لا بد أن تتضمن كمال الضد فقوله: {الَّذِي لَا يَمُوتُ} دل على كمال حياته وقيوميته وقد جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في مسلم (٢٧١٧)، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»، وفي الآية عظم التوكل على الله عز وجل وصدق الاعتماد على الله عز وجل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»، مسند أحمد (٢٥) من حديث عمر رضي الله عنه.

وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وصدق التوكل على الله سبب لتفريج الهموم والغموم قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا

(١) في المطبوع هذه الآية بعد آية الحديد مباشرة.

لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]،
والشاهد من سوق هذه الآية في هذا الموطن إثبات اسم الحيّ الله عزَّوَجَلَّ المتضمّن
لصفة الحياة وكذلك ذكر الصفة السلبية التي يؤتى بها لدفع توهم نقص أو لبيان عموم
كمال وهي في هذا الموطن جيء بها لدفع توهم نقص وكذلك لبيان عموم الكمال
فالذي لا يموت ولا ينام هو الكامل في حياته وقيوميّته.



إثبات صفتي: (العلم، والحكمة)

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحریم: ٢]، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]^(١).

قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

أي: يدخل فيما ذكرنا من وجوب الإيمان بما أخبر الله به عن نفسه وأخبر عنه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، إثبات ما تضمنته هذه الآية. وهذه الآية اشتملت على أربعة أسماء لله حسنى:

(الأَوَّل): يتضمّن صفة الأوّلية وله عَزَّجَلَّ الأوّلية المطلقة التي لم تسبق بعدم وربّما عبّر عنها بعض العلماء بالأزلية والأزل في الماضي والأبد في المستقبل فإذا قيل الله عَزَّجَلَّ متّصف بالصفات أزلاً وأبداً فالأزل ما كان في الماضي وهو القدم المطلق. وأيضاً من أسمائه (الآخر) ومن أسمائه (الظاهر) ومن أسمائه (الباطن) وهذه الأسماء الأربعة تدلّ على الإحاطة الزمنية والمكانية، فـ (الأَوَّلُ وَالْآخِرُ) يدلان على الإحاطة الزمانية، و(الظاهر والباطن) يدلان على الإحاطة المكانية وقد فسّر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الأسماء كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢٧١٣)، قائلاً: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»، وقد استشكل بعض

(١) زيادة من (ف)، قال ابن القاسم: وفي نسخة [وهو العليم الخبير].

قلت: الذي في القرآن إنما: {تَبَّأَى الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} [التحریم: ٣].

العلماء تفسير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأسماء الثبوتية بالسلب والصحيح أنه لا إشكال فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يُبين أن الله متّصف بالأولية المطلقة فقوله (ليس قبله شيء) دفع لإيهام قد يتصوره البعض أولية نسبية فلما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ»، كان قاطعاً لهذا الإيهام.

وقوله: (الباطن) دليل على معية الله عَزَّجَلَّ وحقيقتها أن الله عَزَّجَلَّ على العرش استوى وأنه مع خلقه بعلمه وسلطانه وقهره وغير ذلك من خصائص ربوبيته على ما سيأتي بيانه في آخر الكتاب.

واسم **(الظاهر)** يدل على العلوّ المطلق، بما فيه علو الذات كما سيأتي بابه إن شاء الله عَزَّجَلَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢] فيهما إثبات صفة العلم لله عَزَّجَلَّ واسم العليم، وله من الأسماء العلام والعالم، قال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وهذا من الأسماء المركبة.

فقوله: (العليم) هو الله عَزَّجَلَّ من أسمائه العليم ومتّصف بصفة العلم، العليم الذي أحاط بكل شيء كما قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال عَزَّجَلَّ: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ويدخل فيه العلم بالكليّات والجزئيّات خلافاً لما قاله المعتزلة القدريّة أن الله عَزَّجَلَّ يعلم الكليّات ولا يعلم الجزئيّات فالله عَزَّجَلَّ يقول: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا هُوَ وَالْأَرْضُ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ويقول: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦]، و(كل) من ألفاظ العموم، ويقول: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوا لَا تَأْتِيَنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ وَثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾

[سبأ: ٣].

وقوله: (الحكيم) فيه إثبات اسم الحكيم الله **عَزَّوَجَلَّ** وهو متضمن لصفة الحكمة لله **عَزَّوَجَلَّ** وقرن الله **عَزَّوَجَلَّ** بين العليم والحكيم لفائدة عظيمة ذكرها ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** وهي أن أسماء الله **عَزَّوَجَلَّ** كلها حُسنى وإذا قُرُن الاسم بالآخر فيكون له كمال من مجموعهما فهنا مثلاً له كما من علمه وكمال من حكمته وقرن الله **عَزَّوَجَلَّ** حكمته بعلمه وعلمه بحكمته لأنّ الذي يعلم الأشياء من المخلوقين ربّما عاقب سريعاً، ولكن حكمة الله اقترنت بعلمه فالله يعلم ما العباد عاملون ومع ذلك يؤخّر عقابهم لحكمته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. وكذلك قوله (الحكيم الخبير) والخبير يتضمّن صفة الخبرة وهي العلم بالبواطن، ولهذا يجمع الله بين العليم والخبير في كثير من المواطن فيقال العليم بظواهر الأمور والخبير ببواطنها، هذا إذا اجتمعا ولكن إذا افترقا فإنّ العليم يدلّ على مجموعهما والخبير كذلك.

قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾

[سبأ: ٢].

وهذا بيان لعموم علم الله **عَزَّوَجَلَّ** حيث يعلم بالذي يدخل في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها والعروج هو الصعود من أسفل إلى أعلى ومنه سُمّي المعراج.

قال رحمه الله:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ أَلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقد جاء تفسير (مفاتيح الغيب) في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند البخاري (١٣٩)، وجاء عن غيره: «مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْحَامِ، وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَادَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ» وهذا ما جاء في قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَادَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، فمن ادّعى علم واحدة من هذه الأشياء كفر لأنه ادّعى علم الغيب المطلق والغيب ينقسم إلى مطلق ونسبي فالغيب النسبي ما علمه زيد ولم يعلمه عمرو فإذا قال زيد (أنا معي ١٠ ألف) وعمرو لا يعلم ليس فيه ادّعاء الغيب الذي لا يعلمه إلا الله **عَزَّوَجَلَّ** ولكن إذا قال الشخص أنا أعلم ما ستحمل امرأتي هذا من ادّعاء علم الغيب المطلق وهو كفر ولا يُشكل ذلك على ما يفعله الأطباء من الكشف بالأجهزة على بطن المرأة فيُحدّدون نوع الجنين لأن هذا ليس من الغيب المطلق في شيء فإن العلم بالجنين قد خرج إلى الملائكة ثم إنَّ الطبيب يحكي شيئاً رآه بالجهاز.

وهذه الآية فيها ردٌّ على المعتزلة الذين يزعمون أن الله لا يعلم الجزئيات فالله يقول: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وهو ما سوى البحر ويُسمّى اليابسة فيعلم ما فيه من مساجد وأنهار وبيوت وأودية وجبال وذكور وإناث وحيوان وطيور، وكلّ ما فيه كما **قال تعالى**: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلَيْهِ



الْغَيْبِ لَا يَعْرِضُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾. [سبأ: ٣].

قال السعدي: ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ﴾ أي: الأمور الغائبة عن أبصارنا، وعن علمنا، فكيف بالشهادة؟.

ثم أكد علمه فقال: ﴿لَا يَعْرِضُ﴾ أي: لا يغيب عن علمه: ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: جميع الأشياء بذواتها وأجزائها، حتى أصغر ما يكون من الأجزاء، وهو المئاقيل منها.

﴿وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي: قد أحاط به علمه، وجرى به قلمه، وتضمنه الكتاب المبين، الذي هو اللوح المحفوظ، فالذي لا يخفى عن علمه مِثْقَالُ الذرة فما دونه، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من الأموات، وما يبقى من أجسادهم، قادر على بعثهم من باب أولى، وليس بعثهم بأعجب من هذا العلم المحيط. انتهى

ويقول: ﴿وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، أي ويعلم كل ما في البحر من كائنات عجيبة حتى لو كانت لا ترى إلا بالمجهر، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]، سبحانه الله ورقة في ليلة شاتية تسقط في منطقة نائية والله عَزَّجَلَّ لا يعزب عنه مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، كم من أوراق تسقط في اليوم والليلة والله يعلم عددها ويعلم متى وأين وكيف إلى غير ذلك، سبحانه الله، ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، حبة في ظلمات الأرض مطروحة في باطن الأرض، ﴿وَلَا رَطْبٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، من الحبوب أو الحيوان، ﴿وَلَا يَأْسٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، من الحجار ونحوها: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، في اللوح المحفوظ: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢].

فهذه الأمور التي تحدث في الكون هي مكتوبة عند الله **عَزَّوَجَلَّ** في كتاب، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: الْقَدَرُ قَالَ: فَكُتِبَ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنْ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**»، مسند أحمد (٢٢٧٠٧) من حديث عبادة بن الصامت **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ثم يعمد هؤلاء وينكرون صفة العلم لله **عَزَّوَجَلَّ** هذه الصفة العظيمة الجليلة التي يدل عليها الكتاب والسنة والعقل والفطرة فإن هذا الكون يدل على وصف الله بالعلم فإن الجاهل لا يمكن أن يأتي بمثل هذه الأشياء، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: «**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ**» [فاطر: ٤٢]، لماذا؟ «**إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا**» .

قال السعدي في تفسير آية الأنعام: هذه الآية العظيمة، من أعظم الآيات تفصيلاً لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها، التي يطلع منها ما شاء من خلقه. وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، فضلاً عن غيرهم من العالمين، وأنه يعلم ما في البراري والقفار، من الحيوانات، والأشجار، والرمال والحصى، والتراب، وما في البحار من حيواناتها، ومعادنها، وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها.

«**وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ**» من أشجار البر والبحر، والبلدان والقفار، والدنيا والآخرة: «**إِلَّا لَا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ**» من حبوب الثمار والزروع، وحبوب البذور التي يبذرها الخلق؛ وبذور النوبات البرية التي تنشئ منها أصناف النباتات.

«**وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ**» هذا عموم بعد خصوص: «**إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**» وهو اللوح المحفوظ، قد حواها، واشتمل عليها، وبعض هذا المذكور، يبهر عقول

العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته، في أوصافه كلها.

وأن الخلق -من أولهم إلى آخرهم- لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته، لم يكن لهم قدرة ولا وسع في ذلك، فتبارك الرب العظيم، الواسع العليم، الحميد المجيد، الشهيد، المحيط.

وجل من إله، لا يحصي أحد ثناء عليه، بل كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، فهذه الآية، دلت على علمه المحيط بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث. انتهى

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١].

وهذا بيان لعلم الله العظيم بما في الأرحام كل الأناث، سواء كانت أنثى إنسان، أو حيوان، أو طير وإذا قرأت في كتب الحيوان تجد العجب العجاب من أنواع الكائنات وأنواع الطيور وأنواع الحشرات فسبحان الله الخالق وسبحان الله العالم، فلا تحمل أنثى ولا تضع إلا بعلمه ومع ذلك يرسل الله الملائكة عند بدأ الحمل تكتب رزقه وأجله وعمره وشقي أو سعيد.

وفي حديث جابر رضي الله عنه عن ابن ماجه (٢١٤٤)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حُرِّمَ».

وفي حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عند البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣)، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عِلَاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ



اَكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيَّ أَوْ سَعِيدُ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

قال رحمه الله :

وَقَوْلُهُ: ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

في هذه الآية بيان لعموم قدرة الله تعالى التي لا يخرج عنها شيء ، قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وفيها بيان إحاطة علم الله تعالى بجميع المعلومات حتى قلوبنا وما فيها: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ] [غافر: ١٩-٢٠] ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩] ، بل يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

وفي البخاري (٤٨١٧) ومسلم (٢٧٧٥): عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اجْتَمَعَ عِنْدَ النَّبِيِّ قُرَشِيَّانِ وَتَقَفِيَّ أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ كَثِيرَةٌ شَحْمٌ بَطُونُهُمْ قَلِيلَةٌ فَقَهُ قُلُوبُهُمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ أَتُرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ قَالَ الْآخَرُ يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا وَقَالَ الْآخَرُ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢].

وهكذا في قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: ٥] ، فعن مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقْرَأُ أَلَا إِنَّهُمْ تَنْتَوْنِي صُدُورُهُمْ: قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْهَا فَقَالَ أَنَأْسُ كَانُوا يَسْتَحْيُونَ أَنْ يَتَخَلَّوْا فَيَفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ وَأَنْ يُجَامِعُوا نِسَاءَهُمْ فَيَفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ فَنَزَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ ،



أخرجه البخاري (٤٦٨١)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٥٦٤).

ويعلم ما في القلوب ويطلع عليها، والآيات التي فيها إثبات علم الله الأزلي الأبدي كثيرة جداً والأحاديث كثيرة جداً فالآية تقول: ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الطلاق: ١٢]، وأن قدرته نافذة وأنه لا يعجزه شيء في السماوات والأرض والله على كل شيء و(كل) من ألفاظ العموم.

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٨٧): قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه تعالى: «وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»، وتضمنت هذه الآيات أسماء وصفات لله عَزَّجَلَّ وكان أكثرها متضمنة لإثبات صفة العلم لله عَزَّجَلَّ ومثل هذه الصفة استحضارها يؤدي إلى المراقبة وتحقيق هذا الباب العظيم فإننا نحتاج أن نعبد الله كأننا نراه فإن لم نكن نراه فإنه يرانا، وفي آية المجادلة يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آذَنٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، وهكذا قال عَزَّجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

ومنها: قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿قَالَ نَبِيُّنَا الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٣] [التحريم: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].



إثبات صفة القوة

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

صح عند أبي داود (٣٩٩٣)، وغيره عن عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي أَنَا الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ».

وفي الآية: إثبات اسم (الرزاق) لله عَزَّجَلَّ ويقال (الرازق) وكلاهما من الأسماء الحسنى وعلى القاعدة كل اسم متضمن لصفة فالرازق يرزق والرزاق صفة مبالغة من الرازق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

وَقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٢]، وقوله: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالنَّحْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۖ رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ [ق: ١٠-١١].

وَهَذَا كُلُّهُ يُرَدُّ عَلَى أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الرِّزْقَ مِنْ غَيْرِهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣].

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٢٨٠٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدَاءً وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ».

وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَقَادِيرَ الْخَلْقِ وَأَرْزَاقَهُمْ، عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانُهُ فِي بَابِ الْقَدَرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ (٤٠٢٣) عَنْ أَنَسِ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» قَالَ: «وَمَنْ لَيْسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي، وَلَا قُوَّةَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٣٥٠٥): عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ أَحَبَّ الْبَشَرِ إِلَى عَائِشَةَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ أَكْبَرَ النَّاسِ بِهَا، وَكَانَتْ لَا تُمْسِكُ شَيْئًا مِمَّا جَاءَهَا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ إِلَّا تَصَدَّقَتْ.

وَفِي مُسْلِمٍ (١٠٥٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوَّةً».

{ذُو الْقُوَّةِ} أي: صاحب القوة وهذا دليل على وصف الله ﷻ بِصِفَةِ الْقُوَّةِ فَإِنَّ الْقَوِيَّ هُوَ ذُو الْقُوَّةِ وَالرَّحِيمُ هُوَ ذُو الرَّحْمَةِ وَالْعَزِيزُ هُوَ ذُو الْعِزَّةِ، فَبِهِ إِثْبَاتُ صِفَةِ

القُوَّةُ لله **عَزَّجَلَّ** وهي من الصفات الذاتية ومعنى الصفات الذاتية أنها الصفات التي يتصف الله **عَزَّجَلَّ** بها أزلاً وأبداً ولا تعلق لها بمشيئة الله **عَزَّجَلَّ**.

وفي الباب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَجَيْنَا صَدْحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَرَحِمَهُ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمٍ إِذْ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦] وقوله: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقوله: ({ أَلْمَتَيْنِ }) هو من الأسماء الحسنى ورد في القرآن في موطن واحد فقط و(المتين) في حق الله تعالى: (المتناهي في القوة والقدرة). وقال الخطابي: (والمتين) الشديد القوي الذي لا تنقطع قوته ولا تلحقه في أفعاله مشقة، ولا يمسه لغوب. انتهى

وهو في معنى العزيز أيضاً، يقول ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (العزيز) الذي قد عز كل شيء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنباه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه.



إثبات صفتي السمع والبصر

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ردُّ على الممثلة، وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ردُّ على المعطلة، و(الكاف) فيه صلة وتوكيد، وتقدير الكلام: (ليس مثله شيء). وللعلماء فيها غير هذا القول، لكن هذا القول هو أحسن الأقوال، وهو كما قالت العرب:

لَيْسَ كَمِثْلِ الْفَتَى زُهَيْرٍ ❀ خُلِقَ يُوزِيهِ فِي الْفَضَائِلِ
أي: ليس مثل الفتى زهير أحد يوازيه في الفضائل، والنفي هنا لبيان عموم الكمال، فلما كان ليس كمثل شيء كان كاملاً من كل وجه **عزَّجَلَّ**.

وفيه إثبات اسم (السميع) وهو متضمن لصفة السمع، قال الله **عزَّجَلَّ**: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، وقال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الزَّيْنِ ١٧] الَّذِي يَرْكَبُ حِينَ تَقُومُ ﴿وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢٠]، **وقال تعالى:** ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦]، وقال: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقال: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، وقال: ﴿أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠].

والله **عزَّجَلَّ** يسمع بسمع يليق بجلاله وهو محيط بالمسموعات، قالت عائشة **رضي الله عنها:** الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول، فأنزل الله **عزَّجَلَّ** قوله:



وقال الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاعِيَهُمْ وَلَا حُمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، معية اطلاع وعلم وسماع وغير ذلك من خصائص ربوبيته.

ومما يدلّ على إثبات صفة السمع لله **عَزَّوَجَلَّ** أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**: (الله أكبر) يرفع بها صوته، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْزِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ

مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ، رواه البخاري: (٢٩٩٢) و (٤٢٠٥) و (٦٣٨٤) و (٦٦١٠) و (٧٣٨٦)، مسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٤٧٢٨): تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ إِنْهَامَهُ عَلَىٰ أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَىٰ عَيْنِهِ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ)، وفي هذا الحديث بيان أن الله يسمع بسمع ويبصر ببصر حيث أكده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإشارة ولا تقتضي هذه الإشارة التمثيل وإنما أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأكيد السمع والبصر، وقد وردت الإشارة في عدة أحاديث غير هذا، منها: ما أخرجه أحمد (١٢٥/٣) عن ثابت البناني أبي محمد، عن أنس، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: هكذا يعني أنه أخرج طرف الخنصر، فقال له حميد الطويل: ما تريد من هذا يا أبا محمد؟ قال: فضرب صدره ضربة شديدة وقال: من أنت يا حميد، وما أنت يا حميد؟! يحدثني به أنس بن مالك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم تقول أنت: ماذا تريد إليه؟!

وأخرج الحديث الترمذي (٤٥١/٨) من طريق حماد عن ثابت، عن أنس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال حماد: هكذا وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى قال: فانساخ الجبل، ﴿وَحَرَّ مُوسَىٰ صَعْقًا﴾.

وأخرج البخاري (٧٤٠٧) من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: وذكر الدجال عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبٌ طَافِيَةٌ».



وفي مسلم (٢٧٨٨): من حديث عبدالله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يحكي عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَأْخُذُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللَّهُ - وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا - أَنَا الْمَلِكُ» حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمَنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطُ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ؟

وفي مسند أبي يعلى (٢٣١٨): من طريق الأعمش، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ رَفَعَهُ قَالَ: كَانَ يَقُولُ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخَافُ عَلَيْنَا، وَقَدْ آمَنَّا بِمَا جِئْتَ بِهِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ» وَأَشَارَ الْأَعْمَشُ بِإِصْبَعَيْنِ.

وذكر الحافظ ابن حجر فيفتح الباري تحت باب رقم (٩) (باب وكان الله سمعياً وبصيراً) من كتاب التوحيد لعقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديثاً قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول على المنبر: «إِنَّ رَبَّنَا سَمِيعٌ بَصِيرٌ» وأشار إلى عينيه، قال: وسنده حسن.

فالإشارة لتأكيد الصفة وقد بينت حكمها في كتابي "ضوابط تحديث العوام بأحاديث الأسماء والصفات"، واختلف أهل العلم في ذلك فذهب بعضهم إلى أنه يُشار فيما أشار فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا كنت في موطن لا تخشى فيه التمثيل فلك أن تشير وإذا خشيت التمثيل فلا تشر وهذا اختيار شيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ وشيخنا يحيى حفظه الله.

واستحضار مثل هذه الأدلة بأن الله يسمع ويبصر ويعلم فيها موعظة عظيمة للعبد على أنه يراقب الله في ليله ونهاره وسره وجهاره وأن الله عَزَّجَلَّ لا تخفى عليه خافية وفي الآية إثبات صفة البصر لله عَزَّجَلَّ فالله يبصر بعين وقد نقل الإجماع على إثبات العينين لله عَزَّجَلَّ، بل في الحديث الذي تقدم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»، رواه البخاري من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤٤٠٢)، ومسلم (٢٩٣٣) من

حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيه دلالة على إثبات العينين لله عَزَّ وَجَلَّ، عيان تليق بجلاله يبصر بهما ويرى بهما عَزَّ وَجَلَّ على ما يأتي بيانه وآيات إثبات السمع والبصر في القرآن أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر.

ومن سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي أخرجه البخاري (٣٢٣١) و (٧٣٨٩)، مسلم (١٧٩٥) أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحَدِّ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَاَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمَتْنِي، فَتَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟» فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

وفي مسلم (٤٠٤): عَنْ حِطَّانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَاشِيِّ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ صَلَاةً فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْقَعْدَةِ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَقَرَّتِ الصَّلَاةُ بِالْبِرِّ وَالزَّكَاةِ؟ قَالَ فَلَمَّا قَضَى أَبُو مُوسَى الصَّلَاةَ وَسَلَّمْ انصَرَفَ فَقَالَ: أَيُّكُمْ الْقَائِلُ كَلِمَةً كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: فَأَرَمَ الْقَوْمُ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ الْقَائِلُ كَلِمَةً كَذَا وَكَذَا؟ فَأَرَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ يَا حِطَّانُ قُلْتَهَا؟ قَالَ: مَا قُلْتُهَا، وَلَقَدْ رَهَبْتُ أَنْ تَبْكَعَنِي بِهَا فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا قُلْتُهَا، وَلَمْ أَرِدْ بِهَا إِلَّا الْخَيْرَ فَقَالَ أَبُو مُوسَى: أَمَا تَعْلَمُونَ كَيْفَ تَقُولُونَ فِي صَلَاتِكُمْ؟ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَنَا فَبَيَّنَ لَنَا سُبُتَنَا وَعَلَّمَنَا صَلَاتَنَا. فَقَالَ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ فَأَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ ثُمَّ لِيُؤْمَكُمُ أَحَدُكُمْ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا قَالَ: ﴿غَيْرِ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فَقُولُوا: آمِينَ، يُجِبْكُمْ اللَّهُ فَإِذَا كَبَّرَ وَرَكَعَ فَكَبِّرُوا

وَارْكَعُوا، فَإِنَّ الْإِمَامَ يَرْكَعُ قَبْلَكُمْ، وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَتِلْكَ بَيْتُكَ وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ يَسْمَعُ اللَّهُ لَكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ وَإِذَا كَبَّرَ وَسَجَدَ فَكَبِّرُوا وَاسْجُدُوا فَإِنَّ الْإِمَامَ يَسْجُدُ قَبْلَكُمْ وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَتِلْكَ بَيْتُكَ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْقَعْدَةِ فَلْيُكُنْ مِنْ أَوَّلِ قَوْلٍ أَحَدِكُمْ: التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ».

قال رحمه الله:

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعْظُمُ بِهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿النساء: ٥٨﴾.

فيه: أَنَّ اللَّهَ يعظ عباده، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، وهذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعْظُمُ بِهِ ﴿النساء: ٥٨﴾، وهذا مدح من الله لأوامره ونواهيه، لاشتمالها على مصالح الدارين ودفع مضارهما، لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية، ويعلم بمصالح العباد ما لا يعلمون، فكلامه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وأفعال الله عز وجل يُشتق منها صفات وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ [النساء: ٥٨]، (كان) قال ابن عباس رضي الله عنهما: وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، فَإِنَّ اللَّهَ عز وجل سَمَّى نَفْسَهُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَنْحَلْهُ غَيْرُهُ، (وَكَانَ اللَّهُ) أَي: لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ. علقه البخاري ووصله

غيره. كما أنّ (عسى) فى حقّ الله تدلّ على الوقوع: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

قال الطبري: و(عسى) من الله واجبة، وإنما وجه قول أهل العلم: عسى من الله واجبة، لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم إياه ليس من صفته الغرور، ولا شكّ أنه قد أطمع من قال ذلك له فى نفعه، إذا هو تعاهده ولزمه، فإنّ لزم المقول له ذلك وتعاهده ثم لم ينفعه، ولا سبب يحول بينه وبين نفعه إياه مع الأطماع الذى تقدم منه لصاحبه على تعاهده إياه ولزمه، فإنه لصاحبه غارّ بما كان من إخلافه إياه فيما كان أطمعه فيه بقوله الذى قال له. وإذ كان ذلك كذلك، وكان غير جائز أن يكون جلّ ثناؤه من صفته الغرور لعباده صحّ ووجب أن كلّ ما أطمعهم فيه من طمع على طاعته، أو على فعل من الأفعال، أو أمر أو نهى أمرهم به، أو نهاهم عنه، فإنه موفّ لهم به، وإنهم منه كالعدة التى لا يخلف الوفاء بها، قالوا: عسى ولعلّ من الله واجبة. انتهى



إثبات صفة المشيئة

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

في الآية: إثبات صفة المشيئة لله عزَّ وجلَّ وهي من الصفات الذاتية، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ [يونس: ١٦].

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا شَاءَ﴾ [الحج: ٥]، وقال تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١]، وقوله جَلَّ وعَلَا: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]، وقوله جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا وَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّا نَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۝﴾ [العنكبوت: ٦٢]، وقوله تَعَالَى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الفصل: ٦٨] في كثير من الآيات، وفي المأثور عن الشافعي رحمه الله أنه لما سئل عن القدر فقال:

مَا شِئْتُ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ ❁ وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ ❁ فَفِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتَى وَالْمُسْنُ

عَلَى ذَا مَنَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ ❀ وَهَذَا أَعْنَتَ وَذَا لَمْ تُعِنْ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ ❀ وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنٌ
وفي صحيح مسلم (٢٦٤٥): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ نِثَانٍ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا
وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذْكَرُ أَمْ أَثْنَى؟
فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ،
وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ
الْمَلِكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ».

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ اللَّهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ، لَا مُكْرِهَ لَهُ»، رواه مسلم (٢٦٧٩).
وسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، فَقَالَ: «بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ
وَحْدَهُ»، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند أحمد (١٩٦٤).

وفي البخاري (١٤٣٢) عن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا
جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا
شَاءَ».

وفي البخاري (٧٤٦٥)، ومسلم (٧٧٥) عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً، فَقَالَ لَهُمْ: «أَلَا
تُصَلُّونَ؟»، قَالَ عَلِيٌّ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعْثًا،
فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قُلْتُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ
وَهُوَ مُدْبِرٌ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَيَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

وفي صحيح البخاري (١٥٩٥): عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، قَالَ: سَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً،
فَقَالَ: بَعْضُ الْقَوْمِ: لَوْ عَرَّسَتْ بَنَاتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَخَافُ أَنْ تَتَأَمُوا عَنِ الصَّلَاةِ»

قَالَ بِلَالٌ: أَنَا أُوقِظُكُمْ، فَاضْطَجَعُوا، وَأَسْنَدَ بِلَالٌ ظَهْرَهُ إِلَى رَاحِلَتِهِ، فَعَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَالَ: «يَا بِلَالُ، أَيْنَ مَا قُلْتَ؟» قَالَ: مَا أَلْقَيْتُ عَلَيَّ نَوْمَةً مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ حِينَ شَاءَ، يَا بِلَالُ، فَمُ فَاذْنُ بِالنَّاسِ بِالصَّلَاةِ» فَتَوَضَّأَ، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ وَابْيَاضَتْ، قَامَ فَصَلَّى.

والأحاديث في الباب كثيرة، وإنما هذه إشارات، وبالله التوفيق.

قوله: {قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} فيه: إثبات المشيئة لله عزَّ وجلَّ، وهذه

الجملة تمت محاوره ذكرها تعالى حيث قال: ﴿وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَخَفَّفْنَاهُ بِبَخْلِ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ۖ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ۖ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۖ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۖ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۖ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۖ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۚ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِنَّ تَرَنَّا أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۚ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۚ أَوْ يُصْبِحَ مَاءُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُوَ طَلَبًا ۚ وَلَاحِيطٌ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۚ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَصْرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۚ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۚ﴾ [الكهف: ٣٢-٤٤].



وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنْزِ مِنَ كُنُوزِ الْجَنَّةِ**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَكَ أَيْ وَأُمِّي، قَالَ: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**»، من حديث أبي موسى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في البخاري (٤٢٥٥)، مسلم (٢٧٠٤).

قال الحافظ ابن حجر **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الفتح" (١١/٥٠٠): لَأَنَّ معنى لا حول لا تحويل للعبد عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة له على طاعة الله إلا بتوفيق الله وقيل معنى لا حول لا حيلة وقال النووي هي كلمة استسلام وتفويض وإن العبد لا يملك من أمره شيئاً وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى. اهـ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اُخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فيها: بيان لما تقدم من إثبات مشيئة الله تعالى النافذة، وعن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البيهقي في شعبه (٨٠٧٠)، قال: خدمت رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عشر سنين فما أرسلني في حاجة قط فلم يتهيا لي إلا قال لو قضي لكان ولو قدر لكان. أي: لو شاء الله قدرًا كونيًا لكان واقعًا.

وإثبات المشيئة يدخل في باب الإيمان بالقدر وإن كانت من صفات الله **عَزَّجَلَّ**، فيؤمن بمشيئة الله النافذة وأن مشيئة العباد مردّها إلى مشيئة الله، وفيه أن الله يفعل ما يريد والذي يفعل ما يريد أكمل من الذي لا يفعل ما يريد ولهذا قال الله **عَزَّجَلَّ** في وصف نفسه: **﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾** [البروج: ١٦]، فيغضب ويرضى ويسخط ويضحك وينزل ويتكلم ويرحم، وقوله: **﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾** صيغة مبالغة من الفعل.

وفيه: أن الناس ينقسمون إلى قسمين كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند الترمذي (٢١٤١)، وأحمد (٦٥٦٣)، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: «أَتَذَرُونَنَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟» فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَى: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا»، ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِعَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «سَدُّوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيُّ عَمَلٍ، وَإِنْ صَاحِبُ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيُّ عَمَلٍ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: «فَرَعَ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِبَادِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ».

وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] وهنا المشيئة ليست على الإذن أو الإباحة والتخيير بل هو على التهديد: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِيْقُهُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤]، ومما يدل على ذلك أن الله عز وجل قال في آخرها: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، في هذه الآية تهديد ووعد لمن خالف أمر الله عز وجل وخالف توحيده.



إثبات صفة الإرادة لله عز وجل

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُجِلِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

في الآية: أن التحليل والتحرير حق الله عز وجل فالأمر أمره والملك ملكه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٥٦٥)، قَالَ: لَمْ نَعُدْ أَنْ فَتِحَتْ خَيْبَرُ فَوْقَنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تِلْكَ الْبَقْلَةِ الثُّومِ وَالنَّاسُ جِيَاعٌ، فَأَكَلْنَا مِنْهَا أَكْلًا شَدِيدًا، ثُمَّ رُحْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَوَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرِّيحَ فَقَالَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَيْبَةِ شَيْئًا، فَلَا يَقْرَبْنَا فِي الْمَسْجِدِ» فَقَالَ النَّاسُ: حُرِّمَتْ، حُرِّمَتْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ بِي تَحْرِيمٌ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لِي، وَلَكِنَّهَا شَجَرَةٌ أَكْرَهُ رِيحَهَا».

وقد أنكر الله تعالى على المشركين بقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

وفي الآية من الأحكام: أن الله عز وجل أحلَّ بهيمة الأنعام وهي البقر والغنم والإبل بالإجماع ولا تصح الأضحية والهدي والعقيقة إلا منها، وذهب بعض أهل العلم لى دخول الوحش المصايد فيها والتحقيق أن الأنعام هي الأزواج الثمانية، قال الله تعالى: ﴿ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإُنثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ نَبَوْنِي يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١١٢] وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإُنثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ

أَرْحَامُ الْإِنْسَانِ [الأنعام: ١٤٣-١٤٤]، فهذه الآية تضمّنت التفصيل في بهيمة الأنعام وأن منها الذكر والأنثى، فمن كلّ زوج صنفان، ومسائل الأنعام بل وجميع الحيوان والطير المباح منها وغير المباح بابه واسع وعلمه غزير قد بينت بحمد الله كثيراً منه في شرحي على "منظومة ما يحل وما يحرم من الحيوان".

وقوله: ({إِلَّا مَا يُتَىٰ عَلَيْكُمْ}) أي: من قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أِهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُخَيَّقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]. وقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقوله "إنه رجس" يعود على الخنزير وعلى لحمه ودمه وعظمه وشعره ومن هنا تعلم أنه لا يجوز استعمال الفرشاة التي تُصنع من شعر الخنزير مع أنها من أحسن الأنواع عند الأطباء.

وقوله: ({غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ}) : هذه المسألة لها أحكام كثيرة وهو أنه من قتل صيداً وهو مُحرم أو أعان عليه أو أشار يلزمه الفدية يحكم بها ذوا عدل من المسلمين، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّمَّا قَتَلَ مِنْ النَّعْمِ بِحَكْمٍ بِهِ ذَوْا عَدَلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكِ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمْ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].

ففي الآية: أن كلّ حيوان البحر حلال ذبح أو لم يُذبح، وُجد طافياً أو غير طافي، وأما صيد البر فحرام على المُحرم إذا صاده أو صيّد له ففي الصبيحين عن أبي قتادة قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاجًّا وَخَرَجْنَا مَعَهُ، قَالَ: فَصَرَفَ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ

أَبُو قَتَادَةَ فَقَالَ: «خُذُوا سَاحِلَ الْبَحْرِ حَتَّى تَلْقَوْنِي». قَالَ فَأَخَذُوا سَاحِلَ الْبَحْرِ. فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْرَمُوا كُلَّهُمْ إِلَّا أَبَا قَتَادَةَ فَإِنَّهُ لَمْ يُحْرَمَ فَبَيْنَمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَوْا حُمْرَ وَحْشٍ فَحَمَلَ عَلَيْهَا أَبُو قَتَادَةَ فَعَقَرَ مِنْهَا أَتَانًا فَتَزَلُّوا فَأَكَلُوا مِنْ لَحْمِهَا، قَالَ: فَقَالُوا أَكَلْنَا لَحْمًا وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ، قَالَ: فَحَمَلُوا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِ الْأَتَانِ فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا أَحْرَمًا وَكَانَ أَبُو قَتَادَةَ لَمْ يُحْرَمَ فَرَأَيْنَا حُمْرَ وَحْشٍ فَحَمَلَ عَلَيْهَا أَبُو قَتَادَةَ فَعَقَرَ مِنْهَا أَتَانًا فَتَزَلْنَا فَأَكَلْنَا مِنْ لَحْمِهَا فَقُلْنَا نَأْكُلُ لَحْمَ صَيْدٍ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ. فَحَمَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا. فَقَالَ: «هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَمَرَهُ أَوْ أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ». قَالَ قَالُوا لَا، قَالَ: «فَكُلُوا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا».

ثم قال: {إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ}: أي: يشرع ما يريد، وساق هذه الآية على إثبات مشيئة الله عز وجل الموافقة لإرادته الكونية والإيمان بالإرادة الشرعية وبالتفريق بين الإرادتين الكونية والشرعية تسلم من ضلال المعتزلة القدرية ومن ضلال الجبرية وإن لم تُفرّق بين الإرادتين وقعت في الضلال البعيد، وفيهما عن الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ - أَوْ بَوْدَانَ - فَرَدَّهُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَلَمَّا أَنْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: «إِنَّا لَمْ نَرِدْهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حُرْمٌ».

قال رحمه الله:

وقوله: «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ» [الأنعام: ١٢٥].

قال السعدي رحمه الله: يقول تعالى - مبيِّنًا لعباده علامة سعادة العبد وهدايته، وعلامة شقاوته وضلاله -: إن من انشرح صدره للإسلام، أي: اتسع وانفسح، فاستنار بنور الإيمان، وحيي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له



نفسه فعله، متلذذاً به غير مستثقل، فإن هذا علامة على أن الله قد هداه، ومنَّ عليه بالتوفيق، وسلوك أقوم الطريق.

وأن علامة من يرد الله أن يضله، أن يجعل صدره ضيقاً حرجاً. أي: في غاية الضيق عن الإيمان والعلم واليقين، قد انغمس قلبه في الشبهات والشهوات، فلا يصل إليه خير، لا ينشرح قلبه لفعل الخير كأنه من ضيقه وشدته يكاد يصعد في السماء، أي: كأنه يكلف الصعود إلى السماء، الذي لا حيلة له فيه.

وهذا سببه، عدم إيمانهم، هو الذي أوجب أن يجعل الله الرجس عليهم، لأنهم سدوا على أنفسهم باب الرحمة والإحسان، وهذا ميزان لا يعول، وطريق لا يتغير، فإن من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، يسهره الله ليسرى، ومن بخل واستغنى وكذب بالحسنى، فسييسره للعسرى. انتهى

والإرادة في الآية كونيّة وهي المرادفة للمشيئة فلا بدّ أن تقع، فمن يرد الله هدايته وتوفيقه وتسديده لا بدّ أن يسلك هذا السبيل ويشرح صدره للإسلام وللإيمان ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيَّ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيَّ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧]، والله عزَّ وجلَّ هو الذي يهدي يشاء فضلاً ويضلّ من يشاء عدلاً والمراد بالهداية هنا هداية التوفيق وهي خاصّة بالله عزَّ وجلَّ على ما تقدّم بيانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

التفريق بين الإرادتين:

١- فالإرادة الكونية: هي المعبر عنها بمشيئة الله تعالى، وهذه الإرادة لا يخرج عنها شيء، فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء، فالطاعات، والمعاصي

كلها بمشيئة الرب وإرادته، ومن أمثلتها قوله: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدٍّ لَهُ﴾ [الرعد: ١١].

٢- **والإرادة الشرعية:** تتضمن محبة الله **عَزَّوَجَلَّ** ورضاه، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

والفرق بينهما:

- ١- الإرادة الكونية تكون فيما يحبه الله تعالى وما لا يحبه.
- الإرادة الشرعية لا تكون إلا فيما يحبه الله **عَزَّوَجَلَّ**.
- ٢- الإرادة الكونية لا بد أن تقع.
- الإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع.
- ٣- الإرادة الكونية مرادفة للمشيئة.
- الإرادة الشرعية مرادفة للمحبة والرضا.
- ٤- الإرادة الكونية مقصودة لغيرها كخلق إبليس، فإنه رأس الشر لكن خلقه الله **عَزَّوَجَلَّ** لحكمة، فتحقق بسبب وجوده الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك.
- الإرادة الشرعية مقصودة لذاتها.
- ٥- الإرادة الكونية متعلقة بربوبية الله وخلقها.
- الإرادة الشرعية متعلقة بألوهية الله وشرعه.
- ٦- الإرادتان تجتمعان في حق المطيع وتفرقان في حق العاصي مثاله إيمان أبي بكر أَرَادَهُ الله **عَزَّوَجَلَّ** كوناً وشرعاً، إما كونه أَرَادَهُ كوناً فوقوقه دليل عليه، وأما أنه أَرَادَهُ

شرعاً، فالإيمان محبوب إلى الله **عَزَّجَلَّ**، بينما إيمان أبي جهل أرادَه الله **عَزَّجَلَّ** شرعاً ولم يردَه كوناً، ولو أرادَه كوناً لوقع ^(١).

لأننا نعلم أن مراد الله الكوني لا بد أن يقع كما في حديث ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، الترمذي (٢٥١٦) ومسند أحمد (٢٦٦٩).



(١) انظر "منهاج السنة" (٣/ ١٨٠-١٨٣)، "الطحاوية" (١١٤)، "الإيمان بالقضاء والقدر" (٩٧-٩٩).



إثبات صفة المحبة لله عز وجل

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ [البقرة: ١٩٥].

في هذه الآية: الأمر بالإحسان العام والحث عليه وهو نوعان:

الأول: إحسان فيما بين العبد وبين الله عز وجل:

ويكون بتوحيد الله تعالى وطاعة أمره والانتفاء عن نفيه وزجره، وهذا النوع يدخل دخولا أوليا في الإحسان المأمور به **قَالَ تَعَالَى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

الثاني: إحسان يكون بين العباد:

ويكون بكف الأذى وبذل الندى وطلاقة الوجه، وهو المعبر عنه بحسن الخلق، وسيأتي الكلام عليه في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

فالإنسان محتاج إلى تطبيق الإحسانين وأهمها الذي بينه وبين الله **عَزَّوَجَلَّ** وكثير من الناس يهتم بتطبيق الباب الثاني ويظن أن المطلوب هو الإحسان إلى الخلق فيعطي لهذا ويكرم هذا وهو مضيع لباب العقيدة، مضيع لحق الله **عَزَّوَجَلَّ**.

والأدلة في فضل الإحسان كثيرة، منها: حديث شَدَّاد بن أَوْس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (١٩٥٥)، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «إِنَّ اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ** كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحَدِّثْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُخْرِجْ ذَبِيحَتَهُ».



ومنها: حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللَّهَ يُعْضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيَّ»، ومنها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن عساکر (٨٩٥) قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَنْزِلًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا فِي الدُّنْيَا»

وفي الآية: إثبات صفة المحبة لله عَزَّ وَجَلَّ وهي من الصفات الثبوتية الفعلية وقولنا الثبوتية لأنها ثابتة لا منفية وقولنا الفعلية لأنها متعلقة بمشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ، يُحِبُّ من شاء متى شاء، وهي منقسمة إلى قسمين:

١- **محبة مقيدة بوصف:** مثل ما في هذه الآيات، ومثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

٢- **محبة مقيدة بشخص:** مثل ما صح في فضل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٠٩٠) ومسلم (٢٤٠٦)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ عَدَا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ».

قال رحمه الله:

﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

فعل أمر بالإقسط وهو العدل ويأتي من قسط بمعنى الجور، فَالْهَمْزَةُ فِيهِ لِلْسَّلْبِ. وفيه إثبات صفة المحبة على ما تقدّم والمقسطون هم العادلون، وقد أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بالقيام بالقسط، ف **قَالَ تَعَالَى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥]، و **قَالَ تَعَالَى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٨]، وفي حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٨٢٧)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ

الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ **عَزَّجَلَّ**، وَكَلَّمَا يَدِيهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَغْدُلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا».

وفي صحيح مسلم (٢٨٦٥): عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ».

قال رحمه الله:

﴿فَمَا اسْتَقْلَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

الآية في شأن الكفار الذين بينهم وبين رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد، وميثاق مع أن حال الكفار نقض العهود والمواثيق بل حالهم كما قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٨) أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ [التوبة: ٨-١٠]

وفيهما: إثبات صفة المحبة لله **عَزَّجَلَّ** وأنه يحب المتقين.

وفي صحيح مسلم (٢٩٦٥): عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ».

ومن أسباب محبة الله للعبد محبته في الله: أخرج أبو داود (٥١٢٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لِأَحَبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْلَمْتَهُ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «أَعْلَمْتَهُ» قَالَ: فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُكَ فِي اللَّهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبَنِي لَهُ.

وعَنِ الْقَدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ» أبو داود (٥١٢٤).



والمُتَّقُونَ هم الذين يجعلون بينهم وبين مسخطات الله وقاية أو بينهم وبين النار وقاية، وأعظم ما تتحقق به التقوى العلم، والنبى ﷺ يقول: «والله، إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي» من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١١١٠).

والتقوى من أسباب الفلاح، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢-٥]

ومن أسباب التمييز بين الحق والباطل، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝﴾ [الأفغال: ٢٩].

ومن أسباب تفريج الكرب وقضاء الحاجات وتيسير الأمور، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۝﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِّنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝﴾ [الطلاق: ٤-٥].

وهي من أعظم أسباب دخول الجنة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْفُحْمُ وَالْفَرْجُ». أخرجه الترمذي (٢٠٠٤). إلى غير ذلك.

قال رحمه الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقوله: ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

فيه: إثبات صفة المحبة، وفيها بيان فضيلة التوبة، والتوَاب التوبة، وقد أمر الله تعالى بالتوبة ورغب فيها فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، **وقال تعالى:** ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وفضلها عظيم **قال تعالى:** ﴿وَأُولَئِكَ لَعَقَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، **وقال تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: ٦٨-٧١]، وهي واجبة على الفور من جميع الذنوب، وتأخيرها معصية تحتاج إلى توبة.

* وللتوبة شروط خمسة ذكرتها مع أدلتها في كتابي "شروط التوبة إلى الله":

الأول: الإخلاص.

لأن التوبة عبادة والعبادة يُشترط فيها الإخلاص والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥] وقول الرسول **عليه الصلاة والسلام:** «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»، من حديث عمر **رضي الله عنه** عند البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

الثاني: أن تكون في زمن تقبل فيه التوبة.

لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] ففي صحيح مسلم (١٥٨): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَا لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالِدَجَالُ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ». ولحديث النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ»، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد (٦١١٠)، ولحديث صفوان بن عَسَّال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٣٠/٢٤)، وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ بِالْمَغْرِبِ بَابًا مَسِيرَةً عَرَضِهِ سَبْعُونَ عَامًا لِلتَّوْبَةِ، لَا يُغْلَقُ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ قَبْلِهِ».

الثالث: أن يُقلع عن الذنب.

لأن الذي يتعاطى الذنب ويزعم أنه تائب هذا عنده استهزاء بشرع الله عَزَّ وَجَلَّ وكاذب في دعواه.

الرابع: العزم على عدم العود.

ويكون بالقلب فيعزم أن لا يعود إلى هذا الذنب أبداً وهل هو من شروط التوبة أن لا يقع منه العود مطلقاً، وقد قال بهذا القول بعض أهل العلم، والصحيح أن الله يقبل التوبة إن توفرت شروطها وإن عاد ما لم يكن عازماً على العود، والدليل على ذلك حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الرسول ﷺ: «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ - فَأَغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - أَوْ أَصَبْتُ - آخَرَ، فَأَغْفِرْهُ؟ فَقَالَ: أَعْلِمَ

عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرَبِّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ - أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ - آخَرَ، فَاعْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»، رواه البخاري (٧٥٠٧)، مسلم (٢٨٥٧).

الخامس: الندم.

قد جاء حديث لا يثبت عن النبي ﷺ بلفظ: «التَّوْبَةُ نَدَمٌ»، وهو موقف على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٢٧٧٥١) و(٢٧٧٥٢).

هذه شروط التوبة في الذنوب التي بين العبد وبين الله عَزَّوَجَلَّ فإذا كان الذنب بين العبد وغيره من العباد. فيلزم شرطاً سادساً وهو ردّ الحقوق إلى أهلها والتحلل من ذلك.

فإن كان ما لا ردّه وإن كانت غيبة اختلف العلماء فقال بعضهم يستسمح منه وقال بعضهم إن كانت الغيبة وصلته يستسمح منه وإن كانت لم تصله يستغفر له، لا يسيء إليه مرتين مرّة بغيبته ومرّة بأذيته حين يذهب ويقول أنا اغتبتك وقلت فيك وقلت فيك، هذه أذية فوق الأذية لكن يستغفر له وإن بلغه الكلام في يوم من الأيام يقول والله وقعنا فيك ونطلب منك العذر وإن كان زنا أو لواط أو غير ذلك فهنا لا يجوز أن يذهب ويتحلل ربّما يُفسد على الرجل أهله أو تحصل مشاكل عظيمة ولكن يتوب إلى الله ويستغفره ويكثر من ذلك لعلّ الله أن يتجاوز عنه.

فإن كان الذنب بدعة يُضاف إلى ما تقدّم من الشروط، شرطين مذكورين في كتاب

الله عَزَّوَجَلَّ:

الأول: الإصلاح.

الثاني: البيان.

لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ۖ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۖ﴾ [١٦٠] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۖ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۖ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٢].

قال السعدي رحمه الله: هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله: ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الدالات على الحق المظهرات له، ﴿وَالْهُدَىٰ﴾ وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم، من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم، بأن يبينوا الناس ما من الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموا، فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين، كتم ما أنزل الله، والغش لعباد الله، فأولئك: ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: يبعدهم ويطردهم عن قربهِ ورحمته. ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة، لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله، فجوزوا من جنس عملهم، كما أن معلم الناس الخير، يصلي الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق، وإصلاح أديانهم، وقربهم من رحمة الله، فجوزي من جنس عمله، فالكاتم لما أنزل الله، مضاد لأمر الله، مشاق لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يطمسها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ أي رجعوا عما هم عليه من الذنوب، ندما وإقلاعا، وعزما على عدم المعاودة ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما فسد من أعمالهم، فلا يكفي ترك القبيح حتى يحصل فعل الحسن.



ولا يكفي ذلك في الكاتم أيضًا، حتى يبين ما كتبه، وييدي ضد ما أخفى، فهذا يتوب الله عليه، لأن توبة الله غير محجوب عنها، فمن أتى بسبب التوبة، تاب الله عليه، لأنه ﴿التَّوَابُ﴾ أي: الرجاء على عباده بالعفو والصفح، بعد الذنب إذا تابوا، وبالإحسان والنعم بعد المنع، إذا رجعوا، ﴿الرَّجِيمُ﴾ الذي اتصف بالرحمة العظيمة، التي وسعت كل شيء ومن رحمته أن وفقهم للتوبة والإنابة فتابوا وأنابوا، ثم رحمهم بأن قبل ذلك منهم، لطفا وكرما، هذا حكم التائب من الذنب. انتهى

فإن كان الذنب كفرًا فتكون التوبة منه بالإيمان قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وهل التوبة من الكفر تهدم جميع الذنوب أم لا بد أن يتوب من كل ذنب بعينه؟

الصحيح: أنه إن تاب توبة مجملة من الكفر إلى الإسلام فإنها تهدم جميع ذنوبه لحديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه مسلم (١٢١)، قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأَبَايَعَكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟».

ولكن إن أسلم من الكفر وكان لاجًا في الزنا أو مريدًا للاستمرار في الزنا أو الخمر هنا يلزمه أيضًا التوبة من الذنب وتكون التوبة من الكفر مكفرة للذنوب التي لم يعزم عليها لحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسلم (١٢٠)، قَالَ: قَالَ أَنَسٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنُؤَاخِذُ بِمَا عَمَلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: «أَمَّا مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فِي الْإِسْلَامِ، فَلَا يُؤَاخِذُ بِهَا، وَمَنْ أَسَاءَ، أَخِذَ بِعَمَلِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ».

وإن كان الذنب نفاقاً وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر فعلى الشروط التي تقدّمت مع ما هو مبين في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٧].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: يخبر تعالى عن مآل المنافقين أنهم في أسفل الدرجات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب. فهم تحت سائر الكفار لأنهم شاركوهم بالكفر بالله ومعاداة رسله، وزادوا عليهم المكر والخديعة والتمكن من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين، على وجه لا يشعر به ولا يحس. ورتبوا على ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه، فبذلك ونحوه استحقوا أشد العذاب، وليس لهم منقذ من عذابه ولا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه، وهذا عام لكل منافق إلا مَنْ مَنَّ اللَّهُ عليهم بالتوبة من السيئات. ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ له الظواهر والبواطن ﴿وَأَعْتَصَمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ والتجأوا إليه في جلب منافعهم ودفع المضار عنهم. ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ﴾ الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان (لله).

فقصّدوا وجه الله بأعمالهم الظاهرة والباطنة وسلّموا من الرياء والنفاق، فمن اتصف بهذه الصفات ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يعلم كنهه إلا الله، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وتأمل كيف خص الاعتصام والإخلاص بالذكر، مع دخولهما في قوله: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ لأن الاعتصام والإخلاص من جملة الإصلاح، لشدة الحاجة إليهما خصوصاً في هذا المقام الحرج الذي يمكن من القلوب النفاق، فلا يزيله إلا شدة الاعتصام بالله، ودوام اللجأ والافتقار إليه في دفعه،



وكون الإخلاص منافيا كل المنافاة للنفاق، فذكرهما لفضلهما وتوقف الأعمال الظاهرة والباطنة عليهما، ولشدة الحاجة في هذا المقام إليهما. انتهى

وقوله: **{وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}**: المراد بالتطهر هنا طهارة البدن وتدخل فيها طهارة القلب قال الله تعالى: **{وَيُثَابِكُ فَطَهَّرَ}** [المدثر: ٤]، وقد ذكر في أسباب النزول أنها أنزلت في شأن أصحاب قباء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** كانوا إذا قضوا حوائجهم استنجوا بالحجارة والماء ولا يثبت لأنه مرسل عن عطاء.

وأخذ الزينة، والنظافة داخل تحت عمومات كثيرة منها قوله تعالى: **{يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوًّا زَيْنَتُهُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}** [الأعراف: ٣١]، وفي صحيح مسلم (٩١): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: **«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»**. قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ»**.

وقوله: **{فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ}** [المائدة: ٥٤].

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ (٣ / ١٣٥)**: يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ أَنَّ مَنْ تَوَلَّى عَنْ نُصْرَةِ دِينِهِ وَإِقَامَةِ شَرِيعَتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتَبْدِلُ بِهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لَهَا مِنْهُ وَأَشَدُّ مَنَعَةً وَأَقْوَمُ سَبِيلًا **كَمَا قَالَ نَبِيُّنَا**: **«وَأَنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ»** [مُحَمَّدٍ: ٣٨]، **وَقَالَ نَبِيُّنَا**: **«إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ»** [النساء: ١٣٣]، **وَقَالَ نَبِيُّنَا**: **«إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ»** [إِبْرَاهِيمَ: ١٩-٢٠] أَيْ: بِمُتَمَنِّعٍ وَلَا صَغْبٍ. **وَقَالَ نَبِيُّنَا** هَاهُنَا: **«يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ»** أَيْ: يَرْجِعْ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: نَزَلَتْ فِي الْوَلَاةِ مِنْ قُرَيْشٍ. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الرَّدَّةِ أَيَّامَ أَبِي بَكْرٍ.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قَالَ الْحَسَنُ: هُوَ وَاللَّهُ أَبُو بَكْرٍ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ عَيَّاشٍ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ هُمْ أَهْلُ الْقَادِسِيَّةِ. وَقَالَ لَيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: هُمْ قَوْمٌ مِنْ سَبَأٍ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَجَلَحِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قَالَ: نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، ثُمَّ مِنْ كِنْدَةَ، ثُمَّ مِنَ السَّكُونِ. وَحَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُصَفَّى، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ -يَعْنِي ابْنَ حَفْصٍ- عَنْ أَبِي زِيَادٍ الْحِلَفَانِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدَرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ﴾ قَالَ: «هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مِنَ أَهْلِ الْيَمَنِ، ثُمَّ مِنْ كِنْدَةَ، ثُمَّ مِنَ السَّكُونِ، ثُمَّ مِنْ تُجَيْبٍ». وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ -يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الْوَارِثِ- حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكٍ، سَمِعْتُ عِيَّاضًا يُحَدِّثُ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُم قَوْمٌ هَذَا». وَرَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ بْنِ نَحْوِهِ.

* قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم رحمه الله "الآحاد والمثاني" (٤/ ٤٦٠).



٢٥١٥ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ عِيَّاضِ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هُم قَوْمٌ هَذَا» يُرِيدُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. انتهى

وقال السعدي (ص: ٢٣٥): يخبر تعالى أنه الغني عن العالمين، وأنه من يرتد عن دينه فلن يضر الله شيئاً، وإنما يضر نفسه. وأن الله عبداً مخلصين، ورجالاً صادقين، قد تكفل الرحمن الرحيم بهدايتهم، ووعد بالإتيان بهم، وأنهم أكمل الخلق أوصافاً، وأقواهم نفوساً، وأحسنهم أخلاقاً، أجل صفاتهم أن الله ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ فإن محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبداً يسر له الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد.

ومن لوازم محبة العبد لربه، أنه لا بد أن يتصف بمتابعة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ظاهراً وباطناً، في أقواله وأعماله وجميع أحواله، كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

كما أن من لازم محبة الله للعبد، أن يكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح عن الله: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ مَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ».

ومن لوازم محبة الله معرفته تعالى، والإكثار من ذكره، فإن المحبة بدون معرفة بالله ناقصة جداً، بل غير موجودة وإن وجدت دعواها، ومن أحب الله أكثر من ذكره، وإذا أحب الله عبداً قبل منه اليسير من العمل، وغفر له الكثير من الزلل.



ومن صفاتهم أنهم ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله - أعزة، قد اجتمعت همهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم، **قَالَ تَبَّالِي: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾** **وَقَالَ تَبَّالِي: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾** فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن. فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم.

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بأموالهم وأنفسهم، بأقوالهم وأفعالهم. ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ بل يقدمون رضا ربهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين، وهذا يدل على قوة همهم وعزائمهم، فإن ضعيف القلب ضعيف الهمة، تنتقض عزمته عند لوم اللائمين، وتفترق قوته عند عدل العاذلين. وفي قلوبهم تعبد لغير الله، بحسب ما فيها من مراعاة الخلق وتقديم رضاهم ولومهم على أمر الله، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله، حتى لا يخاف في الله لومة لائم.

ولما مدحهم تعالى بما من به عليهم من الصفات الجليلة والمناقب العالية، المستلزمة لما لم يذكر من أفعال الخير - أخبر أن هذا من فضله عليهم وإحسانه لئلا يعجبوا بأنفسهم، وليشكروا الذي منَّ عليهم بذلك ليزيدهم من فضله، وليعلم غيرهم أن فضل الله تعالى ليس عليه حجاب، فقال: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: واسع الفضل والإحسان، جزيل المنن، قد عمت رحمته كل شيء،

ويوسع على أوليائه من فضله، ما لا يكون لغيرهم، ولكنه عليم بمن يستحق الفضل فيعطيه، فالله أعلم حيث يجعل رسالته أصلاً وفرعاً. انتهى

قوله رَحْمَةُ اللَّهِ :

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنَيَّنٌ مَرَّضُونَ﴾ [الصف: ٤].

فيها: إثبات محبة الله عز وجل وأنه يحب المقاتلين المجاهدين في سبيله وفيه فضيلة الجهاد في سبيل الله، وفي المستدرك عن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قعدنا نفر من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عملنا فأنزل الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنَيَّنٌ مَرَّضُونَ﴾ ﴿إِلَى آخِرِ السُّورَةِ وَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ [التوبة: ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]، **وقال تعالى:** ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تَجَرُّعِ تُجْحِكُمْ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الصف: ١٠-١١]، والشاهد من سوق هذه الآيات إثبات صفة المحبة لله.

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾
[آل عمران: ٣١].

ساقها المصنف مدلاها على إثبات صفة المحبة لله تعالى، وفيها بيان أن من علامة محبة الله عز وجل اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا علم أن الله عز وجل لا يقبل عملا من أعمال العباد إلا بتوفر شرطين عظيمين:

الأول: الإخلاص.

الثاني: المتابعة.

قال السعدي رحمه الله: وهذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لا بد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاه، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حفظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبههم لله، وما نقص من ذلك نقص. انتهى



إثبات صفة الود لله عز وجل

قال رحمه الله:

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [البروج: ١٤].

في الآية: إثبات اسمي الغفور، والودود وقد ذكر الغفور في القرآن منها قوله تعالى:

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨]، وقوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]،

وقوله: ﴿فَإِنْ أَنْتَ هَؤُلَاءِ لَنَنْصُرَنَّكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٢]، **وقال تعالى:** ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

قال السعدي رحمه الله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأتاب.

﴿الْوَدُودُ﴾ الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال، والمعاني والأفعال، فمحبتته في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب، ولهذا كانت محبته أصل العبودية، وهي المحبة التي تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم يكن غيرها تبعاً لها، كانت عذاباً على أهلها، وهو تعالى الودود، الواد لأحبابه، كما **قال تعالى:** ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] والمودة هي المحبة الصافية، وفي هذا سر لطيف، حيث قرن الودود بالغفور، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين.

بل الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب، من رجل له راحلة، عليها طعامه وشرابه وما يصلحه، فأضلها في أرض فلاة مهلكة، فأيس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر



الموت، فبينما هو على تلك الحال، إذا راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها، فالله أعظم فرحاً بتوبة العبد من هذا براحلته، وهذا أعظم فرح يقدر.

فله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيريه، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه. انتهى

وفيهما: إثبات صفة المغفرة لله **عَزَّوَجَلَّ**، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، وفيها إثبات صفة الود لله وهي صافي المحبة فالمحبة مراتب ومنها الود والخلة:

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي ❀ وَبِذَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا
فأعلى درجات المحبة الخلة ومنها الود وهو صافي المحبة وكل هذه الآيات مع ما ذكرنا من الأحاديث إثبات صفة المحبة لله **عَزَّوَجَلَّ** وهي من الصفات الفعلية، ومن أسباب المحبة التقرب إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** بالعبادات، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيما يرويه عن ربه تعالى: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٦٥٠٢).

ومن الأحاديث في إثبات صفة المحبة:

قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ

فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيَبْغِضُهُ جَبْرِيلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تَوْضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٦٣٧).

وأيضًا: حديث عائشة وأبي هريرة وعمران بن حصين وأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وألفاظهم متقاربة قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»، رواه البخاري (٦٥٠٧)، مسلم (٢٦٣٨)، وهذه الأحاديث في الصحيح.

وطريقة المعتزلة والأشاعرة أنَّهم يُعْطِلُونَ الله من صفاته فالمعتزلة ينفون جميع الصفات والأشاعرة لا يشتون إلا سبعة صفات وهي (الحياة، والقدرة، الإرادة، والعلم، والسمع، والصبر، والكلام)، ومع ذلك لا يشتونها بدلالة الكتاب لأنها ظنية الدلالة، والكتاب والسنة عاضدًا فقط لعقولهم فيقولون نحن نثبت لله عَزَّ وَجَلَّ صفة القدرة، لأنَّ هذا العالم وما فيه يدلُّ على أنَّه قادر والتخصيص مثاله رجل أبيض وأسود وامرأة وشجرة وكلب وحمار وحجر يدلُّ على الإرادة والإتقان يدلُّ على العلم، وهذه الصفات لا يتَّصف بها إلا الحيَّ، والحيَّ إمَّا أن يكون سميعًا، بصيرًا، متكلمًا، أو العكس وهذه صفات كمال، وضدها نقص، وينفون عن الله عَزَّ وَجَلَّ بقية الصفات لا سيما الفعلية، ومن هذا الباب نفي صفة المحبة ويُفسِّرونها بإرادة الإحسان، بينما المعتزلة يفسرونها بالإحسان، وهذا تفسير باللازم وهو تفسير باطل يردّه الكتاب والسنة والإجماع.

فإنَّ الله أضاف المحبة إلى نفسه وهي معنى يقوم بغيره فإضافته إلى الله إضافة صفة إلى موصوف، وممَّا يدلُّ على أنَّه يُحِبُّ أوليائه أنَّه يُكرِّمهم ويُحسن إليهم.



القول في صفة الرحمة

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].

هذه الآية وما بعدها متضمنة لإثبات صفة الرحمة، واسم الله واسم الرحمن من الأسماء الخاصة بالله عزَّوجلَّ لا يجوز أن يُسمَّى به غيره ولا نعلم أحداً تسمَّى بالرحمن إلا مسيلمة الكذاب لعنه الله سمَّى نفسه رحمان اليمامة، والكفار كانوا يثبتون بعض الأسماء والصفات ولما: ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] قالوه مكابرة وإلا ففي أشعار بعضهم:

(أَلَا قَضَبَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا)

ورحمة الله عزَّوجلَّ صفة من صفاته غير مخلوقة فإن استدللَّ مستدلٌّ بحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عَنْدَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَحَّمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ»، أخرجه البخاري (٦٠٠٠)، مسلم (٢٧٥٢)، فهذه الرحمة مخلوقة، أمَّا الرحمة المضافة إلى الله فهي صفته.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبُ تَذِيهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»، البخاري (٥٩٩٩)، مسلم (٢٧٥٤).



وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ازْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ»، من حديث عبدالله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أبي داود (٤٩٤١)، الترمذي (١٩٢٤)، مسند أحمد (٦٤٩٤).

وقال عيله الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٧٤٢٢) واللفظ له ومسلم (٢٧٥١).

قال رحمه الله:

﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةُ وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

هذا دليل على سعة رحمة الله **عَزَّوَجَلَّ** وفيه أن الإنسان لا يقنط من رحمة الله **عَزَّوَجَلَّ** ويدع ربه أن يعفو عنه ويتجاوز عنه ويتوسل إليه برحمته الواسعة التي وسعت كل شيء وفي دعاء الملائكة: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

ويشرع سؤال الله بعلمه: «اللَّهُمَّ بَعْلَمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْبَبْنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِّي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِّي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُّضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُّضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هَذَاهُ مُهْتَدِينَ»، من حديث عمار بن ياسر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند النسائي (١٣٠٥) و(١٣٠٦)، ومسند أحمد (١٨٣٢٥).

ومن أنواع التوسّل: التوسّل بالأسماء والصفات قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومن أنواع التوسّل المشروع: التوسّل بالعمل الصالح: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وهكذا ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشُّونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوْوُوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ فَاَنْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمُ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي وَلِي صَبِيَّةٌ صَغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِي وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ أَتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحَلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أَوْقِطَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصَّبِيَّةَ قَبْلَهُمَا وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ قَدَمَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِي وَدَأْبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً تَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ، وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمَّ أَحَبَبْتُهَا كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَتَعَبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً. فَفَرَجَ لَهُمْ. وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَحِيرًا بِفَرَقٍ أَرْزُ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَةً فَرَغَبَ عَنْهُ فَلَمْ أَزَلْ أَرْزَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطْلِمْنِي حَقِّي. قُلْتُ اذْهَبْ إِلَى

تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا. فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي. فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرِعَاءَهَا. فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَأَفْرِجْ لَنَا مَا بَقِيَ. فَفَرَّجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ.»

والنوع الثالث من التوسّل: التوسّل بدعاء الرجل الصالح، عن عطاء بن أبي رباح قَالَ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: قُلْتُ بَلَى، قَالَ: هَذِهِ السُّودَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَقَالَتْ: إِنِّي أَصْرَعُ وَأَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتَ صَبْرَتِ، وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ، دَعَوْتُ اللَّهَ لَكَ أَنْ يُعَافِيكَ»، قَالَتْ: لَا، بَلْ أَصْبِرُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ - أَوْ لَا يَنْكَشِفَ عَنِّي - قَالَ: فَدَعَا لَهَا. رواه البخاري (٥٦٥٢)، وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: «إِنَّ خَيْرَ التَّائِبِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ»، رواه مسلم (٢٥٤٢)، والتوسّل المبتدع هو التوسّل بجاه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أو بجاه الصالحين فَإِنَّ جَاهَ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مختصّ به وكذلك جَاهُ الصالح مختصّ به فكيف تقول: (اللهم أتوسّل إليك بجاه محمّد) بل التوسّل المشروع هو التوسّل بالإيمان بالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** **قَالَ نَبِيُّ**: «رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ» [آل عمران: ٥٣].

وأما التوسّل بدعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو شرك أكبر مخرج من الملة كأن يقول: (يا محمّد اغفر لي، أو يا حسيناه أجب لي) أو غير ذلك.

قال رحمه الله:

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

هذه الآية تدلّ كسابقتها على إثبات صفة الرحمة لله **عَزَّ وَجَلَّ**، وسعة رحمته للمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِذَا زُيِّنَ لَهُمْ مَا أُمَرُوا بِهِ عَزَزُوهُ وَصَرُّوه وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧]، هذه الآية تضمنت

أصناف الذين يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فإذا أردت معرفة الآية فانظر إلى سياقها، فمثلاً قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾

[التوبة: ١١١]، يستدل بعضهم بهذه الآية على فضيلة الجهاد في سبيل الله ولو نظرت إلى الآية التي تتبع هذه الآية لوجدت أَنَّ الشراء يتعدى إلى أصناف كثيرة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وهكذا قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

ومنهم المتقون: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٥].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وفي الحديث: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٤٢٢)، كتب على نفسه وأوجب تفضلاً أَنْ رَحْمَتُهُ تسبق غَضَبُهُ.

قال رَحْمَةُ اللَّهِ :

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

فيه: إثبات اسم الرحيم لله عزَّ وجلَّ وفيه إثبات اسم الغفور وإثبات صفة المغفرة قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، أي: صاحب الرحمة المتصف بها.

وفي الحديث: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (١٥١٦)، الترمذي (٣٤٣٤)، ابن ماجه (٣٨١٤)، مسند أحمد (٤٧٢٦). وفي الحديث قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ اَرْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرَهَ لَهُ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٣٣٩) ومسلم (٢٦٧٩).

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّةً، وَجِلَّةً، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٤٨٣).

ودعاء المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

قال رَحْمَةُ اللَّهِ :

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

من أسماء الله (الخير) و(الحافظ)، (الرحمن والرحيم) وقوله: ﴿أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾، هذا من الأسماء المركبة، وكذلك من الأسماء المزدوجة، فله كمال من إفراده، وكمال من تركيبه، واقتراانه، وقد نقل شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ الإجماع على أن الأسماء المركبة مما يُدعى الله بها، ومنها: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، و: ﴿مَلِكِ يَوْمِ

الَّذِينَ ﴿الْفَاتحة: ٤﴾، و﴿جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩]، و﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، و﴿مَقْلَبُ الْقُلُوبِ، مَصْرَفُ الْقُلُوبِ﴾.

وصفة الرحمة صفة ذاتية من حيث تعلّقها بالذات وصفة فعلية من حيث آحادها، والعجب من الأشاعرة حيث يثبتون صفة الإرادة بالعقل ويثبتون صفة المحبة وصفة الرحمة مع أنّنا لو استخدمنا الدلالة العقلية على إثبات صفة الإرادة وإثبات صفة الرحمة والمحبة لوجدنا أن دلالتها على صفة الرحمة أقوى من دلالة الاختصاص على الإرادة فإننا نرى أن الله يرحم أوليائه ويرزقهم ويوفّقهم ويهديهم ويُسدّدهم، ويدافع عنهم وينصرهم، ويُنزّل عليهم الأمطار، وينبت لهم الثمار، ويأتيهم بالأرزاق. **وقوله: ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** دليل على أن عدد أسماء الله **عَزَّوَجَلَّ** غير محصورة بعدد معلوم لنا وبيانه أنّك إذا تتبعت القرآن والسنة وجدت أن أسماء الله **عَزَّوَجَلَّ** المذكورة في القرآن مع الأسماء المركبة أكثر من تسعة وتسعين اسمًا فإمّا أن يقول أصحاب هذا القول أن هذه ليست أسماء الله فيُلحدون وإمّا أن يقولوا إنّها أسماء الله **عَزَّوَجَلَّ** فيُخصمون.



إثبات صفة الرضا لله عز وجل

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

صفة الرضا من الصفات الفعلية، وقد دلّ عليها الكتاب والسنة والإجماع، وما ذكره من قول الله تعالى قد تضمنته عدة آيات في القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال الله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّيْ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا»، رواه مسلم (٢٧٣٤).

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تَنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٧١٥).

وهكذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ لأهل الجنة كما في الحديث القدسي: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؟ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا

أَعْطَيْكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في البخاري (٦٥٤٩)، مسلم (٢٨٢٩).

حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٦٧٧) أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الَّذِينَ قُتِلُوا: «إِنَّ إِخْوَانَكُمْ الَّذِينَ قُتِلُوا قَالُوا لِرَبِّهِمْ: بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ، فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا»، كُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى إِثْبَاتِ صِفَةِ الرِّضَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّوِيلِ فِي قِصَّةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٣٤٦٤)، مُسْلِمٌ (٢٩٦٤).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ». وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم (٤٨٦) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

فيه: الاستعاذة بصفة الله الرضا، فمن زعم أَنَّ الرضا هو الإحسان فقد أبعد لأنَّ الإحسان مخلوق والله عَزَّ وَجَلَّ يقول لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [الزمر: ٦٥]، وهذا الوجه من الأدلة التي يخصم بها المبتدعة.

وَعَنْ جُوَيْرِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَصْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ قُلْتُ بِعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وَزَنْتُ بِمَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنْتُهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِينَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»، رواه مسلم (٢٧٢٦).



إثبات صفة الغضب لله عز وجل

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ﴾ [النساء: ٩٣].

فيه: إثبات صفة الغضب لله **عَزَّجَلَّ** وهي من الصفات الفعلية دلَّ عليها القرآن والسنة والإجماع، وقال **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَاثُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٢]، وقال **نَهَالِي**: ﴿وَلَكِنَّ مِّنْ شَرِّ الْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقال **نَهَالِي**: ﴿وَالْحَمْسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٩]، وقال **عَزَّجَلَّ**: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤] في آيات كثيرات.

ويدلُّ على إثبات صفة الغضب حديث الشفاعة وفيه: «إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، نَفْسِي نَفْسِي»، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٣٣٤٠) واللفظ له، ومسلم (١٩٤)، فكل نبي ممن يأتونهم يقول هذا القول.

وفي الحديث الذي تقدّم: «أَحْلُ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَغْضَبُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»، وفي البخاري (٢٣٥٦) ومسلم (١٣٨) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ، يَنْتَطِعُ بِهَا مَالِ امْرِئٍ مُّسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ»، قَالَ: فَدَخَلَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ: مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالُوا: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صَدَقَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فِي نَزَلَتْ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ أَرْضٌ بِالْيَمَنِ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقَالَ: «هَلْ لَكَ بَيْنَهُ؟» فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: «فِيمِئْتَهُ»، قُلْتُ: إِذَنْ يَحْلِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عِنْدَ ذَلِكَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ

صَبْرٍ، يَتَقَطَّعُ بِهَا مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ» فَتَرَلَّتْ:
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

وفي مسلم (٢٥٠٤): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، حَدَّثَنَا بِهِزٌ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ عَائِدِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ، أَتَى عَلَى سَلْمَانَ، وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذْتَ سُيُوفَ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَا أَخَذَهَا، قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخٍ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغَضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغَضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغَضَبْتَ رَبَّكَ» فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَانَهُ أَغَضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا يَعْفُرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي.

وفي البخاري (٤٠٧٣) ومسلم (١٧٩٣) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ، يُشِيرُ إِلَى رِبَاعِيَّتِهِ، اَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

وفي البخاري (٤٠٧٤) عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: «اَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، اَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ دَمَوْا وَجْهَ نَبِيِّ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

وفي الآية: عِظْمُ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ وقوله: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]، هذا إن جزاه وإلا فإنَّ من عقيدة المسلمين أنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَإِنْ اقْتَرَفَ الذَّنْبَ فَإِنَّ مَالَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنْ قَتَلَهُ مُسْتَحِلًّا وَالصَّحِيحُ إِنْ اسْتَحْلَلَ دَمَهُ فَهُوَ كَافِرٌ سِوَا قَتْلِهِ أَوْ لَمْ يَقْتُلْهُ وَأَحَادِيثُ النَّهْيِ عَنِ الْقَتْلِ كَثِيرَةٌ اسْتَوْعَبْنَا الْكَثِيرَ مِنْهَا فِي كِتَابِ "أَحْكَامِ قَتْلِ النَّفْسِ الْمَعْصُومَةِ".

واللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى وقد اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَوَازِ اللَّعْنِ بِالْوَصْفِ، كَأَن تَقُولَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَلَعْنَةُ



الله على الكاذبين إلى غير ذلك، واختلفوا في لعن المعين، فذهب جمهورهم إلى تحريم لعن المعين المسلم والكافر الحي مع اتفاقهم على جواز اللعن بالوصف، ففي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البخاري (٤٨٨٦) ومسلم (٢١٢٥) قال: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَاشِمَاتِ، وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُعَيَّرَاتِ لِخَلْقِ اللَّهِ.

والصحيح: جواز لعن المعين إذا فعل ما يستوجب ذلك لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٦٠٠): دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ فَأَغْضَبَاهُ فَلَعَنَهُمَا وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ هَذَانِ قَالَ: «وَمَا ذَالِكُ؟»، قَالَتْ قُلْتُ لَعَنْتُهُمَا وَسَبَبْتُهُمَا قَالَ: «أَوْ مَا عَلِمْتَ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي قُلْتُ اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا».

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول كما في حديث أبي هريرة، عائشة وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكلها في صحيح مسلم (٢٦٠١): «اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً»، وهذا شرط اشترطه على الله لأن دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستجاب غالبًا.

ثم إن لعن المسلم دعاء بطرد مؤقت من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ واللعن في حق الكافر طرد مؤبد وهذا الترجيح أشار إليه شيخ الإسلام والإمام النووي رحمة الله عليهما ونقل هذا الخلاف ابن مفلح في كتاب (الآداب الشرعية)، وقد لعن السلف أبا حنيفة والكرابييسي، ولعنوا حفص الفرد وبشرًا المريسي ولعنوا غير واحد، وحديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، رواه مسلم عن (٢٥٩٨)، على ظاهره ودلالته والمراد به: المكثرون اللعن غير ما حاجة، فعن أبي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ، عَلَيْهَا

بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ، إِذْ بَصُرْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَصَافَقَ بِهِمُ الْجَبَلُ، فَقَالَتْ: حَلْ، اللَّهُمَّ الْعَنْهَا، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُصَاحِبُنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ»، مسلم (٢٥٩٦)، لَأَنَّهُ عِلْمٌ بِالْوَحْيِ أَنَّ اللَّعْنَةَ قَدْ أَصَابَتْهَا وَالدَّعْوَةُ وَقَعَتْ عَلَيْهَا أَوْ يَكُونُ ذَلِكَ زَجْرًا عَنِ الْإِكْثَارِ مِنْ لَعْنِ الدُّوَابِّ وَالْأَحْجَارِ وَالْأَبْنَاءِ وَالزَّوْجَاتِ، لَكِنْ الدَّعَاءُ عَلَى الْمُسْتَحَقِّ جَائِزٌ إِجْمَاعًا فَكَذَلِكَ اللَّعْنُ لِلْمُسْتَحَقِّ هُوَ دَعَاءٌ، وَيَأْتِي اللَّعْنُ بِمَعْنَى السَّبِّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يُسَبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيُسَبُّ أَبَاهُ، وَيُسَبُّ أُمُّهُ»، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٥٩٧٣)، وقد نقلت ذلك في رَدِّي على طارق السويدان الذي زعم أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَعْنُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ويقول: (ما هذه المهزلة: لعن الله اليهود والنصارى، أنا تتبع القرآن من أوله إلى آخره ما وجدت فيه: لعن الله اليهود والنصارى) لَأَنَّهُ تَتَّبَعَ الْقُرْآنَ -إِنْ كَانَ صَادِقًا- تَتَّبِعُ الزَّائِغِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨] وَبَنُوا إِسْرَءِيلَ هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤].

وفي الصحيحين البخاري (٤٣٥)، مسلم (٥٣١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، وفي مسند أحمد شيء من ذلك نقلتها في ذلك الكتاب وبالله التوفيق وله الحمد.



إثبات صفة السخط لله عز وجل

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد: ٢٨]، ﴿لَيْسَ مَا قَدَمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠].

فيها: إثبات صفة السخط وهي من الصفات الفعلية إذ يفعلها الله متى شاء وفي الحديث: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ»، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم (٤٨٦)، وقد تقدّم الحديث قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٤٦٤)، مسلم (٢٩٦٤).

وفي قَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد: ٢٨]، بيان من الله تعالى أن من أسباب إحباط الله للعمل اتباع ما يسخط من أنواع المعاصي، وعظيم الأثام، وكراهة الوحي والخير. قال السعدي رحمه الله: (ذَلِكَ) العذاب الذي استحقوه ونالوه: (ب) سبب: (أنهم اتَّبَعُوا مَا أَصْحَطَ اللَّهُ) من كل كفر وفسوق وعصيان.

﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ فلم يكن لهم رغبة فيما يقربهم إليه، ولا يدينهم منه، ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: أبطلها وأذهبها، وهذا بخلاف من اتبع ما يرضي الله وكره سخطه، فإنه سيكفر عنه سيئاته، ويضاعف أجره وثوابه. انتهى

وقوله: ﴿لَيْسَ مَا قَدَمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠]. أي مما تعطوه من الغلو، واتباع الهوى، وترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتولي الكافرين، والمخالفين لدين رب العالمين، حتى أوصلهم ذلك إلى اللعن والطرده من رحمة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا مِنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [٧٧] لَعْنِ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ [المائدة: ٧٧-٨١]



إثبات صفة الأسف لله عز وجل

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اٰتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

والأسف هو: شدة الغضب، والانتقام لازمه، وهذه الآية تُبين ذلك، يقول الله:

﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ أي أغضبونا ﴿اٰتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: بالغرق، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَوْرْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ ءَالْفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ۝﴾ [يونس: ٩٠-٩٢]، ويأتي الأسف

بمعنى الحزن قال الله تعالى مخبراً عن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَا سَفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْصَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]، وهذا يُنزّه الله عَزَّوَجَلَّ عنه، وهذه الآية قاضية على تأويل المعطلة الذين يقولون بأن الغضب هو الانتقام كما تقول المعتزلة أو إرادة الانتقام كما تقول الأشاعرة فهذه الآية فرقت بين الغضب ولازمه، وفي الآية بيان عظم انتقام الله من قوم فرعون لما طغوا فأغرقهم في البحر نكالاً وبطشاً بهم.

فإن قالوا الغضب هو الانتقام قلنا اقرأ الآية على هذا التفسير سيكون (فلما انتقمنا انتقمنا منهم) هذا الكلام على هذا التقدير فيه ركابة لا يقوله أسمح العرب فكيف بكلام الله الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ نَزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، فعلم أن الانتقام من لوازم الغضب.



إثبات صفة الكراهة لله عز وجل

قال عز وجل:

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

فيه إثبات صفة الكره لله عز وجل، ويدل عليها قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عند البخاري (١٤٧٧)، مسلم (٥٩٣)، وهي من الصفات الفعلية وفيه إثبات صفة الشيط لله وهي من الصفات الفعلية، يُثَبِّطُ المنافقين ومن إليهم ممن في خروجهم ضرر على الإسلام والمسلمين قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَاجُفُونَكُمْ أَلْفِتْنَةً وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٤٧) لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨) [التوبة: ٤٧-٤٨]، ومع ذلك لما كان الله علما بسرائرهم كره انبعاثهم فثَبَّطَهُمْ، وهذه من حكمة الله عز وجل ولطفه بعباده المؤمنين.



إثبات صفة المقت لله عز وجل

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

ومثلها في إثبات صفة المقت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠].

وفي حديث عياض بن حمار المشاجعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يعند مسلم (٢٨٦٥)، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَّتَهُمْ عَرَبُهُمْ وَعَجَمُهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»، فنثبت هذه الصفة على ظاهرها والمقت هو أشد البغض والله عَزَّجَلَّ مقتٌ يليق بجلاله، كما أنه موصوف بمحبة ورضا وسخط يليق بجلاله، وما أضيف إلى الله عَزَّجَلَّ من الأفعال يشق له منه صفة، والله عَزَّجَلَّ فعَّال لما يريد فأفعاله لا تنتهي لها وكذلك صفاته ولهذا كان باب الصفات أوسع من باب الأسماء. والمقت والكره والمحبة والغضب والسخط والرحمة والرضا معانٍ تقوم بغيرها فتكون إضافتها إلى الله إضافة صفة إلى موصوف على ما هو مقرر من قواعد أهل السنة والجماعة وفي الآية أن القائل بالحق ينبغي له أن يكون مطبقاً له فإنَّ الله عَزَّجَلَّ يمقت ويكره الذي يقول ما لا يفعل.

وفي الحديث: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَفْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»، من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم.

وقد جاء عند الحاكم في مستدركه (٢٨٩٩) عن عبدالله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قعدنا نفر من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله

عملنا فأنزل الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنَيَّنٌ مَرْصُوصٌ ۝﴾ [الصف: ١-٤] إلى آخر السورة وقرأها علينا رسول الله ﷺ، وفي الآية التي بعدها إثبات صفة المحبة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنَيَّنٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، والذي يقول الحق ويعمل بخلافه آثم، قال النبي ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ. قَالَ: قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ»، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسند أحمد (١٢٢١)، خطباء ووعاظ، لكنهم تُقْرَضُهم ألسنتهم ومشافيرهم، لأنهم يأمرُونَ بالمعروف وينهون عن المنكر ومع ذلك يتعاطون المنكر ويتركون المعروف، وفي حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخبر فيه النبي ﷺ بقوله: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالٍ يَهَامَةُ بِبُضَا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا»، رواه ابن ماجه (٤٢٤٥).

عندهم أعمال صالحة من قراءة القرآن والصيام والحج والقيام وطلب العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم يجعلها الله هباءً منثورًا، قَالَ ثُوبَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»، وَفَالِهَاتِي مَبَكَّتَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَمَنْ سَارَ عَلَى طَرِيقِهِمْ فِي هَذَا الْبَابِ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].



إثبات صفتي المجيء والإتيان لله عز وجل

قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا﴾ [الفرقان: ٢٥]، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿[الفجر: ٢١-٢٢]، وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

هذه الآيات تضمنت: الإخبار عن إثبات صفتي المجيء والإتيان لله **عَزَّجَلَّ** وهو مجيء وإتيان حقيقي والمجيء والإتيان معناهما في لغة العرب، وذهب أهل البدع إلى أن المجيء والإتيان مجاز على مجيء أمره، أو ملائكته وهذا تأويل باطل، مخالف لعقيدة السلف.

ومما يدل على أنهما حقيقة كونهما معنيان يقومان بغيرهما فإضافتهما إلى الله إضافة صفة إلى موصوف والذي يجيء ويأتي أكمل من الذي لا يجيء ولا يأتي وقد عطف الله **عَزَّجَلَّ** مجيئه على مجيء الملائكة فلمَّا كان مجيء الملائكة حقيقي كان مجيء الله حقيقي والتفريق بين المتماثلات لا يجوز وإن قالوا بأنَّ المراد بالمجيء مجيء أمره فأمر الله لا يُخصَّص بذلك اليوم بل في كلِّ حين وإن قلتم بأنَّ المراد مجيء ملائكته سيكون في الآية ركاقة، (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي الملائكة)، وقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، تكون (وجاء الملك والملك صَفًّا صَفًّا).

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالْغَمِّ وَنُزِلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]، تشقُّ السماء بالغمام وتنزل الملائكة استعدادًا لنزول الجبار **عَزَّجَلَّ** لفصل القضاء بين العباد ومن هذه الأدلة استدلال أهل السنة على أن الله متَّصف بصفة النزول على ما يأتي في باب أحاديث الصفات وقد قال إسحق بن إبراهيم الحنظلي: (جمعني وهذا المبتدع - يعنى إبراهيم بن أبي صالح - مجلس الأمير ابن طاهر، وسألني الأمير عن أخبار النزول فسررتها فقال إبراهيم: كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء. فقلت: آمنت برب يفعل ما يشاء)، الأسماء والصفات للبيهقي (٩٠٣)، فالمجيء والإتيان أفعال لله **عَزَّجَلَّ** وهو فعَّال لما يريد.

وإذا قيَّد المجيء والإتيان كان بما قيَّد به، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿هَلْ يَظُنُّونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَكُةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣]، فهنا جاءت مقيدة بالأمر، فالمراد به أمر الله الذي أتاها من عذابه أو غير ذلك وقال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَنَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، أي: بالعذاب، إذ قيَّد الإتيان، لكن تلك الصفة المطلقة المضافة إلى الله **عَزَّجَلَّ** تقتضي إثبات صفتي المجيء والإتيان لله **عَزَّجَلَّ**، وفي الآيات تعظيم شأن يوم القيامة وأن الله **عَزَّجَلَّ** يأتي ويفصل بين العباد، ومنه قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَفَّهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»، من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٢٤٤١)، مسلم (٢٦٦٨).

وفيه: عظم رحمة الله تعالى بالمؤمنين وستر الله **عَزَّوَجَلَّ** عليهم وفيه أن الإيمان لا ينفع صاحبه إلا إذا كان في زمن يصلح فيه الإيمان، فالإيمان عند الغرغرة وبعدها لا ينفع، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُعْرِزْ»**، رواه الترمذي (٣٥٣٧)، ابن ماجه (٤٢٥٣) من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

والإيمان بعد طلوع الشمس من مغربها لا ينفع وهذه الآية قد فسرها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بقوله: **«ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالِدُّخَانُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ»**، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (١٥٨)، على ما يأتي بيانه.

قال الله تعالى: **﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ﴾** [الفرقان: ٢٥]، فيه دلالة على أن السماء تتشقق يوم القيامة وتتفطر والجبال تذهب، قال الله تعالى: **﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثِرَتْ ۝﴾** [الانفطار: ١-٤]، وقال الله تعالى: **﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُيِّتَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝﴾** [التكوير: ١-١٣]، **وقال تعالى:** **﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ۝ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝﴾** [الانشقاق: ١-٤]، **وقال تعالى:** **﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ نُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾** [الزلزلة: ١-٨]، وقوله تعالى: **﴿الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَزْكَرُكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝﴾** [الفارعة: ١-٥]، الجبال كالصوف تتطاير في السماء، نسال الله السلامة من أهوال ذلك اليوم وتذك

الأرض قال الله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]، وقد سأل اليهودي رسول الله ﷺ: أَيَنْ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ»، من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٣١٥)، وتبدل الأرض غير الأرض ونصبح بيضاء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (٣٧) فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالتَّوَصَّى وَالْأَفْدَامِ ﴿٤١﴾ [الرحمن: ٣٧-٤١].

فائدة: تأويل طلوع الشمس من مغربها بأن الإسلام يأتي من الغرب:

تأويل باطل؛ لأنه يخالف الكتاب والسنة ويخالف ما أجمع عليه السلف في إثبات أشرار الساعة الكبرى وأن الشمس تطلع من مغربها وفي حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا: «أَتَذَرُونَ أَنِّي تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخْرُ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخْرُ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَكْبِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكَ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَذَرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾» [الأنعام: ١٥٨]، مسلم (١٥٩).



إثبات صفة الوجه لله عز وجل

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَقْفَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصص: ٨٨].

في هاتين الآيتين: إثبات صفة الوجه لله تعالى وهو من الصفات الذاتية الخبرية، وقلنا الذاتية؛ لأن الله **عَزَّجَلَّ** متَّصف به أزلاً وأبدًا، والخبرية؛ لأن الصفات الخبرية تتلقَّى من الخبر وهو كتاب ربنا وسنة نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهنا معنى آخر يذكره العلماء وهي أن الصفات الخبرية ما كان مسماه أجزاء وأبعاد بالنسبة لنا فالوجه لنا جزء وبعض ولكن في حق الله **عَزَّجَلَّ** لا يجوز أن تُعبّر بهذه التعابير ولكن تستخدم الالفاظ الشرعية من أن صفة الوجه صفة خبريّة وقد دلّ الكتاب والسنة والإجماع على إثبات صفة الوجه لله **عَزَّجَلَّ**، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا أَبْتَغَاءَ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: ٢٠]، وذكر الله **عَزَّجَلَّ** الوجه في أحد عشرة آية في القرآن وفي حديث أبي موسى الأشعري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في مسلم (١٧٩)، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَبْغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُهُ، وَيَرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَخْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

ومن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أبي داود (٤٦٦)، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، قَالَ: أَقْطُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ: ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ، وكذلك في حديث فضالة بن عبيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وأبي الدرداء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَدَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ» وهو في "الصحيح المسند" للإمام الوادعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** (١٥٠٨)، ومن حديث

جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٤٦٢٨) قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أَوْ يَلِيسُكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا أَهْوَنُ، أَوْ هَذَا أَيْسَرُ»، ففِي هَذِهِ الْأَدْلَّةِ وَغَيْرِهَا أَكْثَرُ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْوَجْهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَجْهًا حَقِيقِيًّا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ.

ونرجع إلى دراسة الأدلة المذكورة، الأول قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، قال المعطلة بأنّ ذا الجلال والإكرام وصف للذات فقال أهل السنة لو كان ذو الجلال والإكرام وصف للذات لقال الله عَزَّ وَجَلَّ (وبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام)؛ لأنّ الصفة تابعة للموصوف بينما الرفع يدل على أنه وصف للوجه، ويُذكر هنا للرد على المعطلة الذين يفسرون الوجه بالثواب أن الثواب المخلوق لا يوصف بأنه ذي الجلال والإكرام.

الثاني قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: ٨٨]، قال المبطلون (إلا ذاته) ونحن نفسر الآية كلّ شيء هالك إلا ذاته المتصفة بالوجه وهذا فرق بين كلامنا وكلام أهل التعطيل ويدلّ على ذلك ما في القرآن من قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، فإنّ في لغة العرب قد يطلق الشيء ويراد به الموصوف به كما في الآية السابقة، هل يقول عربي بما أنّي وقعت على امرأتي في نهار رمضان، أذهب إلى هذا العبد أشتري ما بين أذنه وعاتقه، هل سيقبل أحد هذا الكلام وإنّما المراد تحرير العبد المتّصف بالرقبة.

ومن أوجه الردّ عليهم ما تقدّم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٤٦٢٨)، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾



[الأنعام: ٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، والاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر مخرج من الملة ولو كان الوجه هو الإحسان لكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمخلوق وحاشاه لكان فإنه معصوم عن الشرك فما دونه والله عَزَّوَجَلَّ قال لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَيْتَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فالواقع أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعاذ بصفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ وصفات الله عَزَّوَجَلَّ غير مخلوقة ولو أقسم آخر بوجه الله لا أفعل كذا، هل نقول له أشركت أم نقول له كفر عن يمينك إن حنثت، نقول كفر عن يمينك وقد نقل العلماء الإجماع على جواز الحلف بالله عَزَّوَجَلَّ وبصفاته وإن كانوا قد اختلفوا في بعض الصفات وبعضهم اكتفى بالصفات التي حلف بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحيح جواز الحلف بجميع صفات الله عَزَّوَجَلَّ فلو قلت وكلام الله ووجه الله وعزة الله وغضب الله ورضا الله للزمك ما في اليمين المكفرة إن كنت صادقاً فيمين مبرة وإن كنت كاذباً فيمين غموس.

وفي حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، قَالَ: أَقْطُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ: ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ، رواه أبو داود (٤٦٦)، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

ومما يبطل تحريف المحرِّفين أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصف وجهه الله في قوله: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنُبْغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»، من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٧٩).

وقد اختلف العلماء في تفسير قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

قال شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (٦/ ١٥): وَكُنْتُ قَدْ قُلْتُ: أَمْهَلْتُ كُلَّ مَنْ خَالَفَنِي ثَلَاثَ سِنِينَ إِنْ جَاءَ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ عَنِ السَّلَفِ يُخَالِفُ شَيْئًا مِمَّا ذَكَرْتُهُ كَانَتْ لَهُ الْحُجَّةُ وَفَعَلْتُ وَفَعَلْتُ، وَجَعَلَ الْمُعَارِضُونَ يُفْتَشُونَ الْكُتُبَ فَظَفَرُوا بِمَا ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ "الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ" فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] فَإِنَّهُ ذَكَرَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَالشَّافِعِيِّ أَنَّ الْمُرَادَ قِبْلَةَ اللَّهِ فَقَالَ أَحَدُ كُبَرَاءِهِمْ - فِي الْمَجْلِسِ الثَّانِي - قَدْ أَحْضَرْتُ نَقْلًا عَنِ السَّلَفِ بِالتَّأْوِيلِ فَوَقَعَ فِي قَلْبِي مَا أَعَدَّ فَقُلْتُ: لَعَلَّكَ قَدْ ذَكَرْتَ مَا رُوِيَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: الْمُرَادُ بِهَا قِبْلَةُ اللَّهِ فَقَالَ: قَدْ تَأَوَّلَهَا مُجَاهِدٌ وَالشَّافِعِيُّ وَهُمَا مِنَ السَّلَفِ. وَلَمْ يَكُنْ هَذَا السُّؤَالُ يَرِدُ عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا نَظَرْتُ فِيهِ صِفَةَ الْوَجْهِ وَلَا أُثْبِتُهَا لَكِنْ طَلَبُوهَا مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ وَكَلَامِي كَانَ مُقَيَّدًا كَمَا فِي الْأَجْوِبَةِ فَلَمْ أَرِ إِحْقَاقَهُمْ فِي هَذَا الْمَقَامِ بَلْ قُلْتُ هَذِهِ الْآيَةُ لَيْسَتْ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَصْلًا وَلَا تَنْدَرِجُ فِي عُمُومِ قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ: لَا تُؤَوَّلُ آيَاتُ الصِّفَاتِ. قَالَ: أَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْوَجْهِ فَلَمَّا قُلْتُ: الْمُرَادُ بِهَا قِبْلَةُ اللَّهِ. قَالَ: أَلَيْسَتْ هَذِهِ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ؟ قُلْتُ: لَا. لَيْسَتْ مِنْ مَوَارِدِ النَّزَاعِ فَإِنِّي إِنَّمَا أَسْلَمْتُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَجْهِ - هُنَا - الْقِبْلَةُ فَإِنَّ (الْوَجْهَ) هُوَ الْجِهَةُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ يُقَالُ: قَصَدْتُ هَذَا الْوَجْهَ وَسَافَرْتُ إِلَى هَذَا (الْوَجْهِ) أَي: إِلَى هَذِهِ الْجِهَةِ وَهَذَا كَثِيرٌ مَشْهُورٌ فَالْوَجْهُ هُوَ الْجِهَةُ. وَهُوَ الْوَجْهُ: كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيَهَا﴾ [البقرة: ١٤٨] أَيِ مُتَوَلِّيَهَا فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ كِلْتَا الْآيَتَيْنِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبَتَانِ وَكِلَاهُمَا فِي شَأْنِ الْقِبْلَةِ وَالْوَجْهِ وَالْجِهَةِ هُوَ الَّذِي ذَكَرَ فِي

الْآتِيَيْنِ: أَنَا نُؤَلِّيهِ: نَسْتَقْبِلُهُ. قُلْتُ: وَالسِّيَاقُ يَدُلُّ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿فَإِنَّمَا تُوَلُّوْا﴾ وَأَيْنَ مِنَ الظُّرُوفِ وَتَوَلُّوْا أَيُّ تَسْتَقْبِلُوْا. فَالْمَعْنَى: أَيُّ مَوْضِعٍ اسْتَقْبَلْتُمُوهُ فَهَذَا لِكِ وَجْهِ اللَّهِ فَقَدْ جَعَلَ وَجْهَ اللَّهِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَسْتَقْبِلُهُ هَذَا بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ وَهِيَ الْجِهَاتُ كُلُّهَا كَمَا فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢] فَأَخْبَرَ أَنَّ الْجِهَاتِ لَهُ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِضَافَةَ إِضَافَةٌ تَخْصِيصٍ وَتَشْرِيفٍ؛ كَأَنَّهُ قَالَ جِهَةُ اللَّهِ وَقَبْلَةُ اللَّهِ. انتهى

وقالت طائفة من أهل العلم: إن الآية على ظاهرها ويثبت بها صفة الوجه لله عز وجل والدليل على هذا المعنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَلَا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى»، من حديث ابن عمر رضي الله عنه عند البخاري (٤٠٦)، مسلم (٥٤٧)، وهو على عرشه عز وجل، وهو محيط بكل شيء، وهو فوق كل شيء عز وجل، قال شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى": وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُسَلِّمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ جِهَةُ اللَّهِ، أَيُّ: قِبْلَةُ اللَّهِ، وَلَكِنْ يَقُولُ: هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى الصِّفَةِ وَعَلَى أَنَّ الْعَبْدَ يَسْتَقْبِلُ رَبَّهُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ» وَكَمَا فِي قَوْلِهِ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلًا عَلَى عَبْدِهِ بِوَجْهِهِ مَا دَامَ مُقْبِلًا عَلَيْهِ فَإِذَا انْصَرَفَ صَرَفَ وَجْهَهُ عَنْهُ» وَيَقُولُ: إِنَّ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى الْمَعْنَيْنِ. فَهَذَا شَيْءٌ آخَرُ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ. انتهى

والمعطلة ذكروا أن الوجه في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: أن الوجه هو الذات.

الثاني: أن الوجه هو الثواب.

الثالث: أن لفظ الوجه مدرجة فيكون تقدير الكلام (ويبقى ربك)، وهذا تحريف

باطل لإمور:



الأول: لو كان كما قالوا لجر (ذو) في قوله: (ذو الجلال والإكرام).

الثاني: أنّ الوجه صفة من صفات الذات وقد بيّن الله عزّوجلّ ذلك.

الثالث: أنّ تفسّر الوجه بالثواب أو الإحسان تفسير بمخلوق والنبّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قد استعاذ بالوجه فدلّ أنّ الوجه صفة حقيقة لله عزّوجلّ، تعالى الله أن لا يكون له وجهًا وتنزّه عزّوجلّ أن يكون وجهه كوجه المخلوقين بل هو عزّوجلّ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأما معنى قول الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾

[الإنسان: ٩].

فآية دالة على إثبات صفة الوجه لله لأنّه لا يُذكر بالوجه إلّا من كان له وجهًا، وتفسّر الآية فأهل السنّة يُثبتون الصفة واللازم.



إثبات صفة اليدين لله عز وجل

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ غَلَتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

هذا خطاب من الله لإبليس عليه لعنة الله وإبليس كان مسكنه الجنة مع الملائكة، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ﴿لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرَكُهُ فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ فَلَمَّا رَأَاهُ أَجُوفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتِمَّالِكُ﴾، وكان من شأنه ما قص الله تعالى علينا في القرآن حيث قال: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَبْنَائِلِسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُحَاصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٧١-٨٣]، فاعترض إبليس عليه لعنة الله على أمر الله **عَزَّجَلَّ** بالسجود لآدم؛ لأن أصل إبليس خير من أصل آدم، وهذه العلة عليلة وميتة؛ ولهذا ذهب بعض الفلاسفة ومن إليهم من مفضلي الشمس والنار على التراب.

قال البغدادي في "الفرق بين الفرق" (ص: ٣٩): وَحَكَى أَصْحَابُ الْمَقَالَاتِ عَنْ بشار أَنَّهُ ضَمَّ إِلَى ضَلَالَتِهِ فِي تَكْفِيرِ الصَّحَابَةِ وَتَكْفِيرِ عَلَى مَعَهُمْ ضَلَالَتَيْنِ أُخْرَيْنِ: إِحْدَاهُمَا قَوْلُهُ: يَرْجِعُ بَرَجَّةُ الْأَمْوَاتِ إِلَى الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ

أَصْحَابِ الرَّجْعَةِ مِنَ الرَّافِضَةِ. وَالثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ بِتَصْوِيبِ إِبْلِيسَ فِي تَفْضِيلِ النَّارِ عَلَى الْأَرْضِ، وَاسْتَدْلُوا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ بَشَارٍ فِي شِعْرِهِ:

الْأَرْضُ مَظْلَمَةٌ وَالنَّارُ مُشْرِفَةٌ * وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مَذْكَائَتْ النَّارُ
وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ صَفْوَانُ الْأَنْصَارِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي قَالَ فِيهَا:

زَعَمْتَ بِأَنَّ النَّارَ أَكْرَمَ عُنْصَرًا * وَفِي الْأَرْضِ تَحِيَا فِي الْحِجَابَةِ
وَيَخْلُقُ فِي أَرْحَامِهَا وَارُومِهَا * أَعَاجِيبٌ لَا تَحْصَى بِخَطِّ وَلَا عَقْدِ
وَفِي الْقَعْرِ مِنْ لَجِّ الْبَحَارِ مَنَافِعُ * مِنَ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ
وَلَا بُدَّ مِنْ أَرْضٍ لِكُلِّ مَطِيرٍ * وَكُلِّ سَبُوحٍ فِي الْعِمَائِرِ ذِي خَدِ
كَذَلِكَ وَمَا يَنْسَاخُ فِي الْأَرْضِ مَا شِئَا * عَلَى بَطْنِهِ يَمْشِي الْمَجَانِبُ لِلْقَصْدِ
وَفِي فَلَكَ الْأَجْبَالُ فَوْقَ مَقْطَعِ * زَبْرَجْدِ أَمْلاكِ الْوَرَى سَاعَةَ الْحَشْدِ
وَفِي الْحَرَّةِ الرِّجْلَاءُ تَلْفَى مَعَادِنَ * لَهْنٍ مَغَارَاتِ تَحْبَسُ بِالنَّقْدِ
مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ وَالْفِضَّةِ الَّتِي * تَرُوقُ وَتَغْنَى ذَا الْقِنَاعَةِ وَالزَّهْدِ
وَكُلِّ فَلْذٍ مِنْ نُحَاسٍ وَأَنْكَ * وَمِنْ زَنْبِقٍ حَى وَنُشَادِرِ سَنْدِي
وَفِيهَا رَوَانِيخٌ وَشَبٌّ وَمَرْتَبُ * وَمِزْمَرٌ قِشَا غَيْرِ كَابٍ وَلَا مَكْدِي
وَفِيهَا ضُرُوبُ الْقَارِ وَالزَّفْتِ وَالْمَهَا * وَأَصْنَافُ كَبْرِيتِ مَطَاوِلَةِ الْوَقْدِ
وَمِنْ أَثْمَدِ جُوزٍ وَكَلَسٍ وَفِضَّةِ * وَمِنْ تَوْتِيَا فِي مَعَارِبِهَا هَنْدِي
وَكُلِّ يَوَاقِيْتِ الْأَنْامِ وَحَلِيهَا * مِنَ الْأَرْضِ وَالْأَحْجَارِ فَآخِرَةُ الْمَجْدِ
وَفِيهَا مَقَامُ الْحُلِّ وَالرَّكْنِ وَالصَّفَا * وَمُسْتَلَمُ الْحَجَّاجِ مِنْ جَنِّهِ الْخُلْدِ
مَفَاخِرُ اللَّطِينِ الَّذِي كَانَ أَصْلَنَا * وَنَحْنُ بَنُوهُ غَيْرُ شَكٍّ وَلَا جَحْدِ

فَذَلِكَ تَذْيِيرٌ وَنَفْعٌ وَحِكْمَةٌ ❀ وَأَوْضَحُ بَرَهَانٍ عَلَى الْوَاحِدِ الْفَرْدِ
فِيَا ابْنَ حَلِيفِ الشُّؤْمِ وَاللُّؤْمِ وَالْعَمَى ❀ وَأَبْعَدُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ طَرُقِ الرُّشْدِ
أَتَهْجُوا أَبَا بَكْرٍ وَتَخْلَعُ بَعْدَهُ ❀ عَلِيًّا وَتَعْزُو كُلَّ ذَاكَ إِلَى بَرْدِ
كَأَنَّكَ غَضَبَانٌ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ❀ وَطَالِبُ ذَحْلِ لَا يَبِيتُ عَلَى حَقْدِ
تَوَاتِبِ أَقْمَارًا وَأَنْتَ مُشَوِّهُ ❀ وَأَقْرَبُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ نَسَبِ الْقَرْدِ
انتهى.

ثم لو لم يكن هذا لكان اعتراض إبليس على الله **عَزَّوَجَلَّ** كفر.

والأدلة على إثبات صفة اليدين كثيرة في القرآن والسنة، منها:

قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾
[الزمر: ٦٧]. وقوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ
أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
[الملك: ١]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا
مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧٨].

ومما يدل على إثبات هذه الصفة قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ [المائدة: ٦٤]،
واليهود هم قوم موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لكن قد بدلوا وغيروا وكفروا بـ **عَلَيْهِ السَّلَامُ**
وكفروا بمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فلعنوا قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي
إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ
﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾
[المائدة: ٧٨-٧٩]، وهم أهل حسد، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى
شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ»، من حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** عند ابن ماجه
(٨٥٦) و(٨٥٧).

وقال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وكفروا بالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهم يعلمون أنه رسول الله ومع ذلك جحدوا بنبوته ورسالته ظلمًا وعلوًا حتى وصل بهم الحال أن صوبوا طريق الكفار عبَاد الأصنام والأوثان على طريق رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** **قَالَ نَسَالِي**: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١]، وهذا يدلُّ على غاية الحقد والحسد فإنَّ محمَّد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يدعو إلى عبادة الله وإفراده بما يجب له وهؤلاء الكفار يعبدون الأصنام والأوثان ومع ذلك فضّلهم اليهود على محمَّد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وبلغ بهم غاية الكفر أنهم وصفوا الله بأقبح الأوصاف فقالوا: ﴿عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَعْلُوءَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، والغُلُّ صفة ذميمة إذا اتّصف بها المخلوق، فكيف بالله **عَزَّجَلَّ**، تعالى الله عن قولهم.

أليس رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلَأَ لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَيَدِهِ الْأُخْرَى الْفَيْضُ - أَوِ الْقَبْضُ - يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٧٤١٩)، مسلم (٩٩٣).

ومن أسماء الله: "الأكرم والكريم والرزاق والرحيم" **قَالَ نَسَالِي** مبيّنًا فضله وكرمه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّمَّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، ثم يدّعي اليهود أن الله بخيل قاتلهم الله ولعنهم فقال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤]، بسبب اتّهامهم لله **عَزَّجَلَّ** بهذه التهمة الشنيعة عاقبهم الله بأن سلّط عليهم البخل لو ذهبت إلى بروكسيل تلك المدينة العظيمة التي فيها الذهب



والمجوهرات والدنيا تجد اليهودي يدخل بدجلته التي إن شممت ريحها تكاد تتقيأ لعدم غسلهم لها، ولقدارتهم، ولنتنهم، سلط الله عليهم البخل وأصبحوا شر البرية، ﴿وَلَعْنُوا يَمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤]، وطرّدوا من رحمة الله عزّوجلّ بسبب هذا القول الشنيع، هذا القول الذي لا يصدر إلا ممّن لم يعرف الله العظيم الغنيّ.

وما أحلم الله عزّوجلّ وما أصبر الله عزّوجلّ كما قال النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ»، من حديث عبد الله بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٨٠٤)، انظر كيف يتكلّم عليه اليهود وهو يصبر عليهم لكن سيكون مصيرهم الجحيم، قال الله عزّوجلّ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، فأثبت لنفسه تعالي يدين ميسوتين، ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَنْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَنْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»، من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٧٥٩)، فهذا ردٌّ على اليهود، وفيه: إثبات صفة الدين لله عزّوجلّ على ما يليق بجلال وجهه وعلى أنّها يدان حقيقتان وصفهما بصفة البسط والقبض، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وفيه: إثبات صفة الطي، وله كفٌ يليق بجلاله كما قال النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرِي أَحَدُكُمْ فُلُوهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (١٤١٠) و(٧٤٣٠)، وأخرجه مسلم.

ولله **عَزَّوَجَلَّ** ساعدٌ يليقُ بجلاله كما في حديث ابن نضلة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَأَنَا قَشِفُ الْهَيْئَةِ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مَالٌ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟» قَالَ: قُلْتُ: مِنْ كُلِّ الْمَالِ مِنَ الْإِبِلِ وَالرَّقِيقِ وَالْخَيْلِ وَالْغَنَمِ، فَقَالَ: «إِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرْ عَلَيْكَ» ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تُتَبَّحُ إِبِلُ قَوْمِكَ صَحَا حَا آذَانَهَا، فَتَعْمَدُ إِلَى مُوسَى فَتَقْطَعُ آذَانَهَا، فَتَقُولُ: هَذِهِ بُحْرٌ، وَتَشْقُهَا، أَوْ تَشْقُ جُلُودَهَا، وَتَقُولُ: هَذِهِ صُرْمٌ وَتَحَرِّمُهَا عَلَيْكَ، وَعَلَى أَهْلِكَ»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ مَا آتَاكَ اللَّهُ **عَزَّوَجَلَّ** لَكَ، وَسَاعِدُ اللَّهِ أَشَدُّ، وَمُوسَى اللَّهُ أَحَدٌ - وَرُبَّمَا قَالَ: سَاعِدُ اللَّهِ أَشَدُّ مِنْ سَاعِدِكَ، وَمُوسَى اللَّهُ أَحَدٌ مِنْ مُوسَاكَ -» قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ رَجُلًا نَزَلْتُ بِهِ، فَلَمْ يُكْرِمْنِي، وَلَمْ يَقْرِنِي، ثُمَّ نَزَلَ بِي أَجْزِيهِ بِمَا صَنَعَ، أَمْ أَقْرِيهِ؟ قَالَ: «أَقْرِهِ». رواه أحمد (١٥٨٨٨) و(١٥٨٩١)، والساعد معنى يقوم بغيره فإضافته إلى الله إضافة صفة إلى موصوف.

وجاء من حديث ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فِي الصَّحِيحِينَ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. البخاري (٤٨١١)، مسلم (٢٧٨٦).

انظر إلى هذه السماوات العظيمة، السبع الطباق بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، وشمك كل سماء خمسمائة عام، مطوية في يد الله **عَزَّوَجَلَّ** العظيم كطي السجل للكتب، والأرض جميعاً بما فيها من الجبال والأنهار والبحار والأودية والصحارى وغير ذلك قبضته، سبحان الله الملك، وكذلك يهزهن فني

البخاري (٧٣٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ» ونحوه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه البخاري (٧٤١٢)، ومسلم (٢٧٨٨).

ولفظه عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِقْسَمٍ، أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ كَيْفَ يَحْكِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَأْخُذُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللَّهُ - وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَسْطُهَا - أَنَا الْمَلِكُ» حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمُنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطُ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

وأخرجه مسلم من طريق عُمَرَ بْنِ حَمْزَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَطْوِي اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟» ولفظ الشمال منكراً لضعف عمر بن حمزة.

قال البيهقي في "الأسماء والصفات" (٢/ ١٣٩): وَذَكَرُ الشُّمَالِ فِيهِ تَفَرَّدَ بِهِ عُمَرُ بْنُ حَمْزَةَ عَنْ سَالِمٍ. وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ نَافِعٌ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مِقْسَمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، لَمْ يَذْكُرَا فِيهِ الشُّمَالِ، وَرَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرُهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ الشُّمَالِ، وَرَوَى ذِكْرُ الشُّمَالِ فِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ ضَعِيفٌ بِمَرَّةٍ؛ تَفَرَّدَ بِأَحَدِهِمَا جَعْفَرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَبِالْآخِرِ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ، وَهُمَا مَتْرُوكَانِ، وَكَيْفَ يَصِحُّ ذَلِكَ؟ وَصَحِيحٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَمَى كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينًا، وَكَأَنَّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ أَرْسَلَهُ مِنْ لَفْظِهِ عَلَى مَا وَقَعَ لَهُ، أَوْ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي ذِكْرِ الشُّمَالِ فِي مُقَابَلَةِ الْيَمِينِ. انتهى

يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلى حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم: (١٨٢٧): «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ، وَكِلْتَا

يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَوْا، وفي حديث النّوّاس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحديث عائشة وأمّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند أحمد وجاء من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٦٥٤) وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢١٤٠) واللفظ له، قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ».

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول في أيّمانٍ كثيرة: «والذي نفسي بيده»، وقال الله تعالى: ﴿تَبَرُّكَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وفي أثر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (خلق الله أربعة أشياء بيده، العرش، وجنات عدن، والقلم)، أخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" (٧٥٧) وفي حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٨٩): «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيَقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيَقَالُ لَهُ: أَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكٍ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ»، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعَاوَنُ نَفْسٌ مَّا أَحْبَبَتْ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].



وفي البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَعْوَةٍ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً وَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ بِمَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاطِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَذْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ، يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ، إِلَى مَا بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ يَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنْكَ الْجَنَّةَ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغْنَا؟». الحديث

وفي البخاري (٧٥١٦)، ومسلم (١٩٣): عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ الْمَلَائِكَةُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا، يَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ فَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ». الحديث

وفي البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَأَسْكَنْكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهْبَطَتِ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ، فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَابَ فِيهَا تَبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَرَبَكَ نَجِيًّا، فَبِكُمْ وَجَدْتَ اللَّهُ كَتَبَ التَّوْرَةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ، قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا، قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَعَوَى، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَقْتُلُونِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى».



وفي البخاري (٦٥٢٠) ومسلم (٢٧٩٢): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْرَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّوْهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْرَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ» فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِنَزْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْرَةً وَاحِدَةً، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: إِدَامُهُمْ بِالْأَمِّ وَتُونُ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: تَوْرٌ وَتُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةٍ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة موضعها كتاب الإيمان يسر الله بإخراجه وسيأتي مزيد أدلة في تفريعات هذه المسألة إن شاء الله.

وصفة اليدين لله عَزَّجَلَّ من الصفات الذاتية الخبرية وهي صفة حقيقية تليق بجلاله: ﴿كَمَثَلِ شَيْءٍ شَيْءٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، تعالى الله أن يكون بلا يد وتنزه أن تشبه يده يد المخلوق.

وذهب أهل التعطيل إلى إنكار هذه الصفة وقالوا إنها مجاز في النعمة أو القدرة، وهذا باطل من وجوه بينها شيخ الإسلام ابن القيم كما في "مختصر الصواعق" (١٥٣-١٧١) نذكر بعض ما يحتاج المجال إلى ذكره بدون تطويل ممل أو اختصار مخل.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في رد دعواهم أنها مجاز: الأصل الحقيقة، فدعوى المجاز مخالفة للأصل، ومدعي المجاز يلزمه إقامة الدليل الصارف عن الحقيقة إلى المجاز الذي عينه بأنه المراد.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: واطراد لفظها في موارد الاستعمال وتنوع ذلك وتصريف استعماله يمنع المجاز، ألا ترى إلى قوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾



[المائدة: ٦٤]، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ﴾
[الزمر: ٦٧]، فلو كان مجازاً في القدرة والنعمة لم يستعمل منه لفظ يمين.

وقال: إن اقتران لفظ الطي والقبض والإمساك باليد يصير المجموع حقيقة هذا في الفعل، وهذا في الصفة بخلاف اليد المجازية.

وقال: إن لفظ المجاز لا يستعمل بلفظ التثنية ولا يستعمل إلا مفرداً أو مجموعاً كقوله: له عندي يد وله عندي آياد.

ولو كان بمعنى القدرة لم يفد تخصيص آدم فإنه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوقون بقدرة الله، ولم تكن خصوصية في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ^ط﴾ [ص: ٧٥].

وقال رحمه الله: إن يد النعمة لا يتجاوز بها لفظ اليد، فلا يقال فيها كف ولا إصبع ولا يمين ولا شمال لا في اليد بمعنى النعمة ولا القوة. ومن وجوه الرد عليهم أن الله أنكر على اليهود وصف الله بالبخل ولم ينكر عليهم إثبات اليدين.

وليعلم أن اليد بمعنى القدرة والقوة والنعمة لا يعرف استعماله البتة إلا فيمن له يد حقيقة.

وأما دعوى من ادعى أنه لو أثبت أن الله يدًا لزم التشبيه، فيلزمه نفي السمع والبصر والحياة والإرادة والقدرة، فيقول هذه ليست كصفات المخلوقين بل هي صفات تليق بالله سبحانه، قيل له وكذلك الله يد ليست كيد المخلوقين بل هي يد تليق بجلاله. اه مختصراً.



شبهة والجواب عليها:

قد يقول قائل: إن الله أكثر من يد لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١]، فأيدينا هنا جمع.

الجواب: جاءت اليد في القرآن مفردة ومثناة وجمعًا، **فَالنَّبِيُّ**: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، و**فَالنَّبِيُّ**: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. و**فَالنَّبِيُّ**: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١].

واليد المفردة جاءت مضافة، والمفرد إذا أضيف يفيد العموم أي يشمل كل ما يثبت لله من يد، ودليل عموم المفرد: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وأما المثني والجمع، فإجماع أهل السنة أن الله ليس له إلا يدان اثنتان كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة: ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿وَكَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينٌ﴾، والمقام مقام تشریف فلو كان له أكثر من يدين لذكرهما.

وأما قوله: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١]، فيقال قيل إن أقل الجمع اثنان، وعليه فأيدينا لا تدل على أكثر من اثنين.

والدليل على ذلك قول الله تبارك تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤]، ومن المعلوم أنه ليس للإنسان إلا قلب واحد قال الله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤]، والمرأة كذلك.

واحتجوا أيضًا بأن جماعة الصلاة تحصل باثنين، واحتجوا بقوله: ﴿إِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأَمِّهِ السُّدُسُ﴾ [النساء: ١١]، إخوة جمع والمراد به اثنان.



أو نقول المراد بهذا الجمع التعظيم لأن الجمهور من أهل اللغة يقولون إن أقل الجمع ثلاثة، والمراد باليد هنا نفس الذات التي لها يد، وقد قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

والفساد قد يقع بالرجل والفرج واللسان لكن يعبر بمثل هذا التعبير عن الفاعل نفسه.

وفرق بين قوله: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَانَا﴾ [يس: ٧١]، وبين قوله: ﴿لَمَّا خَلَقَتْ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، فـ: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَانَا﴾ [يس: ٧١]، كأنه قال مما عملنا، لأن المراد باليد ذات الله التي لها يد، والمراد: ﴿يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، اليدان دون الذات. فيزول الإشكال بهذا. اهـ بتصرف من "شرح الواسطية" للعثيمين (ص ٢٥٤).

وقال أبو الحسن الأشعري في كتابه [بالإبانة] (ص ٩٠) بعد أن ذكر الآيات الدالة على إثبات صفة اليدين لله عز وجل وراذًا على أهل الزيغ والريب: وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل عملت كذا بيدي يريد بها النعمة. اهـ وقال رحمه الله (ص ٩٢): وكذلك إذا قدر اثنان أحدهما يقدر أن يفعل بيديه ويقبل بوجهه والآخر لا يمكنه ذلك إما لامتناع أن يكون له وجه ويدان، وإما لامتناع الفعل والإقبال عليه باليدين والوجه، كان الأول أكمل، فالوجه واليدان لا يعدان من صفات النقص في شيء مما يوصف بذلك. اهـ

قال ابن خزيمة رحمه الله في "التوحيد" (١/ ١٩٩) راذًا على من فسر اليد بالقوة: وزعم بعض الجهمية أن معنى قوله: ﴿خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ بِيَدَيْهِ﴾، أي بقوته، فزعم أن اليد هي القوة وهذا من التبديل أيضًا وهو جهل بلغة العرب، والقوة إنما تسمى الأيد في لغة العرب لا اليد، فمن لا يفرق بين اليد والأيد، فهو إلى التعليم والتسليم إلى الكتابين أحوج منه إلى التراس والمناظرة، قد أعلمنا الله أنه خلق السموات بأيد واليد واليدان

غير الأيد، إذ لو كان الله خلق آدم بأيد كخلقه السماء دون أن يكون الله خص خلق آدم بيديه لما قال لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ (١/١٩٧)**: وزعمت الجهمية أن معنى قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، أي نعمته، وهذا بتنزيل لا بتأويل، والدليل على نقض دعواهم أن نعم الله كثيرة لا يحصيها إلا الله الباري، والله يدان لا أكثر منهما كما قال لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

فأعلمنا أنه خلق آدم بيديه فمن قال أنه خالق آدم بنعمته كان مبدلاً لكلام الله وقال الله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]، الآية.

أفلا يعقل أهل الإيمان أن الأرض جميعاً لا تكون قبضة إحدى نعمتيه يوم القيامة ولا أن السموات مطويات بالنعمة الأخرى ولو كانت اليد بمعنى النعمة لقرأت الآية (بل يده مبسوطة)، أو (منبسطة). اهـ

* وسأذكر هنا صفات ثابتة لله متعلقة بإثبات صفة اليدين تدفع دعوى المجاز:

١- صفتي الطي والقبض: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

٢- صفة الإمساك، يدل عليه حديث عبدالله بن مسعود عند الشيخين البخاري (٧٤١٤)، ومسلم (٢٧٨٦) أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]. قَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ: وَزَادَ فِيهِ فُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عِيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لَهُ.



وجاء بلفظ: (يضع)، و بلفظ: (يجعل). وكلها في الصحيح.

٣- صفة الهز: حديث عبدالله بن مسعود المتقدم ثم يهزهن ويقول: (أَنَا الْمَلِكُ).

٤- صفة الأخذ: حديث أبي هريرة عند مسلم: «لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، إِلَّا أَخَذَهَا اللَّهُ بِيَمِينِهِ».

٥- صفة الكف: الحديث الذي قبله وفيه: «فَتَرَبُّوْا فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ».

٦- صفة الساعد: حديث مالك بن نضلة عند أحمد: «مُوسَى اللَّهُ أَحَدٌ - وَرُبَّمَا قَالَ - سَاعِدُ اللَّهِ أَشَدُّ».

٧- صفة الأصابع: لحديث عبدالله بن مسعود المتقدم، وحديث عبدالله بن عمرو: «إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلَّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ».

٨- صفة البسط: لحديث أبي موسى عند مسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيُثَوِّبَ مُسِيءَ النَّهَارِ، وَيَسْطُرُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيُثَوِّبَ مُسِيءَ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

فائدة في خلق إبليس لعنة الله عليه:

إبليس خلقه خلقه كما يخلق المخلوقات، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وإنما أوتي من كبره، والذي يتكبر ويتعظم يتكس غالباً، فعلى الإنسان أن يتواضع لله عَزَّجَلَّ، يتواضع للذي خلقه ورزقه وأعطاه وزوجه وفي حديث عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا، فَقَالَ: «وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَنْبَغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»، مسلم (٢٨٦٥)، والتواضع من أسباب الرفع، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»، مسلم (٢٥٨٨)،

الكبر ما يجعلك تطلب علماً ولا تُصَلِّي مع الناس ولا تقبل الحق؛ ولهذا قال الله **عَزَّوَجَلَّ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكَبَرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْنَاهُ»** من حديث أبي هريرة وأبي سعيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٢٦٢٠)، وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوْ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ»** من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أحمد (٥٩٩٥)، وصححه العلامة مقبل بن هادي الوادعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الجامع الصحيح" (٤٢٤٢)، وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَعْشَاهُمْ الذَّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُوَلَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْبَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ»**، الترمذي (٢٤٩٢)، وأحمد (٦٦٧٧). وفي "المستدرک على الصحيحين" أَنَّ عِكْرَمَةَ بْنَ خَالِدٍ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ الْمَخْزُومِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ لَقِيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّا بَنُو الْمُغِيرَةِ قَوْمٌ فِينَا نَخْوَةٌ، فَهَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ فِي ذَلِكَ شَيْئًا؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: **«مَا مِنْ رَجُلٍ يَتَعَظَّمُ فِي نَفْسِهِ وَيَخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ»**. نسأل الله السلامة والعافية.



إثبات صفة العينين لله عز وجل

قال رَحْمَةُ اللَّهِ :

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ
تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٣-١٤]، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّمِّي
وَلُتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

فيه: إثبات صفة العينين لله **عَزَّوَجَلَّ** على ما يليق بجلاله وهما عينان حقيقتان تليق بجلال الله **عَزَّوَجَلَّ**، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وفي الآية الحث على الصبر: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٤٨]، أي لحكمه الكوني فإن الكفار كانوا يؤذون النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فأمر الله **عَزَّوَجَلَّ** نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يصبر لحكمه ولقضائه والحكم ينقسم إلى قسمين: كوني وشرعي فالحكم الكوني هو قضاء الله وقدره فيصبر على البلاء ويؤمن بالقضاء والحكم الشرعي هو أمر الله ونهيه فيفعل المأمور ويترك المحذور.

وقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٤]، أي تجري بمرأى منا وفيه إثبات العينين لله **عَزَّوَجَلَّ** وقلنا بمرأى منا لأن من زعم أن السفينة كانت تجري بعين الله فقد كفر فالله **عَزَّوَجَلَّ** على عرشه استوى بائن من خلقه وإنما السفينة تجري بمرأى منه **عَزَّوَجَلَّ** ويحفظها ويكلؤها على ما هو معلوم كقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

وقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّمِّي وَلُتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

قال السعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّمِّي﴾ فكل من رآه أحبه، ﴿وَلُتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ولتتربى على نظري وفي حفظي وكلاءتي، وأي نظر وكفالة أجل وأكمل، من ولاية البر الرحيم، القادر على إيصال مصالح عبده، ودفع المضار عنه؟! فلا

ينتقل من حالة إلى حالة، إلا والله تعالى هو الذي دبر ذلك لمصلحة موسى، ومن حسن تدبيره، أن موسى لما وقع في يد عدوه، قلقت أمه قلقا شديدا، وأصبح فؤادها فارغا، وكادت تخبر به، لولا أن الله ثبتها وربط على قلبها، ففي هذه الحالة، حرم الله على موسى المراضع، فلا يقبل ثدي امرأة قط، ليكون مآله إلى أمه فترضعه، ويكون عندها، مطمئنة ساكنة، قريرة العين، فجعلوا يعرضون عليه المراضع، فلا يقبل ثديا. انتهى

وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يُرَبَّى في بيت فرعون والله عَزَّوَجَلَّ على عرشه ففي الآيات إثبات صفة العينين لله عَزَّوَجَلَّ ويدل على إثباتها ما جاء في أحاديث الدجال أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَيَسَّ بِأَعْوَرَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ - وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٤٠٧)، مسلم (١٦٩)، وقرأ أبوهريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الآية: ﴿* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨]، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأيت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه. قال أبو داود: (وهذا رد على الجهمية)، رواه أبو داود (٤٧٢٨)، وهذا لتحقيق أن الله يسمع بسمع حقيقي ويرى، ويبصر بعين حقيقية تليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وفي مسلم (١٧٩) عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَبْغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفُضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ -



وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَخْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ.

وصفة العين من الصفات الذاتية الخبرية التي تتلقى بالخبر ويثبت الله عز وجل صفة البصر، يُبصر بعينين حقيقتين تليق بجلاله ومما يدل على ذلك تعبير إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام لأبيه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابَت لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، فالأصنام لا تسمع ولا تبصر فدل على أن الإله الحق يسمع ويُبصر وينفع ويضر.

قال ابن القيم في "الصواعق المرسلة" (١/ ٢٥٥): فذكر العين المفردة مضافة إلى الضمير المفرد والأعين مجموعة مضافة إلى ضمير الجمع وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة، ليس إلا كما يقول القائل: أفعل هذا على عيني، وأجيئك على عيني، وأحمله على عيني، ولا يريد به أن له عيناً واحدة، فلو فهم أحد هذا من ظاهر كلام المخلوق لعد أخرق. وأما إذا أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهراً أو مضمراً فالأحسن جمعها مشاكلة للفظ، كقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقوله: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَ﴾ [هود: ٣٧]، وهذا نظير المشاكلة في لفظ اليد المضافة إلى المفرد، كقوله: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] و﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وإن أضيفت إلى ضمير جمع جمعت، كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١]، وكذلك إضافة اليد والعين إلى اسم الجمع الظاهر، كقوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]، وقوله: ﴿قَالُوا قَاتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ [الأنبياء: ٦١]، وقد نطق القرآن والسنة بذكر اليد مضافة إليه سبحانه مفردة ومثناة ومجموعة. وبلطف العين مضافة إليه مفردة ومجموعة ونطقت السنة بإضافتها إليه مثناة، كما قال عطاء عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ قَامَ بَيْنَ عَيْنِي

الرحمن فإذا التفت قال له ربه: إلى من تلتفت إلى خير لك مني، وقول النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن ربكم ليس بأعور» صريح في أنه ليس المراد. انتهى
وذهبت المعتزلة إنفي صفة العين عن الله عَزَّوَجَلَّ إطرادا لقاعدتهم في نفي الصفات،
وهم محجوجون بما تقدم من الأدلة، واضطرب الأشاعرة فأثبتوا البصر، ونفوا صفة
العينين، وهذا من تناقضهم مع أن أبا الحسن الأشعري يثبتها.



إثبات صفة السمع لله عز وجل

قال رَحِمَهُ اللهُ :

وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكُتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأُنبيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٦٦].

في هذه الآيات: إثبات صفة السمع لله عز وجل، قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتْ خَوْلَةُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو زَوْجَهَا، فَكَانَ يَخْفَى عَلَيَّ كَلَامُهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، رواه النسائي (٣٤٦٠).

ولما كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يسيرون مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الطرق فَلَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ قال: «أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا؛ إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا؛ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»، من حديث أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند البخاري (٢٩٩٢) ومسلم (٢٧٠٤)، يعني هَوَّنُوا عَلَيْكُمْ وَلَا تَظُنُّونَ أَنَّكُمْ تَدْعُونَ أَصَمًّا غَائِبًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١٨٠]، فالله عز وجل يسمع كلامك على أي حال كان، بل يعلم ما في ضميرك ويعلم ما في قلبك، بل يعلم ما لم تتحدث به ولم تُفكر فيه بعد بل يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فقل يا رب يسمعك وأنت ساجد، وهو السميع البصير لا تخفى عليه خافية وهذه الآية: ﴿قَدْ

سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ آتِي جُدُلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ [المجادلة: ١]، نزلت في خولة بنت ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت زوجة رجل من الأنصار فظاهر منها فقال أنت علي كظهر أمي فشكت به إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالت: (يا رسول الله، بعد أن نثر بطني)، يعني بعد أن أعطيته مجموعة من الأولاد، (وذهب شبابي)، يقول أنت علي كظهر أمي وكانت عادة العرب أن الرجل إذا قال لزوجته أنت علي كظهر أمي حرمت عليه مؤبداً فظننت أنها حرمت عليه مؤبداً فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ آيات الظهار وفيها أنه يجب عليه أن يعتق رقبة فإن عجز صام شهرين متتابعين فإن عجز أطعم ستين مسكيناً الميِّين في سورة المجادلة والأحاديث في هذا، وفيه الشكوى إلى الله عَزَّوَجَلَّ فإذا نزلت بك حاجة فأنزلها بالله وقد يستجيب الله عَزَّوَجَلَّ دعاءك ويكفيك شرَّ عدوك أو ينصرك عليه، ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ الحوار هو الكلام المتبادل بين اثنين ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أي: سميع يسمع يليق بجلاله وبصير يبصر يليق بجلاله ويصير بعينين على ما تقدّم.

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، هذه نزلت في اليهود قاتلهم الله مع أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الغني الحميد.

فَعَنِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ (٢٥٧٧): قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالُمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُم، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا صَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْ سَكُمُ وَجِئْتُكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ

رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمُ
وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ
أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمُ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ
مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا
هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِلَيَّهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمِدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ
غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ، **وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ**

وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ [فاطر: ١٥]، ثُمَّ يَأْتِي هَؤُلَاءِ الْكُفْرَةَ، الْفَجْرَةَ لَا يَسْلَمُ مِنْهُمْ اللَّهُ
الَّذِي يُعْطِيهِمْ وَيُرْزُقُهُمْ وَيُعِينُهُمْ وَيُؤْوِيهِمْ وَيَغْنِي الْفَقِيرَ، وَيَجْبِرُ الْكَسِيرَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، **﴿وَحَمَلَهَا إِلَى سَنِّ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾** [الأحزاب: ٧٢]، ظَالِمٌ، جَاهِلٌ،
بَاغِيٌّ، إِلَّا مَنْ سَلَّمَهُ اللَّهُ وَهْدَاهُ، انْظُرْ إِلَى أَيِّ حَالٍ وَصَلَ يَحْتَاجُ إِلَى الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ
وَالدَّوَاءِ وَإِلَى كُلِّ شَيْءٍ وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يُعْطِيهِ وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ فَقِيرٌ، وَفَرْعُونَ يَقُولُ:
﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، **﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ**
غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْكُفْرِ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الزُّنْدَقَةِ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ
الضَّلَالِ.

وقوله سبحانه: **﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾**
[الزخرف: ٨٠]، أَيُّ: هَلْ يَظُنُّونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ مَا يَتَسَارُونَ وَمَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ، وَالسِّرُّ مَا فِي
قُلُوبِهِمْ، وَالنَّجْوَى مَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ وَهُوَ فَوْقَ السَّرِّ، وَدُونَ النَّدَاءِ، بَلَىٰ إِنَّا نَسْمَعُ ذَلِكَ
وَزِيَادَةً عَلَيْهِ وَرُسُلْنَا الَّذِينَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ أَقْوَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ، (بَلَىٰ) يَأْتِي
بِهَا فِي جَوَابِ الاسْتِفْهَامِ، سَرَّهُمْ مَا كَانَ فِي السَّرَارِ وَنَجْوَاهُمْ مَا كَانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثَةٍ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ**
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلَيْهِمُ ﴿[المجادلة:٧]، ومع ذلك قال الله تعالى: ﴿وَرُسُلَنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠]، ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، وقال الله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَصَمُّ وَآرَى﴾ [طه:٤٦]، وفيه إثبات المعية لله ﷺ معية تليق بجلاله وهو على عرشه استوى وسيأتي الكلام عليها بتوسّع إن شاء الله.

وفيه إثبات السمع لله ﷺ وهو يسمع بسمع يليق بجلاله وقد جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٥٤٤)، مسلم (٧٩٢) النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَدْنَى اللَّهِ لَشَيْءٍ مَا أَدْنَى لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ» أي: ما استمع الله.

إثبات أن الله يرى بعينين حقيقتين:

وقال رحمه الله:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق:١٤].

هذه الآية نزلت في أبي جهل لما قال: هَلْ يُعَقِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ. فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَّانٌ عَلَى رَقَبَتِهِ أَوْ لَأَعْفَرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لَيْطًا عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجَّهَهُ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبِهِ وَيَتَّقَى يَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنَحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَخَنَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا». رواه مسلم (٢٧٩٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي الآية: أن الله ﷻ يرى ويبصر بعينين حقيقتين.



قال رحمه الله :

وقوله: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢٢٠].

سياق الآيات في التوكل، **قَالَ تَبَّالِي** : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ ففيها الحث على التوكل وقد أمر الله تعالى به في آيات كثيرات، وبين أنه حال المؤمنين ف **قَالَ تَبَّالِي** : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، **وَقَالَ تَبَّالِي** : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢٢]، **وَقَالَ تَبَّالِي** : ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، **وَقَالَ تَبَّالِي** : ﴿الَّذِينَ قَال لَّهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّل لَّهُمْ يَمْسَسُهُمْ سُوًى وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

وَقَالَ تَبَّالِي في بيان فضله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]: أي كافيهِ. **وَقَالَ تَبَّالِي** : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

ومن فضائله في السنة ما جاء عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاصَّ النَّاسَ فِي أَوْلَئِكَ الَّذِينَ

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا - وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ - فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ؛ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَامَ عُكَّاشَةُ ابْنُ مُحَصِّنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

وفيه: إثبات رؤية الله عَزَّوَجَلَّ لعباده على أي حال كانوا، يراهم في الليل والنهار وفي السر والجهار: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢٢٠]، يسمع أصواتهم ويعلم أحوالهم على ما تقدّم من إثبات صفة العلم وفيه استحباب المسارعة إلى الخيرات.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى: ﴿وَقُلْ﴾ لهؤلاء المنافقين: ﴿أَعْمَلُوا﴾ ما ترون من الأعمال، واستمروا على باطلكم، فلا تحسبوا أن ذلك، سيخفى. ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا بد أن يتبين عملكم ويتضح، ﴿وَسَتَرُدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من خير وشر، ففي هذا التهديد والوعيد الشديد على من استمر على باطله وطغيانه وغيه وعصيانه.

ويحتمل أن المعنى: أنكم مهما عملتم من خير أو شر، فإن الله مطلع عليكم، وسيطلع رسوله وعباده المؤمنين على أعمالكم ولو كانت باطنة. انتهى

فيه: إثبات رؤية الله عَزَّوَجَلَّ وفيه الحث على العمل الصالح وفيه فضل المؤمنين وقبل ذلك فضل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أفضل المؤمنين فالعمل الصالح يُرى

ويظهر ولهذا جاء عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»، مسلم (٢٦٤٢). وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهَ بِهِ»، رواه البخاري (٦٤٩٩) من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مسلم (٢٩٨٦) ومن حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



إثبات صفات الجزاء والمقابلة لله عز وجل

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** كما في "مختصر الصواعق" (٢٩٠-٣٩٢)- عن صفات المكر والخداع والكيد والاستهزاء ونحوها:- (لا ريب أن هذه المعاني يذم بها كثيراً، فيقال فلان صاحب مكر وخداع وكيد واستهزاء، ولا تكاد تطلق على سبيل المدح بخلاف أضدادها، وهذا هو الذي غر من جعلها مجازاً في حق من يتعالى ويتقدس عن كل عيبٍ وذم).

والصواب: أن معانيها تنقسم إلى محمود ومذموم، فالمذموم منها يرجع إلى الظلم والكذب، فما يذم منها إنما لكونه متضمناً للكذب والظلم أو لهما جميعاً، وهذا هو الذي ذمه الله تعالى لأهله... فلما كان غالب استعمال هذه الألفاظ في المعاني المذمومة ظن المعطلون أن ذلك هو حقيقتها، فإذا أطلقت لغير الذم كان مجازاً، والحق خلاف هذا الظن، وأنها منقسمة إلى محمود ومذموم، فما كان منها متضمناً للكذب والظلم فهو مذموم، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح فهو حسن محمود، فإن المخادع إذا خادع بباطل وظلم حسن من المجازي له أن يخدعه بحقٍ وعدلٍ -إلى أن قال- إذا عرف ذلك فنقول: إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى -إلى أن قال- أن الله سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد عُلِمَ أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق، فكيف من الخالق سبحانه؟. انتهى



قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

أي: قوي في مكره، وكيده، وهذه الآية شبيهة بقول الله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠]، كما يأتي.

وقال ابن جرير **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ أي والله شديدة مماحلته في عقوبة من طغى عليه وعَتَا وتمادى في كفره و(المحال): مصدر من قول القائل: (ما حَلْتُ فلانًا فأنا أُمَاحِلُهُ مُمَاحِلَةً وَمِحَالًا) و(فعلت) منه: (مَحَلْتُ أُمَحِلُّ مَحَلًا إذا عَرَّضَ رجلٌ رجلاً لما يهلكه)، ومنه قوله: (وَمَاحِلٌ مُصَدِّقٌ). انتهى

وقال السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ أي: شديد الحول والقوة فلا يريد شيئاً إلا فعله، ولا يتعاصى عليه شيء ولا يفوته هارب. انتهى

ولها سبب نزول، من حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" (٢٥٤١)، قال: أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى إِلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى رَأْسِ مِنْ رُءُوسِ الْمُشْرِكِينَ يَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ **عَزَّجَلَّ**، فَقَالَ الْمُشْرِكُ: هَذَا إِلَٰهُ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ ذَهَبٍ هُوَ أَوْ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ مِنْ نَحَاسٍ؟ فَتَعَاظَمَ مَقَالَتُهُ فِي صَدْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: **«ارْجِعْ إِلَيْهِ»** فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: **«ارْجِعْ إِلَيْهِ»**، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ** صَاعِقَةً مِنَ السَّمَاءِ، وَرَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الطَّرِيقِ لَا يَذْرِي، فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ قَدْ أَهْلَكَ صَاحِبَكَ»** وَأَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]، أي شديد المكر بهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. والله **عَزَّجَلَّ** يقول: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ

اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

وهذه الآيات تَضَمَّنَت الإشارة إلى ما يذكره أهل السُنَّة والجماعة في صفات المقابلة وضابط صفات المقابلة أنها التي تكون في جزاء ومقابلة على ما تقدم.

والصفات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأوَّل: صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه فهذه تثبت إلى الله مطلقاً كالسمع والبصر.

الثاني: صفات نقص لا كمال فيها بوجه من الوجوه كالعمى والبكم فهذه تُنْفَى عن الله مطلقاً.

الثالث: صفات كمال من وجه ونقص من وجه فهذه تُثَبَّت إلى الله عَزَّوَجَلَّ حال كونها كمالاً وتُنْفَى عن الله عَزَّوَجَلَّ حال كونها نقصاً.

وضابط هذه الصفات: إن لا تكون الصفة صفة نقص مطلق؛ ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١]، ولم يقل الله عَزَّوَجَلَّ سيخونهم؛ لأنَّ الخيانة صفة نقص وذم وهي الخيانة في موطن الائتمان وصفات المقابلة من الصفات الفعلية.



إثبات صفتي العفو والمغفرة لله عز وجل

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾

[النساء: ١٤٩].

وفي الآية التي قبلها: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]، فيها أن الله مطلع على الظواهر والبواطن وإن الله يجازي عن الإحسان بالإحسان وفيه أن إخفاء الخير أعظم أجراً، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ، كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ، كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ»، من حديث عقبة بن عامر الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (١٣٣٣)، الترمذي (٢٩١٩)، النسائي (٢٥٦١). وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه قال: سُئِلَ أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ وَأَيُّ الصَّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ فَقَالَ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَأَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ» رواه مسلم (١١٦٣).

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا يشمل كل خير قولِي وفعلِي، ظاهر وباطن، من واجب ومستحب.

﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ أي: عمن ساءكم في أبدانكم وأموالكم وأعراضكم، فتسمحوا عنه، فإن الجزاء من جنس العمل. فمن عفا الله عفا الله عنه، ومن أحسن أحسن الله إليه، فلهذا قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ أي: يعفو عن زلات عباده وذنوبهم العظيمة فيسدل عليهم ستره، ثم يعاملهم بعفوه التام الصادر عن قدرته.

وفي هذه الآية إرشاد إلى التفقه في معاني أسماء الله وصفاته، وأن الخلق والأمر صادر عنها، وهي مقتضية له، ولهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسنى، كما في هذه الآية.

لما ذكر عمل الخير والعفو عن المسيء رتب على ذلك، بأن أحوالنا على معرفة أسمائه وأن ذلك يغنينا عن ذكر ثوابها الخاص. انتهى

وفي الآية: إثبات اسم (العفو) لله **عَزَّوَجَلَّ** واسم (القدير) وهما متضمنان لصفة العفو والقدرة، وفي الآية استحباب العفو.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا نَحْبُونُ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

فيه: إثبات صفة المغفرة لله **عَزَّوَجَلَّ** واسم (الغفور) واسم (الرحيم) ولفظ الجلالة (الله) وكل اسم يتضمن صفة، وهذه الآية لها سبب نزول وهو ما أخرجه البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قصة حادثة الإفك... إلى قوله: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أَثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ: وَاللَّهُ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا نَحْبُونُ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهُ إِنِّي لِأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ.



إثبات صفة العزة لله عز وجل

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

فيه: إثبات صفة العزة لله تعالى، وأن العزة لأهل الإيمان والإسلام والاستقامة.
وفي أحمد (١٥٩١٨): عَنْ كُرْزِ بْنِ عَلْقَمَةَ الْخُزَاعِيِّ قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لِلْإِسْلَامِ مِنْ مُنْتَهَى؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَيُّمَا أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ، أَوِ الْعُجَمِ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ بِهِمْ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ» قَالَ: ثُمَّ مَاذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «ثُمَّ تَقَعُ فِتْنٌ كَأَنَّهَا الظُّلُلُ» فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: كَلَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَعُودَنَّ فِيهَا أَسَاوِدُ صُبَّا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

وفي البخاري (٤٩٠٣)، ومسلم (٢٧٧٢): عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ أَصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ لِأَصْحَابِهِ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَقَالَ: لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَاتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فَسَأَلَهُ، فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ مَا فَعَلَ، قَالُوا: كَذَبَ زَيْدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوا شِدَّةً، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ تَصْدِيقِي فِي: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ﴾ [المنافقون: ١] فَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، فَلَوْوَا رُءُوسَهُمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] قَالَ: كَانُوا رِجَالًا أَجْمَلَ شَيْءٍ.

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ مُخْبِرًا عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿قَالَ فِعِزَّتِكَ لَا غَوِيَتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

هذا يمين وقسم من أبيليس بعزة الله التي هي وصف الله **عَزَّوَجَلَّ**، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٨٠]، أي الموصوف بالعزة **عَزَّوَجَلَّ**، ومن حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَسِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنِيكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ»، رواه البخاري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** (٢٧٩) و(٣٣٩١) و(٧٤٩٣).

وفي حديث عثمان بن أبي العاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ عُثْمَانُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: وَيَبِي وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُهْلِكُنِي قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «امْسَحْهُ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ»، عند أبي داود (٣٨٩١)، الترمذي (٢٠٨٠)، ابن ماجه (٣٥٢٢)، مسند أحمد (١٦٢٦٨)، وأصله في مسلم.

ومن أسماء الله (العزیز) الذي يتضمّن صفة العزّة لله **عَزَّوَجَلَّ** فهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع وقد اشتق الكفار من اسم العزيز اسمًا لآلهتهم فسمّوها العزى، فعن أبي الطفيل قال: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةٍ، وَكَانَتْ بِهَا الْعُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدٌ، وَكَانَتْ عَلَى ثَلَاثِ سَمَرَاتٍ، فَقَطَعَ السَّمَرَاتِ، وَهَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا»، فَارْجَعَ خَالِدٌ، فَلَمَّا بَصُرَتْ بِهِ السَّدَنَةُ وَهُمْ حَجَبَتْهَا، أَمَعُوا فِي الْجَبَلِ، وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا عُزَّى يَا عُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا، تَحْتَفِنُ الثَّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ: «تِلْكَ الْعُزَّى». من حديث خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "السنن الكبرى" للنسائي (١١٥٤٧).

فالعزة لله عَزَّوَجَلَّ، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، من أعزّه فهو العزيز ومن أذلّه فهو الذليل وأمّا المخلوق قد يوصف بالعزة ولا عزة له: ﴿قَالَتْ أُمُّرَأْتُ الْغَرِيْبِ﴾ [يوسف: ٥١]، ولا عزة له وهو على الكفر، امرأته تراود فتاه عن نفسه وهو يقول اعرض عن هذا واستغفري لذنبك، أين غيرة الرجال وأين معاقبة المخطئ وهكذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ في شأن المشرك: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، ليس له من العزة شيء لأنّه في النار.

في هذه الآية: حرص إبليس على إغواء الناس حيث أقسم بالله ليُغوينّهم أجمعين وأكّد القسم بـ(اللام) ثم أكّد إغواءه بقوله (أجمعين) ولكن خيّبه الله عَزَّوَجَلَّ، وقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠]، ليس معنى ذلك أن إبليس لا يريد إغواء المخلصين من المؤمنين ولكنه عاجز عن ذلك لخلوصهم وإقبالهم على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ وإلا فإنّه لن يترك أحداً يستطيع إغواءه كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنّه قال: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَاتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦-١٧]، وإبليس علم على الشيطان الأكبر، الشيطان الرجيم.



القول في الإثبات المفصل والنفي المجمل

الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بعث رسله بإثبات مفصّل، ونفي مجمل، فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل، كما **قَالَ تَعَالَى**: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، **قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ**: (هل تعلم له سمياً) أي نظيراً يستحق مثل اسمه، ويقال مُسَامِيًّا يُسَامِيهِ. وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: هل تعلم له مثلاً أو شبيهاً.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۚ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾، **وَقَالَ تَعَالَى**: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، **وَقَالَ تَعَالَى**: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُجِبُونَهُمْ كَحَبِّ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۝﴾ [البقرة: ١٦٥]، **وَقَالَ تَعَالَى**: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ۝ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ۚ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾ [الأنعام: ١٠٠-١٠١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ١-٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ۝ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهمْ يَقُولُونَ ۝ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ۝ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝﴾ إلى قوله: ﴿



سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصفات: ١٤٩-١٨٢].

فسبح نفسه عما يصفه المفترون المشركون، وسلّم على المرسلين، لسلامة ما قالوه من الإفك والشرك، وحمد نفسه إذ هو سبحانه المستحق للحمد بما له من الأسماء والصفات وبديع المخلوقات.

وأما الإثبات المفصل، فإنه ذكر من أسمائه وصفاته ما أنزله في محكم آياته، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الآية بكمالها، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤] وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢]، ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُدُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٤-١٦]، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٣-٤].

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]، وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠]، وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ١٠١].

[٢١٠]، وقوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

وقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله: ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

إلى أمثال هذه الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في أسماء الرب تعالى وصفاته، فإن في ذلك من إثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل، وإثبات وحدانيته بنفي التمثيل ما هدى الله به عباده إلى سواء السبيل، فهذه طريقة الرسل صلى الله عليهم أجمعين. انتهى
قاله شيخ الإسلام في "التدمرية" ص (٨-١٢).

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿بَدْرِكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

بعد أن قدّم شيئاً من الأدلة في التفصيل في الإثبات ذكر هذه الآية وفيها الإجمال في النفي.

فقوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ أي تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين ومنها قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١].

وقوله: ﴿أَسْمُ رَبِّكَ﴾ دليل على أن الله أسماء تليق بجلاله وأنها غير مخلوقة، فالمخلوق لا يوصف أنه تبارك وإنما يقال فيه مبارك أمّا الذي تبارك هو الله **عَزَّجَلَّ**.

وقوله: ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ هذا اسم مركّب من أسماء الله **عَزَّجَلَّ** الحسنی، فإذا أردت أن تُسمّي عبداً بهذا الاسم تقول عبد ذو الجلال والإكرام، وأسماء الله **عَزَّجَلَّ** منها المفردة ك(الله، الرحمن، الرحيم، الملك، القدّوس...) ومنها المركّبة ك(ربّ العالمين، مالك يوم الدين، جامع الناس ليوم لا ريب فيه، خير الوارثين، نعم المولى، نعم النصير...) والأسماء المركّبة من أسماء الحسنی بالإجماع لأنّ الله **عَزَّجَلَّ** يُدعى بها والنبيّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «**الْظُّلُومُ يَبَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**»، من حديث أنس **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عند النسائي (٣٥٢٥)، أي ألزموه وأكثروا من الدعاء بهذا الاسم العظيم، وهذا الاسم يتضمّن إثبات جلال الله **عَزَّجَلَّ** وعظمته تعالى، ويتضمّن كمال الله **عَزَّجَلَّ** من كلّ وجه وأتّه مع جلاله وعظمته وكبريائه متصف بالإكرام، قال الله تعالى: ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**﴾ [العلق: ٣]، وقد تقدّم معنا في قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿**وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: ٢٧]، أنّه لما كان ذو الجلال والإكرام وصف للوجه رُفِعَ ولما كان ذي الجلال والإكرام وصفاً للربّ والذات جُرَّ لأنّه تابع.

قال رحمه الله:

وقوله: ﴿**فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ [مريم: ٦٥].

قال السعدي رحمه الله:

﴿**وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ**﴾ أي: اصبر نفسك عليها وجاهدها، وقم عليها أتم القيام وأكملها بحسب قدرتك، وفي الاشتغال بعبادة الله تسلية للعابد عن جميع التعلقات

والمشتهيات، كما **قال تعالى**: ﴿وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١] إلى أن قال: ﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] الآية. ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي: هل تعلم لله مساميا ومشابها ومماثلا من المخلوقين. وهذا استفهام بمعنى النفي، المعلوم بالعقل. أي: لا تعلم له مساميا ولا مشابها، لأنه الرب، وغيره مربوب، الخالق، وغيره مخلوق، الغني من جميع الوجوه، وغيره فقير بالذات من كل وجه، الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده بالعبودية، وأن عبادته حق، وعبادة ما سواه باطل، فلهذا أمر بعبادته وحده، والاصطبار لها، وعلل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء الحسنى. انتهى

فقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ من النفي المُجمل والقاعدة عند أهل السنة والجماعة أن الله **عَزَّوَجَلَّ** يُوصَفُ بالإثبات المفصّل وبالنفي المجمل، وقد يتخلف هذا الأصل ويوصف الله **عَزَّوَجَلَّ** بالإثبات المجمل والنفي المفصّل لكن في موطنين فقط وهو ردّ ما ادّعاه في حقّه المبطلون ودفع توهم نقص وأما النفي المجمل فيؤتى به لبيان عموم الكمال وأول الآية: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وهذه الآية تضمّنت **أنواع التوحيد الثلاثة**:

الأول: توحيد الربوبية.

الثاني: توحيد الألوهية.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

وفيها: الحثّ على الصبر على طاعة الله، لأنّ الإنسان تأتيه المشبّطات إمّا من الشياطين قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوزُّهُمْ أَثَلًا﴾



[مريم: ٨٣]، والإرسال هنا كوني، وإمّا بالنفس الأمّارة بالسوء أو بسبب الهوى أو بغير ذلك، والصبر ثلاثة:

١- **صبر على أقدار الله عَزَّجَلَّ**: وهو الذي يتضمنه قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٢- **صبر عن معاصي الله عَزَّجَلَّ**: قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٣- **صبر على طاعة الله عَزَّجَلَّ**، قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعِيقَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

والصبر قد يكون جلياً وقد يكون بالتعود، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ»، رواه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وسمّاه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ضياء فقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ**»، من حديث أبي مالك الأشعري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٢٢٣).

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

أي ليس له مثل ولا نظير ولا سمّي ولا ندّ، وليس ثمّ أحد يكافئ الله **عَزَّجَلَّ** لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله لكمال المطلق من كل وجه والآية تدل على النفي المجمل.

قال رحمه الله:

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

أي: نظراء وأشباها من المخلوقين، فتعبدونهم كما تعبدون الله، وتحبونهم كما تحبون الله، وهم مثلكم، مخلوقون، مرزوقون مدبرون، لا يملكون مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، ولا ينفعونكم ولا يضرّون، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن الله ليس له شريك، ولا نظير، لا في الخلق، والرّزق، والتدبير، ولا في العبادة فكيف تعبدون معه آلهة أخرى مع علمكم بذلك؟ هذا من أعجب العجب، وأسفه السفه. أفاده السعدي.

قال رحمه الله:

﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُجِبُّونَهُمْ كَحِبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

أي: ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً أي نظراء ومثلاً إمّا في العبادة وإمّا في الصفات على ما يتصورون فيحبّون هؤلاء الأنداد وهؤلاء الأصنام كحبّهم لله وقيل كحبّ المؤمنين لله وكلاهما كفر فإذا أحبّ الرجل صنماً أو حجراً أو قبراً أو وثناً أو ملكاً أو بشراً كمحبّة الله عزّ وجلّ فقد كفر حيث أشرك في عبادة المحبة ولأنّ الله عزّ وجلّ هو الخالق المالك المدبّر يُعبد بالمحبّة كما يُعبد بالخوف وإذا أحبّ عبداً مربوبه من دون الله كحبّ المؤمنين لله فقد كفر ففي كلا الحالين كفر.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

هذا عليه أدلّته منها حديث أنس رضي الله عنه في الصحيحين البخاري (١٦)، مسلم (٤٣)، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ».



وَقَالَ نِسَالِي: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وَقَالَ نِسَالِي: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ أُفْتَرِقْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَتَّخِذُونَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿[التوبة: ٢٤].

وفي حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٠٠٩) و(٤٢٠٩) و(٤٢١٠)، قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ عَدَا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، فمحبّة الله عَزَّوَجَلَّ يأتي معها الانقياد لله عَزَّوَجَلَّ بالتوحيد والطاعة وكم من الناس الذين يدعون محبة الله وهم مخالفون لشرعة بل حتى اليهود والنصارى والصوفية القبورية والرافضة ومن إليهم يدعون محبة الله، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨]، وقد قطع الله عَزَّوَجَلَّ عنهم ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، فإذا كنت تحبّ الله فاتبع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنّ من علامة حبّ الله امتثال أمر الله عَزَّوَجَلَّ والدعوى إن لم تُقم عليها بينات أصحابها أديعاء والنبّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في خطبته: «الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ»، الترمذي (١٣٤١) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١٣٤٢)، فمن ادّعى شيئاً أتى بالبيّنة فإذا كنت تُحبّ الله عَزَّوَجَلَّ فبادر إلى ما يُرضي الله عَزَّوَجَلَّ.

قال رحمه الله:

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

هذه الآية تضمنت عدة معان:

الأول: الأمر بحمد الله عز وجل والحمد من الصفات الثبوتية فحمد الله عز وجل يتضمن الإجمال في الإثبات، وإنما يكون الحمد على ما هو من خصائص الكمال والجلال والعظمة فلفظ الحمد لله يتضمن إثبات كل كمال لله عز وجل فيدخل فيها إثبات السمع والبصر والقدرة والإرادة والمشية والعلو وغير ذلك كما أن كلمة (سبحان الله) تتضمن نفي جميع النقائص عن الله عز وجل وتستلزم إثبات جميع المحامد لله عز وجل.

الثاني: في قوله: ﴿الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ﴾ هذا من النفي المفصل؛ لأن اتخاذ الولد صفة نقص في حق الله تعالى، وصفة كمال في حق المخلوقين لأنّ الآدمي يكبر ويهرم ويموت فيحتاج إلى ولد يرث ماله ويقوم عليه في حال كبره قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، لكن الله عز وجل هو الحي القيوم، الحي الذي حياته أزلية أبدية، القيوم القائم بنفسه والمقيم لغيره عز وجل، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، فالله عز وجل منزّه عن الصاحبة والولد، وله الكمال المطلق.

وقوله: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ لكماله عز وجل ومعلوم عندنا أن الصفات المنفية تتضمن كمال الضد فقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، يدل على كمال حياته، وقيوميته، وسيادته إلى غير ذلك فإنّ الصفة المنفية قد تدلّ على عدة كمالات كما في قول الله



عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، فنفي صفة العجز دلّ على إثبات صفة القدرة والعلم.

الثالث: في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ هذا من النفي المجمل الذي يُبين عموم ملك الله **عَزَّجَلَّ** وعموم كماله سبحانه ولم يكن له شريك في الملك كما لم يكن له معين ولا ظهير لقوّته وجبروته وقهره وعزّته وعظمته **عَزَّجَلَّ**.

الرابع: في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ خرج به ما اتخذ الله **عَزَّجَلَّ** من الأولياء الصالحين، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيما يرويه عن ربه: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»، البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

فالله **عَزَّجَلَّ** اتخذ أولياء من المؤمنين إكرامًا لهم ولم يتخذهم أولياء لذلّة تلحق به أو لحاجة، قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١]، بل هو تفضّل على الأولياء وأكرمهم بولايته، أمّا البشر المخلوقون المربوبون العاجزون فإنّهم يتّخذون الأولياء من أجل إذا وقعت عليهم المشاكل استنصروا بهم وإذا وقعت عليهم ديون استنجدوا بهم واستعانوا بهم إلى غير ذلك، قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ [فاطر: ١٥-١٧].

الخامس: في قوله: ﴿وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ عظّمه وكبّره وهذا فيه إجمال في الإثبات فيشمل تعظيم الله **عَزَّجَلَّ** بصفات الجلال والجمال وصفات الجبروت والملكوت وغير ذلك ممّا يتعلّق بالذات العلّية، وفيها الحثُّ على ذكر الله **عَزَّجَلَّ** بالتكبير وغيره.

قال رحمه الله:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١].

التسبيح يُراد به: تنزيه الله عزَّ وجلَّ عن جميع النقائص والمعائب ونزّه الله عزَّ وجلَّ عن جميع النقائص المعائب لعموم كماله، فالله عزَّ وجلَّ يُسَبِّحُ له ما في السماوات والأرض واختلف العلماء في هذا التسبيح هل هو بلسان الحال أو لسان المقال، فذهب بعض أهل العلم إلى أن الآية على عمومها وهي أن الله يُسَبِّحُ له من في السماوات ومن في الأرض بلسان مقالها وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ»، من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم رحمه الله (٢٢٧٧). فالله لا يُعجزه شيء، وذهب بعضهم إلى أن هذه الكائنات والمخلوقات تُسَبِّحُ لله عزَّ وجلَّ بلسان حالها فوجود هذه الجبال العظيمة وهذه المخلوقات يدل على تنزيه الله عزَّ وجلَّ عن النقائص لأنّه الخالق المالك الرازق المدبّر المتّصف بجميع صفات الكمال، قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَجِبَالُ أَوِي مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠]، فمن قال إن التسبيح بلسان الحال لا يُنكر عليه ومن قال إن التسبيح بلسان المقال لا يُنكر عليه ومن قال أن التسبيح بلسان المقال في حقّ المؤمنين الطائعين وبلسان الحال في حقّ الكافرين والعصاة المجرمين لا يُنكر عليه وهذا الذي يظهر لي والله أعلم، لأنّ كثير من الكفار ما يقول سبحان الله عُمره، ولا يعرف الله فيكون وجوده دالٌّ على تنزيه الله عزَّ وجلَّ عن النقائص.

وقوله: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ فيه الإثبات المفصل وأيضاً المجمل لأنَّ صاحب الملك المطلق هو المتصف بالكمال من كلِّ وجه، قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿١-٢﴾ [الملك: ١-٢]، وله الحمد على ما تقدّم بيانه، ف(أل) في الحمد للاستغراق.

وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيه: إثبات صفة القدرة لله **عَزَّوَجَلَّ**، القدرة العظيمة التي يدخل تحتها كلُّ مقدور و(كل) من ألفاظ العموم.

قال رحمه الله:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانِ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ [الفرقان: ١-٢].

قوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانِ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ فيه إثبات نزول القرآن من الله **عَزَّوَجَلَّ** ومن أسماء القرآن الفرقان، وفيه إثبات أنَّ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عبدٌ أكرمه الله **عَزَّوَجَلَّ** بهذه المرتبة العظيمة التي امتنَّ بها عليه في هذا الموطن وهو موطن الإنزال أي إنزال القرآن عليه، وفيه أنَّ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بُعث للناس كافة لقوله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وهذا موافق لقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ دلَّ على الإجمال في الإثبات على تقدّم بيانه.

وقوله: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ فيه إثبات صفة الخلق لله **عَزَّوَجَلَّ** وهي من الصفات

الذاتية الأزلية الأبدية إلا أن خلق الله **عَزَّجَلَّ** لآحاد المخلوقين من الصفات الفعلية، فالله **عَزَّجَلَّ** خلق زيدا متى شاء وخلق عمرو متى شاء، وفيه إثبات القدر في قوله: ﴿فَقَدَرَهُ﴾ على ما يأتي بيانه، والإثبات المجمل في قوله: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، والنفي المُجْمَل في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾، وقد تقدّم فائدة كل هذا.

قال رحمه الله:

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۝ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢].

فيه: نفي الولد عن الله **عَزَّجَلَّ** وهذه صفة منفية والصفة المنفية لا بد أن تتضمن كمال الضد كما تقدّم.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ لأن وجود الآلهة مع الله **عَزَّجَلَّ** مردّه إلى فساد العالم وقد استدلل بعض النظار بهذه الآية على دليل التمانع وضابط أنه يمتنع أن يكون في الكون خالقيين فإمّا أن يغلب أحدهما فهو الإله وإمّا أن يعجزا جميعاً فليسا بالآلهة وإمّا أن لا يتحقّق أمر أحدهما، والصحيح أنّه لا يُستدلّ بها على هذا وإمّا الاستدلال بها على توحيد الإلهية أعظم فإنّ الذين ذهبوا بالاستدلال بها على دليل التمانع استدّلوا بها على أنّ الفساد في العالم يقع بالإشراك في توحيد الربوبية وهذا خطأ بل الفساد يقع في العالم بجميع أنواع الشرك سواء شرك الألوهية أو شرك الربوبية وقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، أي يُنزه الله **عَزَّجَلَّ** نفسه أن يكون معه إله أو يكون معه شريك أو يكون معه نظير أو يكون له معين والله **عَزَّجَلَّ**

منزه عن جميع النقائص ثم قال: ﴿عَلِيهِ الْغَيْبُ﴾ أي الله عز وجل عالم بالغيب والغيب هو الغائب عن الأبصار والشهادة هو الشيء المشاهد، وهذا من الأسماء المركبة: ﴿عَلِيهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ﴾ [المؤمنون: ٩١]، كقوله: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤].

وقوله: ﴿فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هذا من النفي المجمل (تعالى) أي تنزهه وتقدس وتعظم عن صفات المخلوقين وعن أقوالهم وأفعالهم الشريكة.

قال رحمه الله:

وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

هذه الآية يُشكل معناها على من لم يفقه هذا الباب وذلك لأن الله يقول: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، وهذا ليس بمشكل قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، والقرآن والسنة الصحيحة يؤيد بعضهما بعضاً إذ لا تناقض لأن كلام الله عز وجل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، لكن لا يضرب لله عز وجل مثل السوء، **قال تعالى:** ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، والمراد بالمثل الأعلى الوصف الأعلى الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه، وله المثل الأعلى في قلوب أوليائه من التعظيم، والإجلال، والمحبة.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: أن الله متّصف بصفة العلم وأنتم لا تعلمون إلا ما علمكم الله عز وجل فيجب علينا أن لا نصف الله تعالى، وسميه إلا بما وصف وسمى به نفسه، ويُبين المراد من الآية من سياقها وسباقها **قال تعالى:** ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ

﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ [النحل: ٧٣-٧٨].

قال السعدي رحمه الله: يخبر تعالى عن جهل المشركين وظلمهم أنهم يعبدون من دونه آلهة اتخذوها شركاء لله، والحال أنهم لا يملكون لهم رزقاً من السماوات والأرض، فلا ينزلون مطراً، ولا رزقاً ولا ينبتون من نبات الأرض شيئاً، ولا يملكون مثقال ذرة في السماوات والأرض ولا يستطيعون لو أرادوا، فإن غير المالك للشيء ربما كان له قوة واقتدار على ما ينفع من يتصل به، وهؤلاء لا يملكون ولا يقدرُونَ. فهذه صفة آلهتهم كيف جعلوها مع الله، وشبهوها بمالك الأرض والسماوات الذي له الملك كله والحمد كله والقوة كلها؟!.

ولهذا قال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ المتضمنة للتسوية بينه وبين خلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فعلينا: أن لا نقول عليه بلا علم وأن نسمع ما ضربه العليم من الأمثال فلماذا ضرب تعالى مثلين له ولمن يعبد من دونه، أحدهما عبد مملوك أي: رقيق لا يملك نفسه ولا يملك من المال والدنيا شيئاً، والثاني حرٌّ غنيٌّ قد رزقه الله منه رزقاً حسناً من جميع أصناف المال وهو كريم محب للإحسان، فهو ينفق منه سرا وجهراً، هل يستوي هذا وذاك؟! لا يستويان مع أنهما مخلوقان، غير محال استواءهما.

فإذا كانا لا يستويان، فكيف يستوي المخلوق العبد الذي ليس له ملك ولا قدرة ولا استطاعة، بل هو فقير من جميع الوجوه بالرب الخالق المالك لجميع الممالك القادر على كل شيء؟!؟

ولهذا حمد نفسه واختص بالحمد بأنواعه فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فكأنه قيل: إذا كان الأمر كذلك فلم سوى المشركون آلهتهم بالله؟ قال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فلو علموا حقيقة العلم لم يتجرؤوا على الشرك العظيم.

والمثل الثاني مثل: ﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ لا يسمع ولا ينطق و﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لا قليل ولا كثير: ﴿وَهُوَ كُلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ أي: يخدمه مولاه، ولا يستطيع هو أن يخدم نفسه فهو ناقص من كل وجه، فهل يستوي هذا ومن كان يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، فأقواله عدل وأفعاله مستقيمة، فكما أنهما لا يستويان فلا يستوي من عبد من دون الله وهو لا يقدر على شيء من مصالحه، فلو لا قيام الله بها لم يستطع شيئاً منها، ولا يكون كفواً ونداً لمن لا يقول إلا الحق، ولا يفعل إلا ما يحمد عليه. انتهى

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو عام لجميع أمته، واستدل العلماء بهذه الآية على تحريم القول على الله عَزَّجَلَّ بغير علم في جميع أبواب الدين ومنه وصف الله عَزَّجَلَّ بما لم يصف به نفسه أو تمثيل الله عَزَّجَلَّ بخلقه أو تعطيل الله عَزَّجَلَّ من صفاته كل هذا من الحرام الذي هو أعظم أنواع الإلحاد، بل قد ذهب ابن القيم رحمه الله إلى

أَنَّ القول على الله **عَزَّوَجَلَّ** بغير علم أعظم أنواع الذنوب والمعاصي على الإطلاق وأعظم من الشرك بالله، وقد يُشكل على بعضهم حين يسمع مثل هذا الكلام، فنقول لا يُشكل فإنَّ الشرك بالله إنما يقع بالقول على الله بغير علم وما مُثل الله **عَزَّوَجَلَّ** بخلقه إلا بسبب القول على الله بغير علم وما عطلَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** عن صفاته إلا بالقول على الله بغير علم وليس المراد بأنك إذا أفيتت في مسألة خالفت فيها الحق أنك قلت على الله بغير علم، هذا يدخل في قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، فلا إنكار على ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في ترجيحه على أَنَّ القول على الله بغير علم أعظم من الشرك لأنَّ الشرك سببه القول على الله بغير علم، لماذا عبد كفار قريش اللات والعزى وهبل ومناة؟ عبدوها لاعتقادهم أَنَّ هذه لها منزلة عند الله **عَزَّوَجَلَّ** وَأَنَّ الله قد أمر بتعظيم أوليائه وهذا من تعظيم الأولياء فسببه القول على الله بغير علم، قال النصارى على الله الأب وعلى عيسى **عَلَيْهِ السَّلَام** الابن وبأنَّ له صاحبة؟ لأنَّهم قالوا على الله بغير علم، إذا القول على الله بغير علم ذنب عظيم مؤداه إلى جميع أنواع الشرك والإلحاد والزندقة والكفر والضلال ولا حول ولا قوة إلا بالله وقد ذكر ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** أَنَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** ذكر المحرّمات في هذه الآية من الأدنى إلى الأعلى قوله: ﴿الْفَوَاحِشُ﴾ [الأعراف: ٣٣]، تطلق على ما فحش من الذنوب، والمعاصي كالزنا واللواط، قال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠] وقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ ما كان ظاهرًا للعيان وما كان باطنًا، مما يتعلق بحركات البدن، وخبايا القلوب كالعجب، والكبر، ونحوه، وقوله: ﴿وَالْإِنَّمَارُ﴾

[الأعراف: ٣٣] هي الذنوب الموجبة للعقوبة، والإثم يتنوع فمنه شرب الخمر والزنا، ونحوها.

قال ابن عادل في "اللباب": بين في هذه الآية الكريمة أنواع المحرمات، فحرم أولاً الفواحش، وثانيها الإثم، واختلفوا في الفرق بينهما، فقل: الفواحش: عبارة عن الكبائر؛ لأن قبحها قد تفاحش أي: تزايد، والإثم عبارة عن الصغائر، والمعنى: أنه حرم الكبائر والصغائر.

وطعن القاضي في ذلك بأن ذلك يقتضي أن يقال: الزنا والسرقه والكفر ليس بإثم، وهو بعيد، وأقل الفواحش ما يجب فيه الحد، والإثم ما لا حد فيه.

وقيل: الفاحشة اسم للكبيرة، والإثم اسم لمطلق الذنب سواء كان صغيراً أو كبيراً، وفائدته: أنه لما حرم الكبيرة أُرْدِفَه بِتَحْرِيمِ مطلق الذنب، لئلا يتوهم أن التحريم مقصورٌ على الكبيرة، وهذا اختيار القاضي.

وقيل: إن الفاحشة وإن كانت بحسب اللغة اسماً لك ما يتفاحش وتزايد في أمر من الأمور، إلا أنه في العرف مخصوصٌ بالزنا، ويدل على ذلك قوله تعالى في الزنا: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَلَاحِشَةً﴾ [الإسراء: ٣٢]، ولأن لفظ الفاحشة إذا أطلق لم يفهم منه إلا ذلك.

وإذا قيل: فلان فحاش، فهم منه أنه يشتم الناس بالفاظ الوقاع؛ فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا، فعلى هذا يكون: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي: الذي يقع منها علانية، و﴿وَمَا بَطَّنْ﴾ أي: الذي يقع منها سرّاً على وجه العشق والمحبة.

وقيل: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: الملامسة والمُعَانَقَة، و﴿وَمَا بَطَّنْ﴾: الدخول. انتهى

قوله: ﴿وَالْبَغْيُ﴾ [الأعراف: ٣٣] البغي وهو تجاوز الحد في ظلم الناس سواء كان ذلك في دماءهم أو أموالهم أو أعراضهم، فشملت الآية ما يتعلق بحق الله تعالى، وحق العباد، وقوله: ﴿يَغْيِرَ الْحَقَّ﴾ خرج به ما كان صورته البغي وهو بحق لأن الله عز وجل

قال: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَمَنِ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١].

قال ابن عادل في "اللباب": فإن قيل: البغي لا يكون إلا بغير الحق، فما الفائدة في ذكر هذا الشرط؟ **فالجواب من وجهين:**

الأول: أن قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ حال، وهي حال مؤكدة؛ لأن البغي لا يكون إلا بغير الحق.

والثاني: أنه مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، والمعنى: لا تقدموا على إيذاء الناس بالقتل والقهر، إلا أن يكون لكم فيه حق فحيثئذ يخرج عن أن يكون بغياً. انتهى

وقال الله عز وجل: ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [الأعراف: ٣٣]، أي حجة، وبرهان، وليس معنى ذلك أن بعض الشرك أنزل الله به حجة من السماء فالشرك محرم ولكن قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ صفة كاشفة ومبينة أن ذلك لن يكون. فإذا قال لك المشرك: أنا أشرك بهذا الصنم وبهذا القبر؛ لأن الله عز وجل قد أمر بذلك، قل له: (هات سلطانك) لن يستطيع أن يأتي بدليل من القرآن أو حديث صحيح على أن الله أذن بالشرك، تعالى الله عز وجل أن يأذن بالشرك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ أَظْلَمُ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ﴾ أي في شرعه، ودينه، ويدخل في ذلك القول في الأسماء والصفات.



إثبات صفة الاستواء

قال رَحْمَةُ اللَّهِ :

وَقَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾
[يونس:٣] فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ.^(١)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس:٣]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد:٢]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقوله تبارك تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة:٤]،

(١) وقع في (ف) سرد تلك المواضع، وعدم ذكرها أصوب، يؤيد هذا: أنه أورد آية طه حين العد، فصارت سبعة! ووقع في المطبوع: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ في سبع مواضع... ثم سردها، والواقع أن هذه الآية ليست إلا في سورة طه، أما التي في ستة مواضع فالآية الأخرى. وإليك الآيات التي سردت في (ف) وفي المطبوع قال:

في سورة الأعراف قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال في سورة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس:٣]، وقال في سورة الرعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، وقال في سورة طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]، وقال في سورة الفرقان: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]. وقال في سورة الم السجدة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]، وقال في سورة الحديد: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤].

وقوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، كل هذه الآيات تضمنت الدلالة على صفة الاستواء لله **عَزَّجَلَّ** وصفة الاستواء من الصفات الفعلية وهي ثابتة بالقرآن والإجماع ولا أعلم دليلاً من السنة للدلالة عليها إلا عند تفسيرها بمعنى العلوّ فالأحاديث الدالة على إثبات صفة العلو لله **عَزَّجَلَّ** كثيرة.

وفي الآيات: دلالة أن الله **عَزَّجَلَّ** خلق السموات والأرض في ستة أيام، وحديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** الذي أخرجه مسلم **رَحِمَهُ اللَّهُ** (٢٧٨٩)، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بِيَدِي فَقَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ** التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فِي آخِرِ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ»، الراجح وقفه على كعب الأخبار.

والجمع بين هذه الآيات وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيَّتُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَدَرَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ١٠﴾ [فصلت: ٩-١٠]، المراد أنه خلق السماوات والأرض في يومين ثم كان تقدير ما فيها في أربعة أيام فكان تمام الخلق في ستة أيام.

وصفة الاستواء صفة حقيقية لله **عَزَّجَلَّ** وأجمع العلماء على تفسيرها بالعلو والاستقرار والارتفاع والصعود فمعنى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، أي علا على العرش وارتفع عليه وقوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]، فسرها بعضهم



أي قصد إلى السماء لأنَّ الاستواء هنا عُدِّي بـ(إلى) ونقل شيخ الإسلام ابن القيم **رَحِمَهُمُ اللَّهُ** الإجماع على ذلك، ويكون المراد قصد إلى خلق السماء من العلوّ وهو على عرشه.

وفسّر أهل التعطيل الاستواء بالاستيلاء، فشابهت الجهميّة اليهود، حيث قال الله تعالى آمراً لهم: ﴿وَادْخُلُوا أَبْوَابَ سُجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، فَبَدَّلُوا فَادْخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ. رواه البخاري (٣٢٢٢)، ومسلم (٣٠١٥) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

أَمَرَ الْيَهُودُ بِأَنْ يَقُولُوا حِطَّةٌ * فَأَبَوْا وَقَالُوا حِنْطَةٌ لِهَوانٍ
وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ قِيلَ لَهُ اسْتَوَى * فَأَبَى وَزَادَ الْحَرْفَ لِلنُّقْصَانِ
قَالَ اسْتَوَى اسْتَوَى وَذَا مِنْ جَهْلِهِ * لُغَةً وَعَقْلاً مَا هُمَا سِيَّانِ
نُؤْنُ الْيَهُودَ وَلَا مَجْهَمِي هُمَا * فِي وَحْيِ رَبِّ الْعَرْشِ زَائِدَتَانِ
وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ عَطَّلَ وَصَفَهُ * وَيَهُودٌ قَدْ وَصَفُوهُ بِالنُّقْصَانِ
فَهُمَا إِذْنٌ فِي نَفْسِهِمَا لِصِفَاتِهِمَا * عَلِيًّا كَمَا بَيَّنَّاهُ أَخَوَانِ

وتفسير الاستواء بالاستيلاء تفسير باطل لا يدلّ عليه العقل ولا النقل، أمّا النقل فقد تبين أنّ الاستواء بمعنى الارتفاع والعلو والصعود والاستقرار وأمّا العقل فإنّ الاستيلاء يكون عن مغالبة بين اثنين أو أكثر والله **عَزَّ وَجَلَّ** له الملك المطلق ثم هو تعالى مستولي على جميع مخلوقاته ليس على عرشه فقط.

وتناقلوا عن الأخطل بيتاً لا حجة لهم فيه:

قَدْ اسْتَوَى بَشَرٌ عَلَى الْعِرَاقِ * مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مِهْرَاقِ



والعجب: أن هؤلاء إذا قلت لهم قال الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «يَنْزِلُ رَبُّنَا» من حديث أبي هريرة عند البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨)، قالوا: هذا خبر آحاد نحن لا نأخذ به في العقيدة، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُحْلِ وَالْكَسْلِ، وَأَرْذِلُ الْعُمْرَ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةَ الدَّجَالِ، وَفِتْنَةَ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»، من حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٤٧٠٧) ومسلم (٢٧٠٦)، قالوا: نحن لا نؤمن بعذاب القبر؛ لأنه خبر آحاد.

وهذا البيت لا سند له واستدلوا به على باطلهم وهذا من تناقضهم يردون أخبار الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** التي في الصحيحين ويقبلون بيت الأخطل النصراني. وقد أحسن شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ** إذ يقول:

قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْقُرْآنَ وَرَاءَهُ * وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ
وقال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في نونيته:

وَدَلِيلُهُمْ فِي ذَاكَ قَوْلُ قَالِهِ * فِيمَا يُقَالُ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِي
فهم يُقَسِّمون الحديث إلى قسمين: (آحاد ومتواتر).

والآحاد هو: رواية الواحد أو الاثنين أو الثلاثة وربما رواية العشرة فيدخل فيه العزيز والمشهور والغريب، فكل هذه الأنواع عندهم آحاد، والآحاد عندهم لا يؤخذ به في العقائد. وسيأتي الرد على هذه الشبهة في موطنه إن شاء الله تعالى.

وتقسيم الحديث إلى آحاد ومتواتر تقسيم مبتدع لم يأت من قبل السلف، وإنما جاء عن إبراهيم بن كيسان الأصم، وكان من رءوس المعتزلة، الذي قيل في ترجمته: كان عن الحق أصم. وعنه إبراهيم بن عُلَيَّة الجهمي.

وإلا فحديث النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذا توفرت فيه شروط القبول يجب قبولها آحادها ومتواترها، ثم الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** واحد، والذي ذهب بالكتاب إلى

هرقل واحد، والمؤذن واحد والآذان فيه التوحيد، وهذا التقسيم مبتدع ردّ عليه الإمام الشافعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كتاب الرسالة ردًّا طيبًا وفي كتاب صحيح البخاري (كتاب أخبار الآحاد)، وهكذا الإمام أبو محمد ابن حزم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كتاب "أحكام الأحكام"، والإمام ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** كما "في مختصر الصواعق"، وللشيخ الألباني الألباني (كتاب في بيان حجّة خبر الآحاد) وغيرهم كثير، وهذا المذهب ما زال ساريًا متبنيّه حزب التحرير حيث لا يؤمنون بعذاب القبر ولا يؤمنون بكثير من المغيّبات وحجّتهم أنّ عذاب القبر إنّما جاء عن طريق الآحاد والصحيح أنّ أحاديث عذاب القبر على اصطلاحهم متواترة لفظًا ومعنى. وقد جمعت فيها في رسالتي "عذاب القبر ونعيمه" أكثر من مائة دليل صحيح، ثمّ هم عندما يُصلّون يقولون: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»**، تقول له: لماذا تدعو بهذا الدعاء؟ يقول: لأنّه في باب الأحكام وفي باب العبادات، وقد صحّ عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنّه قال: **«إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»**، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٥٨٨)، ومن الذي فرّق بين العقائد والعبادات فكُلّها من عند الله، نسأل الله السلامة.

شاهدنا: إنّ تفسير الاستواء بالاستيلاء باطل يُخالف المعقول والمنقول والقواعد والأصول.

والاستواء إمّا أن يُعدّي بنفسه كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: **«وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى»** [القصاص: ١٤]، فالمراد به الكمال، وإنّ عدّي بـ(على) مثل قوله تعالى: **«لِئَسْتَوَى عَلَى ظُهُورِهِ»** [الزخرف: ١٣]، وقوله **عَزَّجَلَّ**: **«الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»** [طه: ٥]، فالمراد

به العلوّ وقد نُقل الإجماع على ذلك وإذا عُدِّي به (إلى) قال الخليل بن أحمد استوى إلى السماء ارتفع إلى السماء نقله عنه ابن عبد البر في التمهيد.

وإذا عُدِّت استوى به (الواو) المراد به المساواة مثل (استوى الماء والخشبة). وكلّ دليل يستدلّ به أهل السنّة والجماعة على إثبات صفة الاستواء لله **عَزَّجَلَّ** ففيه دلالة على إثبات صفة العلوّ لله **عَزَّجَلَّ**، والعرش هو أعظم المخلوقات وأعلى المخلوقات، **قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾** [التوبة: ١٢٩]، وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»**، من حديث جويرية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** عند مسلم (٢٧٢٦).

وفي البخاري: عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: فإذا سألتُم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قال محمد بن فليح عن أبيه وفوقه عرش الرحمن. والعرش جُرم مخلوق ليس بالملك كما يُفسّره المعتزلة والجهمية فإنهم حينما فرّوا من إثبات العلوّ أرادوا أن ينفوا كلّ شيء يدلّ عليه فزعموا أنّ العرش هو الملك ويُردّ عليهم بأوجه كثيرة:

الأوّل: قول الله **عَزَّجَلَّ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾** [الحاقة: ١٧]، فالعرش محمول فدلّ على أنّه جُرم مخلوق، فعن أبي سعيد الخُدريّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٤٦٣٨) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَدْ لَطَمَ وَجْهَهُ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ مِنَ الْأَنْصَارِ لَطَمَ فِي وَجْهِهِ، قَالَ: **«ادْعُوهُ»** فدَعَوْهُ قَالَ: **«لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟»** قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي مَرَرْتُ بِالْيَهُودِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَقُلْتُ: وَعَلَى مُحَمَّدٍ؟! وَأَخَذَتْنِي غَضَبَةٌ فَلَطَمْتُهُ، قَالَ: **«لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعُقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا**

بِمُوسَى أَخِذْ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُزْيَ بِصَعْفَةِ الطَّوْرِ»، والقوائم معروفة. وقد جاء عن النبي ﷺ أنه يقول: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

فالعرش له ظلٌّ ويحمل عظيم واسع وهو سقف الجنة، قال النبي ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ قَالَ إِنْ فِي الْجَنَّةِ مِائَةٌ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ قَالَ مُحَمَّدٌ بْنُ فُلَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٢٧٩٠).

فدلَّ هذا على أنَّ العرش مخلوق لله عَزَّوَجَلَّ وأنَّ الله مستوٍ على العرش استواء يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وهو غير محتاج إلى العرش فمن زعم أنَّ الله استوى على العرش لحاجته إليه فقد كفر ومن زعم أنَّ العرش يحويه فقد كفر فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يقيم الخلائق، فهو الحي القيوم، فحملة العرش والعرش بحاجة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

* تنبيه:

ما يُسمَّيه أصحاب الهيئة الجديدة بتمدد الكون، وما استدللَّ به الزنادقي ومن إليه بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، أي: نوسعها الآن، والآية قد فسرها ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: أوسعناها فمؤدَّى قول

الهيئة الجديدة على أن الأرض مركز العالم ويحيط بالأرض سبع كواكب سيّارة والأرض ومن حولها من الكواكب هي مجموعة شمسيّة لهذه الشمس التي نراها وهذه الشمس التي نراها ويأتينا حرّها وهذا القمر هو عبارة عن مجموعة واحدة من ملايين المجموعات الشمسية في مجرّة درب التبانة ومجرّة التبانة ما هي إلا واحدة من هذه المجرّات في هذا العالم، فليس عندهم سماء، ألم نُخبر أن السماوات سبع وأنّ بين كلّ سماء وسماء مسافة وسُمت كلّ سماء كذا، أين العرش؟ ليس عندهم عرش، فمؤدّي قولهم إنّ لا سماوات ولا عرش ولا إله مستوٍ على العرش، تعالى الله عن قولهم، وهكذا جاءوا بنفي الاستواء لنفي العلوّ وقالوا بالحلول والاتّحاد لنفي العلوّ وقد ذُكر في بعض كتب المدارس (الله معنا في كلّ مكان) وهذا عنوان باطل لأنّ فيه إجمال وصاحبه قاصدٌ لهذا لأنّ أكثر من يتولّى الإشراف على مناهج المسلمين إمّا أشاعرة، وإمّا معتزلة، وإمّا شيعة، وإمّا إخوان جُهال، لا يعرفون التوحيد ولا يعرفون باب الأسماء والصفات ولهذا كان من الضلال البعيد وضع هذا العنوان يُدرّس لأبناء المسلمين في الصفّ الثالث الابتدائي بمجرّد ما يعقل الطالب إذا بهم يُقرّرون (الله معنا في كلّ مكان).

فيا طُلاب العلم ازرعوا العقائد الصحيحة بين الناس، عرّفهم أين ربّك؟ واذكر له حديث معاوية بن الحكم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٥٣٧) قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةِ فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ لِكِنِّي صَكَّكْتُهَا صَكَّةً فَاتَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَظَمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقَهَا قَالَ: «**ائْتِنِي بِهَا**»، فَاتَّيْتُ بِهَا فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ اللَّهُ؟**»، قَالَتْ فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**»، قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»، فَبُثَّ الْعُقَايِدُ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ لَا سِيَّما والمجتمعات

مغلغلة بالأشاعرة والمعتزلة والجهمية لا تظنّ أنّ هذه الفرق كانت في زمان أحمد بن حنبل **رَحْمَةُ اللَّهِ** فقط، لا يأتي زمان وإلاّ الذي بعده أشرّ منه، كانوا في زمن أحمد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وهم الآن أشرّ وأكثر ولهم وسائل، منها التلفزيونات، والدشوش والفضائيات والانترنت والإذاعات والصحف والمجالات والجامعات كلّها تخدم مصالحهم إلاّ ما رحم ربّي وتُنشر كُتُبهم، يُقرّر في جامعة صنعاء على جميع الطُّلاب كتاب المذاهب الإسلامية لمحمّد زُهرة ويُسمّونه الإمام الأكبر، هذا الكتاب يُقرّر مذهب الأشاعرة، ماذا تتوقّع من إنسان في الجامعة بدوي بعضهم في الفيزياء وبعضهم في الكيمياء، دخل الجامعة وقرّروا عليه دراسة كتاب المذاهب الإسلامية المعاصرة ويجد أنّ محمّد (أبا زُهرة) يُقرّر مذهب الأشاعرة ويلمز ويتكلّم على دعوة الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب **رَحْمَةُ اللَّهِ** وفي دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** وفي طريقة السلف وذكر في كلامه على الصفات: (والصحيح في هذا أنّ المذهب الحقّ هو ما ذهب إليه الماتريدي وقرّره ابن الجوزي) وإن كان ابن الجوزي حنبلي إلاّ أنّه قد زلّ في هذا الباب وصار على طريقة غير مرضية.



إثبات صفة العلو

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿يَلْعِيسَنِي إِنِّي مُتَوَفِّكَ وَرَافِعُكَ إِلَى﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، ﴿يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦-١٧]، ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

أشار **عز وجل** في هذه الآيات إلى إثبات صفة العلو لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وهو علو الذات وأهل السنّة متفقون على أنّ الله **عز وجل** عالٍ على عرشه بذاته، وخالف في ذلك المبتدعة الضالون وزعموا أنّ العلو المراد هو علو القدر والقهر.

قال الإمام ابن القيم في "الكافية" في رده على من قال: إن الفوقية فوقية القدر والقهر:

وَالْفَوْقُ وَصْفٌ ثَابِتٌ بِالذَّاتِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ * لَكِنْ نِفَاءُ الْفَوْقِ مَا وَافَوْا بِهِ جَحَدُوا كَمَا لَ الْفَوْقِ لِلذَّيَّانِ * بَلْ فَسَّرُوهُ بِأَنَّ قَدَرَ اللَّهِ أَعْلَى لَا بِفَوْقِ الذَّاتِ لِلرَّحْمَنِ * ذَهَبَ يُرَى مِنْ خَالِصِ الْعَقْيَانِ بِالذَّاتِ بَلْ فِي مُقْتَضَى الْأَثْمَانِ * وَالْفَوْقُ أَنْوَاعٌ ثَلَاثٌ كُلُّهَا لِلَّهِ ثَابِتَةٌ بِلَا نُكْرَانِ



هَذَا الَّذِي قَالُوا وَفَوْقَ الْقَهْرِ وَالْ * فَوْقِيَّةُ الْعُلْيَا عَلَى الْأَكْوَانِ
ومن الأدلة قول الله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وكان النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في سجوده: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
عند مسلم (٧٧٢)، بل إن بعض الجاهليين كانوا يُثبتون العلو لله عَزَّ وَجَلَّ، فقد جاء أن
رجلاً ذهب من عند امرأته وعاد وقد وضعت ولداً، وكانت غيبته طويلة، لا يحتمل
معها أنها تأتي منه بولدٍ، فقال لها:

لَتَقْعُدَنَّ مَعْقَدَ الْقَصِيِّ * مِنْ يَ دِي الْقَاذُورَةِ الْمُقْلِي
أَوْ تَحْلِفَنِي بِرَبِّكَ الْعَلِيِّ * أَنِّي أَبُو ذِيَالِكِ الصَّيِّ
وأدلة العلو متنوعة، منها أدلة الاستواء، على ما تقدم، ومنها كل أدلة المعراج،
ومنها كل أدلة الإنزال منه، ومنها كل أدلة الفوقية، ومنها أدلة الرؤية؛ لأن النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ»، من حديث جرير
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣). (وكما ترون الشمس في وقت الظهيرة
والقمر والشمس)، يُريان في العلو على ما يأتي بيانه، ومنها كل أدلة الصعود وأدلة
العروج.

قال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ
سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ
بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ،
فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ،
وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٥٥٥) ومسلم
(٦٣٢).

ومنها قوله: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ فكل دليل فيه إن الله في السماء يدل على العلو، قال النبي ﷺ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَن فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبْرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤)، وقال النبي ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّن فِي السَّمَاءِ»، من حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٤٩٤١) والترمذي (١٩٢٤).

قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا لَكُنَّا هَذِهِ، قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنْ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، وَعَنْ ثَابِتٍ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، (نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ وَزَيْدَ بْنِ حَارِثَةَ)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٤٢٠)، وكل دليل يضم عشرات الأدلة. وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصواعق المرسلة" (١/ ٢٩٤): يوضحه أن أدلة مباينة الرب لخلقه وعلوه على جميع مخلوقاته أدلة عقلية فطرية توجب العلم الضروري بمدلولها، وأما السمعية فتقارب ألف دليل. انتهى

أي: من الكتاب والسنة وأقوال السلف. ويدل على العلو الفطرة السليمة، فإن الإنسان إذا جرد نفسه عن الهوى وعن المؤثرات الخارجية تكون فطرته دالة على العلو وهذه ضرورة لا يستطيع أن يخرج منها أحد فإن الطفل إن لم يجد من يحرفه عن عقيدة السلف إذا قيل له أين الله؟ سيشير إلى السماء، قبل أن تتغير عقيدته.

وقد سألت مرة طفلاً من أطفال الشيعة: أين الله؟ أشار إلى السماء، ثم ضربه أبوه أمامنا، فبعد ذلك ما عساه أن يقول إن قلت له: أين الله؟! سيقول بما عوده أبوه.



وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفَتِيَانِ فِينَا ❀ عَلَى مَا كَانَ عَوْدُهُ أَبُوهُ
والنبي ﷺ يقول: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ
يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تَلِ الْبَهِيمَةُ تُتَبَّجُ الْبَهِيمَةُ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ»، من حديث
أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (١٣٨٥) ومسلم (٢٦٥٨)، ولم يقل يُمسلماناه؛ لأنه وُلد
على الفطرة، وهي الإسلام. وذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ فِي مَجْلِسٍ مِنَ
الْمَجَالِسِ فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ مَنْظَرِي وَعُلَمَاءُ الْمَعْتَزَلَةِ، فَجَعَلَ يَطَالِبُهُ بِبَعْضِ الْأَشْيَاءِ،
وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعْرُضٌ عَنْهُ، فَلَمَّا أَعْيَاهُ التَّعَبُ قَالَ: (يَا اللَّهُ وَرَفَعَ إصْبَعَهُ إِلَى
السَّمَاءِ) فَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَنْتَ تُقَرُّ بِالْعُلُوِّ؟) فَجَعَلَ يَسْتَغْفِرُ وَجَعَلَ
يَسْتَرْجِعُ عَلَى أَنَّهُ وَقَعَ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ؛ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ حُرْمَةَ الْإِشَارَةِ، حَتَّى قَالَ سُلْطَانُ
الْعُلَمَاءِ الْعَزَّازِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ وَهُوَ أَشْعَرِي^(١): (لَا يُسْأَلُ عَنْ اللَّهِ بِأَيْنَ وَلَا يُشَارُ إِلَيْهِ) مَعَ
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثًا»، مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ
(١٢١٨)، أَمَامَ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ وَلَمْ يَقَعْ نَكِيرٌ أَوْ اسْتِفْصَالٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى السَّمَاءِ يُشْهَدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَكَذَلِكَ حَدِيثُ الْجَارِيَةِ أَيْنَ اللَّهُ؟
قَالَتْ: «فِي السَّمَاءِ» كَمَا تَقَدَّمَ، فَقَدْ سَأَلَ عَنْهُ بَدِ (أَيْنَ) مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنَّا وَمَنْ غَيْرُنَا بِرَبِّهِ،
بَلْ هُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَقْرَأَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ الرَّجُلَ
بِالْقَوْلِ بِالْعُلُوِّ، قَالَ لَهُ: (انْظُرْ مَا تَخَلَّصْتَ فِطْرَتَهُ مِنَ الْمُؤَثِّرَاتِ الْخَارِجِيَةِ) أَيِ: الْهَوَى
وَالشَّبَهَةِ كَيْفَ أَشْرَتْ إِلَى السَّمَاءِ، وَاعْتَقَدَ بَعْدَ ذَلِكَ الْعُلُوَّ.

قال شيخ الإسلام كما في "المجموع الفتاوى": وَحَدَّثَنِي الشَّيْخُ عَبْدُ السَّيِّدِ الَّذِي
كَانَ قَاضِي الْيَهُودِ ثُمَّ أَسْلَمَ وَكَانَ مِنْ أَصْدَقِ النَّاسِ وَمِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ وَأَحْسَنِهِمْ

(١) له رسالة في التوحيد لولا ضيق الأوقات لرددت عليها أتى في مقدمتها بالبلاوي يعني كلام
فلسفي ما هو من كلام من سلمت عقائدهم.

إِسْلَامًا أَنَّهُ كَانَ يَجْتَمِعُ بِشَيْخٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ الشَّرَفُ الْبِلَاسِي يُطَلِّبُ مِنْهُ الْمَعْرِفَةَ وَالْعِلْمَ. قَالَ: فَدَعَانِي إِلَى هَذَا الْمَذْهَبِ، فَقُلْتُ لَهُ: قَوْلُكُمْ يُشَبِّهُ قَوْلَ فِرْعَوْنَ، قَالَ: وَنَحْنُ عَلَى قَوْلِ فِرْعَوْنَ، فَقُلْتُ لِعَبْدِ السَّيِّدِ وَاعْتَرَفَ لَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَكَانَ عَبْدُ السَّيِّدِ إِذْ ذَاكَ قَدْ ذَاكَرَنِي بِهَذَا الْمَذْهَبِ، فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا مَذْهَبٌ فَاسِدٌ وَهُوَ يُثْبِتُ إِلَى قَوْلِ فِرْعَوْنَ، فَحَدَّثَنِي بِهَذَا، فَقُلْتُ لَهُ: مَا ظَنَنْتَ أَنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُمْ عَلَى قَوْلِ فِرْعَوْنَ، لَكِنْ مَعَ إِقْرَارِ الْخَصْمِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ. قَالَ عَبْدُ السَّيِّدِ: فَقُلْتُ لَهُ: لَا أَدْعُ مُوسَى وَأَذْهَبُ إِلَى فِرْعَوْنَ، فَقَالَ: وَلِمَ؟ قُلْتُ: لِأَنَّ مُوسَى أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ. فَانْقَطَعَ وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِالظُّهُورِ الْكَوْنِيِّ، فَقُلْتُ لِعَبْدِ السَّيِّدِ - وَكَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ - نَفَعْتُكَ الْيَهُودِيَّةُ يَهُودِيٌّ خَيْرٌ مِنْ فِرْعَوْنِي. انتهى

لأنَّ من الأدلة أن الله **عَزَّوَجَلَّ** في العلوِّ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) **أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا** [غافر: ٣٦-٣٧]، ما الذي جعل فرعون يطلب هذا الأمر من هامان لأنَّ موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أخبره أنَّ ربَّه في السماء حتَّى أنَّه يقول: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا [غافر: ٣٧]، يعني إنِّي أظنُّ موسى كاذبًا في هذا القول فمن زعم أنَّ ربَّه في السماء فهو محمّدي موساوي، ومن زعم أنَّ ربَّه في كلِّ مكان فهو فرعوني هاماني.

الدليل العقلي: ويدلُّ العقل على علوِّ الله **عَزَّوَجَلَّ** مع دلالة الكتاب والسنة والفطرة فإنَّنا نعلم أنه ليس إلا علوٌّ أو سُفْلٌ، والعلوُّ صفة كمال والسُفْلُ صفة نقص فإذا لم يكن في العلوِّ فهو في السفْلُ وصفة النقص ممتنعة عنه **عَزَّوَجَلَّ** فلم يبق وصفه إلا بالعلوِّ على ما أثبتته لنفسه وما أثبتته له رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

ومن يقولون: إنَّ الله في كلِّ مكان يقال له ما الحكمة من العروج بالرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، كما في الصحيحين البخاري



(٣٤٩) ومسلم (١٦٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ... وفيه: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ»، الحديث.

وكثير من الناس الذين يزعمون أنّ الله في كلّ مكان لا يعرف لازم هذا القول وأذكر لما كنّا في جزيرة زنجبار قلنا لصاحب سيارة أجره أين الله؟ فقال الله في كلّ مكان، فذكرت له الأدلّة على أنّ الله في السماء من الكتاب والسنة فما زال على إعراضه، فمررنا بمكان القاذورات، فقلت له الله هنا؟ فكاد إن يقلب السيّارة، فقلت له أنت تقول هذا، حيث تزعم أنّ ربّك في كلّ مكان، فعندها اقتنع أنّ الله في العلوّ، إذ القول بالحلول والاتحاد من أفسد أقوال العالم وأخبثها، وكفرهم أعظم من كفر اليهود والنصارى بإجماع المسلمين حتّى قال ابن عربي الطائي -لعنه الله- تلك الأبيات المشهورة:

لَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلًا كُلِّ صُورَةٍ * فَمَرَعَى لِيْغْزَلَانٍ وَدِيرٌ لِرُهْبَانٍ
وَيَنْتُ لِأَوْثَانٍ وَكَعْبَةٍ طَائِفٍ * وَأَلْوَا حِ تَوْرَةٍ وَمُصْحَفُ قُرْآنٍ
ومن قوله:

عَرَفْتُ رَبِّي بِعَيْنِ رَبِّي * فَقَالَ مَنْ أَنْتَ قُلْتُ أَنْتَا

أما ابن الفارض فيؤكد مذهبه في وحدة الوجود في قصيدته المشهورة بالتائية:

لَهَا صَلَوَاتِي بِالْمَقَامِ أَقِيمُهَا * وَأَشْهَدُ فِيهَا أَنَّهَا لِي صَلَاتٌ
كِلَانَا مُصَلٍّ عَابِدٌ سَاجِدٌ إِلَى * حَقِيقَتِهِ بِالْجَمْعِ فِي كُلِّ سَجْدَةٍ
وَمَا كَانَ لِي صَلًى سِوَايَ فَلَمْ تَكُنْ * صَلَاتِي لِغَيْرِي فِي أَدَا كُلِّ رُكْعَةٍ
وَمَا زِلْتُ إِيَّاهَا وَإِيَّايَ لَمْ تَزَلْ * وَلَا فَرْقَ بَلْ ذَاتِي لِذَاتِي أَحَبَّتْ

فمبدأ القول بوحدة الأديان كان مصدره القول بوحدة الوجود كما بينت ذلك في كتاب "الزجر البيان لدعاة الحوار والتقارب بين الأديان".

وقوله: ﴿يَلْعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

عيسى هو رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل **قَالَ هِيَ أَلِي:** ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦]، خلقه الله تعالى بقوله كن فكان خلقه بالكلمة لا هو نفس الكلمة: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

وفي البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨): عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمِّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ».

قوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ قال بعض العلماء: أي منيمك ورافعك إلي، أي في تلك النومه، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] الآية. وقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

والرفع يكون من أدنى إلى أعلى، وهذه الآية دالة على علو الله عَزَّ وَجَلَّ ويدل على أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حيٌّ وإنما يموت بعد قتله للدجال وبعد أن يمكث في الأرض زمناً

ليس بين الناس خصام على ما يأتي بيانه، **قَالَ تَعَالَى**: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. اهـ من "أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن" (١/ ٢٣٢).

وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

من قراءة وتسييح وتحميد وتهليل وكل كلام حسن طيب، فيرفع إلى الله ويعرض عليه ويثني الله على صاحبه بين الملائ الأعلیٰ: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ من أعمال القلوب وأعمال الجوارح: ﴿يَرْفَعُهُ﴾ الله تعالى إليه أيضاً، كالكلم الطيب.

وقيل: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فيكون رفع الكلم الطيب بحسب أعمال العبد الصالحة، فهي التي ترفع كلمه الطيب، فإذا لم يكن له عمل صالح، لم يرفع له قول إلى الله تعالى، فهذه الأعمال التي ترفع إلى الله تعالى، ويرفع الله صاحبها ويعزه.

وأما السيئات فإنها بالعكس، يريد صاحبها الرفعة بها، ويمكر ويكيد ويعود ذلك عليه، ولا يزداد إلا إهانة ونزولا ولهذا قال: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يهانون فيه غاية الإهانة. ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ﴾ أي: يهلك ويضمحل، ولا يفيدهم شيئاً، لأنه مكر بالباطل، لأجل الباطل. أفاده السعدي والصعود يكون من أسفل إلى أعلى.

وقوله: ﴿يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَام أخبر أن الله إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَام أخبر أن الله في السماء.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ معارضاً لموسى ومكذباً له في دعوته إلى الإقرار برب العالمين، الذي على العرش استوى، وعلى الخلق اعتلى: ﴿يَهْمَنُ ابْنُ

لِي صَرَحًا ﴿أَي: بناء عظيمًا مرتفعًا، والقصد منه لعلِّي أطلع: ﴿إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأُظَنُّهُ كَذِبًا﴾ في دعواه أن لنا ربًّا، وأنه فوق السماوات.

ولكنه يريد أن يحتاط فرعون، ويختبر الأمر بنفسه، قال الله تعالى في بيان الذي حمّله على هذا القول: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ فزين له العمل السيئ، فلم يزل الشيطان يزينه، وهو يدعو إليه ويحسنه، حتى رآه حسنًا ودعا إليه وناظر مناظرة المحققين، وهو من أعظم المفسدين، ﴿وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ الحق، بسبب الباطل الذي زين له. ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ الذي أراد أن يكيد به الحق، ويوهم به الناس أنه محق، وأن موسى مبطل: ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ أي: خسار وبوار، لا يفيد إلا الشقاء في الدنيا والآخرة. انتهى

وقوله: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ﴿١٦﴾ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ [الملك: ١٦-١٧].

﴿فِي السَّمَاءِ﴾ تأتي بمعنى على السماء، وفيها وجهان:

الأول: أن أحرف الجرّ تتناوب، وهي هنا بمعنى على ومثال ذلك قول الله عزَّجَلَّ: ﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَاكِهَا﴾ [الملك: ١٥]، وقوله تعالى عن فرعون: ﴿وَلَا تُصَلِّبْنَاهُ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١].

الثاني: أن السماء في الآية بمعنى العلوّ فيكون: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ أي من في العلوّ، وفي الآية تهديد من الله عزَّجَلَّ للذي يأمن مكر الله عزَّجَلَّ فنسأل الله السلامة.

وقوله: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مَنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، أي: الأمر القدري، والشرعي تصريفه وتدبيره بيد الله تعالى، وهي مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَمِنْ بَعْدَ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس: ٣١]، ومعنى يعرج إليه أي يرفع وتماها قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

هذه الآية الكريمة أي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] تدل على أن مقدار اليوم عند الله ألف سنة وكذلك قوله تعالى: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

وقد جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك وهي قوله تعالى في سورة سأل سائل: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] الآية، أعلم أولاً أن أبا عبيدة روى عن إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن ابن أبي مليكة أنه حضر كلاً من ابن عباس وسعيد ابن المسيب سئل عن هذه الآيات فلم يدر ما يقول فيها ويقول لا أدري.

وللجمع بينهما وجهان:

الوجه الأول: هو ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس من أن يوم الألف في سورة الحج هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض، ويوم الألف في سورة السجدة هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه تعالى. ويوم الخمسين ألفا هو يوم القيامة.

الوجه الثاني: أن المراد بجميعها يوم القيامة وأن الاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر؛ ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾



[المدر: ٩-١٠] ذكر هذين الوجهين صاحب الإتقان. والعلم عند الله. أفاه الشنقيطي في "دفع إيام الاضطراب".

ومن الأدلة أيضًا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، ومن الأدلة قول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٥٥٤)، وأخرجه مسلم.

وهو مما يستدل به على علو الله تعالى أدلة النزول، وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى.

وهذا التنوع يدل على أن صفة العلو ثابتة لله تعالى، والأدلة على علوه كثيرة جدًا، وإنما ذكرنا بعضها فائدة للمستبصر.

وقد أجمع السلف رضوان الله عليهم قاطبة على علو الله عَزَّجَلَّ بذاته، وأنه مستوي على عرشه، بائن من خلقه، تعالى الله عن قول الحلولية علوًا كبيرًا. والفترة السليمة تدل على أن الله في السماء، فلا يصيب الإنسان خطب من الخطوب إلا وتعلق قلبه بالسماء.

فقد جاء عن أبي جعفر الهمداني: أنه حضر مجلسًا لأبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين وهو يتكلم في نفي صفة العلو وهو يقول: كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان، فقال أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟ فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل، قال: وبكى وقال: حيرني الهمداني حيرني الهمداني، أراد الشيخ أن هذا



أمّر فطر الله عليه عباده من غير أن يتلقوه من المعلمين يجدون في قلوبهم طلباً ضرورياً يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو. اهـ من "شرح الطحاوية".

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ :

وَالَيْهِ أَيْدِي السَّائِلِينَ تَوَجَّهَتْ * نَحْوَ الْعُلُوِّ بِفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ
وَالَيْهِ أَمَالُ الْعِبَادِ تَوَجَّهَتْ * نَحْوَ الْعُلُوِّ بِلَا تَوَاصِي ثَانِي
بَلْ فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي لَمْ يُفْطَرُوا * إِلَّا عَلَيْهَا الْخَلْقُ وَالْثَقَلَانِ
وَنَظِيرُ هَذَا أَنَّهُمْ فُطِرُوا عَلَى * إِفْرَارِهِمْ لَا شَكَّ بِالْذِّيَّانِ
لَكِنْ أُولُوا التَّعْطِيلِ مِنْهُمْ أَضْبَحُوا * مَرْضَى بِدَاءِ الْجَهْلِ وَالْخُذْلَانِ
وقال في موضع آخر:

وَعُلُوُّهُ فَوْقَ الْخَلِيقَةِ كُلِّهَا * فُطِرَتْ عَلَيْهِ الْخَلْقُ وَالْثَقَلَانِ
لَا يَسْتَطِيعُ مُعْطَّلٌ تَبْدِيلَهَا * أَبَدًا وَذَلِكَ سُنةُ الرَّحْمَنِ
كُلُّ إِذَا مَا نَابَهُ أَمْرٌ يُرَى * مُتَوَجِّهًا بِضُرُورَةِ الْإِنْسَانِ
نَحْوَ الْعُلُوِّ فَلَيْسَ يَطْلُبُ خَلْفَهُ * وَأَمَامَهُ أَوْ جَانِبَ الْإِنْسَانِ

قال ابن القيم في "الصواعق" (/ ١٢٨١): وجميع الطوائف تنكر قول المعطلة؛ إلا من تلقاه منهم، وأما العامة من جميع الأمم ففطروهم جميعهم مقرة بأن الله فوق العالم. اهـ

ومع أن العلو ثابت بالكتاب والسنة حتى ولو لم تدل عليه العقول لوجب الإيمان بما أخبر الله تعالى به وانتفاء الدليل لا يدل على انتفاء المدلول، فالعلو ثابت بدلالة السمع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومع ذلك قد دل العقل على هذه الصفة من عدة وجوه:



الوجه الأول: أنه ليس ثم إلا علو أو سفلى، والعلو صفة كمال، والسفل صفة نقص، والله جل وعز متنزّه عن النقائص. قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]، ومعلوم من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله لا تحيطه المخلوقات ولا تحويه جل وعز، وقد تقدم أنه متنزّه عن السفلى، فثبت أنه في العلو جل وعز، ولكن المعطلة قومٌ بهت لا يعقلون حديثاً، مسخت فطرهم وتبلدت أذهانهم، فلا يعرفون إلا ما أشرب من هواهم، فنعوذ بالله من الخذلان.

وزاد ابن أبي العز **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "شرح الطحاوية" (ص ٣٢٥): **الثاني:** أنه لما خلق العالم، فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجاً عن ذاته، والأول باطل: أما أولاً: فبالاتفاق، وأما ثانياً: فلأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-.

والثاني: يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته، فيكون منفصلاً، فتعينت المبانيّة؛ لأن القول أنه غير متصل بالعالم وغير منفصل غير معقول.

الثالث: أن كون الله لا داخل العالم ولا خارجه ينفي وجوده بالكلية. اهـ

شبه المعطلة على أن الله في كلّ مكان:

الشبهة الأولى: استدلالهم بقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وسيأتي بيانها وقول المسلمين فيها.

الشبهة الثانية: استدلالهم بقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، قالوا إذاً هو في السماء وفي الأرض، ولأهل العلم في الآية قولان:

الأول: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ﴾، أي معبود ﴿وَاللَّهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾، أي معبود، لأن الإله هو المعبود.



الثاني: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ﴾ أي: موجود، و﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ أي معبود. ويستدلون على قولهم الفاسد بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣]

ولا دلالة لهم فيها فالمعنى الحق على ما تقدم في الآية الأولى من كون الإله هو المعبود، والمعنى الثاني يكون (وهو الله في السموات) أي موجود، (وفي الأرض يعلم سرهم وجهركم).

الشبهة الثالثة: أن المراد بالفوقية فوقية القدر.

وهذا القول من أسمح ما يقال في هذا الباب، قال ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" (ص ٣٢٣): فإن قول القائل: ابتداء الله خير من عبادته، وخير من عرشه هو من جنس قول القائل: الثلج بارد والشمس حارة، والشمس أضوء من السراج، ورسول الله أفضل من فلان اليهودي، والسماء فوق الأرض، وليس في ذلك تمجيد ولا تعظيم، ولا مدح، بل هو من أرذل الكلام وأسمجه وأهجنه، فكيف بكلام الله الذي لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لما أتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، بل في ذلك تنقص كما قيل:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ ❀ إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا
ولو قال قائل: الذهب فوق قشر البصل، وقشر السمك، لضحك منه العقلاء للفتاوت الذي بينهما، فإن التفاوت بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم بخلاف ما إذا كان المقام يقتضي ذلك، بأن كان احتجاجاً على مبطل كما في قول يوسف: ﴿إِذَا رَأَوْا تُفُوتًا يَوْمَ تَأْتِي سُيُوفُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [يوسف: ٣٩]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، وقوله: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [القصص: ٦٠]، وإنما يثبت هذا المعنى من الفوقية في ضمن إثبات الفوقية المطلقة من كل وجه، فله عز وجل فوقية

القهر وفوقية القدر وفوقية الذات، من أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقص، وعلوه سبحانه مطلق من كل الوجوه. اهـ

الشبهة الرابعة: أن السماء قبله الدعاء.

والرد عليهم من وجوه:

الأول: لو كانت السماء قبله الدعاء للزم التوجه إليها عند الدعاء، وهذا لم يرد عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن الصحابة الكرام ولا التابعين لهم بإحسان، بل ورد أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستقبل القبلة في كثير من دعائه كما في حديث عبدالله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه أنه خرج يستسقي فاستقبل القبلة يدعو، وكما في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم في وصف حجة الوداع وأنه استقبل القبلة يدعو طويلاً في كل وقوف على الصفا والمروة، ولما كان في عرفة استقبل القبلة يدعو.. الحديث بطوله، إلى غير ذلك من الأدلة.

الثاني: أنه قد ورد النهي عن استقبال السماء ورفع البصر إليها عند الدعاء قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْتَهُنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِهِمْ أَبْصَارُهُمْ عِنْدَ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ إِلَى السَّمَاءِ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ»، الحديث أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمعناه.

الثالث: أن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رغب في الدعاء في السجود وحال الساجد مستدبراً للسماء كما هو معلوم، قال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقِمْنِ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»، أخرجه مسلم.

الرابع: أن هذا قول قول محدث لم يقله أحد من السلف إلى غير ذلك من الأوجه التي ذكرها أهل العلم.



القول في المعية

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿وَأَصِدُّوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

تضمنت هذه الآيات: إثبات صفة المعية لله عز وجل وهي من الصفات الذاتية وهي على حقيقتها ولكن ما حقيقتها؟ المبتدعة ظنوا أن حقيقة (مع) الاختلاط والاتحاد وهذا ليس بصحيح لأوجه:

الأول: إن لفظة (مع) في لغة العرب إنما تدل على مطلق مصاحبة مثل قولهم (ما زلت أسير والقمر معي) والقمر في السماء الرابعة على الصحيح وهو يمشي على الأرض ومثل قول أحدهم (زوجتي معي وهي في بلد وهو في آخر) ومثل قولهم (سرت مع زيد) وزيد لا متحد فيك ولا مختلط بك ومثل (ما زلت أسير والمتاع معي) وهو على ظهره.

الثاني: دلالة القرآن والسنة على خلا ما قالوه، فإن الله تعالى افتتح هذه الآية بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، ففيها إثبات صفة استواء الله تعالى على العرش، والعرش في السماوات وهو سقف الجنة وهو أعلى المخلوقات، ثم قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [الحديد: ٤]، فيه إثبات صفة العلم لله **عَزَّجَلَّ**، والولوج هو ما يدخل في الأرض وما يخرج منها أي ما يخرج من بطنها، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الأمطار والبركات وغير ذلك: ﴿وَمَا يَرْجُ فِيهَا﴾ من الملائكة ثم قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، فتضمنت هذه الآية عدة جمل:

الأولى: إثبات صفة الخلق لله **عَزَّجَلَّ**.

الثانية: استواء الله على العرش.

الثالثة: بيان علم الله **عَزَّجَلَّ** الأزلي الأبدى الذي لم يُسبق بهل ولا يلحقه نسيان المحيط بكل شيء: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

الرابعة: لإثبات المعية، وهي معية عامة ويُراد بها معية العلم والإحاطة والسلطان والقهر والبصر وغير ذلك من خصائص ربوبيته. وقوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ إخبار أنه يُبصر ما عليه عباده من الأعمال والأقوال ومن زعم أن (معكم) تقتضي الاختلاط والاتحاد؟ فيرد عليهم هذه الآية، نقول لهم يا معشر من لم يفقه كلام الله **عَزَّجَلَّ** أليس لكم عقول تفهمون بها وقلوب تتفكرون بها وأعين تُبصرون بها ألم يذكر الله **عَزَّجَلَّ** في هذه الآية أنه استوى على العرش والاستواء بمعنى العلو، وأخبر الله **عَزَّجَلَّ** أنه بصير بأعمالنا وأخبر بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ فلا وجه لها إلا أنه معنا بعلمه وبصره وهو على عرشه وكلام الله لا يتناقض: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانُ﴾

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا [النساء: ٨٢]، فنحن نؤمن بالآية على ظاهرها وظاهرها أن الله مستوٍ على عرشه وظاهرها أن الله عليم بما نعمل وظاهرها أن الله معنا ببصره وظاهرها أن معية الله معية علم وإحاطة وسلطان وغير ذلك من خصائص الربوبية.

وأما آية المجادلة وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، افتتح الله عز وجل هذه الآية بالعلم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ واختتمها بالعلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فدل أن المعية معية علم وإحاطة لأن كلام العرب يُعرف بسابقه ولحقه ويُعرف بسياقه، يقول الله عز وجل: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ ولو كان الله عز وجل مختلطاً بهم أو متحدًا لكانت الآية: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو ثالثهم ولا أربعة هو رابعهم ولا خمسة إلا هو خامسهم) فعن أبي مسعود أن رجلاً من الأنصار يقال له أبو شعيب كان له غلام لحام فقال له أبو شعيب اصنع لي طعام خمسة لعلني أدعو النبي صلى الله عليه وسلم خامس خمسة. أخرجه البخاري (٢٤٥٦) ومسلم (٢٠٣٦)، لأنه من جنسهم، لكن إذا كان من غيرهم يخرج عنهم كما قال تعالى أيضاً: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

القول في المعية الخاصة:

وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، هذه في حق الرسول عليه الصلاة والسلام وأبي بكر رضي الله عنه، وذلك لما كان عليه الصلاة والسلام وأبو بكر رضي الله عنه في الغار قال أبو بكر رضي الله عنه: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ»

بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا»، من حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٦٥٢) ومسلم (٢٣٨١)،
فأنزل الله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، وهي معية مقتضية للنصر والتأييد، والمعية
العامّة يشترك فيها المؤمن والكافر والبرّ والفاجر وكلّ من في السماوات والأرض هو
معهم مُطَّلَعٌ عليهم وعليم بهم إلى غير ذلك ولكن المعية الخاصّة هي التي تقتضي
نصرًا وحفظًا وتأيدًا وكلاءةً.

وقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَصَمُّ وَأَرَى﴾ [طه:٤٦]، في حقّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو معهم
حقيقة، وحقيقتها أنه يسمع كلامهما ويرى مكانكما كما **قَالَ تَعَالَى:** ﴿أَسْمَعُ وَأَرَى﴾،
وهي مقتضية للنصر، والحظ والتأييد.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].
في هذه الآية إثبات المعية الخاصّة وهي مقيدة هنا بوصف، أي مع كل من اتصف
بهذه الصفات الحميدة، فهو تعالى مع المحسنين، والمتمّقين، والصادقين.

وقوله: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].
تقتضي هذه المعية، معية نصر وإحاطة وحفظ وكلاءة، وفي الآية الحثّ على
الصبر والصبر أنواع:

النوع الأوّل: صبر على طاعة الله عَزَّجَلَّ.

النوع الثاني: صبر عن معاصي الله عَزَّجَلَّ.

النوع الثالث: صبر على أقدار الله عَزَّجَلَّ.

وقوله: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩].



هذه الآية في شأن قوم طالوت لما قاتلوا أصحاب جالوت ولم يبق مع طالوت إلا عدد يسير ومع ذلك نصرهم الله وأخبر أنّ الله مع الصابرين وسيأتي مزيد كلام على صفة المعية بتوسّع في موطن آخر إن شاء الله تعالى.



إثبات صفة الكلام لله عز وجل

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَمَتَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْغَوَى الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥].

تضمنت هذه الآيات مع غيرها مما يأتي من أدلة الكتاب والسنة، الإخبار عن صفة الكلام لله عز وجل، وعقيدة أهل السنة في هذا الباب أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم بحرف وصوت يسمع على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

ومما يدل على أن الله متكلم بحرف، قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسَى﴾ [آل عمران: ٥٥]، و(يا) حرف نداء وكلمة (عيسى) تتكون من أحرف وقوله تعالى: ﴿يَمُوسَى﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقد ألف السجزي رحمه الله رسالة لأهل زبيد في إثبات الحرف والصوت نقل منها شيخ الإسلام رحمه الله كثيرًا كما في "مجموع الفتاوى".

والصوت يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿يَقُولُ اللَّهُ عز وجل يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا آدَمُ يَقُولُ لَبَّيْكَ رَبَّنَا



وَسَعْدَيْكَ فَيَنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُرَّتِكَ بَعَثْنَا إِلَى النَّارِ قَالَ يَا رَبِّ وَمَا بَعَثَ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ أَرَاهُ قَالَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا وَيَنشِبُ الْوَلِيدُ ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢٠]، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السُّودَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «تِلْكَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «شَطْرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا. رواه البخاري (٤٧٤١).

فقد صرح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ وَالصَّوْتُ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَرْتَفَعًا أَوْ يَكُونَ خَافِتًا، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ نَادَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنَاجَاهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَذَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

وفي حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي عُلِّقَ الْبُخَارِيُّ قَبْلَ حَدِيثِ رَقْمِ (٧٤٨١) وَهُوَ مِنْ رَوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَقِيلٍ وَفِيهِ ضَعْفٌ وَالْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يُقَوِّي حَدِيثَهُ، قَالَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يَخْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ، فَيَنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَّبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَّانُ».

وكلام الله عَزَّوَجَلَّ مِنْهُ بَدَأُ قَوْلًا وَتَكَلَّمَ بِهِ وَإِلَيْهِ يَعُودُ أَيُّ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَيْثُ يُرْفَعُ مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ كَمَا فِي حَدِيثِ حَذِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ ابْنِ مَاجَه رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٠٤٩)، قَالَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يَذَرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَذَرُسُ وَشَيْءُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَذَرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا» فَقَالَ لَهُ صَلَ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَذَرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟

فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّلَاثَةِ، فَقَالَ: (يَا صِلَّةُ، تُنَجِّهِمْ مِنَ النَّارِ)، وقد يستدلون بهذا الحديث على أنَّ تارك الصلاة ليس بكافر ولا دلالة في الحديث لأنَّ الحديث يدلُّ على أنَّ الناس لا يعرفون صلاةً ولا صيامًا ولا حجًّا، ولا يعرفون شيئًا من شعائر الإسلام مفصلاً وإنَّما يعرفون من شعائر الإسلام (لا إله إلا الله)، فلمَّا عرفوا أنَّها من شعيرة الإسلام قالوها فكانوا مسلمين وهذا من أدلة العذر بالجهل.

وقد كَلَّمَ الله **عَزَّوَجَلَّ** آدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، ففي حديث أبي أمامة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أحمد (٢٢٢٨٨) سُلَّ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: أَيُّ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوَّلَ؟ قَالَ: «**آدَمُ**». قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِيَّ الله: أَوَّ نَبِيٍّ كَانَ آدَمُ قَالَ: «**نَعَمْ. نَبِيٌّ مُكَلِّمٌ خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ رُوحَهُ**». وكلام الله **عَزَّوَجَلَّ** له **عَلَيْهِ السَّلَامُ** في القرآن: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]، **وَقَالَ نِسَالِي**: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وَيُكَلِّمُ الله **عَزَّوَجَلَّ** أهل الجنة، كما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيما يرويه عن ربه **جَلَّ وَعَلَا**: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»، من حديث أبي سعيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري: (٦٥٤٩) ومسلم (٢٨٢٩).

وَيُكَلِّمُ الله **عَزَّوَجَلَّ** أهل الموقف كما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيُّنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيُّنَ**



الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ - قَالَ ابْنُ الْعَلَاءِ: - يَبْدِيهِ الْأُخْرَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟» من حديث عبدالله بن عمر في الصحيحين وأبي داود (٤٧٣٢) وهذا لفظه.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ...»، أخرجه البخاري (٨٠٦) ومسلم (١٨٢).

وكَلَّمَ الله مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكَلَّمَ موسى وعيسى إلى غير ذلك مما ثبتت به الأدلة، وكذلك قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَجِبْ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٠٤٠) ومسلم (٢٦٣٨).

وكَلَّمَ جبريل في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٠٢) أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تلا قول الله عَزَّوَجَلَّ في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنِّهْنِ أَصْلَانَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] الآية، وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: «يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟» فَاتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نُسَوِّدُكَ». وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ خَدِيجَةُ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُقْرِئُ خَدِيجَةَ السَّلَامَ» فَقَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلَامُ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. أخرجه النسائي في "الكبرى" (٨٣٥٩).

وأدلة كلام الله عَزَّوَجَلَّ كثيرة، ومن السنة على ما تقدم إذ الأحاديث في السنة بلغت حد التواتر في إثبات صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ نذكر منها قطعاً تكون نوراً للمستبصر وحجة على الزائغ المتكبر.

ومنها: ما أخرجه البخاري رقم (٣٢٢٨) ومسلم رقم (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «**اِخْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيِّبَتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى، اضْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ يَدَهُ، أَنْتَ مُوسَى عَلَى أَمْرِ قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟**». فقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**».

وما أخرجه أحمد وغيره (٣/ ٣٩٠) من حديث جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «**هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنْ قُرِئْنَا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبْلَغَ كَلَامَ رَبِّي عَزَّجَلَّ**» الحديث صحيح وهو في "الصحيح المسند".

ومنها: حديث أبي أمامة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند ابن حبان وغيره (٢٠٨٥) أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَبَيَّنَّا كَانِ آدَمُ؟ قال: «**نَعَمْ، مُعَلَّمٌ مُكَلَّمٌ**»، الحديث صحيحه شيخنا الوادعي في "صحيحه المسند".

ومنها: حديث أبي سعيد عند الشيخين البخاري رقم (٣١٧٠) ومسلم رقم (٢٢٢): أن رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «**يَقُولُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: يَا آدَمُ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارِ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا**» الحديث.

ومنها: حديث أنس عندهما، البخاري رقم (٣١٦٢) ومسلم رقم (١٩٣): أن رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال في حديث الشفاعة الطويل: «**فَيَقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْزُقْ رَأْسَكَ، وَقُلْ: يُسْمَعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ...**» الحديث.

وحديث عدي بن حاتم: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكْلُمُهُ رَبُّهُ**» متفق عليه.



والنصوص عن السلف الصالح من الصحابة وغيرهم على إثبات كلام الله **عَزَّوَجَلَّ** كثيرة جدًا نذكر منها ما تيسر:

منها: ما أخرجه البخاري (٢٥١٨) ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قالت: (والله ما كنت أظن أن الله ينزل براءتي وحيًا يتلى، ولشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمرٍ يتلى...) الحديث.

وأخرج الدارمي في رده على الجهمية عن عمرو بن دينار (٨٨) قال: (أدركت أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون: الله خالق وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود).

قال إسحاق بن راهويه بعد ذكر قول عمرو بن دينار كما عند البيهقي في "الأسماء والصفات": (وقد أدرك عمرو بن دينار أجلة أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من البدرين والمهاجرين والأنصار مثل: جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وأجلة التابعين. وعلى هذا مضى صدر هذه الأمة).

وأخرج الدارمي أيضًا بسند صحيح (ص ٨٨): عن جعفر بن محمد: أنه سئل عن القرآن خالق أو مخلوق؟ قال: (ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله).

وأخرج أيضًا بسنده عن عبد الله بن المبارك، عند أن سئل عن القرآن: فقال: (هو كلام الله غير مخلوق). وبهذا القول قال بقرية بن الوليد والقاسم الجزري، والمعافى بن عمران وغيرهم كثير، وهو قول أهل السنة قاطبة من السلف والخلف ولا يخالف هذا إلا جهمي خبيث.

قال البخاري في "خلق أفعال العباد" (ص ٣٧): (القرآن كلام الله غير مخلوق).



قال الصابوني في "رسالته في السنة": (ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه وخطابه ووحيه وتنزيله، غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم).

وقد قال اللالكائي -وهو أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري رَحِمَهُ اللهُ- في كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١/ ٣١٢) رقم (٣٩٣) بعد أن ذكر رَحِمَهُ اللهُ العلماء الذين قالوا: بأن القرآن كلام الله غير مخلوق من البلخييين والنيسابوريين وأهل خراسان وأهل الحجاز واليمن والشام ومصر وغيرها من البلدان، قال: قالوا: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، فهو لاء خمسمائة وخمسون نفساً أو أكثر من التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام.

وقد أفتى كثير من العلماء بقتل من قال: إن القرآن مخلوق، نقل ذلك أبو القاسم هبة الله اللالكائي عن جماعة منهم: مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ومفتيها، قال: (من قال القرآن مخلوق يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه).

وأفتى به أيضاً سفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن مهدي، ووكيع بن الجراح وغيرهم كثير.

وقد أفتى أيضاً غير واحد من أهل العلم: أن امرأته تحرم عليه لأنه كافر وامرأته مسلمة، كعبد الله بن المبارك وأبو الوليد الطوسي.

وقد أفتى أيضاً جمع منهم أحمد بن حنبل وسفيان بن عيينة وحماد بن زيد والثوري ويزيد بن هارون، وأبومعاوية الضرير والربيع بن سليمان المرادي وغيرهم أنهم لا يورثون ولا يصلى خلفهم ولا تعاد مرضاهم ولا تشهد جنازتهم وإن موالاته الإسلام انقطعت بينهم وبين المسلمين. اهـ



ثم إن الكلام صفة كمال ومعطي الكمال أولى به، المتكلم أكمل من الأبكم، ولو كان الله **عَزَّوَجَلَّ** لا يتكلم لقال قوم إبراهيم لإبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَام** لِمَا عَيَّرَهُمْ بِأَن آلهتهم لا تتكلم وربك يتكلم.

قال الله تعالى مخبراً عنهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥]، فقال لهم: ﴿أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧]، وقال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، فلو كان الله لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم لقال كفار ذلك الزمن لإبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَام** (وربك لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم) لكن لما كان الله **عَزَّوَجَلَّ** متصفاً بالكمال المطلق من كل وجه وآلهتهم متصفة بالنقص من كل وجه عمدوا إلى تعذيبه وإحراقه، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، والمبطل ينتقل إلى القوة إذا عجز عن الحجّة اللسانية، ففرعون لما وقع بينه وبين موسى **عَلَيْهِ السَّلَام** ما قصه الله تعالى عمد إلى القوة **قَالَ فِرْعَوْنُ** مخبراً عنه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٣] قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لِمَنِ اتَّخَذَتْ إِلَهاً غَيْرِي لَاجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٩].

بقي قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، لا يكلمهم كلام رحمة وإلا فإن الله يُنادي أهل الموقف جميعاً قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥].

وقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عندما قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ»، قالوا لا. قال: «فَهَلْ

تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ. قَالُوا لَا، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدُ فَيَقُولُ أَيُّ فُلٍ أَلَمَ أُكْرِمَكَ وَأَسَوَّدَكَ وَأَزَوَّجَكَ وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ فَيَقُولُ بَلَى. قَالَ فَيَقُولُ أَفْظَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِي فَيَقُولُ لَا. فَيَقُولُ فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَن. ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي فَيَقُولُ أَيُّ فُلٍ أَلَمَ أُكْرِمَكَ وَأَسَوَّدَكَ وَأَزَوَّجَكَ وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ فَيَقُولُ بَلَى أَيُّ رَبِّ، فَيَقُولُ أَفْظَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِي فَيَقُولُ لَا. فَيَقُولُ فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ. وَيُثْنِي بِخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ فَيَقُولُ هَا هُنَا إِذَا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ. وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ انْطِقِي فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعَذِّرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٩٦٨).

وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، فيه إثبات الحديث لله **عَزَّوَجَلَّ** وأنه يتكلم، وفيها إخبار أن أخبار الله تعالى في أعلى مراتب الصدق.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، فيه إثبات القول لله **عَزَّوَجَلَّ**، والحديث والقول يكون بحرف وصوت.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦]، فيه إثبات القول لله **عَزَّوَجَلَّ** وأنه بحرف وصوت.

وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، فيه إثبات الكلمة لله **عَزَّوَجَلَّ** وقد استعاذ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بكلمات الله فلو كانت مخلوقة ما جاز الاستعاذة بمخلوق، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ نَزَلَ مَنَزِلًا ثُمَّ قَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ

التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنَزِلِهِ ذَلِكَ». من حديث خولة بنت حكيم السلمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم (٢٧٠٨) ومن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٧٠٩).

وفي رواية: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَكَلِمَاتِهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا يَعْزُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ»، من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "الكبرى" للنسائي (١٠٧٩٢).

وهل يجوز أن يُستعاذ بالمخلوق من كل شرٍّ والاستعاذة بالمخلوقين فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك وكفر فيلزم على حد قولهم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقع في الشرك والكفر وحاشاه إذ استعاذ بكلمات الله التامة.

ومن الأوجه على أن الله تعالى متصف بالكلام: أن الكلام معنى يقوم بغيره، فإضافته إلى الله إضافة صفة إلى موصوف ولما تناظر عبدالعزيز مع بشر المرسي عليه لعنة الله قال له: تقول إن كلام الله مخلوق. فقال: إن القرآن مخلوق، قال عبدالعزيز فقلت له يلزمك واحدة من ثلاث لا بد أن تقول إن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق القرآن وهو عندي أنا كلامه في نفسه، أو خلقه في غيره، أو خلقه قائما بذاته ونفسه فقل ما عندك.

قال بشر: أقول إنه مخلوق وإنه خلقه كما خلق الأشياء كلها. قال عبدالعزيز فقلت: يا أمير المؤمنين تركنا القرآن والسنن والأخبار عند هربه منها وناظرناه بالقياس والكلام لما ادعاه وذكر أنه يقيم الحجة علي به وإني أقر معه بخلق القرآن، فقد رجع بشر إلى الحيدة عن الجواب وانقطع الكلام فإن كان يريد مناظرتي على أنه يجيبني عما أسأله عنه وإلا فأمر المؤمنين أعلا عينا في ما يراه في صرفي فإنما يريد بشر

أن يقع معه من لا يفهم فيحيد عن دينه ويحتج عليه بما لا يعقله فتظهر حجته عليه فيبيح بذلك دمه.

قال فأقبل عليه المأمون فقال: أجب عبدالعزيز عما سألك فقد ترك قوله ومذهبه وناظرك على مذهبك وما ادعيت أنك تحسنه وتقيم الحجة به عليه. فقال بشر: قد أجبته ولكنه يتعنت. فقال له المأمون: يأبى عليك عبدالعزيز إلا أن تقول واحدة من ثلاث.

قال: هذا بشر من مطالبته بالتنزيل ما عندي غير ما أجبته به. قال عبدالعزيز: فأقبل علي المأمون فقال يا عبدالعزيز تكلم أنت في شرح هذه المسألة وبيانها ودع بشراً فقد انقطع عن الجواب من كل جهة.

فقلت: يا أمير المؤمنين سألته عن كلام الله **عَزَّوَجَلَّ** أمخلوق هو قال: نعم. فقلت له ما صح يلزمك في هذا القول وهو واحدة من ثلاث لا بد منها أن تقول إن الله خلق كلامه في نفسه، أو خلقه في غيره، أو خلقه قائماً بذاته. فإن قال إن الله خلق كلامه في نفسه فهذا محال لا يجد السبيل إلى القول به من قياس ولا نظر معقول لأن الله **عَزَّوَجَلَّ** لا يكون مكاناً للحوادث ولا يكون فيه شيء مخلوق ولا يكون ناقصاً فيزيد فيه شيء مخلوق، ولا يكون ناقصاً فيزيد فيه شيء إذا خلقه تعالى الله عن ذلك وجل وتعاضم. انتهى

وقوله: ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام أي ما أخبر به الله **عَزَّوَجَلَّ** كان كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**، إن أخبر عن أمور ماضية فهي كما قال الله فهو أعلم، وإن أخبر عن أمور آتية ستكون كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ** صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام، والأحكام هي الأوامر والنواهي.



وقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، هذه الآية العظيمة ثقلت على المعتزلة حتى أنّ أحدهم يتمنى أن يحكّها من المصحف بل جاء في ترجمة بعضهم أنّه قرأ القرآن حتّى أتى إلى سورة القصص فركل المصحف برجله وقال (هنا أيضًا) يعني يُذكر موسى (ونادينه) هم ما يريدون أن يقرؤوا قال الله ولا نادى ولا ناجى ولا شيء من ذلك في إثبات الكلام وبعضهم كان يُجالس عمرو بن عُبيد فرأى رؤيا في المنام وعمرو بن عُبيد يقول (وددت لو أنّي أمسح آية من القرآن) فقال له ما هي؟ فقال: **﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾** [النساء: ١٦٤]، قهرتهم لأنّهم لا يستطيعون تأويلها، (كلّم) فعل ماضي و(الله) لفظ الجلالة فاعل، (موسى) مفعول به إذ هو المُكلّم و(تكليمًا) مفعول مطلق، مصدر مؤكد للفعل وهذا يمنع المجاز، وجاء بعضهم إلى أبي عمرو بن العلاء وقال: أقرأ (وكلّم الله موسى تكليمًا) يعني حرّف اللفظ فقال (هب أنّي قرأت وكلّم الله موسى تكليمًا)، فماذا تقول في قول الله **عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾** [الأعراف: ١٤٣]، إذ الضمير يعود إلى الربّ الذي هو أقرب مذكور.

وقال الله **عَزَّوَجَلَّ: ﴿مِنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾** [البقرة: ٢٥٣]، أي الأنبياء ومن امتنّ الله **عَزَّوَجَلَّ** عليه بالكلام واختصّه به، وهذه مزية زائدة على مزية الرسالة والنبوة، قال الله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ﴾** [الشورى: ٥١]، فبعض الأنبياء يُكلّمهم الله من وراء حجاب، وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَشْهَدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ، وَأَخْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا»**. من حديث جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند الترمذي (٣٠١٠)، ابن ماجه (١٩٠).

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيَّكُمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ»، من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٥٣٩) ومسلم (١٠١٦).

وأيضاً قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلَآنَا أَحَقُّ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُرْتُّنِي اللَّهُ)، أخرجه البخاري (٢٦٦١).

وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وكان هذا الميقات بعد أن امتن الله تعالى على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه بالسلامة من فرعون، وأعطاه الله فيه الكتاب **قَالَ تِلْكَ** مبینا ذلك: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ١٤١ ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِّمَّقَتْ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ١٤٢ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرْنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٤٣ [الأعراف: ١٤١-١٤٣]

وقوله: ﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

على ما تقدّم، فيها إثبات الكلام والحرف والصوت.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ أي: الأيمن من موسى في وقت مسيره، أو الأيمن: أي: الأبرك من اليمن والبركة. ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨]، ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ والفرق بين النداء والنجاء، أن

النداء هو الصوت الرفيع، والنجاء ما دون ذلك، وفي هذه إثبات الكلام لله تعالى وأنواعه، من النداء، والنجاء، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً لمن أنكر ذلك، من الجهمية، والمعتزلة، ومن نحاً نحوهم. انتهى

قوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَتِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]، وهذا لا يكون إلا بصوت إذ نادى الله موسى عليه السلام، ونبأه، وأرسله إلى فرعون عليه لعائن الله تترى **قال تعالى** في سياق ذلك: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَتِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۖ لَا يَتَّقُونَ ١١ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ١٣ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُ فِتْنَةٌ فَآخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ١٤ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِعَائِلَتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ١٥ فَآتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَٰئِيلَ ١٧﴾ [الشعراء: ١٠-١٧].

وقوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، هذا النداء لأدم عليه السلام وزوجه حواء حين أغواهما إبليس وأكلا من الشجرة التي نهاهم الله عنها وكان ما قصه الله تعالى في القرآن: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٢٣ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ٢٤﴾ [الأعراف: ٢٣-٢٤]، وساقها المصنف لإثبات صفة الكلام، والحرف، والصوت.

وقوله فيه: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، في الآية إثبات كلام الله لأهل الموقف يوم القيامة.

قال الشنقيطي في "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب": قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦] الآية، هذه الآية الكريمة تدل على أن الله يسأل جميع الناس يوم القيامة ونظيرها قوله تعالى: ﴿فَوَرَبَّكَ فَسْأَلُوكَ النَّاسَ أَلَسْتَ بِرَبِّهِمْ فَسَبَّحْتَ بِحَمْدِكَ فِي الْحَدِيثِ ١٢ تَسْبِيحٌ لِّرَبِّكَ عَلَىٰ أَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِكَ طَهُوَاتٍ لِّغَيْبِ طُلُوعِ النُّجُومِ ١٣ وَسَبِّحْ بِحَمْدِكَ طَهُوَاتٍ لِّغَيْبِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقُحُوفِ النُّجُومِ ١٤ وَسَبِّحْ بِحَمْدِكَ طَهُوَاتٍ لِّغَيْبِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقُحُوفِ الشَّمْسِ ١٥ وَسَبِّحْ بِحَمْدِكَ طَهُوَاتٍ لِّغَيْبِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقُحُوفِ الشَّمْسِ ١٦﴾ [الأنبياء: ٢١-٢٦]، وقوله: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ

مَسْئُولُونَ ﴿ [الصفات: ٢٤]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، وكقوله: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

والجواب عن هذا من **ثلاثة أوجه:**

الأول: وهو أوجهها لدلالة القرآن عليه وهو أن السؤال قسمان: سؤال توبيخ وتقريع، وأداته غالبا (لم)، وسؤال استخبار واستعلام وأداته غالبا (هل) فالمثبت هو سؤال التوبيخ والتقريع، والمنفي هو سؤال: الاستخبار والاستعلام، وجه دلالة القرآن على هذا أن سؤاله لهم المنصوص في القرآن كله توبيخ وتقريع كقوله: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الصفات: ٢٤-٢٥]، وكقوله: ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥]، وكقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وكقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨]، إلى غير ذلك من الآيات، وسؤال الله للرسول ماذا أجبتهم لتوبيخ الذين كذبوهم كسؤال الموءودة بأي ذنب قتلت لتوبيخ قاتلها.

الوجه الثاني: أن في القيامة مواقف متعددة ففي بعضها يسألون وفي بعضها لا يسألون.

الوجه الثالث: هو ما ذكره الحليمي من أن إثبات السؤال محمول على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل، وعدم السؤال محمول على ما يستلزمه الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه، ويدل لهذا قوله تعالى فيقول: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ والعلم عند الله تعالى. انتهى

شبهة: إذا قال شخص (إذا قلنا أن الله يتكلم) لزم أن نثبت الشفتين؟. نقول الله يتكلم بحرف وصوت ولا يلزم من إثبات الكلام إثبات الأحبال الصوتية أو إثبات اللسان أو إثبات الجوف الذي يخرج منه الهواء، كل هذا تخريصات فالله **عَزَّوَجَلَّ** يُخبرنا أنه متكلم وجب علينا أن نؤمن بأنه يتكلم كيف يشاء، وقد تكلم الحجر كما في حديث جابر بن سمرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٢٢٧٧)، قال الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ»**، حجر يقول: (السلام عليك يا رسول الله).

وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: **﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكْمَلُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [يس:٦٥]، وليس فيها أحبال صوتية ولا لسان وليس فيها جوف، قال عبدالله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: كان الحصى يُسَبِّح بين يدي النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. أخرجه البخاري.



القول في القرآن

قال رحمه الله:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]،
﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ
مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]، ﴿وَأْتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾
[الكهف: ٢٧]، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾
[النمل: ٧٦].

أشار في هذه الآيات إلى عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن، وناسب ذكر ذلك
بعد أن بين طريقة أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى من حيث هو، والله عز وجل
تكلم بالقرآن حقيقة فهو تنزيله، قال الله تعالى: ﴿حَمَّ ١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢﴾
[فصلت: ١-٢]، وقال تعالى: ﴿حَمَّ ١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٣﴾ [الزخرف: ١-٣]، وقال: ﴿حَمَّ ١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ إِنَّا
أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ٣﴾ [الدخان: ١-٣]، وقال عز وجل: ﴿حَمَّ ١
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢﴾ [غافر: ١-٢]، وكلامه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال الله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ
يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، وقوله قال الله عز وجل: ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ
قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥].

وأجمع المسلمون على أن كلام الله غير مخلوق منه بدأ قولاً وإليه يعود، أمّا منه
بدأ قولاً فقد تقدّم قال الله عز وجل: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]،
و(من) للابتداء فالله تكلم بالقرآن وسمعه منه جبريل عليه السلام وسمعه النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جبريل ولهذا قد يحلف المسلمون بالقرآن ولا نكير فيه، ويمينه منعقدة بخلاف من حلف بغير الله وقد نُقل الإجماع على أن اليمين لا تنعقد إلا إذا كان الحالف حالفًا بالله **عَزَّجَلَّ**، والنبِّي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «لَا تَخْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلَا بِالْأَنْدَادِ، وَلَا تَخْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا تَخْلِفُوا بِاللَّهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ»، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أبي داود (٣٢٤٨) والنسائي (٣٧٦٩)، فالحلف بالقرآن حلف بصفة من صفات الله **عَزَّجَلَّ** كمن يحلف بعزة الله ويستعيذ بكلمات الله ويحلف بالقرآن فكلّ هذا جائزٌ وصائع.

* **تنبيه:** لا يجوز الحلف بالمصحف لأنّ المصحف يتكوّن من الأوراق والحبر والجلد وكلّ هذه مخلوقة والحلف بالمخلوق لا يجوز فهو شرك والأصل في الحلف بغير الله أنّه شركٌ أصغرٌ إلا إذا اقترن به تعظيم مثل تعظيم الله **عَزَّجَلَّ** أو أكثر فإنّه شرك أكبر مخرج من الملة.

تنبيه آخر: ما يفعله كثر من الناس وهو الحلف على المصحف، فهذه بدعة لم تكن على عهد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ولا على عهد أصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وإنما هي طريقة محدثة أخذها المسلمون من المبتدعة ولعلّها أيضًا من اليهود والنصارى. ونعود إلى مسألتنا وهي أنّ كلام الله غير مخلوق فمن زعم أنّ القرآن مخلوق فقد كفر وقد نقل اللالكائي تكفير من قال بخلق القرآن عن خمسمئة وخمسين عالمًا من علماء المسلمين في جميع الأمصار، قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في النونية:

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرُهُمْ خَمْسُونَ فِي * عَشْرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ
وَاللَّالِكَايِي الْإِمَامُ حَكَاهُ عَنْ * هُمْ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبْرَانِي
وهذا إجماع. وقد كَفَّرَ الأئمة بشر المَرِّيَّسي وغيره ممّن قال بخلق القرآن.



وفتنة القول بخلق القرآن معلومة ذكرها الذهبي **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي "السير"**، وابن كثير في "البداية والنهاية"، وذكرها صالح في المحنة وذكرها غير واحد وهي أَنَّ المأمون تأثر بابن أبي دؤاد فدعا الناس إلى القول بخلق القرآن وامتحنهم بذلك فمن أجاب تركوه ومن أبى عذّبوه وقتلوه وممّن ابتلي وصبر الإمام أحمد بن محمد بن حنبل **رَحْمَةُ اللَّهِ،** إمام أهل السنّة، سجنوه سنتين وثمانية أشهر أو نحو من ذلك وعذّبوه عذاباً شديداً من أجل أن يقول إنّ القرآن مخلوق وهو يقول اثبتوني بآية من كتاب الله أو حديث عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فأقول به، فكان الخليفة يقول له: (يا أحمد، قل مخلوق حتى أفكّ عنك بيدي) وكان ابن أبي دؤاد يقول: (اقتله يا أمير المؤمنين ودمه في عنقي، اقتل هذا الكافر)، ولهذا قال علي بن المديني: (نصر الله الدين برجلين بأبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في الردّة وبالإمام أحمد **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** المحنة) ثم انتصر الحق وانتصرت السنّة وأنّ القول بخلق القرآن كفر لأنّ القرآن من الله وما كان من الله فليس بمخلوق وقد احتجّ سفيان بن عيينة **رَحْمَةُ اللَّهِ** على بشر المريسي بقول الله **عَزَّجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾** [الأعراف: ٥٤]، فقال (يا دويبة ألم تر أنّ الله فرّق بين الخلق والأمر)، ونحن نعلم أنّ الخلق إنّما يكون بأمره قال الله **عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** [يس: ٨٢]، وعيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** كان بكلمة الله، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنْ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾**، من حديث عبادة بن الصامت **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨). أي خلقه الله بكلمته إلى مريم (كن) وليس معنى ذلك أنّ عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** هو الكلمة كما ظنّ النصارى وجعلوا يعبدون عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** من دون الله **عَزَّجَلَّ**، وإنّما كان وجود عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بكلمة الله **عَزَّجَلَّ**.



وذكر الأجرى رحمه الهل في "الشرعة" بسنده عن يحيى بن يوسف الزمّي، قال: بَيْنَا أَنَا قَائِلٌ فِي بَعْضِ بَيُوتِ خَانَاتٍ مَرُّوْ فَإِذَا أَنَا بِهَوْلٍ عَظِيمٍ، قَدْ دَخَلَ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: لَيْسَ تَخَافُ، يَا أَبَا زَكَرِيَّا قَالَ قُلْتُ: فَنَعَمْ، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: وَقُمْتُ وَتَهَيَّأْتُ لِقِتَالِهِ، فَقَالَ: أَنَا أَبُو مَرَّةَ قَالَ: فَقُلْتُ: لَا حَيَّاكَ اللَّهُ، فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي هَذَا الْبَيْتِ لَمْ أَدْخُلْ، وَكُنْتُ أَنْزِلُ بَيْنَنَا آخَرَ، وَكَانَ هَذَا مَنَزِلِي حِينَ أَتَى خُرَاسَانَ قَالَ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟ قَالَ: مِنَ الْعِرَاقِ قَالَ وَقُلْتُ: وَمَا عَمِلْتَ بِالْعِرَاقِ؟ قَالَ: خَلَفْتُ فِيهَا خَلِيفَةً، قُلْتُ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: بَشَرُ الْمَرِّيْسِيِّ، قُلْتُ: وَإِلَى مَا يَدْعُو؟ قَالَ: إِلَى خَلْقِ الْقُرْآنِ قَالَ: وَآتَى خُرَاسَانَ فَأَخْلَفُ فِيهَا خَلِيفَةً أَيْضًا قَالَ: قُلْتُ: إِيْشَ تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا وَإِنْ كُنْتُ شَيْطَانًا رَجِيمًا أَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وبشر عليه لعنة الله كانت أمه تحذر منه، كانت تقول للشافعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** (يا بُنَيَّ لا يغرّنك بشر فإنه زنديق) وقال آخر: (مرّ يهوديٌّ فقال يا معشر المسلمين لا يغرّنكم بشر فإنّ أباه قد أفسد علينا ديننا وهذا سيفسد عليكم دينكم).

ناظره غير واحد من أهل العلم وأفحموه ومما ذكر في ترجمته أنّه قيل له: (يا بشر أرايت ما تدع الناس إليه، ألك عليه حجة من كلام الله وكلام رسوله؟) قال (الحجة في خلافه لكن قول دعونا الناس إليه أربعين سنة لا يسعنا الخروج منه) أو نحو هذا.

ومما يدلّ على أنّ كلام الله غير مخلوق أنّ الله تحدّى البشر أن يأتوا بمثله أو يأتوا بعشر سور مثله أو يأتوا بسورة مثله قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، **وَقَالَ نَبِيُّهُ**: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، **وَقَالَ نَبِيُّهُ**: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]، والعرب أفصح الناس لا سيّما قريش ولهذا نزل

القرآن بلغتهم فلو كان القرآن كلام البشر لاستطاعت قريش أن يأتوا بمثله أو بعشر سور ممن مثله أو حتى سورة لكن ما استطاعوا لما تقدم، وكان يأتي شعراء العرب إلى النبي ﷺ فإذا سمعوا كلامه قال (والله لقد قلت الشعر وليس بشاعر ولقد أتيت الكهان وليس بكاهن، ولقد عرفت السحرة وليس بساحر) كما قاله أنيس رضي الله عنه لما أرسله أخوه أبوذر رضي الله عنه: خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غِفَارٍ وَكَانُوا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ فَخَرَجْتُ أَنَا وَآخِي أَنَيْسٌ وَأُمُّنَا فَنَزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا فَأَكْرَمَنَا خَالُنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا فَحَسَدَنَا قَوْمُهُ فَقَالُوا إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ خَالَفَ إِلَيْهِمْ أَنَيْسٌ فَجَاءَ خَالُنَا فَتَنَا عَلَيْنَا الَّذِي قِيلَ لَهُ فَقُلْتُ لَهُ أَمَّا مَا مَضَى مِنْ مَعْرُوفِكَ فَقَدْ كَذَرْتَهُ وَلَا جِمَاعَ لَكَ فِيَمَا بَعْدُ. فَقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا فَاحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا وَتَغَطَّى خَالُنَا ثَوْبَهُ فَجَعَلَ يَبْكِي فَاْنْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ فَنَافَرَ أَنَيْسٌ عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مِثْلِهَا فَاتَيَا الْكَاهِنَ فَخِيرَ أُنَيْسًا فَاتَانَا أُنَيْسٌ بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا، قَالَ: وَقَدْ صَلَّيْتُ يَا ابْنَ أَخِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِثَلَاثِ سِنِينَ.

قُلْتُ لِمَنْ قَالَ اللَّهُ، قُلْتُ فَأَيَّنَ تَوَجَّهَ قَالَ اتَّوَجَّهَ حَيْثُ يُوجَّهُنِي رَبِّي أَصَلَّى عِشَاءً حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أُلْقِيتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ حَتَّى تَعْلُونِي الشَّمْسُ. فَقَالَ أُنَيْسٌ إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ فَاتَّكِنِي، فَاْنْطَلَقَ أُنَيْسٌ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ فَزَاتَ عَلَى ثَمَّ جَاءَ فَقُلْتُ مَا صَنَعْتَ قَالَ لَقِيتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ قُلْتُ فَمَا يَقُولُ النَّاسُ قَالَ يَقُولُونَ شَاعِرٌ كَاهِنٌ سَاحِرٌ. وَكَانَ أُنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعْرَاءِ. قَالَ أُنَيْسٌ لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهَنَةِ فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشُّعْرِ فَمَا يَلْتَمُّ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أَنَّهُ شِعْرٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. رواه مسلم (٢٤٧٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنه عند مسلم (٨٦٨): أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَرْدِ شَنْوَةَ وَكَانَ يَرْقَى مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا



مَجْنُونٌ. فَقَالَ لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ: فَلَقِيَهُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مِنْ شَاءَ فَهَلْ لَكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَمَّا بَعْدُ»**، قَالَ فَقَالَ أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ وَلَقَدْ بَلَغَنَ نَاعُوسُ الْبَحْرِ، قَالَ: فَقَالَ هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ - قَالَ - فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«وَعَلَى قَوْمِكَ»**، قَالَ وَعَلَى قَوْمِي، قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سَرِيَّةً فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً. فَقَالَ رُدُّوهَا فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ ضِمَادٌ.

ولما قال الوليد بن المغيرة: **«إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ»** [المدثر: ٢٥]، توعده الله بسقر فقال **عَزَّوَجَلَّ**: **«سَاصِلِيهِ سَقَرٌ»** [المدثر: ٢٦]، فمن زعم أن كلام الله مخلوق ككلام البشر فقد كفر وتوعده الله بسقر فالقرآن كلام الله ووحيه وتنزيله تكلم به حقيقة فسمعه منه جبريل وبلغه جبريل لمحمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: **«إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ: «حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» [سبا: ٢٣] فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ وَوَصَفَ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةٌ كَذِبَةٍ فَيَقَالُ أَلَيْسَ**

قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا فَيُصَدِّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ». أخرجه البخاري (٤٥٢٢).

ومن الأدلة على إثبات الكلام لله **عَزَّوَجَلَّ** أَنَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** أضاف الكلام إلى نفسه والكلام معنى يقوم بغيره فإضافته إلى الله إضافة صفة إلى موصوف ثم ما تقدّم من أَنَّ الكلام كمال ومعطي الكمال أولى به والنبى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يقول: «مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبْلَغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟»، من حديث جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أحمد (١٤٤٥٦) و(١٤٦٥٣)، والله **عَزَّوَجَلَّ** يقول: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، فعُلم من هذا أَنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود فمن زعم أَنَّ القرآن مخلوق قد كفر.

افتراق الناس في مسألة الكلام:

قال ابن أبي العز **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى** في "شرح الطحاوية" (١٧٩): وقد اختلف الناس في مسألة الكلام إلى تسعة أقوال:

الأول: أَنَّ كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني إما من العقل الفعال عن بعضهم أو من غيره، وهذا قول الصابئة والفلاسفة.

الثاني: أَنَّهُ مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه، وهذا قول المعتزلة.

الثالث: أَنَّهُ معنى واحد قائماً بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا وإن عبر عنه بالعبرانية كان تورا، وهذا قول ابن كلاب والأشعري وغيره.

الرابع: أَنَّهُ حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث.



الخامس: أنه حروف وأصوات؛ لكن تكلم الله بها بعد إن لم يكن متكلمًا، وهذا قول الكرامية وغيرهم.

السادس: أن كلامه يرجع إلى ما يُحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب المعتبر ويميل إليه الرازي في كتابه المطالب العالية.

السابع: أن كلامه يتضمن معنى قائمًا بذاته هو ما خلقه في غيره، وهو قول الماتريدي.

الثامن: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول أبي المعالي وأتباعه.

التاسع: أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا، وهذا قول أئمة الحديث والسلف. اهـ

العاشر: زاد ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** كما في "مختصر الصواعق" (٢/٢٨٦) مذهب أهل الاتحاد القائلون بوحدة الوجود أن كل كلام في الوجود هو كلام الله نظمه ونشره، وحقه باطله سحره وكفره، والسبب والشم والهجر والفحش كما قال قائلهم:

وَكُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُهُ ❀ سَوَاءٌ عَلَيْنَا نَثْرُهُ وَنِظَامُهُ

وهذا مبني على مذهبهم الذي أصلوه، أن الله تعالى وتنزه عن قولهم عين الوجود. اهـ

الرد على الفلاسفة والصابئة في تعريف الكلام:

الناظر في تعريفهم للكلام يرى أنهم جعلوا كلام الله لا وجود له خارج نفس الرسول، وإنما هو ما يفيض على النفوس من المعاني أو هو ما يفيض من العقل الفعال أو غيره.

وربما قالوا: العقل الفعال هو جبريل وربما قالوا غيره.



ويقولون: كلام الله محدث في نفس النبي، والكلام الذي سمعه موسى كان موجوداً في نفسه لم يسمع موسى كلاماً خارجاً عن نفسه.

وقد كفر شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ** أصحاب هذا القول بقوله: (وهذا القول أبعد عن الإسلام ممن يقول القرآن مخلوق). "مجموع الفتاوى" (١٢/١٦٣).

وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ** (١٢/٤٢): وقد تنازعوا في كلام الله نزاعاً كثيراً، وأبعدهم عن الإسلام قول من يقول من المتفلسفة والصائبة - ثم ذكر بعض الأقوال السابقة -، وقول هؤلاء في الحقيقة:

- * تعطيل صفة الكلام لله رب العالمين على الحقيقة.
- * تكذيب المعلوم من دين الإسلام أن القرآن منزل على الحقيقة.
- * تكذيب المعلوم من دين الإسلام أن الذي كان ينزل القرآن هو جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وليس هو العقل الفعال.
- * عدهم ألفاظ القرآن وحروفه من إنشاء النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لأن العقل الفعال فاض عليه بالمعاني والألفاظ.
- * موافقتهم الجهمية في كونه مخلوقاً.

وأما الرد على المعتزلة والجهمية القائلين بخلق القرآن:

وقد استدلل المعتزلة على هذا القول ببعض الشبه التي سرعان ما تتهاوى أمام البراهين الدامغة من الكتاب والسنة والحجج الساطعة من أئمة السنة.

الشبهة الأولى: القرآن شيء، وقد قال الله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٤]، ولفظ (كل) يفيد العموم، فالقرآن داخل في هذا العموم.

قال ابن أبي العز (ص ١٨٣) وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٤]، والقرآن شيء فيكون داخلاً في عموم (كل) فيكون مخلوقاً، فمن أعجب

العجب وذلك أن أفعال العباد عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما يخلقها العباد جميعاً لا يخلقها الله فأخرجوها من عموم (كل) وأدخلوا كلام الله في عمومها مع أنه صفة من صفاته به تكون الأشياء المخلوقة والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر والآخر بآخر...

إلى أن قال رحمه الله: وعموم (كل) في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿نُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، ومساكنهم شيء ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح، وذلك أن المراد بالتدمير كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة وما يستحق التدمير، وكذلك قوله سبحانه حكاية عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام.

والمراد بقوله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، أي كل شيء مخلوق وكل موجود سوى الله، فهو مخلوق فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتماً، ولم يدخل في العموم الخالق تعالى وصفاته ليست غيره. اهـ

والله عز وجل قد وصف نفسه بأنه نفس، **قال تعالى** عن عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فهل يدخل الجهمي نفس الله تعالى في هذا العموم؟

الشبهة الثانية: قالوا القرآن مجعول، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، والجعل الخلق.

قال ابن أبي العز **رحمه الله تعالى** (ص ١٨٦): وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، فما أفسده من استدلال، فإن (جعل) إذا كان بمعنى خلق يتعدى إلى مفعول واحد كقوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وقوله:



﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]، وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى خلق.

قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْصَةً لِّإِيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، وقوله: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١]، وغيرها إلى قوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ [الزخرف: ١٩]. اهـ

فلو كان جعل بمعنى خلق لكان من أفسد الفساد كيف يجوز أن يقال: (وقد خلقتهم الله)، فنعوذ بالله من الضلال ومن اتباع الهوى.

الشبهة الثالثة: قالوا القرآن محدث والمحدث مخلوق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥].

والجواب عن هذه الشبهة: اعلم أن محدث في اللغة هو كون الشيء بعد أن لم يكن، قال أبو عبيد القاسم بن سلام، كما في خلق أفعال العباد للبخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ** (ص ٣٧)، (محدث) حدث عند النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأصحابه لما علّمه الله ما لم يكن يُعلّم.

وقال ابن قتيبة في (الاختلاف في اللفظ): المحدث ليس هو في موضع بمعنى مخلوق، فإن أنكروا ذلك فليقولوا في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]، أنه يخلق كذلك قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣]، أي يحدث لهم القرآن ذكرًا، والمعنى يجدد عندهم ما لم يكن، وكذلك قوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، أي ذكر حدث عندهم لم يكن قبل ذلك. اهـ



وقال شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢/٥٢٢)**: فإن احتج بعضهم بهذه الآية: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، قال: هذه الآية حجة عليك، فإنه لما قال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، قال علم أن الذكر منه محدث، ومنه ما ليس بمحدث.

ويُعلم: أن المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي، ولكنه الذي أنزل جديدًا، فإن الله كان ينزل القرآن شيئًا بعد شيء، فالمنزل أولاً هو قديم بالنسبة إلى المنزل آخرًا. اهـ

الشبهة الرابعة: قالوا جعل الله أمره مقدورًا والمقدور المخلوق، وأمره كلامه، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

قال صاحب "العقيدة السلفية" (ص ٣١٠): ولفظ الأمر إذا أضيف إلى الله تعالى يأتي على تفسيرين:

الأول: يراد به المصدر كقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وهو غير مخلوق، وهذا يجمع على (أوامر).

والثاني: يراد به المفعول الذي هو المأمور المقدور كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، فالأمر هنا هو المأمور، وهذا يجمع على (أمر)، وهو مخلوق، وقد قال الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ** في احتجاجه على الجهمية، قال الله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ففرق بين الخلق والأمر.

وقال أيضًا: وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فأخبر بالخلق، ثم قال: والأمر، وأخبر أن الأمر غير مخلوق، وبهذا الجواب أجاب سفيان بن عيينة شيخ الإمام أحمد **رَحِمَهُمَا اللَّهُ**، فقال: ما يقول هذا الدويبة -يعني المريسي-



بشر-؟ قالوا: يا أبا محمد يزعم أن القرآن مخلوق، فقال: كذب، قال الله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالخلق خلق الله تبارك وتعالى، والأمر القرآن. اهـ

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ (٨/٤١٢): ففي قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، المراد به المأمور به المقدور، وهذا مخلوق، وأما في قوله: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا﴾ [الطلاق: ٥]، فأمره كلامه إذا لم ينزل إلينا الأفعال التي أمرنا بها، وإنما أنزل القرآن، وهذا كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، فهذا الأمر هو كلامه.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ قبل ذلك (٨/٤١٢): ولفظ الأمر يراد به المصدر والمفعول، فالمفعول مخلوق مثل: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١]، وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، فهنا المراد به المأمور به، ليس المراد به أمره الذي هو كلامه، ثم بين رَحِمَهُ اللَّهُ أن مصدر الأمر هو كلامه، وهو غير مخلوق. اهـ

ومما استدل بها هؤلاء الضلال على أن القرآن مخلوق قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ [القصاص: ٣٠]، قالوا: إن الكلام خلقه الله في الشجرة، فسمعه موسى منها.

وهذا القول بين فساده ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" فقال: استدلوا بالآية على أن الكلام خلقه الله في الشجرة، فسمعه موسى منها وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها، فإن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ [القصاص: ٣٠]، والنداء هو الكلام من بعد، فسمع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ النداء من حافة الوادي، ثم قال: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ [القصاص: ٣٠]، كما تقول: سمعت كلام زيد من البيت يكون من البيت لابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم، ولو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ

رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿[القصص: ٣٠]﴾، وهل قال: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ غير ربِّ العالمين؟ ولو كان هذا الكلام بدأ من غير الله لكان قول فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، صدقاً؛ إذ كلا الكلامين عندهم مخلوق، قد قاله غير الله، وقد فرقوا بين الكلامين على أصلهم الفاسد أن ذلك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا خلقه فرعون، فحرفوا وبدلوا واعتقدوا خالقاً غير الله. اهـ

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: باب ما أنكرت الجهمية من أن الله كلم موسى، فقلنا لهم: لم أنكرتم؟ قالوا: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم، إنما كون شيئاً فعبر عن الله خلق صوتاً فأسمعه، فقلنا لهم: هل يجوز أن يكون لمكوّن غير الله أن يقول: ﴿يَمُوسَى ۖ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: ١١-١٢]، أو يقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، فمن زعم أن ذلك غير الله فقد ادعى الربوبية، ولو كان كما زعم الجهمية أن الله كون شيئاً كان يقول ذلك المكوّن يا موسى إن الله رب العالمين، ولا يجوز أن يقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. اهـ

الشبهة الخامسة: قالوا قد قال الله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩، الحاقة: ٤٠]، وهذا يدل على أن الرسول أحدثه إما جبريل أو محمد.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في جواب هذه الشبهة كما في "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٥٢١): قال: وإن احتج بقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ [التكوير: ١٩-٢٠]، قيل: له فقد قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ٢٠ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٢١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٢]، فالرسول في هذه الآية محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرسول في الأخرى جبريل، فلو أريد به أن الرسول أحدث عبارته لتناقض الخبران، فعلم أنه أضافه إليه إضافة تبليغ لا إضافة إحداث، ولهذا قال: ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾، ولم يقل ملك ولا نبي، ولا شك أن الرسول بلغه كما قال:



﴿يَأَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرض نفسه على الناس في الموسم، ويقول: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنْ قُرِئَ شَاءَ قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي». اهـ

وقال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (ص ١٨٧): ذكر الرسول معرّف أنه مبلّغ عن مرسله؛ لأنه لم يقل إنه قول ملك أو قول نبي، فعلم أنه بلغه عن مرسله به، لا أنه إنشاء من جهة نفسه، وأيضًا الرسول في إحدى الآيتين جبريل وفي الأخرى محمد، فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ؛ إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر.

وأيضًا فقولُه: رسول أمين دليل على أنه لا يزيد في الكلام الذي أرسله بتبليغه، ولا ينقص منه، وأيضًا فإن الله قد كفر من جعله قول البشر، ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشر فمن جعله قول محمد بمعنى أنه أنشأه فقد كفر، ولا فرق بين أن يقول هو قول بشر أو جني أو ملك.

والكلام كلام من قاله مبتدأ لا من قاله مبلّغًا، ومن سمع قائلاً يقول: (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)، قال: هذا شعر امرئ القيس، ومن سمعه يقول: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، قال هذا كلام الرسول، وإن سمعه يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ قال: هذا كلام الله، ولهذا لو سمع أحد من أحدٍ نظمًا أو نثرًا يقول له: هذا كلام من؟ هذا كلامك أم كلام غيرك؟

الشبهة السادسة: قالوا: إن الله عزَّ وجلَّ سمى عيسى عَلَيْهِ السَّلَام كلمته، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، وعيسى مخلوق، فالكلمة مخلوقة.



ومعنى الآية: أن عيسى عليه السلام مخلوق خلقه الله بأمره حين قال له: ﴿كُنْ﴾، كما **قَالَ تَبَرَّأَ إِلَى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** [آل عمران: ٤٧]، وقوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ إِذْ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

والكلمة: ﴿كُنْ﴾ لا عين عيسى، والمكون هو عيسى عليه السلام، وبهذا أجاب غير واحد من الأئمة؛ اهـ، أفاده صاحب كتاب "العقيدة السلفية".

وقال السلطان في "الكواشف الجلية عن معاني الواسطية" (ص ٣٨٠-٣٨١): وأما قوله: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، فالمعنى أنه خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من الروح، فعيسى ناشئ عند الكلمة وليس هو نفس الكلمة، وقوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، يعني أنه كائن منه تعالى، أي موجدته وخالقه فهو روح من الأرواح التي خلقها الله كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، أي مخلوقة بأمره. اهـ

ومن شبه هؤلاء النوكي أنهم يقولون: يلزم من إثبات كلام الله التشبيه والتجسيم، فيقال لهم: إذا قلنا إنه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله انتفت شبهتهم، ألا ترى أنه **قَالَ تَبَرَّأَ إِلَى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [يس: ٦٥]، فنحن نؤمن أنها تتكلم ولا نعلم كيف تتكلم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]، وكذلك تسبيح الحصى والطعام وسلام الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك بلا فم يخرج منه الصوت الصاعد من الرئة المعتمد على مقاطع الحروف، أفاده ابن أبي العز رحمة الله (ص ١٨١).

ومن قولهم أيضًا قالوا: القرآن ترد عليه سمات الحدوث والخلق من وجوه عدة:



قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: ١٠١]، فأخبر عن وقوع النسخ فيه.

هو حروف متعاقبة يسبق بعضها بعضاً.
لا يكون إلا بمشيئة واختيار، فيلزم منه أن تسبقه الحوادث ويتأخر عنها.
له ابتداء وانتهاء وأول وآخر.
هو متبعض متجزئ.

منزل والنزول لا يكون إلا بحركة وانتقال وتحول.
مكتوب في اللوح والمصاحف وما حد وحصر فهو مخلوق.
وهذه الصفات وما يشبها صفات للمخلوق المحدث.

قال شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "درء تعارض العقل والنقل" (٢/ ٩٩): هذه المعاني جميعاً مبنية على أصلهم الذي ابتدعوه لإثبات خلق العالم، وقدم الصانع، وهو الاستدلال على حدوث العالم بطريقة الحركة، فقالوا: لا يمكن معرفة الصانع إلا بإثبات حدوث العالم، ولا يمكن إثبات حدوث العالم إلا بإثبات حدوث الأجسام والاستدلال على حدوث الأجسام إنما هو بحدوث الأعراض القائمة بها الحركة والسكون، فهذا الأصل المبتدع هو الذي جرهم إلى القول بخلق القرآن ونفي الصفات والأفعال لله تعالى. اهـ

ولو أنهم استسلموا لله **عَزَّجَلَّ** وامثلوا قوله وصاروا على هدي رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وطريقة السلف لما وقعوا في هذه الأصول الفاسدة، فنسأل الله السلامة.
ومن شبه المعتزلة أيضاً، قولهم: إن إضافة الكلام إلى الله إضافة تشريف، كبيت الله وناقة الله.



والإضافة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، تنقسم إلى قسمين: إضافة أعيان، وإضافة صفات، والأعيان التي تقوم بنفسها إضافتها إلى الله تكون إضافة تشريف أو خلق وملك وغير ذلك.

وإن كانت معاني لا تقوم بنفسها، فإضافتها إلى الله تعالى إضافة صفة إلى موصوف.

فمن هنا يتبين أن إضافة الكلام إلى الله تعالى هو من النوع الثاني، أي إضافة الصفات ككلام الله، وعلم الله، وقدره الله وغيرها.

ولتعلم: أن المعتزلة قد فرخوا وباضوا، ومن هذه الأفرار الكلابية والأشاعرة ومن وافقهم من ماتريدية وسالمية، وإن اختلفوا في بعض التفرعات؛ لكنهم لم يُصَفُّوا معتقدهم من شوائب البدع والضلال.

فزعم الأشاعرة أن القرآن حكاية عن كلام الله، أو عبارة عنه، قال العمراني في الانتصار (٢/٥٤٤): وقالت الكلابية والأشاعرة: كلام الله الذي ليس بمخلوق هو معنى قائم بنفسه لا يفارق ذاته، وهذا القرآن المتلو والمسموع عبارة وحكاية عن الكلام القائم بنفسه، وكذلك القول عندهم في كلام البشر هو معنى قائم بذات المتكلم، وهذه الحروف والأصوات المسموعة عبارة عن المعنى القائم بالذات لا تسمى كلاماً حقيقة بل مجازاً أو توسعاً. اهـ

ومؤدى القول بأن الكلام عبارة أو حكاية عن كلام الله إلى أن هذا القرآن الذي بين أيدينا مخلوق، إما لأنه كلام محمد، أم كلام جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، ومع ذلك فقد صرح بعضهم بالقول بالخلق، قال الجويني في الإرشاد (١١٧): فإن معنى قولهم يعني المتعزلة وهذه العبارات كلام الله، إنها مخلوقة، ونحن لا ننكر إنها خلق لله، ولكن نمتنع من تسمية خالق الكلام متكلماً به، فقد أطبقنا على المعنى وتنازعنا بعد الاتفاق في تسميته. اهـ

وقد صرح بخلقه من الأشاعرة شارح جوهره التوحيد وغيرهم كثير، وقال الجويني في "إرشاده" (١٣٠): المعنى بالإنزال أن جبريل صلوات الله عليه أدك كلام الله تعالى وهو في مقامه فوق سبع سموات، ثم نزل إلى الأرض فأفهم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام ما فهمه عند سدره المنتهى من غير نقل لذات الكلام. اهـ

قال ابن القيم في نونيته:

وَحَوَاصُّهُمْ لَمْ يَفْرَوْهُ تَدَبُّرًا * بَلْ لِلتَّبَرُّكِ لَا لِفَهْمٍ مَعَانِ
وَعَوَامُّهُمْ فِي السُّبُعِ أَوْ فِي خَتْمِهِ * أَوْ تَرْبَةِ عَوْضٍ لِيَذِي الْأَثْمَانِ
هَذَا وَهُمْ حَرْفِيَّةُ التَّجْوِيدِ أَوْ * صَوْنِيَّةُ الْأَنْغَامِ وَالْأَلْحَانِ
يَا رَبِّ قَدْ قَالُوا بِأَنْ مَصَاحِفَ الْ * إِسْلَامِ مَا فِيهَا مِنَ الْقُرْآنِ
إِلَّا الْمِدَادَ وَهَذِهِ الْأُورَاقَ وَالْ * جِلْدَ الَّذِي قَدْ سُئِلَ مِنْ حَيَوَانِ
وَالْكُلُّ مَخْلُوقٌ وَلَسْتَ بِقَائِلٍ * أَضْلًا وَلَا حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ
إِنْ ذَاكَ إِلَّا قَوْلُ مَخْلُوقٍ وَهَلْ * هُوَ جَبْرِيْلُ أَوْ الرَّسُولُ فَذَانِ
قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ قَدْ قَالْتُهُمَا * أَشْيَاخُهُمْ يَا مِخْنَةَ الْقُرْآنِ
لَوْ دَاسَهُ رَجُلٌ لَقَالُوا لَمْ يَطَأْ * إِلَّا الْمِدَادَ وَكَأَغْدَ الْإِنْسَانِ
يَا رَبِّ زَالَتْ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ مِنْ * تِلْكَ الْقُلُوبِ وَحُرْمَةُ الْإِيمَانِ
وَجَرَى عَلَى الْأَفْوَاهِ مِنْهُمْ قَوْلُهُمْ * مَا بَيْنَنَا اللَّهُ مِنْ قُرْآنِ
مَا بَيْنَنَا إِلَّا الْحِكَايَةُ عَنْهُ * لَهُ وَالتَّغْيِيرُ ذَاكَ عِبَارَةٌ بِلِسَانِ

والعجب أنهم يستدلون على إثبات الكلام النفسي ببيت قاله الأخطل النصراني،

قال ابن القيم في نونيته:

وَدَلِيلُهُمْ فِي ذَاكَ قَوْلُ قَالَهُ * فِيمَا يُقَالُ الْأَخْطُلُ النَّصْرَانِي



وهذا البيت هو:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا * جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

وهذا البيت لا خطام له ولا زمام، والعجب من ردهم للأدلة المتكاثرة من القرآن والسنة، ثم يعمدون إلى هذا الكلام الذي لم تعرفه العرب، ثم قد وُجد البيت بسياقة أخرى:

إِنَّ الْبَيَانَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا * جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

وأيضاً مما يدل على أن ما في النفس لا يسمى كلاماً هو ما جاء في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمَ»، أخرجه البخاري (٢٥٢٨) ومسلم (١٢٧)، فلو كان ما في النفس كلاماً لكتب عليهم، ولو حدث أحدهم نفسه بطلاق امرأته وقع الطلاق قبل التلفظ، وهكذا الظهار والعتاق وغير ذلك.

قال العمراني في "الانتصار في الرد على المعتزلة والقدرية الأشرار" (٥٦٤/٢):

ويقال للأشعري إذا قرأ آية من القرآن: هذا قول الله أم قول البشر؟ فإن قال: هو قول الله فقد رجع إلى ما عليه السلف وأهل الحق، وإن قال: بل من قول البشر قلنا عن ذلك أجوبة: أحدها أن يقال له: فهذه أقوال الوليد بن المغيرة فيما أخبر الله عنه بقوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدر: ٢٥]، فقال الله متوعداً له على قوله هذا: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرًا﴾ [المدر: ٢٦]، فلو كان قوله بذلك صحيحاً لما توعده الله عليه.

الجواب الثاني: أن يقال له: فمن البشر الذي هذا قوله، فليس أحد يدعي أن هذا قوله، بل الكل منهم يقول هذا قول الله، وإذا سمعوا القارئ بهذا الكلام قالوا: صدق الله، ومن البشر الذي يقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤].

والجواب الثالث: أن يقال له: إذا كان هذا من قول البشر فأت بسورة من مثله، وإن قال: بل هو كلام البشر عبارة عن كلام الله، والمفهوم منه كلام الله، فيضاف إليه ويقال: هذا عبارة فلان، فإن أحدا لا يدعي أنه عبارته.

فإن قال: هو عبارتي عن كلام الله، قلنا له: فحقيقة المعبر أن يسمع كلاما فيعبر عنه، وأنت لم تسمع كلام الله حقيقة، وإنما سمعت قول معلمك عبارة معلمك إلى أن يتناهى إلى الصحابة، وهم لم يسمعوا قول الله حقيقة وإنما سمعوا عبارة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن عبارة جبريل، ولا أدري عما عبر عنه جبريل. فقول الأشعري هذا لا يستقيم أنه عبارة عن كلام الله.

وقول الأشعري: إن المفهوم من هذا الكلام كلام الله فغير صحيح؛ لأن مفهوم كل إنسان معه، ولا يسيل للخلق إلى العلم بفهم ما في نفس الباري سبحانه، **وَقَالَ نَبِيُّكَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾** [المائدة: ١١٦].

ولأن ما في النفس لا يسمى كلاما حقيقة، وإنما يسمى حديث نفس، بدليل أن رجلا لو حلف بطلاق امرأته أن لا يتكلم، فحدث نفسه بشيء أو نظم في نفسه كلاما لم تطلق امرأته بإجماع الفقهاء، فدل ذلك على أن حقيقة الكلام هو المسموع المفهوم، ولا يكون ذلك إلا بحروف وصوت.

ويقال للأشعري: إذا قرأ آية من كتاب الله: أهذا كلام أم كلمات؟ فإن قال: بل كلام، قيل له: أهو كلام الله أم كلامك؟ فإن قال: كلام الله: رجع إلى ما عليه أهل الحق، وإن قال: كلامي، بان كفره؛ لأنه خلاف المسلمين، وإن قال: كلامي أعبر به عن كلام الله، قلنا له: فكلام الله قديم وكلامك محدث، فميز لنا كلامك لنوقع عليه الحدث عن كلام الله لنسميه قديما، ولا سبيل له إلى ذلك الجملة.



ويقال للأشعري: ما القرآن الذي جاء به النبي وادعى أنه كلام ربه، فقال: «مَنْ يُنْصِرُنِي حَتَّى أَبْلُغَ كَلَامَ رَبِّي؟»، وجعله الله معجزة للنبي، ودليلاً على صحة نبوته، أهو كلام الله القائم بذاته، أم هو هذه السور والآيات؟

فإن قال: هو هذه السور والآيات رجع إلى الحق وإلى ما عليه كافة المسلمين، وإن قال: بل هو المعنى القائم بذات الله، قيل له: فإن هذا ما أن يقولوا: إن هذا الكلام القائم بذات الله لهم تسمعه فكيف تأتي بسورة من مثله، وإنما تأتي بمثل ما سمعناه.

ويقال للأشعري: قد أقررت بأن الله سمعاً وبصراً وعلماً وقدرة وحياة وكلاماً لتنفى عنه ضد هذه الصفات، فلما كان السمع الذي أثبتته الله هو السمع المعهود في لغة العرب، وهو إدراك المسموعات، وكذلك ضد المنفي عنه هو المعهود في كلام العرب وهو الصمم، وكذلك البصر الذي أثبتته الله هو المعهود في كلام العرب وهو إدراك المبصرات والعلم هو إدراك المعلومات، وجب أن يكون الكلام لله هو الكلام المعهود في كلام العرب، وهو ما كان بحرف وصوت، كما أن ضده المنفي عنه وهو الخرس، والمعهود عندهم فأما أثبات الكلام لما يفهم لا يعلم فمحال. اهـ



البيان في أن القرآن منزلٌ من الله عز وجل

قال رحمه الله:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ﴿لَوْ أَنْزَلْنَاهُ هَذَا الْفُرْقَانُ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [النحل: ١٣-١٥].

فيه: هذه الأدلة دلالة على أن القرآن أنزل من عند الله **عَزَّوَجَلَّ** ومثله قوله تعالى: ﴿نَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، وقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢]، وزعم المعطلة أن إنزال القرآن كإنزال الماء من السماء أو كإنزال الأنعام أو كإنزال الحديد حيث قال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، **وقال تعالى:** ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [الزمر: ٦]، **وقال تعالى:** ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [المؤمنون: ١٨]، وهي مخلوقة.

فكان جواب هذه الشبهة: أن إنزال القرآن جاء مقيداً بأنه من الله، قال الله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، **وقال تعالى:** ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقال: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]، وإنزال الحديد جاء مقيداً من الجبال والمعلوم أن الحديد ينزل من رؤوس الجبال إلى بطون الأودية بسبب الأمطار وهكذا إنزال الأمطار قيّد بالسحاب وقيّد بالسماء والمراد بالسماء العلو

فالماء ينزل من السحاب وإنزال الأنعام من أن الذكر من الأنعام يعلو الأنثى فيقع الإنزال والأنثى حين تضع جنينها ينزل منها فكان هذا إنزال مقيد بالمخلوقات وذلك إنزال من الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، من بركته أنه شفاء فقال الله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ومن بركته أنه نور وضياء وموعظة ورحمة كما وصفه الله عز وجل وهدى وأنه قرآن عظيم: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

فيه أن المخلوق لا تتصدع له الجبال وأن القرآن كلام الله حقاً وصدقاً ولو أنزل على الجبال لتصدعت من خشية الله قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُورَآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَتْ بِهِ أَلْمُوتَى﴾ [الرعد: ٣١]، والمعنى لو أن هناك ما تقطع به الأرض وتسير به الجبال لكان هذا القرآن وهذا لا يكون في حق مخلوق وإنما هذا في حق الله وصفته عز وجل.

وقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ [النحل: ١٠١-١٠٢].

قيد الإنزال من الرب وأن جبريل أنزله من الله فالله عز وجل تكلم به حقيقة وسمعه منه جبريل حقيقة ثم نزل جبريل بالقرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسبب كون القرآن نزل منجماً أي متفرقاً.

وقوله: ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].



فالله عَزَّجَلَّ أنزل القرآن في أوقات متعددة لتثبيت المؤمنين ولتسليتهم فإنهم إذا وقعت بهم حادثة نزل القرآن يُصبرهم ويُثبتهم يكون أوقع في قلوبهم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ :

يذكر تعالى أن المكذبين بهذا القرآن يتتبعون ما يرونه حجة لهم، وهو أن الله تعالى هو الحاكم الحكيم، الذي يشرع الأحكام، ويبدل حكما مكان آخر لحكمته ورحمته، فإذا رأوه كذلك قدحوا في الرسول وبما جاء به و﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: ١٠١] قال الله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥] فهم جهال لا علم لهم بربهم ولا بشرعه، ومن المعلوم أن قدح الجاهل بلا علم لا عبرة به، فإن القدح في الشيء فرع عن العلم به، وما يشتمل عليه مما يوجب المدح أو القدح.

ولهذا ذكر تعالى حكمته في ذلك فقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢] وهو جبريل الرسول المقدس المنزه عن كل عيب وخيانة وآفة.

﴿يَا لِحَقِّ﴾ أي: نزوله بالحق وهو مشتمل على الحق في أخباره وأوامره ونواهيه، فلا سبيل لأحد أن يقدح فيه قدحا صحيحا، لأنه إذا علم أنه الحق علم أن ما عارضه وناقضه باطل.

﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ عند نزول آياته وتواردها عليهم وقتا بعد وقت، فلا يزال الحق يصل إلى قلوبهم شيئا فشيئا حتى يكون إيمانهم أثبت من الجبال الرواسي، وأيضا فإنهم يعلمون أنه الحق، وإذا شرع حكما [من الأحكام] ثم نسخه علموا أنه أبدله بما هو مثله أو خير منه لهم وأن نسخه هو المناسب للحكمة الربانية والمناسبة العقلية.

﴿وَهُدَىٰ وَيُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: يهديهم إلى حقائق الأشياء ويبين لهم الحق من الباطل والهدى من الضلال، ويبشرهم أن لهم أجرا حسنا، ماكثين فيه أبدا. وأيضا



فإنه كلما نزل شيئاً فشيئاً، كان أعظم هداية وبشارة لهم مما لو أتاهم جملة واحدة وتفرق الفكر فيه بل ينزل الله حكماً وبشارة [أكثر] فإذا فهموه وعقلوه وعرفوا المراد منه وترووا منه أنزل نظيره وهكذا. ولذلك بلغ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ به مبلغاً عظيماً، وتغيرت أخلاقهم وطبائعهم، وانتقلوا إلى أخلاق وعوائد وأعمال فاقوا بها الأولين والآخرين.

وكان أعلى وأولى لمن بعدهم أن يتربوا بعلومه ويتخلقوا بأخلاقه، ويستضيئوا بنوره في ظلمات الغي والجهالات ويجعلوه إمامهم في جميع الحالات، فبذلك تستقيم أمورهم الدينية والدنيوية. انتهى

وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

زعموا أن الذي يُعَلِّم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو ابن الحضرمي وكان نصرانياً وكان أعجمياً فقالوا إنما تلقى محمدٌ من ذلك النصراني فردّ الله عَزَّوَجَلَّ عليهم بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ [النحل: ١٠٣]، هذا الذي تزعمونه أنه يُعَلِّم محمدًا القرآن أعجمي: ﴿وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، ومعلوم أن اللسان الأعجمي حتى ولو تعلّم العربية يبقى عنده شيء من الرطانة وتكسير الكلام ولا يستطيع أن يأتي بمثل هذا الكتاب أو بما يُقاربه فضلاً عن مثله قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وقال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الإتقان" (١/ ٥٨): وقال أبوالمعالی عزیزی بن عبدالمک المکروف بشیدلة بضم عین عزیزی فی کتاب البرهان اعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسماً، سماه كتاباً ومبيناً في قوله تعالى: ﴿حَمْدٌ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف: ١-٢]، وقرأنا كريماً في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]، وكلاماً في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ونوراً قَالَ نَسَائِي: ﴿وَأَنْزَلْنَا

إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا» [النساء: ١٧٤]، وهدى ورحمة في قوله **عَزَّجَلَّ**: «وَهْدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ» [يونس: ٥٧]، وفرقاً قال الله **عَزَّجَلَّ**: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ» [الفرقان: ١]، وشفاء في قوله تعالى: «وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ» [الإسراء: ٨٢]، وموعظة في قوله تعالى: «يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ» [يونس: ٥٧]، وذكرًا ومباركًا في قوله **عَزَّجَلَّ**: «وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ» [الأنبياء: ٥٠]، وعليًا في قوله تعالى: «وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ» [الزخرف: ٤]، وحكمة في قوله تعالى: «حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ» [القمر: ٥]، وحكيم ومهيمنًا في قوله **عَزَّجَلَّ**: «مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ» [المائدة: ٤٨]، وحبلاً في قوله: «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا» [آل عمران: ١٠٣]، وصراطاً مستقيماً في قوله تعالى: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا» [الأنعام: ١٥٣]، وقيماً في قوله **عَزَّجَلَّ**: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قِيمًا لِّیُنْذِرَ» [الكهف: ١-٢]، وقولاً وفصلاً في قوله **عَزَّجَلَّ**: «إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ» [الطارق: ١٣]، ونبأ عظيمًا في قوله تعالى: «عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۚ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ» [النبا: ١-٢]، وأحسن الحديث ومثاني ومتشابهًا في قوله **عَزَّجَلَّ**: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مِّثَاقِي» [الزمر: ٢٣] وتنزيلاً في قوله تعالى: «وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [الشعراء: ١٩٢]، وروحاً في قوله **عَزَّجَلَّ**: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا» [الشورى: ٥٢]، ووحياً في قوله **عَزَّجَلَّ**: «قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُم بِالْوَحْيِ» [الأنبياء: ٤٥]، وعربياً في قوله **عَزَّجَلَّ**: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا» [يوسف: ٢]، وبصائر في قوله تعالى: «هَذَا بَصَائِرُ» [الأعراف: ٢٠٣]، وبياناً في قوله **عَزَّجَلَّ**: «هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ» [آل عمران: ١٣٨]، وعلمًا في قوله تعالى: «بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» [البقرة: ١٢٠]، وحقاً في قوله **عَزَّجَلَّ**: «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ» [آل عمران: ٦٢]، وهادياً

في قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي﴾ [الإسراء: ٩]، وعجباً في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]، وتذكرة في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٨﴾ [الحاقة: ٤٨]، والعروة الوثقى في قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿أَسْتَمْسِكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وصدقاً في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣]، وعدلاً في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وأمرًا في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ﴾ [الطلاق: ٥]، ومنادياً في قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وبشرى في قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَهْدَىٰ وَبُشِّرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧]، ومجيداً في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١]، وزبوراً في قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وبشيراً ونذيراً في قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿كِتَبٌ فَصَّلَتْ ءَايَتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فصلت: ٣-٤]، وعزيراً في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١]، وبالغاً في قوله: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وقصصاً في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: ٣]، وسماء أربعة أسماء في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ ﴿١٤﴾ [عبس: ١٣-١٤]. انتهى

وأسماء القرآن تتضمن معاني، وكل اسم يتضمن صفة إذ ليست أسماء جامدة لا معاني لها.

*** فائدة:** الحروف المقطعة التي ذكرها الله في القرآن يأتي بعدها ذكر القرآن غالباً، قال الله تعالى: ﴿الَمْ﴾ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢﴾ [البقرة: ١-٢]، وقال الله تعالى: ﴿الَمْ﴾ ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ ﴿٣﴾ [آل عمران: ١-٣]، وقال تعالى: ﴿الَمْص﴾ ﴿١﴾ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢﴾ [الأعراف: ١-٢]،

وَقَالَ نَبِيُّ: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١]، وَقَالَ نَبِيُّ: ﴿الرَّ تِلْكَ أَحْكَمَتِ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]، ﴿الْمَرْ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١]، وَهَكَذَا إِلَّا مَا جَاءَ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَهَمِصَّ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَّرِيَّا ۝٢﴾ [مريم: ١-٢]، وَمَعَ هَذَا فَهُوَ يَتَضَمَّنُ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَنِدَاءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٣-٤]، ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ أَوْحَى إِلَيْهِ وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَمَّ ۝١ عَسَقَ ۝٢ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣﴾ [الشورى: ١-٣]، فَكُلُّ الْحُرُوفِ الْمَقْطُوعَةِ فِي الْقُرْآنِ يَأْتِي بَعْدَهَا الْحَلْفُ أَوْ الْوَصْفُ لِهَذَا الْكِتَابِ الْحَكِيمِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، وَهَذِهِ أَيْضًا يَدْخُلُ فِيهِ ذِكْرُ الْقُرْآنِ وَكَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿طه ۝ مَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۝١﴾ [طه: ١-٢]، فَالْقُرْآنُ لَا تَنْقُضِي عَجَائِبَهُ، وَلَا عِلْمُهُ، وَبِرَكَاتِهِ.

* **تنبيه:** حديث بريدة قال: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَآلَ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ يُظَلِّلَانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ. فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهُوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يَقُومُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمِ كُسِينَا هَذَا؟ فَيَقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ يَقَالُ لَهُ: أَفَرَأَى



وَاصْعَدُ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرِفَهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذَا كَانَ، أَوْ تَرْتِيلاً، رواه أحمد (٢٢٩٥٠) وله شواهد.

فالمراد به: أجر القرآن؛ إذ يجعل الله تعالى المعاني أعراضاً كما في حديث أبي سعيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ - زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ - فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ - وَاتَّفَقَا فِي بَاقِي الْحَدِيثِ - فَيَقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَسْرِئُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيَقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا قَالَ فَيَسْرِئُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ»، قَالَ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا. رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).



القول في الرؤية

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ ۚ﴾ [المطففين: ٢٣]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۚ﴾ [يونس: ٢٦]، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۚ﴾ [ق: ٣٥].

أشار في هذه الآيات إلى إثبات رؤية المؤمنين لربهم **عَزَّجَلَّ** في الآخرة ويُرى الله

عَزَّجَلَّ في موطنين:

الموطن الأول:

في أرض المحشر كما في قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۚ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وفي قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَّحْجُورُونَ ۚ﴾ [المطففين: ١٥]، فلما حُجِبَ الكفار في السخط دلَّ على أنَّ المؤمنين يرونه في الرضا وبهذه الآية استدلل الشافعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** على أنَّ الله يرى، ومنها عموم أدلة اللقاء مثل قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَكُمْ مُّلتَقُونَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقال **عَزَّجَلَّ**: ﴿يَحْتَتِبُهُمْ يَوْمَ تَلْقَوْنَهُ ۚ سَلَامٌ ۚ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وقال **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۚ﴾ [الكهف: ١١٠]،

ومن الأدلة قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۚ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، والصفات المنفية يؤتى بها لبيان عموم كمال الله **عَزَّجَلَّ** فلا تدركه الأبصار لعظمته وكبريائه ولكبره - فهو العظيم المجيد تراه الأبصار يوم القيامة ولا تدركه ولا تحيط به قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ۚ﴾ [طه: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ومما يستدلون به على أنَّ الله يرى

في المحشر ما جاء عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٥١٢) ومسلم (١٠١٦)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيَكْلُمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، ولقاء الله عَزَّ وَجَلَّ يكون برؤية ولهذا أجمع العلماء أن آيات اللقاء تثبت بها الرؤية لأن اللقاء يكون بمعاينة، وفي حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَظَنَرِ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»، أخرجه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣).

فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، وفي الحديث الآخر قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ»، رواه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٣).

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول في سجوده: «أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ»، من حديث عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند النسائي (١٣٠٤)، وهو في "الصحيح المسند" للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٥٥٨) ومن حديث فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي حديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٤٨٧٨) ومسلم (١٨٠)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «جَتَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ أَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَجَتَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ أَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ».

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٤٧٢) الطويل ومن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُسْلِمٍ (١٨٣): قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ». قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحَّوْا لَيْسَ

مَعَهَا سَحَابٌ وَهَلْ تُصَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحُوا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ». قَالُوا:
لَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا تُصَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا
تُصَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا ..» إِلَى قَوْلِهِ: «..فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ
لِلَّهِ مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءَ وَرِيَاءٍ إِلَّا جَعَلَ
اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ». الحديث.

والحديث فيه: إثبات رؤية الله **عَزَّوَجَلَّ** وقد تكلمت بحمد الله على هذه المسألة في
مؤلف مستقلّ عنوانه بـ "رؤية المؤمنين للجبار في المحشر ودار القرار"، وللإمام
الدارقطني **رَحِمَهُ اللَّهُ** كتاب "الرؤية" وهو من أنفس الكتب ولأبي شامة كتاب في الرؤية
لكن كأنه يسير فيه على طريقة الأشاعرة وأن الله **عَزَّوَجَلَّ** يرى لا في جهة وهذا قول
سمج بل يرى **عَزَّوَجَلَّ** في العلو كما أنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ»، والشمس والقمر ترى في العلو.

و للآجري **رَحِمَهُ اللَّهُ** رسالة في الرؤية مطبوعة ضمن (كتاب الشريعة) وهي من
أهمّات المسائل وتكلّم عليها الإمام ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** بكلام موسّع في كتابه "حادي
الأرواح إلى بلاد الأفراح" وكلّ من ألف في الإيمان والعقائد يذكر في الرؤية ما يدل
على ثبوتها، وأقرب الرّاجع بين يديك صحيح البخاري، ومسلم.

الموطن الثاني:

ويُرى سبحانه في الجنّة كما في حديث صهيب الرومي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (١٨١)،
وابن ماجه (١٨٧) واللفظ له: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا
الْحَسَنَىٰ وَزِيَادَةً﴾ [يونس: ٢٦]، وَقَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى
مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ
يُثَقِّلِ اللَّهُ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وَجُوهَنَا، وَيُدْخِلَنَا الْجَنَّةَ، وَيُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ

الْحِجَابَ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ - يَغْنِي إِلَيْهِ - وَلَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ».

فالزيادة هي النظر إلى وجه الله وهكذا قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، ومنها قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣]، أي على السرر المزينة بالفرش الحسان ينظرون الله **عَزَّجَلَّ**.

واختلف العلماء في رؤية الله تعالى في أرض المحشر لمن تكون، **إلى ثلاثة أقوال:**
الأول: أنه يراه كل من في الموقف من المؤمنين والمنافقين والكافرين.
الثاني: أنه يراه المؤمنون فقط.

الثالث: أنه يراه المؤمنين والمنافقون.

وكل هذه الأقوال لها أدلتها من الكتاب والسنة فالذين يذهبون إلى أنه يراه كل من في الموقف احتجوا بعموم أدلة اللقاء،

وفي حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُصَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظُّهَيْرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تُصَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُصَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ؛ إِلَّا كَمَا تُصَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍ، أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأَسَوَّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعٌ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ، فَيَقُولُ: لَا؛ فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي، فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍ، أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأَسَوَّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعٌ؟ فَيَقُولُ: بَلَى أَيُّ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا؛ فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذَا قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ

نَبَعْتُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؛ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ: لِفَخْذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ انْطَقِي؛ فَتَنْطِقُ فَخْذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ». مسلم (٢٩٦٨).

والذين ذهبوا إلى أن الكفار لا يرونه احتجوا بقول الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، والصحيح من هذه الأقوال أن الله عز وجل يراه كل من في الموقف ثم يحتجب عن الكافرين ومفهوم الآية يدل على ذلك، فالحجب يكون بعد الرؤية لكن رؤية المؤمنين رؤية تنعم ورؤية الكافرين رؤية خوف وسخط كما يقول العلماء كرؤية اللص للسجّان.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٥٧٣) ومسلم (١٨٢): أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَنْتُمْ تَرَوْنَهُ، كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ فَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ: الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ: الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ: الطَّوَاغِيتَ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا أَوْ مُنَافِقُوهَا -شَكَّ إِبْرَاهِيمُ-؛ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا؛ فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا؛ فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُحْجِزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ وَدَعَايَ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ...»، الحديث.

وفي البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ

صَحْوًا؟ قُلْنَا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُصَارُونَ فِي رُؤْيَا رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ؛ إِلَّا كَمَا تُصَارُونَ فِي رُؤْيَاهُمَا...» إِلَى قَوْلِهِ: «...وَأِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا؛ فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ؛ فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَنْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ؛ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ...» الْحَدِيث.

قال شيخ الإسلام كما في "المجموع" (٦/٤٦٧): وَقَالَتْ طَوَائِفٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالتَّصَوُّفِ: بَلْ يَرَوْنَهُ ثُمَّ يَحْتَجِبُ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي فِي الصَّحِيحِ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِمَا مَعَ مُوَافَقَةِ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ قَالُوا وَقَوْلُهُ: ﴿لَمَحْجُوبُونَ﴾ يُشْعِرُ بِأَنَّهُمْ عَايَنُوا ثُمَّ حُجِبُوا وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ﴿١٥﴾ فَعَلِمَ أَنَّ الْحَجْبَ كَانَ يَوْمَئِذٍ. فَيُشْعِرُ بِأَنَّهُ يَخْتَصُّ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَجْبِ بَعْدَ الرُّؤْيَا. فَأَمَّا الْمَنْعُ الدَّائِمُ مِنَ الرُّؤْيَا فَلَا يَزَالُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالُوا: وَرُؤْيَا الْكُفَّارِ لَيْسَتْ كَرَامَةً وَلَا نَعِيمًا؛ إِذْ (الَلْقَاءُ) يَنْقَسِمُ إِلَى لِقَاءِ عَلَى وَجْهِ الْإِكْرَامِ وَلِقَاءِ عَلَى وَجْهِ الْعَذَابِ فَهَكَذَا الرُّؤْيَا الَّتِي يَتَضَمَّنُهَا اللَّقَاءُ. اهـ

الرد على نفاة الرؤية:

ذهب المعتزلة إلى أن الله لا يرى واحتجوا بعدة شبه منها:

الشبهة الأولى:

قولهم: المراد بقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] أي: منتظرة، أو منتظرة لثوابه، ويُرد عليهم بما قاله ابن القيم في "حادي الأرواح" (٢٣٧-٢٣٨):

وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أَرَادَهُ منها وجدتها منادية نداءً صريحاً إن الله سبحانه يرى عياناً بالأبصار يوم القيامة، وإن أبيت إلا تحريفها الذي يسميه المحرفون تأويلاً؛ فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك، ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها؛ إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا، وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينه، تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدي بإلى خلاف حقيقته وموضوعه صريح في أن الله **عَزَّجَلَّ** أراد بذلك نظر العين وإخلاء الكلام من قرينه، تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدي بالي خلاف حقيقة وموضوعه صريح في أن الله **عَزَّجَلَّ** أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله فان النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه فان عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ تُورِكِي﴾ [الحديد: ١٣] وأن عدى ب(في) فمعناه التفكير والاعتبار كقوله أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وأن عدى

بـ (إلى) فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩]
فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر. اهـ

الشبهة الثانية:

استدلوا لهم بقول الله عز وجل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، قالوا: وهذه الآية دليل على أنه لا يرى عز وجل.

وقد تقدم بيان أن: (الإدراك) بأنه رؤية وزيادة، رؤية مع الإحاطة، والإحاطة منفية في حق الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فهم يرونه بغير إحاطة، وقد تقدم بيان أن هذه الآية من أدلة الرؤية إلى الله عز وجل يوم القيامة.

الشبهة الثالثة:

استدلوا لهم بقول الله عز وجل: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، على أنه لا يرى، وبأن: (لن) تفيد التأييد.

وقد تقدم بيان أن هذه الآية من أدلة الرؤية، قال ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" (١٩١-١٩٢): فَالْأَسْتِدْلَالُ مِنْهَا عَلَى ثُبُوتِ رُؤْيَيْهِ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ لَا يُظَنُّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الْكَرِيمِ وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِرَبِّهِ فِي وَقْتِهِ، أَنْ يَسْأَلَ مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الْمُحَالِ.

الثاني: أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ سُؤَالَهُ، وَلَكَمَا سَأَلَ نُوحٌ رَبَّهُ نَجَاةَ ابْنِهِ أَنْكَرَ سُؤَالَهُ، وَقَالَ: ﴿إِنِّي أَعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

الثالث: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾، وَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي لَا أَرَى، أَوْ لَا تَجُوزُ رُؤْيَايَ، أَوْ لَسْتُ بِمَرِيٍّ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْجَوَابَيْنِ ظَاهِرٌ، أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ كَانَ فِي كُمِّهِ حَجَرٌ فَظَنَّهُ رَجُلٌ طَعَامًا فَقَالَ: أَطْعَمْنِيهِ، فَالْجَوَابُ الصَّحِيحُ: أَنَّهُ لَا يُؤْكَلُ، أَمَّا إِذَا كَانَ طَعَامًا صَحَّ

أَنْ يُقَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَأْكُلَهُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مَرِئِيٌّ، وَلَكِنَّ مُوسَى لَا تَحْتَمِلُ قُوَاهُ رُؤْيَيْتُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ، لِضَعْفِ قُوَى الْبَشَرِ فِيهَا عَنْ رُؤْيَيْتِهِ تَعَالَى.

يُوضِّحُهُ **الرَّابِعُ**: وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فَأَعْلَمَهُ أَنَّ الْجَبَلَ مَعَ قُوَّتِهِ وَصَلَابَتِهِ لَا يَثْبُتُ لِلتَّجَلِّي فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَكَيْفَ بِالْبَشَرِ الَّذِي خُلِقَ مِنْ ضَعْفٍ؟

الخَامِسُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْجَبَلَ مُسْتَقَرًّا، وَذَلِكَ مُمَكِّنٌ، وَقَدْ عُلِّقَ بِهِ الرُّؤْيِيَّةُ، وَلَوْ كَانَتْ مُحَالًا لَكَانَ نَظِيرٌ أَنْ يَقُولَ: إِنْ اسْتَقَرَّ الْجَبَلَ فَسَوْفَ أَكُلُ وَأَشْرَبُ وَأَنَامُ. وَالْكُلُّ عِنْدَهُمْ سَوَاءٌ.

السَّادِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فَإِذَا جَازَ أَنْ يَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ، الَّذِي هُوَ جَمَادٌ لَا ثَوَابَ لَهُ وَلَا عِقَابَ، فَكَيْفَ يَمْتَنِعُ أَنْ يَتَجَلَّى لِرَسُولِهِ وَأَوْلِيَائِهِ فِي دَارِ كِرَامَتِهِ؟ وَلَكِنْ اللَّهُ أَعْلَمُ مُوسَى أَنَّ الْجَبَلَ إِذَا لَمْ يَثْبُتْ لِرُؤْيَيْتِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَالْبَشَرُ أَضْعَفُ. السَّابِعُ: أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ مُوسَى وَنَادَاهُ وَنَاجَاهُ، وَمَنْ جَازَ عَلَيْهِ التَّكَلُّمُ وَالتَّكْلِيمُ وَأَنْ يُسْمَعَ مُخَاطَبُهُ كَلَامَهُ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ، فَرُؤْيَيْتُهُ أَوْلَى بِالْجَوَازِ؛ وَلِهَذَا لَا يَتِمُّ إِنكَارُ رُؤْيَيْتِهِ إِلَّا بِإِنْكَارِ كَلَامِهِ، وَقَدْ جَمَعُوا بَيْنَهُمَا، وَأَمَّا دَعْوَاهُمْ تَأْيِيدُ النَّفْيِ بِ(لَنْ) وَأَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الرُّؤْيِيَّةِ فِي الْآخِرَةِ؛ فَفَاسِدٌ، فَإِنَّهَا لَوْ قِيدَتْ بِالتَّأْيِيدِ لَا يَدُلُّ عَلَى دَوَامِ النَّفْيِ فِي الْآخِرَةِ، فَكَيْفَ إِذَا أُطْلِقَتْ؟ **فَالْجَوَابُ**: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، مع قوله: ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّنَا﴾ [الزُّحُرُف: ٧٧]، وَلَئِنَّهَا لَوْ كَانَتْ لِلتَّأْيِيدِ الْمُطْلَقِ لَمَا جَازَ تَحْدِيدُ الْفِعْلِ بَعْدَهَا، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ، **فَالْجَوَابُ**: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ [يُوسُف: ٨٠]، فَثَبَّتَ أَنَّ لَنْ لَا تَقْتَضِي النَّفْيَ الْمُؤَبَّدَ.

قَالَ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ ابْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمَنْ رَأَى النَّفْيَ بِلَنْ مُؤَبَّدًا ❀ فَقَوْلُهُ ازْدُدْ وَسِوَاهُ فَاعْضُدَا

انتهى.

وأخرج مسلم في "صحيحه" (٢٩٣١): عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّجَلَ حَتَّى يَمُوتَ». وجاء من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٤٠٧٧).

فمن زعم أنَّ الله يُرى في الدنيا والآخرة كما هو قول الصوفية فقد كفر، ومن زعم أنَّ الله لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة كما هو قول الجهمية فقد كفر، وقول أهل السنة أنَّ الله يُرى في الآخرة ولا يُرى في الدنيا.

مسألة: رؤية الله في المنام:

النبي ﷺ رأى ربه في المنام كما في حديث أبي هريرة وابن عباس ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجاء مرسلاً عن مكحول وطرقه في "الرؤية" للإمام الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ، قال رسول الله ﷺ: «أَنَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، - قَالَ أَحْسَبُهُ فِي الْمَنَامِ - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟» قَالَ: قُلْتُ: «لَا»، قَالَ: «فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْ» أَوْ قَالَ: «فِي نَحْرِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فِي الْكَفَّارَاتِ، وَالْكَفَّارَاتُ الْمُكْتَبَةُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَالْمَشْيِ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيْوَمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، قَالَ: وَالْدَّرَجَاتُ إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند الترمذي (٣٢٣٣).

وهذه رؤية منامية، وقد تكلم شيخ الإسلام عن هذا وذكرت قوله في كتاب "أحكام النوم من الشريعة الإسلامية" على أن الله عز وجل يرى في المنام ولا مانع من ذلك ولكن رؤية العبد لربه في المنام على قدر إيمانه ولا يجوز له أن يكتيف أو يُمثل والرؤية المنامية لها تأويلها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "المجموع" (٥/٢٥١): وَمَنْ رَأَى اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فِي الْمَنَامِ فَإِنَّهُ يَرَاهُ فِي صُورَةٍ مِنَ الصُّوَرِ بِحَسَبِ حَالِ الرَّائِي إِنْ كَانَ صَالِحًا رَأَاهُ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ؛ وَلِهَذَا رَأَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ. اهـ

وقال رحمه الله (٣/٣٩٠): وَقَدْ يَرَى الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ فِي الْمَنَامِ فِي صُورٍ مُتَنَوِّعَةٍ عَلَى قَدْرِ إِيْمَانِهِ وَيَقِينِهِ؛ فَإِذَا كَانَ إِيْمَانُهُ صَاحِحًا لَمْ يَرَهُ إِلَّا فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ، وَإِذَا كَانَ فِي إِيْمَانِهِ نَقْصٌ رَأَى مَا يُشَبِّهُ إِيْمَانَهُ وَرُؤْيَا الْمَنَامِ لَهَا حُكْمٌ غَيْرُ رُؤْيَا الْحَقِيقَةِ فِي الْيَقْظَةِ وَلَهَا، تَغْيِيرٌ وَتَأْوِيلٌ لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ لِلْحَقَائِقِ. اهـ

مسألة: أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه:

هذه مسألة خلافية بين أهل السنة والجماعة والصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه في اليقظة وإنما رآه مناماً للحديث المتقدم، وأما في اليقظة فلا.

فعند مسلم (١٧٧): عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَكِنًا عِنْدَ عَائِشَةَ؛ فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ ثَلَاثُ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ: قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَكِنًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِيَنِي وَلَا تَعْجَلِيَنِي، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْئِ الْمُنِينَ﴾ [التكوير: ٢٣]، وقال: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣] فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ: رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظْمَ خُلُقِهِ مَا

بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»، فَقَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتْمَاءَةٌ جَنَاحُ. رواه البخاري (٣٢٣٢) مسلم (١٧٤).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ: لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا». رواه مسلم (١٧٨).

والنور هو الحجاب، لما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النَّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ». من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٧٩).

وما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ فِي بَعْضِهَا أَنَّهُ رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ فَالْمَطْلُوقُ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَقْيَدِ وَأَنَّهَا رُؤْيَا قَلْبِيَّةٌ لَا رُؤْيَا بَصَرِيَّةٌ.

قال شيخ الإسلام كما في "المجموع" (٦/ ٥٠٩-٥١١): وَأَمَّا (الرُّؤْيَا) فَالَّذِي ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: (رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ) وَعَائِشَةُ أَنْكَرَتْ الرُّؤْيَا. فَمِنَ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَالَ: عَائِشَةُ أَنْكَرَتْ رُؤْيَا الْعَيْنِ وَابْنُ عَبَّاسٍ أَثَبَتْ رُؤْيَا الْفُؤَادِ. وَالْأَلْفَاظُ الثَّابِتَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هِيَ مُطْلَقَةٌ أَوْ مُقَيَّدَةٌ بِالْفُؤَادِ تَارَةً يَقُولُ: رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ وَتَارَةً يَقُولُ رَأَاهُ مُحَمَّدٌ؛ وَلَمْ يَثْبُتْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَفْظُ صَرِيحٍ بِأَنَّهُ رَأَاهُ

بِعَيْنِهِ. وَكَذَلِكَ (الإمام أحمد) تَارَةً يُطْلَقُ الرُّؤْيَى؛ وَتَارَةً يَقُولُ: رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ؛ وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ إِنَّهُ سَمِعَ أَحْمَدَ يَقُولُ رَأَاهُ بِعَيْنِهِ؛ لَكِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ سَمِعُوا بَعْضَ كَلَامِهِ الْمُطْلَقِ فَفَهِمُوا مِنْهُ رُؤْيَا الْعَيْنِ؛ كَمَا سَمِعَ بَعْضُ النَّاسِ مُطْلَقَ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَفَهِمَ مِنْهُ رُؤْيَا الْعَيْنِ. وَلَيْسَ فِي الْأَدِلَّةِ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ رَأَاهُ بِعَيْنِهِ وَلَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ؛ بَلِ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ عَلَى نَفْيِهِ أَذَلُّ؛ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»^(١).

وَقَدْ قَالَ قَسَالِي: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَيْنِنَا﴾ [الإسراء: ١] وَلَوْ كَانَ قَدْ أَرَاهُ نَفْسَهُ بِعَيْنِهِ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوْلَى. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَفْتَمْرُؤُهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ [النجم: ١٢]. ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨] وَلَوْ كَانَ رَأَاهُ بِعَيْنِهِ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوْلَى. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ، وَهَذِهِ (رُؤْيَا الْآيَاتِ)؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ النَّاسَ بِمَا رَأَاهُ بِعَيْنِهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فَكَانَ ذَلِكَ فِتْنَةً لَهُمْ حَيْثُ صَدَقَهُ قَوْمٌ وَكَذَبَهُ قَوْمٌ وَلَمْ يُخْبِرْهُمْ بِأَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِهِ وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحَادِيثِ الْمِعْرَاجِ الثَّابِتَةِ ذِكْرُ ذَلِكَ وَلَوْ كَانَ قَدْ وَقَعَ ذَلِكَ لَذَكَرَهُ كَمَا ذَكَرَ مَا دُونَهُ. وَقَدْ ثَبَتَ بِالنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ أَنَّهُ لَا يَرَى اللَّهُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ إِلَّا مَا نَارَعَ فِيهِ بَعْضُهُمْ مِنْ رُؤْيَا نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَّةً وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيْنًا كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ. اهـ

(١) بهذا اللفظ فيه كلام، والمحفوظ: «رَأَيْتَ نُورًا» وهو في مسلم (١٧٨) أيضًا من حديث أبي ذر نفسه.

مذهب الأشاعرة في الرؤية:

الأشاعرة وإن وافقوا أهل السنّة في إثبات الرؤية إلّا أن طريقتهم في إثباتها طريقة كلاميّة عقلية لا طريقة سنّية نبويّة ولهذا يزعمون أنّ الله يُرى لا في جهة ومعنى ذلك أنّهم لا يُثبتون لله علوّاً، وهذا من أقبح التناقض، حتّى إنّ المعتزلة تكلموا عليهم بكلام شنيع في هذا الباب؛ لأنّ المعتزلة يُنكرون العلوّ والرؤية، فأطردوا قولهم، والأشاعرة اضطربوا، قالوا: يُرى لا في جهة، وهذا من تناقضهم، فإنّما أن يُرى في العلوّ أو في السفلى أو يمين أو يسار أو أمام أو خلف، والله **عَزَّوَجَلَّ** يُرى في العلوّ كما قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«نَعَمْ»**، قَالَ: **«هَلْ تُصَاوِرُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظُّهْرِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ وَهَلْ تُصَاوِرُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةً الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ»**. قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **«مَا تُصَاوِرُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُصَاوِرُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا»**. الحديث.

والشمس في العلوّ، فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي.



خاتمة الفصل

قال رحمه الله:

وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى كَثِيرٌ.

(هذا) اسم إشارة إلى ما تقدّم من الأدلة على إثبات الأسماء، والصفات، فهو في القرآن كثير لمن أراد أن يتتبع ذلك وقد ألف العلماء كتب مفردة، ومضمنة لهذا الباب مثل ابن خزيمة رحمه الله في "كتاب التوحيد"، والبيهقي رحمه الله في "الأسماء والصفات"، والبخاري رحمه الله في كتابه الصحيح "كتاب التوحيد" وكتاب "خلق أفعال العباد" ومسلم رحمه الله أشار إلى بعض ذلك في "كتاب الإيمان"، وبقية السنن على هذا المنوال، وفي "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" للالكائي رحمه الله وفي "الشرعية" للأجري رحمه الله، و"الإبانة" لابن بطّة رحمه الله و"الحجّة" للأصفهاني رحمه الله، وكتاب "النعوت" للنسائي شيء كثير من ذلك لمن أراد أن يتتبع؛ لأنّ أسماء الله عزّ وجلّ ليست محصورة بعدد معلوم لنا، وصفاته أكثر من أسمائه؛ لأنّ كلّ اسم يتضمّن صفة، وكلّ فعل يُشتقّ منه صفة، والله عزّ وجلّ فعّال لما يُريد. لكن أشار شيخ الإسلام رحمه الله إلى مهمّات في هذا الباب، وطالب العلم النبيه والسني الحريص الذي يريد لنفسه السلامة والخير يجعل هذا أصلاً ويمشي في غيره على منواله، فكما أنّه أثبت لله صفة الوجه، والسمع، والبصر، والعلم، واليدين، فكذاك يثبت لله عزّ وجلّ بقیة الصفات سواء الصفات الخبرية أو الصفات المعنوية أو الفعلية، وكما يُنزه الله عن النقائص في الصفات السلبية ويثبت له تعالى كمال الضدّ منها، فكذاك يكون القول في بقیة الصفات، وهنا قاعدة: أن أيّ معنى يضاف إلى الله عزّ وجلّ وهو معنى يقوم بغيره فإضافته إلى الله إضافة صفة إلى موصوف.

لو قال: الله يسمع؟ قلنا نعم، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، الله يغضب؟ قلنا نعم، لقوله تعالى: ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المجادلة: ١٤]، الله ينزل؟ قلنا نعم، لقول النبي ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (١١٤٥)، مسلم (٧٥٨)، الله يعجب؟ نعم، قال الله تعالى: ﴿بَلْ يَعْجَبُ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصفاء: ١٢]، بضم (عجبت) وقال النبي ﷺ: «قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِصُنْفِكُمَا اللَّيْلَةَ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٠٥٤).

فَسِرْ عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ وَمَنْ كَانَ نَبِيهِ يَخْتَصِرُ عَلَى نَفْسِهِ الطَّرِيقَ، عَرَفَ طَرِيقَ وَأَصُولَ أَهْلِ السَّنَةِ سَارَ عَلَيْهَا، حَتَّى وَلَوْ وَجَدَ جَهْمِيًّا أَوْ مَعْتَزِلِيًّا يَأْتِيهِ بِبَعْضِ التَّأْوِيلَاتِ وَبِبَعْضِ الشُّبْهِ وَاللَّهُ أَنَا مَا أَعْرَفَ قَوْلَكَ وَقَوْلِكَ الَّذِي تَقُولُهُ مُتَشَابِهٌ وَقَدْ حَذَرْنَا اللَّهَ مِنْ اتِّبَاعِ الْمُتَشَابِهِ وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاخْذَرُوهُمْ»، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند البخاري (٤٥٤٧)، مسلم (٢٦٦٥).

لكن أنا أفهم أن الله في السماء وأن الله متّصف بهذه الصفات وهذه الشبه التي تأتي بها أنا ما عندي علم فيها لكن إذا جئت عند العلماء ستجد ردًا لها، هذا أضعف الإيمان إذا وردت عليك الشبه، إذا لم يكن عندك علم في ردّها وفي رفعها ابق على عقيدة السلف وعلى منهجه.

قال رحمه الله:

مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ.

يتبين الحق بهذين الشرطين:

الأول: التدبر والتفكير والتعقل لكلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم،
قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] **وقال تعالى:** ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].
الثاني: طلب الهدى فإن كثيرا من الناس يقرأ القرآن والسنة وهو ليس مريدا للهداية ولا ملتصقا بطرقها فيظلل وينحرف، فما أثبتته الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم أثبته من غير تحرج ما أنت أعلم بالله منه ولا أنت أزهدهم من الرسول عليه الصلاة والسلام، الله أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا، أخبرنا أن له أسماء وصفات.

قال رحمه الله:

(فصل) في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالسنة تفسر القرآن، وتبينه، وتدل عليه، وتعبّر عنه، وما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم به ربه عز وجل من الأحاديث الصّاح.

عطف على قوله: (وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة

الإخلاص.. إلخ)

أي: ودخل في ذلك ما أثبتته رسوله صلى الله عليه وسلم لأن الرسول عليه الصلاة والسلام أعلم بالله من غيره من البشر، ولأنه الصادق المصدوق، صادق في نفسه مصدوق من ربه ولأنه يتكلم بلسان عربي مبين وليس بالكن قال صلى الله عليه وسلم: ﴿بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ

الكَلِمُ، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٢٩٧٧)، مسلم (٥٢٣)، ولأنّه ناصح في قوله وفعله، وإذا وُجدت هذه الصفات في، المُخْبِر فلا يردّ الخبر إلّا من سفه نفسه، ثم إن من مقتضى شهادة أنّ محمّدا رسول الله تصديقه فيما أخبر، وداخل في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]، والإيمان بالله يتضمّن الإيمان بأسمائه وصفاته وبما أخبر في كتابه والإيمان بالنبّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتضمّن الإيمان به وبما أخبر والإيمان بالقرآن يتضمّن الإيمان به وبما تضمّن من آيات صفات وأحكام فلا يكون حالنا كحال الكافرين الذين يُفرّقون بين هذه الأشياء، قال الله تعالى في وصفنا المؤمنين: ﴿لَا يَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، ومن تدبر سنّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طالبا للهدى تبين له الحقّ، فالسنّة تُفسّر القرآن وتبيّنه كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال يحيى بن أبي كثير: (السنّة قاضية على القرآن، وليس القرآن بقاضي على السنّة) أخرجه الدارمي (٦٠٧).

ومراده رَحِمَهُ اللَّهُ: أنها مفسرة للقرآن، ومبيّنة له، فالله عَزَّوَجَلَّ أخبرنا في كتابه بوجوب الصلاة وبفرضيّتها، فينتها السنّة، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي»، من حديث مالك بن حويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٠٨)، وأمر بالزكاة، وحُدّدت الأنصبة بالسنّة، وأمر بالحجّ، ووضّح الحجّ وبيّنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»، أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالشاهد: أنّ السنّة مفسرة للقرآن وقد قال بعض السلف: (القرآن أحوج إلى السنّة من السنّة إلى القرآن)، لأنّ الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتأوّل القرآن أي يعمل به ففي حديث جابر عند مسلم (١٢١٨) قال: ورَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن

وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملنا به. وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يعرفون المراد من كلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا ردُّ على القرآنيين الذين يزعمون أنَّ القرآن يكفي، ومن زعم ذلك، ولا يرى حجية السنة كفرًا أكبر مخرج من الملة لأنَّ القرآن أمر بالأخذ بالسنة قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] في آيات كثيرات من القرآن، والنبِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَذْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ»، رواه أبوداود (٤٦٥)، الترمذي (٢٦٦٣)، ابن ماجه (١٣) من حديث أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن عجيب أمرهم: أنَّهم يستدلُّون بحديث موضوع (إذا جاءكم حديث من حديثي فاعرضوه على القرآن فإن وافق القرآن فخذوا به وإلا فردّوه) فقال الشوكاني وقبله ويحيى بن معين وغيره: (عرضنا هذا الحديث على القرآن فردّه)، يرُدّه قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقيّد الأحاديث بالصحاح ولم يقيده في القرآن لأنَّ القرآن ما دخله التغيير والتبديل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والوحي الصحيح من السنة حفظه الله وإتّما وقع التبديل والتغيير في ما ليس من شرعنا فأدخلت موضوعاتٌ وضعافٌ ومراسيلٌ وغير ذلك فقيّد بالسنة الصحيحة فالحديث الصحيح يفيد العلم وفي هذا بيان أنَّ خبر الآحاد بنقل العدل الضابط عن مثله إلى

منتهاه ولم يكن شاذًا ولا معللاً سواء كان آحادًا أو متواترًا، والسنة هي الدليل الثاني عند المسلمين، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]. وَقَالَ: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وَقَالَ أَمْرًا لِنِسَاءِ نَبِيِّهِ: ﴿وَأَذْكُرْتَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]. والحكمة هي السنة.

قال رحمه الله:

الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الْإِيْمَانُ بِهَا كَذَلِكَ.

ويدخل في المتلقى من أخبار الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** الصحيح لذاته، ولغيره، والحسن لذاته ولغيره.

وأشترط أهل المعرفة لأنهم هم أهل الحديث الذين يُمَيِّزون صحيح الحديث من سقيمه وضعيفه من سليمه.

قال الهراس: وَأَهْلُ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ بِإِزَاءِ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ فَرِيقَانِ:

١- فَرِيقٌ لَا يَتَوَرَّعُ عَنْ رَدِّهَا وَإِنْكَارِهَا إِذَا وَرَدَتْ بِمَا يُخَالِفُ مَذْهَبَهُ؛ بِدَعْوَى أَنَّهَا أَحَادِيثُ آحَادٍ لَا تُفِيدُ إِلَّا الظَّنَّ، وَالْوَاجِبُ فِي بَابِ الْإِعْتِقَادِ الْيَقِينُ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْفَلَّاسِفَةُ.

٢- وَفَرِيقٌ يُثْبِتُهَا وَيَعْتَقِدُ بِصَحَّةِ النُّقْلِ، وَلَكِنَّهُ يَشْتَغِلُ بِتَأْوِيلِهَا؛ كَمَا يَشْتَغِلُ بِتَأْوِيلِ آيَاتِ الْكِتَابِ، حَتَّى يُخْرِجَهَا عَنْ مَعَانِيهَا الظَّاهِرَةِ إِلَى مَا يُرِيدُهُ مِنْ مَعَانٍ بِالإِلْحَادِ وَالتَّحْرِيفِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ مُتَأَخِّرُو الْأَشْعَرِيَّةِ، وَأَكْثَرُهُمْ تَوَسَّعًا فِي هَذَا الْبَابِ الْغَزَالِيُّ، وَالرَّازِيُّ.



إثبات صفة النزول إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل

قال رحمه الله:

مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ومن قول أهل السنة: أن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير من الليل، يؤمنون بذلك من غير تكليف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»، أخرجه البخاري رقم (١١٥٤) (٦٣٢١) (٧٤٩٤)، ومسلم رقم (٧٥٨).

وأخرج الحديث مسلم برقم (٧٥٨-١٧٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وأبي هريرة بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ يُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ».

وفي لفظ له من حديث أبي هريرة: «يَنْزِلُ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيْلِ، أَوْ لِثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَوْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ، وَلَا ظَلُومٍ».

وفي رواية له أيضاً: «إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثُهُ، يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ».



وفي لفظ له: «يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيَءَ الْفَجْرُ».

وأخرج الإمام أحمد (١/٣٦٧٣) من طريق أبي الأحوص عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي، يَهْبِطُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَسْطُرُ يَدَهُ، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلُهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»، قال الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند": هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح.

وأخرج الإمام أحمد (٤/١٦) من طريق هلال ابن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ - أَوْ قَالَ: ثُلُثَا اللَّيْلِ - يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي، مَنْ ذَا يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنْ الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ»، قال الوادعي: هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح.

وأخرج الإمام أحمد في "مسنده" (٤/٨١) وابن أبي عاصم رقم (٥١٩) وغيرهما، من طريق حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن نافع بن جبير عن أبيه أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟»، إسناده صحيح، وأخرجه ابن خزيمة رقم (١٨٥) من هذه الطريق.

وقد جاء عن غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم حتى قال ابن القيم: هذا الحديث روي عن ثلاثة وعشرين صحابياً، وإنما سقنا بعض هذه الطرق للاستفادة.



وقد جاءت في بعض الطرق زيادات مثل: «حتى ترحل الشمس»، وهي شاذة، نصّ على ذلك الحافظ في "الفتح" (٤١/٣).

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "زاد المعاد" (٦٧٧/٣): اعلم رحمك الله بأن حديث النزول حديث كبير جليل تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة. اهـ

وقال: كما في "مختصر الصواعق": وهو قرة لعيون أهل الإيمان وشجى في حلوق أهل التعطيل والبهتان. اهـ

واعلم هداك الله: أن الأخذ بظاهر هذا الحديث درج عليه السلف ومن تبعهم بإحسان، قال الشافعي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في وصيته (٥٤): القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم فأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهم، الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله... وأن الله على عرشه في سماه يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء. اهـ

وقال أبو العباس السراج: من لم يقر ويؤمن بأن الله تعالى يعجب ويضحك وينزل كل ليلة إلى السماء فيقول: «مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ»، فهو زنديق كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ولا يُصلّى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين؛ "العلو" (ص ٥٣٤).

قال الذهبي في "السير" (٣٩٦/١٤) بعد سوق الأثر: إنما يكفر بعد علمه بأن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال ذلك ثم إن جحد ذلك ولم يؤمن به. اهـ

وقد قال أبو بكر بن أبي داود **رَحْمَةُ اللَّهِ** في حائيته:

وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ * بِلَا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ
إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يُمْنُ بِفَضْلِهِ * فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يُلْقَى غَافِرًا * وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيَمْنَحُ



رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ ❁ أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا
ومراده **رَحْمَةُ اللَّهِ** بقول: (بلا كيف)، أي بلا كيف معلوم لنا، وإلا فإن لنزوله سبحانه
كيفية يعلمها هو.

قال شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "التدمرية" (ص ٢٠): إذا قال: كيف ينزل ربنا إلى
السماء الدنيا؟ قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: لا أعلم كيفيته قيل له: ونحن لا نعلم كيفية
نزوله إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له؛
فكيف تطالبي العلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله وأنت لا تعلم
كيفية ذاته. وإذا كنت تقر بأن له حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا
يماثلها شيء فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستوائه ثابت في نفس الأمر وهو
متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم
ونزولهم واستوائهم. اه
ولذلك يقول في "لاميته":

وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقَّ رَبِّهِمْ ❁ وَإِلَى السَّمَاءِ بَغِيرَ كَيْفٍ يَنْزِلُ
قال الصابوني **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "عقيدة السلف أصحاب الحديث" (٢٦-٢٧): ويثبت
أهل الحديث نزول الرب **عَزَّ وَجَلَّ** في كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول
المخلوقين ولا تمثيل ولا تكيف، بل يثبتون له ما أثبتته رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ويمرون
الخبر الصحيح الوارد على ظاهره ويكون علمه إلى الله تعالى. اه
وقال أبو الخطاب الكلواذاني **رَحْمَةُ اللَّهِ** كما في كتاب "الكلمات الحسان في علو
الرحمن":

قَالُوا النَّزُولُ فَقُلْتُ نَاقِلُهُ لَنَا ❁ قَوْمٌ تَمَسُّكُهُمْ بِشَرِّعِ مُحَمَّدٍ
قَالُوا فَكَيْفَ نَزُولُهُ فَأَجَبْتُهُمْ ❁ لَمْ يُنْقَلِ التَّكْيِيفُ لِي فِي مُسْنَدِ

وما أحسن ما قال أبو عمرو والداني **رَحْمَةُ اللَّهِ** في أرجوزته المنبهة:

فَمِنْ صَحِيحٍ مَا أَتَى بِهِ الْأَنْزُرُ * وَشَاعَ فِي النَّاسِ قَدِيمًا وَانْتَشَرَ
نُزُولُ رَبِّنَا بِلَا امْتِرَاءٍ * فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ
مِنْ غَيْرِ مَا حَدٌّ وَلَا تَكْيِيفٍ * سُبْحَانَهُ مِنْ قَادِرٍ لَطِيفٍ

ونصوص العلماء كثيرة في إثبات صفة النزول إلى السماء الدنيا لله **عَزَّوَجَلَّ** وأدلة النزول استدلت بها العلماء على علو الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ لأن النزول إنما يكون من العلو.

ولا يجوز السؤال عن كيفية الصفة كما نقل ذلك الذهبي في "العلو" وصححة الألباني **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "المختصر" (ص ٢٣١) قال أبو الطيب: حضرت عند أبي جعفر الترمذي **رَحْمَةُ اللَّهِ** فسأله سائل عن حديث النزول، فالنزل كيف هو يبقى فوقه علو؟ فقال: النزول معقول والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

قال الذهبي عقبه: صدق فقيه بغداد وعالمها في زمانه إذ السؤال عن النزول ما هو عي لأنه إنما يكون السؤال عن كلمة غريبة في اللغة وإلا فالنزل والكلام والسمع والبصر والعلم والاستواء عبارات جلية واضحة للسامع فإذا اتصف بها من ليس كمثله شيء فالصفة تابعة للموصوف وكيفية ذلك مجهولة عند البشر وكان هذا الترمذي من بحور العلم ومن العباد الورعين مات سنة خمس وتسعين ومائتين.

انتهى

وقد ذهب المبتدعة من المعتزلة والأشاعرة على طريقتهم الشنعاء في تحريف كلام الله وكلام رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقالوا: إنما هو نزول ملك من الملائكة أو نزول أمر الله ورحمته، والرد عليهم من وجوه يعرف بعضها من لديه مزعة عقل وسلامة معتقد.



الوجه الأول: كيف يعقل أن يقول الملك: «مَنْ يَدْعُونِي»، «مَنْ يَسْأَلُنِي»، «مَنْ يَسْتَعْفِرُنِي»، وهذه عبادات لا تصرف إلا الله **عَزَّوَجَلَّ** وصرفها لغير الله **عَزَّوَجَلَّ** شرك أكبر مخرج من الملة، والملائكة قد قال الله عنهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، والملك إذا تكلم عن الله لا يتكلم بصيغة المخاطب بل يقول: إن الله أمر بكذا كما في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فَلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغَضُ فَلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ» أخرجه مسلم (٢٦٣٧).

الوجه الثاني: في بعض ألفاظ الحديث التي تقدم ذكره يقول الله تعالى إذا نزل: «أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَاسْتَجِبْ لَهُ»، وفي رواية تقدمت أيضًا: «لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي».

قال الحافظ المقدسي في كتابه "الاقتصاد في الاعتقاد" (١٠٦): وهذان الحديثان يقطعان تأويل كل متأول ويدحضان حجة كل مبطل. اهـ

الوجه الثالث: لو علم رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن النازل ملك من الملائكة لصرح بذلك.

الوجه الرابع: من المعلوم أن الذي يغفر الذنوب ويستجيب الدعوات ويعطي السائلين هو الله تعالى لا غيره، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَلِيَّ لَعْفَارٍ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾



[الملك: ٣٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

الوجه الخامس: أنه قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الحديث: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، وفي رواية: «يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ»، فكيف يسوغ لهم صرف الكلام عن ظاهره الحق إلى مجازه الباطل بدون قرينة.

الوجه السادس: أن الملائكة لا تزال تنزل بالليل والنهار إلى الأرض، كما **قَالَ تَعَالَى:** ﴿يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل: ٢]، وقوله: ﴿وَمَا نُنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةُ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ» الحديث.

وأما من تأول النزول بمعنى نزول أمره أو رحمته فالرد كذلك من وجوه:

الأول: ما قاله ابن عبد البر في "الاستذكار" (٨/ ١٤٨): وقد قال قوم إنه ينزل أمره وتنزل رحمته ونعمته، وهذا ليس بشيء لأن أمره بما شاء من رحمته ونعمته ينزل بالليل والنهار بلا توقيت ثلث الليل ولا غيره.

وقال ابن خزيمة كما في "تذكرة الحفاظ" (٢/ ٧٢٨): وأنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا ومن زعم أن علمه ينزل أو أمره ضل.

الثاني: قال شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (٥/ ٣٧٢-٨٧٣): إن من تأول ذلك بنزول رحمته أو غير ذلك قيل له: الرحمة التي تثبتها إما أن تكون عيناً قائمة بنفسها وإما أن تكون صفة قائمة في غيرها، فإن كانت عيناً وقد نزلت إلى السماء الدنيا لم يمكن أن تقول: من يدعوني فأستجيب له كما لا يمكن للملك أن يقول ذلك، وإن



كانت صفة من الصفات فهي لا تقوم بنفسها بل لابد لها من محل ثم لا يمكن للصفة أن تقول هذا الكلام ولا محلها، ثم إذا نزلت الرحمة إلى السماء الدنيا ولم تنزل إلينا فأى منفعة لنا في ذلك. اهـ

الثالث: معلوم أنه لا يجيب الدعاء ويغفر الذنوب ويعطي كل سائل إلا الله، وأمره ورحمته لا تفعل شيئاً من ذلك؛ "الكلمات الحسان" (٢٧٠).

الرابع: إجماع السلف رضوان الله عليهم على إثبات نزول الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل بل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الخامس: ما ذكره الدارمي في "الرد على الجهمية" (ص ٨٢) ومعنى عبارته رَحْمَةُ اللَّهِ أننا أتينا بنصوص عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعين صحيحة صريحة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، وقد علمتم أننا لم نخترع هذه الروايات فأتوا ببعضها أنه لا ينزل منصوفاً كما روينا عنهم النزول منصوفاً. اهـ

وذهب بعضهم إلى أن النزول مجاز وأن المراد بالنزول الإحسان والرحمة وأيد باطله، بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦]، قال: معلوم أن الأنعام ثمانية أزواج لم تنزل من السماء إلى الأرض، وهذا الكلام مردود على قائله.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "المجموع" (١٢/ ٢٥٧): ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول المعروف - أي الهبوط والدنو من علو-، وهذا هو اللائق بالقرآن فإنه نزل بلغة العرب ولا تعرف العرب نزولاً إلا بهذا المعنى، ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطاباً بغير لغتها. اهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢/٢٤٧-٢٤٩): النزول في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ثلاثة أنواع نزول مقيد بأنه منه، ونزول مقيد بأنه من السماء، ونزول غير مقيد لا بهذا ولا بهذا - أي مطلق - .
فالأول: لم يرد إلا في القرآن **قَالَ نَسُوا: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]**.

وقال: **﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]**، وقوله: **﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]**.

ولهذا قال السلف: القرآن كلام الله ليس بمخلوق منه بدأ وإليه يعود.
وأما النزول المقيد بالسماء فقوله: **﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]**، والسماء اسم جنس لكل ما على، فإذا قيده بشيء معين تقيد به كقوله في غير موضع من السماء مطلق أي في العلو، ثم قد قيده في موضع آخر بقوله: **﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٩]**.

وقوله: **﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَآ بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [النور: ٤٣]**.
ومما يشبه نزول القرآن قوله: **﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]**، فنزول الملائكة هو نزولهم بالوحي من عنده.

وأما المطلق فمنها ما ذكر في إنزال السكينة: **﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]**، ومن ذلك إنزال الميزان وجمهور العلماء على أنه المراد به العدل.



إلى أن بين **رَحْمَةُ اللَّهِ** أن المراد بإنزال الحديد هو إنزاله من رءوس الجبال، والمراد بإنزال الأنعام نزولها من بطون أمهاتها وأصلاب آبائها؛ اهـ مختصراً.

وذكر ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** أيضاً كما في "مختصر الصواعق" (٢/٢٢٤): من الأوجه التي تدل على أن النزول هنا حقيقي وبعيد عن قرينة المجاز التعبير عنه بعبارات متنوعة كالهبوط والدنو والمجيء والإتيان والطواف في الأرض قبل يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. ففرق بين إتيان الملائكة وإتيان نفسه.

شبهات أهل التحريف في أهل النزول:

قالوا: الليل ينتقل من مكان إلى آخر، فثلث الليل مثلاً في الشرق ينتقل حتى يكون في الغرب فعلى هذا يكون الله دائماً في نزول؟

قال شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ** (٥/٢٤٣-٢٤٤): والليل يختلف فيكون ثلثه في المشرق قبل أن يكون ثلثه بالمغرب، ونزوله الذي أخبر به رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلى سماء هؤلاء في ثلث ليلهم وإلى سماء هؤلاء في ثلث ليلهم، لا يشغله شأن عن شأن وكذلك قربه من الداعي المتقرب إليه، والساجد لكل واحد يحسبه أين كان وحيث كان والرجلان يسجدان في موضع واحد، ولكل واحد منهما قرب يخصه لا يشركه فيه الآخر.

والنصوص الواردة في الهدى والشفاء والذي بلغها بلاغاً مبيناً هو أعلم الخلق بربه وأنصحهم لخلقه وأحسنهم بياناً وأعظم بلاغاً...

وكل من من الله عليه ببصيرة في قلبه تكون معه معرفة بهذا، قال الله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ



الْحَمِيدُ ﴿سَبَأ: ٦﴾، وقال في ضدّهم: ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُورًا وَبُكْرًا فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]. اهـ

وقال ابن رجب في "فضل علم السلف على الخلف" كما نقله صاحب "الكلمات الحسان" رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٨٦): ومعلوم بالضرورة من دين الإسلام قبح هذا الاعتراض وأن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفاءه لو سمعوا من يعترض به لما ناظروه بل بادروا إلى عقوبته وإحقاقه بزمرة المخالفين المنافقين المكذبين. اهـ

ويجب علينا أيضًا الإيمان بما جاء من نصوص صفات الله الفعلية والذاتية من المعاني والحقائق والكف عن محاولة التكييف والتمثيل أو التعطيل، فالله ليس كمثل شيء وهو السميع البصير.

فالذي تعبّدنا الله تعالى به أن نؤمن أنه ينزل ولم يتعبّدنا بكيف ينزل ولا غيرها من تراها المبتدعة بل: ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

هل نقول: نزل بذاته أم لا؟

نحن نؤمن أن الله عَزَّجَلَّ ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل حقيقة، لكن هل نقول ينزل بذاته؟

جاء حديث مرفوع من طريق نعيم بن حماد عن جرير عن ليث عن بشر عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْزِلَ عَنْ عَرْشِهِ نَزَلَ بِذَاتِهِ».

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٩٤/٥) من "مجموع الفتاوى": ضعف هذا اللفظ أبو القاسم إسماعيل التميمي وغيره من الحفاظ مرفوعًا، ورواه ابن الجوزي في "الموضوعات". اهـ

وقال ابن القيم كما في "المختصر" (٢/٢٢٣): وهذا اللفظ لا يصح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



قال ابن القيم كما في "المختصر" (٢/٢٢٣): إن الخبر وقع عن نفس ذات الله لا عن غيره، فإنه قال: «إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ»، فهذا خبر عن معنى لا عن لفظ.

وقوله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، هو خبر عن ذات الرب تعالى فلا يحتاج المخبر أن يقول الله خالق كل شيء بذاته...

وكذلك جميع ما أخبر الله به عن نفسه إنما هو خبر عن ذاته لا يجوز أن يخص من ذلك خبراً واحداً البتة، فالسامع قد أحاط علماً بأن الخبر إنما هو عن ذات المخبر عنه...

فلا حاجة بنا أن نقول استوى على عرشه بذاته وينزل إلى السماء بذاته كما إننا لا نحتاج أن نقول خلق بذاته وقدر بذاته وسمع وتكلم بذاته، وإنما قال أئمة السنة ذلك إبطالاً لقول المعطلة. اهـ

وممن قال إنه ينزل بذاته عز وجل الإمام أبو حامد والإمام عبد الجليل كوتاه كما ذكر ذلك ابن رجب في "فتح الباري" (٩/٢٧٨).

وقد علق الذهبي على قول كوتاه السابق ومسألة النزول، فالإيمان به واجب وترك الخوض في لوازمه أولى وهو سبيل السلف فما قال هذا نزوله بذاته إلا إرغاماً لمن تأوله، وقال نزوله إلى السماء الدنيا بالعلم فقط نعوذ بالله من مرأى في الدين، وكذا قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، ونحوه فنقول جاء وتنزل، وننتهي عن القول ينزل بذاته كما لا نقول ينزل بعلمه بل نسكت ولا نتصافح على الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعبارة مبتدعة، والله أعلم. اهـ "السير" (٢/٣٣١).

مسألة هل يخلو منه العرش أم لا؟

قال شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى" (٥/٣٧٥): ... ثم بعد هذا هل يخلو منه العرش أو لا يخلو؟ هذه مسألة أخرى تكلم فيها أهل الإثبات:



١- فمنهم من قال: لا يخلو منه العرش، ونقل ذلك عن أحمد في رسالته إلى مسدد وعن إسحاق بن راهويه وحماد بن زيد وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم قال: ومنهم من أنكر ذلك وطعن في هذه الرسالة وقال راويها عن أحمد مجهول لا يعرف. ثم نقل **رَحْمَةُ اللَّهِ** أثر حماد بن زيد الذي ذكره الخلال في كتابه السنة وأنه سئل عن حديث النزول وقيل له: يتحول من مكان إلى مكان، فسكت حماد ثم قال: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء.

وأما أثر إسحاق فقد أخرجه ابن بطة أنه قال له ابن طاهر: تروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا؟ قال: نعم رواها الثقات الذين يروون الأحكام فقال ابن طاهر: ينزل ويدع عرشه فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش، قال: نعم، قلت: ولم تتكلم في هذا.

٢- ومنهم من ينكر أن يقال يخلو ولا يخلو: كما يقول ذلك الحافظ عبدالغني المقدسي وغيره.

٣- ومنهم من يقول يخلو منه العرش: وقد صنف ابن منده مصنفًا في الإنكار على من يقول: لا يخلو منه العرش. اهـ

وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ** (٥/ ٤١٤) بعد أن ذكر الأقوال: وكثير من أهل الحديث يتوقف عن أن يقول: يخلو أولاً يخلو وجمهورهم على أنه لا يخلو منه العرش. اهـ والتوقف أسلم نقول: ينزل ربنا نزولاً حقيقياً يليق بجلاله ولا نخوض في لوازم ذلك.



الحركة والانتقال:

ويلحق بهذه المسألة هل نزول الله **عَزَّجَلَّ** إلى السماء الدنيا يكون بحركة وانتقال أم لا؟

أولاً: يجب أن يعلم أن على المسلم أن يؤمن بما جاء عن الله **عَزَّجَلَّ** وبما جاء عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على مرادهما: **﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾** [البقرة: ٢٨٥]، **﴿أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾** [آل عمران: ٧]، **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾** [الحشر: ٧]، إلى غيرها من الآيات.

فإن قول الله هو الحق المبين، ولأن الله هو أعلم بنفسه وبغيره سبحانه ولأن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أعلم الخلق بالله تعالى وأنصحهم أيضاً فما قاله قلناه وما سكت عنه يسعنا ما وسعه، والأولى في هذه المسألة هو التوقف على الدليل.

قال الذهبي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "المهذب في اختصار السنن الكبرى" (٢/٤٧٠): الصواب في حديث النزول ونحوه ما قاله مالك وأقرانه، يمر كما جاء بلا كيف، ولازم الحق حق ونفي الانتقال وإثباته عبارة محدثة، فإن ثبت في الأثر رويناها ونطقنا بها وإن نفيت في الأثر نطقنا بالنفي وإلا لزمنا السكوت وآمنا بما ثبت في الكتاب والسنة على مقتضاه.

وقال شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ** كما في "مجموع الفتاوى" (٦/٤٢٦): والأحسن في هذا الباب مراعاة ألفاظ النصوص فالألفاظ التي جاء بها الكتاب والسنة في الإثبات تثبت والتي جاءت بالنفي تنفي والألفاظ المجملة كلفظ (الحركة) و(الانتقال)... يجب أن يقال إنه منزّه عن مماثلة المخلوقين من كل وجه. اهـ

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** كما في "مختصر الصواعق" (٢/٢٥٧): وأما الذين أمسكوا عن الأمرين وقالوا: لا نقول يتحرك وينتقل ولا ننفي ذلك عنه، فهم أسعد بالصواب والاتباع فإنهم نطقوا بما نطق به النص وسكتوا عما سكت، وتظهر صحة هذه الطريقة

ظهورًا تامًا فيما إذا كانت الألفاظ التي سكت النص عنها مجملة محتملة لمعنيين صحيح وفاسد، كلفظ الحركة والجسم والانتقال والحيز والجهة. اهـ

وممن ذهب إلى إثبات الحركة لله تعالى عثمان بن سعيد الدارمي في رده على المريسي (ص ١٦٤)، ونقله شيخ الإسلام أيضًا في "تعارض العقل والنقل" عن حرب بن إسماعيل بن خلف الكرمانى صاحب الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ** قال: وغيرهما، قال: وذكر حرب أنه قول من لقيه من أئمة السنة كأحمد وإسحاق وعبدالله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور، وقال عثمان بن سعيد وغيره: الحركة من لوازم الحياة فكل حي متحرك، وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية.

قال: وطائفة أخرى من السلف كنعيم بن حماد والبخاري وأبي بكر بن خزيمة وغيرهم كأبي عمر بن عبد البر وأمثاله يثبتون المعنى الذي يثبتونه هؤلاء ويسمون ذلك فعلاً ونحوه لكن يمتنعون عن إثبات لفظ الحركة لكونه غير مأثور.

وأصحاب أحمد منهم من يوافق هؤلاء كأبي بكر عبدالعزيز وأبي عبدالله بن بطة وأمثالهما، ومنهم من يوافق الأولين كأبي عبدالله بن حماد وأمثاله. اهـ

معنى النزول عند الأشعري:

معنى النزول عند الأشاعرة ومن وافقهم ممن ينفون قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه: تقريب العرش إلى ذاته من أجل أنه يقوم به فعل، بل يجعل أفعاله اللازمة كالنزول والاستواء كأفعاله المتعدية كالخلق والإحسان وكل ذلك هو المفعول المنفصل عنه. اهـ "شرح حديث النزول لشيخ الإسلام" (ص ١٨١).

وقال البيهقي في "الأسماء والصفات": ... عن الأشعري أن المراد بالنزول هو فعل يحدثه الله في السماء الدنيا كل ليلة يسميه نزولاً بلا حركة ولا نقلة. اهـ



وسبب قولهم هذا أنهم ينفون قيام الحوادث به، وهذا القول مخالف لبداة العقول، فضلاً عن المنقول، وما عُلم من الأصول.

بينما السلف يقولون: ينزل كيف شاء ويفعل ما شاء وكما شاء.

قال الفضيل بن عياض: إذا قال لك الجهمي: أنا أكفر برب ينزل عن مكانه، فقل: أنا أو من برب يفعل ما يشاء.

وسواء عليك فهمت سفسطة القوم أم لا، فالذي يلزم الإيمان بكل ما جاء عن الله **عَزَّوَجَلَّ**، وعن رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في مسائل الصفات بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، والواجب على المسلم عدم الخوض فيما يعكر عليه معتقده السليم، ولكن لجأ أهل السنة والحديث إلى ذكر أقوال الجهمية والمعتزلة والأشاعرة من أجل تبين عوارها لا فرحاً بوجودها، فالحمد للمستعان وعليه التكلان.

* فائدة:

أدلة نزول الله **عَزَّوَجَلَّ** إلى السماء الدنيا يُثبت بها علو الله **عَزَّوَجَلَّ** على عرشه وحديث: **«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»**، من حديث أبي أمامة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند الترمذي (٣٥٧٩)، يدل على هذا المعنى على أن الله ينزل إلى السماء الدنيا. انتهى من كتابي "سلامة الخلف في طريقة السلف".



إثبات صفة الفرح لله عز وجل

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

«لَهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ» ^(١) الحديث متفق عليه. ^(٢)

من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٧٤٧).

فيه: إثبات صفة الفرح لله تعالى، وهي من الصفات الفعلية، وجاء الحديث بنحوه عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعُوذُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ حَدِيثًا عَنْ نَفْسِهِ وَحَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِيَّةٍ مَهْلَكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ ثُمَّ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ. فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»، رواه مسلم (٢٧٤٤)، عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ حَمَلَ زَادَهُ وَمَزَادَهُ عَلَى بَعِيرٍ ثُمَّ سَارَ حَتَّى كَانَ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَأَدْرَكَتُهُ الْفَائِلَةُ فَتَزَلَّ فَقَالَ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ وَأَنْسَلَ بَعِيرُهُ فَاسْتَيْقَظَ فَسَعَى شَرْفًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا ثُمَّ سَعَى شَرْفًا ثَانِيًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا ثُمَّ سَعَى شَرْفًا ثَالِثًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَأَقْبَلَ حَتَّى أَتَى مَكَانَهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ فَبَيْنَمَا هُوَ قَاعِدٌ إِذْ جَاءَهُ بَعِيرُهُ يَمْشِي حَتَّى وَضَعَ خِطَامَهُ فِي يَدِهِ فَلَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ مِنْ هَذَا حِينَ وَجَدَ بَعِيرَهُ عَلَى

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٦) عن البراء بن عازب إلا أنه قال: «الرجل» بدل «أحدكم».

(٢) متفق عليه: بمعناه عن ابن مسعود خ (٦٣٠٨)، م (٢٧٤٤)، وأنس خ (٦٣٠٩) م (٢٧٤٧)، وانفرد به

مسلم عن أبي هريرة والنعمان بن بشير والبراء (٢٧٤٣ و٢٧٤٥ و٢٧٤٦).

حَالِهِ»، رواه مسلم (٢٧٤٥)، وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ تَقُولُونَ بِفَرْحِ رَجُلٍ انْفَلَتَ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ تَجُرُّ زِمَامَهَا بِأَرْضٍ قَفْرٍ لَيْسَ بِهَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ وَعَلَيْهَا لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ فَطَلَبَهَا حَتَّى شَقَّ عَلَيْهِ ثُمَّ مَرَّتْ بِجَذَلِ شَجَرَةٍ فَتَعَلَّقَ زِمَامُهَا فَوَجَدَهَا مُتَعَلِّقَةً بِهِ»، قُلْنَا شَدِيدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا وَاللَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ»، رواه مسلم (٢٧٤٦)، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ إِذَا اسْتَيْقِظَ عَلَى بَعِيرِهِ قَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضٍ فَلَاقَهُ»، رواه مسلم (٢٧٤٧).

في الحديث فضل التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وهي مع ذلك من الواجبات، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وفي الحديث العُذر بالخطأ، وفيه دلالة على العذر بالجهل وليس كل من وقع في مكفر كافر بل لا بد من توفر الشروط وانتفاء الموانع، قال الهراس: وَإِذَا كَانَ الْفَرْحُ فِي الْمَخْلُوقِ عَلَى أَنْوَاعٍ فَقَدْ يَكُونُ فَرْحٌ خِيفَةٌ وَسُرُورٌ وَطَرَبٌ، وَقَدْ يَكُونُ فَرْحٌ أَشْرٌ وَبَطَرٌ؛ فَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَفَرْحُهُ لَا يُشَبِّهُ فَرْحَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي أَسْبَابِهِ، وَلَا فِي غَايَاتِهِ، فَسَبَبُهُ كَمَالُ رَحْمَتِهِ وَإِحْسَانُهُ الَّتِي يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَتَعَرَّضُوا لَهَا، وَغَايَتُهُ إِتْمَامُ نِعْمَتِهِ عَلَى التَّائِبِينَ الْمُنِيبِينَ.

وَأَمَّا تَفْسِيرُ الْفَرْحِ بِلَا زِمِهِ، وَهُوَ الرِّضَا، وَتَفْسِيرُ الرِّضَا بِإِرَادَةِ الثَّوَابِ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ نَفْيٌ وَتَعْطِيلٌ لِفَرْحِهِ وَرِضَاهُ سُبْحَانَهُ، أَوْجَبَهُ سُوءُ ظَنِّ هَؤُلَاءِ الْمُعْطَلَةِ بِرَبِّهِمْ، حَيْثُ تَوَهَّمُوا أَنَّ هَذِهِ الْمَعَانِي تَكُونُ فِيهِ كَمَا هِيَ فِي الْمَخْلُوقِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ تَشْبِيهِهِمْ وَتَعْطِيلِهِمْ.



إثبات صفة الضحك لله عز وجل

قال رحمه الله:

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ؛ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» متفق عليه.^(١)

من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠).

فيه إثبات صفة الضحك لله عز وجل وهي من الصفات الفعلية وهو ضحك يليق بجلاله، وفسرها المبتدعة بالإحسان أو إرادة الإحسان، وهذا التفسير باطل يخالف طريقة السلف، وقد دلّ على إثبات هذه الصفة عدة أحاديث منها:

حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٨٦)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «... فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ أَذْخَلْنِيهَا. فَيَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِفُنِي مِنْكَ أَتُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا قَالَ يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ». فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكَ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكَ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضِخْكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَتَسْتَهْزِئُ مِنْكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ».

ومن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٧٩٨)، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَضْمُ أَوْ يُضِيفُ هَذَا»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَاَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوْتُ صَبْيَانِي، فَقَالَ:

(١) صحيح: خ (٢٨٢٦) م (١٨٩٠) - واللفظ له - عن أبي هريرة.

هَيَّيْ طَعَامَكَ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ، وَتَوَمِّي صَبِيَانِكَ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأْتُ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحْتُ سِرَاجَهَا، وَتَوَمَّتُ صَبِيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأْتُهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **«ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا»** فَأَنْزَلَ اللَّهُ: **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الحشر: ٩].

وفي حديث أبي رزين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند ابن ماجه (١٨١)، قال الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غَيْرِهِ»** قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ يَضْحَكُ الرَّبُّ، قَالَ: **«نَعَمْ»**، قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ خَيْرًا، وتفسير هذا الحديث أَنَّ أحدهم يُقتل على الإسلام ثم يتوب الله على القاتل فيُقتل على الإسلام وكلاهما يدخل الجنة وفي الحديث فضل الجهاد في سبيل الله **عَزَّجَلَّ**. والضحك من الصفات الفعلية التي تتعلق بمشيئة الله **عَزَّجَلَّ**.



إثبات صفة العجب لله عز وجل

قال رحمه الله:

وَقَوْلِهِ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ [غَيْرِهِ]»، ^(١) يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَرْلَيْنَ قَنْطِينٍ،
فَيَظْلُ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرْجَكُمْ قَرِيبٌ» حديث حسن. ^(٢)

(١) في المطبوع: [خَيْرِهِ]، ولم نقف عليها في طرق الحديث.

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (١١/٤)، وابن ماجه (١٨١)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٥٤)، والآجري في الشريعة (٦٣٨)، من طريق يعلى بن عطاء عن وكيع بن حذس عن أبي رزبن العقيلي، ووكيع بن حذس لم يرو عنه غير يعلى بن عطاء، ولم يوثقه معتبر فهو مجهول. وقال عبدالله بن أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٢٥٥/١) رقم (١٧٨٩): سمعت أبي يقول: ذكرنا عند وكيع بن الجراح أحاديث يعلى بن عطاء عن وكيع بن حذس، فقلت: هذا يروي عنه خمسة أحاديث، فجعل يذكر ذلك، قال أبي: لم يسمعها؛ هذه أحاديث معروفة لم يسمعها. اه فهذا الكلام فيه إشارة إلى أن يعلى بن عطاء لم يسمع من وكيع بن حذس، فيكون السند مع ضعفه منقطعاً، والحديث قد ضعفه شيخنا الإمام الوادعي في تحقيقه لـ "تفسير ابن كثير"، عند الكلام على قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، وهو في "الصحيحة" (٢٨١٠) للعلامة الألباني.

والحديث له طرق شديدة الضعف لا تصلح للاستشهاد يطول المقام بذكرها.

تنبيه: لفظة [عجب] لم نقف عليها في طرق هذا الحديث، وإنما فيه [ضحك]، ويغني عنها أحاديث كثيرة ثابتة في "الصحيحين" وغيرهما منها: ما رواه الشيخان خ (٣٧٩٨) م (٢٠٥٤)، وفيه: «عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمْ بِصُفْيَكُمَا اللَّيْلَةَ»، وبما رواه البخاري (٣٠١٠): «عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ»، كلاهما عن أبي هريرة.

تنبيه آخر: قوله: «أرلين قنطين يظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب» لم نقف عليه بهذا اللفظ، بل قال العلامة الألباني رحمه الله: لا أصل له في شيء من كتب السنة باللفظ المذكور. اه من "الصحيحة" (٧٣٨/٦)، وإنما رواه أحمد وابن خزيمة وابن أبي عاصم، بلفظ متقارب «أرلين مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غوثكم قريب»، وفي سنده مجاهيل.

في سنده يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري، قال العقيلي في "الضعفاء الكبير" (٤/٤٤٥): (يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري في حديثه وهم كثير ولا يتابعه عليه إلا من هو نحوه حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال سمعت أبي يقول يعقوب بن محمد الزهري ليس بشيء ليس يسوي شيئاً).

ومع ذلك صفة العجب ثابتة لله **عَزَّوَجَلَّ**، قال الله تعالى: ﴿بَلْ يَحِبُّ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصفات: ١٢] في قراءة، وحديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٣٧٩٨)، قال الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**صَحِّكَ اللَّهُ اللَّيْلَةُ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا**»، وفي الحديث الآخر الذي يُحَسِّنُهُ شيخ الإسلام وغيره قال الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**عَجِبَ اللَّهُ مِنْ شَابٍّ لَيْسَ لَهُ صَبُوءٌ**»، أي ليس له ميل إلى النكاح، والعجب له معنيان: **الأول**: ما يأتي عن ذهول فهذا يُنَزَّهُ الله **عَزَّوَجَلَّ** عنه لأنه بكل شيء محيط وبكل شيء عليم.

الثاني: عجب من خروج الشيء عن نظائره فهذا الرجل الذي أطعم ضيفه طعام أبناءه خرج عن نظائره لأن الإنسان في الغالب يُحِبُّ ابنه ونفسه وزوجة أكثر من محبته للآخرين وهذا أجاع أبناءه وزوجته ونفسه وأوهم الضيف أنهما يأكلان فأكل الضيف حتى شبع والعجب من الصفات الفعلية ويُفَسِّرُهَا المعطلة بالإحسان وبإرادة الإحسان وبالثواب وكل هذه التفاسير باطلة فهذه لوازم، لازم الفرح، لازم الضحك، لازم العجب، لازم المحبة، الإحسان والثواب ولكن هذه لوازم مخلوقة وصفات الله **عَزَّوَجَلَّ** غير مخلوقة.

وفي الحديث خطر القنوط من رحمة الله **عَزَّوَجَلَّ**، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].



وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٧٥٥)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ».

وفي حديث فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٢٣٩٤٣)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَعَصَى إِمَامَهُ، وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَى فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا، قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةُ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ، فَلَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ، وَثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ: رَجُلٌ نَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَهُ، فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرِيَاءُ وَإِزَارَهُ الْعِزَّةُ، وَرَجُلٌ شَكَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ».

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند عبد الرزاق في "مصنّفه" (١٩٧٠١)، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ».



إثبات صفة الرجل والقدم لله عز وجل

قال رَحِمَهُ اللهُ :

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَرَأُلْ جَهَنَّمَ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ - وفي رواية - عَلَيْهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ» متفق عليه.^(١)

من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في البخاري (٦٦٦١) ومسلم (٢٨٤٨).

فيه: إثبات صفة العزة لله عَزَّجَلَّ ورب العزة هو صاحب العزة قال الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٨٠]، وليس معناها أنه خالق العزة فصفة العزة للمخلوق مخلوقة وصفة العزة لله غير مخلوقة؛ ولهذا أقسم بها أيوب عَلَيْهِ السَّلَام حين قال: «بَلَى وَعِزَّتِكَ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَّتِكَ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند البخاري (٢٧٩).

وأمر الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالاستعاذة بها، بقوله: «أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَازِرُ»، وفيها إثبات صفة الرجل صفة القدم لله عَزَّجَلَّ، وهي من الصفات الذاتية الخيرية.

وفي الحديث إثبات أن الله يضع قدمه في النار وفي بعض الروايات على النار، فنحن نؤمن بهذا الحديث وبدلالته، هذا الحديث على مراد الله ومراد الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكيف ولا تعطيل لأن الكلام في

(١) صحيح: خ (٦٦٦١) م (٢٨٤٨) عن أنس، ونحوه عن أبي هريرة عند خ (٤٨٤٩) م (٢٨٤٦).

تنبيه: قوله: [رجله - وفي رواية - قدمه] هما في "الصحيحين" خ (٤٨٥٠) م (٢٨٤٦) عن أبي هريرة، وجاءت لفظه: «رجله» في حديث أنس عند ابن أبي عاصم في السنة (٥٣٢) بسند صحيح.

الصفات فرع عن الكلام في الذات ومعرفة الصفة لا يكون إلا بمعرفة الذات وكل هذا منتفي عن الله عزَّجَلَّ.

وفي أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (الكرسي موضع قدمي الرحمن) رواه الحاكم في "المستدرک" (٣١٦).

ومما يدل على ذلك إثبات صفة الساق لله تعالى قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]، والذي فسرها بالشدة أخطأ؛ فإنَّ الساق مُفسَّر بالأدلة الأخرى، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُكْشَفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ»، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٤٩١٩)، ولو صحَّ عن بعض السلف أنَّه فسرها بالشدة فيكون مراده هذه الآية وإلا فإنَّ السلف يُثبتون أدلة الأسماء والصفات مع التنازع في بعض الأدلة هل هي من أدلة الأسماء والصفات أم ليست من أدلة الأسماء والصفات مع اتفاقهم على الإثبات مثل حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٢٢٧) ومسلم (٢٦١٢): قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»، هذا الحديث بعضهم يجعله من أحاديث الصفات وهو الصحيح.

وفيه: إثبات صفة الصورة لله عزَّجَلَّ وبعضهم يُنكر هذا الحديث، مع إثباته الصورة من أحاديث آخر لكن يقول هذا الحديث عندي ضعيف أو هذا الحديث ليس من أحاديث الصفات والصورة قد ثبتت في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه، البخاري (٦٥٧٣) ومسلم (١٨٢)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا أَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ»، وتقدَّم معنا قول الله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، قلنا بأنَّ بعض السلف فسَّر الوجه هنا بالجهة فهل معنى هذا أنَّ السلف لا يُثبتون الوجه لا ولكن صفة الوجه يُثبتونها من أدلة أخرى فلا

بدّ ان يُفَرِّق بين طريقة المعطّلة وبين طريقة السلف فإذا وجدت عالمًا سلفيًا ينفي دلالة نصّ بعينه على مسألة من المسائل ويثبتها من دليل آخر فهذا ليس بمؤوّل ولكن إذا رأيتَه يصرف الصفة عن ظاهرها إلى معنى غير مراد أو إلى معنى محرّف مغيرّ فهذا تحكم عليه بالتأويل، وفيه إثبات ما دلّ عليه قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق:٣٠]، والجنة بخلاف النار فالجنة يبقى فيها فضل فينشأ الله لها خلقًا يُدخلهم برحمته إياهم، ففي بعض طرق حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «**وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنُهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ**»، وهذا الحديث ممّا يردّه المبطلون من العقلانيين وغيرهم، وللرافضة كتاب اسموه "عفوًا صحيح البخاري" للطعن في صحيح البخاري، وبث الشبه على ما فيه.

وأما النار فلا؛ لأنّ الله ليس بظلام للعبيد، وحرّم الظلم على نفسه، فيزوي بعضها على بعض حتى تقول (قط، قط).

قال شيخ الإسلام في "مقدمة في التفسير": وَأَنَّ مَا وَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْبُخَارِيِّ: «**أَنَّ النَّارَ لَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا آخَرَ**» مِمَّا وَقَعَ فِيهِ الْغَلْطُ وَهَذَا كَثِيرٌ. وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ طَرَفَانِ: طَرَفٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ هُوَ بَعِيدٌ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالضَّعِيفِ فَيُشْكُ فِي صِحَّةِ أَحَادِيثٍ أَوْ فِي الْقَطْعِ بِهَا مَعَ كَوْنِهَا مَعْلُومَةً مَقْطُوعًا بِهَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهِ وَطَرَفٌ مِمَّنْ يَدَّعِي اتِّبَاعَ الْحَدِيثِ وَالْعَمَلِ بِهِ كُلَّمَا وَجَدَ لَفْظًا فِي حَدِيثٍ قَدْ رَوَاهُ ثِقَةٌ أَوْ رَأَى حَدِيثًا بِإِسْنَادٍ ظَاهِرُهُ الصَّحَّةُ يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ مِنْ جِنْسِ مَا جَزَمَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِصِحَّتِهِ حَتَّى إِذَا عَارَضَ الصَّحِيحَ الْمَعْرُوفَ أَخَذَ يَتَكَلَّفُ لَهُ التَّأْوِيلَاتِ الْبَارِدَةَ أَوْ يَجْعَلُهُ دَلِيلًا لَهُ فِي مَسَائِلِ الْعِلْمِ مَعَ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ يَعْرِفُونَ أَنَّ مِثْلَ هَذَا غَلْطٌ.

وَكَمَا أَنَّ عَلَى الْحَدِيثِ أدْلَةٌ يُعْلَمُ بِهَا أَنَّهُ صِدْقٌ وَقَدْ يُقْطَعُ بِذَلِكَ فَعَلَيْهِ أدْلَةٌ يُعْلَمُ بِهَا أَنَّهُ كَذِبٌ وَيُقْطَعُ بِذَلِكَ. انتهى

وقال ابن القيم في "حادي الأرواح": وأما اللفظ الذي وقع في "صحيح البخاري" في حديث أبي هريرة (وأنه ينشئ للنار من يشاء فيلقى فيها، فتقول: هل من مزيد) فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه، والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده، فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه؛ فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله، **قَالَ نَسَائي: ﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ [الملك: ٨-٩]** ولا يظلم الله أحداً من خلقه. انتهى



إثبات صفة اليدين لله عز وجل

قال رَحِمَهُ اللهُ :

وقوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ» متفق عليه،^(١) واللفظ للبخاري.

من حديث أبي سعيد **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عند البخاري واللفظ له (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢). فيه إثبات صفة الكلام لله **عَزَّجَلَّ**، وأنه متكلم. وفيه إثبات صفة الصوت لله **عَزَّجَلَّ**. وهذا الدليل قاصم للأشاعرة الذين يزعمون أن كلام الله نفساني، فالله **عَزَّجَلَّ** متكلم بصوت والصوت هو المسموع وفي الحديث الآخر قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فَيَنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَبَ»، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عند البخاري (٧٤٨١)، وقد تقدّم الكلام على مسألة الكلام بما يُعني.

وقوله: (يا آدم) هذا نداء والنداء يكون بصوت عالٍ وقد جاء إثبات النداء لله **عَزَّجَلَّ** في غير ما آية **قَالَ تَبٰرَكَ اَلٰلِ**: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ اَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٦﴾ [القصص: ٦٦]، وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا اٰجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٧﴾ [القصص: ٦٧]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسٰى اَنِ اَتْبِ الْفُقَرٰۤا الظَّالِمِيْنَ ﴿١٠﴾ [الشعراء: ١٠]، وقال سبحانه: ﴿وَنَدَيْنٰهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْاَيْمَنِ وَقَرَّبْنٰهُ نَحِيًّا ﴿٥٢﴾ [مريم: ٥٢]، وفي غير ما حديث مثل حديث البراء بن عازب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عند أبي داود (٤٧٥٣)، قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيما يرويه عن ربه: قال: «فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ»، وسيأتي بطوله في عذاب القبر، وفي الحديث إثبات صفة اليدين لله **عَزَّجَلَّ**، وفيه شدة أهوال يوم القيامة، نسأل الله السلامة.

(١) صحيح: خ (٧٤٨٣) - واللفظ له - م (٢٢٢) عن أبي سعيد.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

وقوله: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكْلُمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ [حَاجِبٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ] متفق عليه.^(١)»

من حديث عدي بن حاتم عند البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦).
ولفظه تاماً: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكْلُمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنْ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشَاءَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» زاد في رواية: «فمن لم يجد فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».

وفي الحديث: إثبات صفة الكلام لله **عَزَّجَلَّ** وإثبات رؤية الله **عَزَّجَلَّ** فاللُّقْي لا يكون إلا بالرؤية، وفيه دلالة لمن يقول بأن الرؤية عامة لجميع أهل الموقف وهذا الحديث من الأحاديث القاضية على شبه المعطلة والمؤولة.



(١) صحيح: خ (٧٤٤٣) واللفظ له، م (١٠١٦) عن عدي بن حاتم.

تنبيه: ما بين المعقوفتين أخرجه البيهقي في "الكبرى" (٧٧٤٤)، والذي في البخاري (١٤١٣): «حجاب».



إثبات صفة العلو لله عز وجل

قال رَحِمَهُ اللهُ :

وقوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في رُفِيَةِ المَرِيضِ: «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَمَا رَحِمْتِكَ فِي السَّمَاءِ، اجْعَلْ رَحِمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحِمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ، عَلَى هَذَا الْوَجَعِ فَيَرَأَى» حديث حسن رواه أبو داود وغيره.^(١)

أخرجه برقم (٣٨٩٢) فقال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ مَوْهَبِ الرَّمْلِيِّ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ زِيَادَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: «مَنْ اشْتَكَى مِنْكُمْ شَيْئًا، أَوْ اشْتَكَاهُ أَخٌ لَهُ فَلْيَقُلْ: (رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَمَا رَحِمْتِكَ فِي السَّمَاءِ فَاجْعَلْ رَحِمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحِمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ) فَيَرَأَى».

والحديث فيه زياد بن محمد متروك، وساق شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللهُ** الحديث لإثبات صفة العلو لله **عَزَّوَجَلَّ** في قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ»، وقد

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (١٠٣٨)، واللالكائي (٦٤٨)، عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء، ورواه النسائي أيضًا في "عمل اليوم والليلة" (١٠٣٧) ولم يذكر فضالة بن عبيد، وفي سندهما: زيادة بن محمد الأنصاري، قال فيه البخاري وأبو حاتم والنسائي: منكر الحديث. كما في "التهذيب" وكذا قال الحافظ في "التقريب"، وقال الذهبي في "الميزان": وقد انفرد بحديث الرقية «ربنا الله الذي في السماء». اهـ وللحديث طرق أخرى شديدة الضعف لا تصلح للاستشهاد، وهو في "الضعيفة" (٢٥٨٩) للعلامة الألباني.

تقدم الكلام عنها بما يغني عن الإعادة، وفي الحديث جواز الرقي، وها أنا ذا كرر بعض ما صح في الباب فمنها ما أخرجه مسلم (٢١٩١) عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرْقِي بِهِذِهِ الرُّقِيَّةَ: «أَذْهَبِ الْبَاسَ، رَبِّ النَّاسِ، بِيَدِكَ الشِّفَاءُ، لَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ». وفيه (٢١٩٢): عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضُهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَهٍ مِنْ يَدِي. وَفِي رِوَايَةِ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ: بِمُعَوِّذَاتٍ.

وله (٢١٩٣): عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الرُّقِيَّةِ مِنْ كُلِّ ذِي حُمَةٍ.

وفيه (٢١٩٤): عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَابَتَهُ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَهَا: «بِاسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةٍ بَعْضِنَا، لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا» قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: «يُشْفَى» وَقَالَ زُهَيْرٌ: «لِيُشْفَى سَقِيمُنَا».

وفيه (٢١٩٥): عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْمُرُهَا أَنْ تَسْتَرْقِيَ مِنَ الْعَيْنِ.

وفيه (٢١٩٦): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فِي الرُّقَى قَالَ: رُخِّصَ فِي الْحُمَةِ وَالنَّمْلَةِ وَالْعَيْنِ.

وفيه (٢١٩٧): عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِحَاجِرِيَّةٍ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأَى بِوَجْهِهَا سَفْعَةً، فَقَالَ: «بِهَا نَظْرَةٌ، فَاسْتَرْقُوا لَهَا» يَعْنِي بِوَجْهِهَا صُفْرَةً.



وفيه (٢١٩٨): عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: رَخَّصَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَالَ حَزْمٍ فِي رُقِيَّةِ الْحَيَّةِ، وَقَالَ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: «مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً، تُصَيِّبُهُمُ الْحَاجَةُ؟» قَالَتْ: لَا، وَلَكِنَّ الْعَيْنَ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ، قَالَ: «ارْقِيهِمْ» قَالَتْ: فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «ارْقِيهِمْ».

وفيه (٢١٩٩): عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: أَرْخَصَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رُقِيَّةِ الْحَيَّةِ لِبَنِي عَمْرِو، وَقَالَ: لَدَغْتُ رَجُلًا مِنَّا عَقْرَبٌ، وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْقِي؟ قَالَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ».

وفيه (٢٢٠٠): عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ».

وفيه (٢٢٠١): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ رَاقٍ؟ فَإِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ لَدَيْغٍ أَوْ مُصَابٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعَمْ، فَأَتَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ الرَّجُلُ، فَأَعْطِي قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَقَالَ: حَتَّى أَذْكُرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا رَقِيتُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: «وَمَا أَذْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ؟» ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا مِنْهُمْ، وَاضْرِبُوا لِي بِسْمِهِمْ مَعَكُمْ».

وفيه (٢٢٠٢): عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، أَنَّهُ شَكَاَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضَعْ

يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأْلَمُ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ».

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وقوله: «أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ» متفق عليه.^(١)

حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متفق عليه عند البخاري (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤)، وفيه إثبات صفة العلو لله عَزَّوَجَلَّ، وقد تقدّم الكلام عليها بما يُغني عن الإعادة، وللحديث قصّة فعن أبي سعيد الخُدريّ قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْيَمَنِ بِذَهَبِيَّةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ، لَمْ تُحْصَلْ مِنْ تَرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، بَيْنَ عَيْشَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، وَزَيْدَ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعُ: إِمَّا عُلْقَمَةُ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَا تَيْبِي خَبِرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُ اللَّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ، قَالَ: «وَيْلَكَ، أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ» قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: «لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي» فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَمْ أَوْمَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشَقُّ بُطُونَهُمْ» قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٌّ، فَقَالَ: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضَنْضِي هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ»، وَأَظْنُّهُ قَالَ: «لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثُمُودَ».

(١) صحيح: خ (٤٣٥١) م (١٠٦٤) عن أبي سعيد.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» حديث حسن رواه أبو داود والترمذي وابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي شرط فيه الصحة.^(١)

(١) ضعيف مرفوعاً، حسن موقوفاً، وله حكم الرفع: بمعناه أخرجه أحمد (٢٠٦/١) وأبو داود (٤٧٢٣) والترمذي (٣٣٢٠) وابن ماجه (١٩٣) وابن خزيمة في "التوحيد" (ص ١٠٢) وغيرهم من طريق الوليد بن أبي ثور عن سماك بن حرب عن عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس مرفوعاً وهو الحديث المشهور بحديث الأوعال وهو ضعيف جداً، فيه ثلاث علل:

الأولى: عبد الله بن عميرة قال الذهبي في الميزان: فيه جهالة، وقال إبراهيم الحربي: لا أعرفه، وقال مسلم في الوحدان: تفرد سماك بالرواية عنه، انظر "التهذيب".

الثانية: الانقطاع، قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف.

الثالثة: الوليد بن أبي ثور واسمه عبدالله الهمداني قال فيه ابن نمير: كذاب، كما في "التهذيب"، وقال الحافظ: ضعيف.

والحديث في [بالضعيفة] للعلامة الألباني (١٢٤٧).

وحديث الأوعال هو الذي عناه المصنف هنا كما في حكايته المناظرة التي جرت معه في "العقيدة الواسطية"، انظر: "الفتاوى" (١٩٢/٣).

وأخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن خزيمة في "التوحيد" (ص ١٠٣) بمعناه عن جبير بن مطعم مرفوعاً: «إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ»، وفي سنده: جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، مجهول حال، وفيه عنعنة ابن إسحاق، وفي سنده اختلاف أشار إليه أبو داود، فالحديث بهذا السند ضعيف.

وباللفظ الذي أورده المصنف - كما في "الفتاوى" -، إنما رواه ابن خزيمة في "التوحيد" (ص ١٠٦ و ١٠٥)، والطبراني في "الكبير" (٢٠٢/٩)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٨٥٢)، واللالكائي في "السنة" (٦٥٩)، وغيرهم عن ابن مسعود موقوفاً عليه بسند حسن، وهذا الموقف له حكم الرفع، لأنه لا يقال من قبيل الرأي.

قال أبو داود (٤٧٢٣): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّازُ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ أَبِي ثَوْرٍ، عَنْ سِمَاكِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: كُنْتُ فِي الْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «مَا تُسْمُونَ هَذِهِ؟» قَالُوا: السَّحَابُ، قَالَ: «وَالْمُزْنَ» قَالُوا: وَالْمُزْنَ، قَالَ: «وَالْعَنَانُ» قَالُوا: وَالْعَنَانُ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: (لَمْ أَتَقِنِ الْعَنَانَ جِدًّا) قَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ مَا بَعْدَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قَالُوا: لَا نَذَرِي، قَالَ: «إِنَّ بَعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةً أَوْ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ» حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةٌ أَوْ عَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكْبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِمُ الْعَرْشُ مَا بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ. وفي سننه الوليد بن أبي ثور كُذِّبَ، وعبدالله بن عميرة مجهول، ولم يسمع من الأحنف.

وفي الباب ما رواه أبو داود (٤٧٢٦): من طريق مُحَمَّدَ بْنِ إِسْحَاقَ، يُحَدِّثُ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُثْبَةَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جُهِدْتَ الْأَنْفُسَ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقَى اللَّهَ لَنَا فَإِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ وَنَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ! أَتَذَرِي مَا تَقُولُ؟» وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَحَكَ أَتَذَرِي مَا لِلَّهِ، إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا» وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ «وَإِنَّهُ لَيُطِّطُ بِهِ أَطِيطُ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ» قَالَ ابْنُ بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِ: «إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ» وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: وَابْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، عَنْ يَعْقُوبَ

بْنِ عُتْبَةَ، وَجُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ وَالْحَدِيثُ بِإِسْنَادِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ هُوَ الصَّحِيحُ وَافَقَهُ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، وَرَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، كَمَا قَالَ أَحْمَدُ، أَيْضًا وَكَانَ سَمَاعُ عَبْدِ الْأَعْلَى، وَابْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ مِنْ نُسخَةٍ وَاحِدَةٍ فِيمَا بَلَغَنِي.

أقول: وجبير بن محمد بن جبير بن مطعم مجهول حال، ومحمد بن إسحاق لم يصرح بالتحديث.

هذا الحديث هو حديث الأوعال ويُصحّحه بعض أهل العلم ويُضعفه بعضهم، وقد دافع عنه ابن القيم بكلام طويل في "تهذيب السنن"، ويغني عنه ما أخرجه كتاب ابن خزيمة في "التوحيد" (١٥٠) عن ابن مسعود موقوفًا وله حكم الرفع، قَالَ: مَا بَيْنَ سَمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةٌ خَمْسِمِائَةٍ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةٌ خَمْسِمِائَةٍ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ خَمْسِمِائَةٍ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ السَّمَاءِ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ.

وفي الحديث: إثبات العرش لله **عَزَّجَلَّ** وهو مخلوق عظيم، استوى عليه الله **قَالَ تَعَالَى** في وصفه: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال **عَزَّجَلَّ**: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]، على كسر الدال أي الواسع، وفيه إثبات صفة العلو لله **عَزَّجَلَّ** وصفة العلم لله **عَزَّجَلَّ** وأن الله بكل شيء عليم.

قال رحمه الله:

وقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** للجارية: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قالت: في السماء، قال: «مَنْ أَنَا؟» قالت:

أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قال: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» رواه مسلم.^(١)

أخرجه مسلم (٥٣٨) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةُ، فَاطْلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ، لَكِنِّي صَكَّكْتُهَا صَكَّةً، فَاتَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَعِظَمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُعْتِقَهَا؟ قَالَ: «اتَّبِعِي بِهَا». فَاتَّيْتُهَا بِهَا فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟». قالت: في السماء، قال: «مَنْ أَنَا؟». قالت: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قال: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ».

في الحديث: إثبات أن الله **عَزَّجَلَّ** في السماء وفيه الاختبار بأين الله ولا حرج في ذلك وفيه جواز السؤال بأين بخلاف من يزعم أنه لا يجوز أن يُسأل عنه بأين.

وفي حديث جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (١٢١٨)، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنْ دِمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرَضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ فَقَتَلْتَهُ هَذَا، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رَبَا أَضَعُ رَبَانًا رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ

(١) صحيح: م (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم.

إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ، اشْهَدْ، اللَّهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. الحديث.

فيه: جواز الإشارة وهم يزعمون أنها لا تجوز الإشارة والنبي ﷺ كان يُشير إلى السماء وينكته إلى الأرض ويقول: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، أي يا من أنت في السماء اشهد على من في الأرض وفيه أن كفارة الظهار وغيرها من الكفارات تكون عتق رقبة مؤمنة وإن جاءت مطلقة في بعض الآيات فإنها جاءت مقيّدة في آية النساء، قال الله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].



القول في المعية

قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت» حديث حسن.^(١)

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (٨/٣٣٦، رقم ٨٧٩٦)، وأبونعيم في "الحلية" (٦/١٠٨)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٩٠٧). وهو حديث ضعيف، ضعفه العلامة الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي "السلسلة الضعيفة" برقم (٢٥٨٩) فقال رَحْمَةُ اللَّهِ: (قال أبونعيم: غريب من حديث عروة، لم نكتبه إلا من حديث محمد بن مهاجر)، قال الألباني: (وهو الأنصاري الشامي؛ وهو ثقة، وكذلك سائر الرواة غير نعيم بن حماد فهو ضعيف من قبل حفظه، بل اتهمه بعضهم). انتهى لكن معنى الحديث ثابت من أدلة أخرى قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقد تقدّم الكلام على المعية وسيأتي أكثر من هذا، ويدل على معنى المراقبة فيه حديث عمر في مسلم (٨): قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». وَقَالَ نَبِيُّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلِبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٨٧٩١)، وفي "مسند الشاميين" (١/٣٥٥)، وأبونعيم في "الحلية" (٦/١٠٨)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٩٠٧) من طريق عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن غنم عن عبادة بن الصامت، وعروة بن رويم قال فيه أبو حاتم - كما في "الجرح والتعديل" (٦/٣٩٦): عامة أحاديثه مرسلة اهـ وقال المزي في روايته عن عبد الرحمن بن غنم: يقال: مرسل. اهـ من "التهذيب".

وفي سنده أيضًا: نعيم بن حماد ضعيف، وانظر "الضعيفة" للعلامة الألباني (٢٥٨٩).

القول في حديث: «فإن الله قبل وجهه»

قال رحمه الله:

وقوله: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ، فَلَا يَبْصُقُ قَبْلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» متفق عليه.^(١)

* أقول: الحديث ساقه ابن تيمية رحمه الله بمعناه، وله طرق وألفاظ كثيرة، منها: ما

أخرجه البخاري (٤٠٦)، ومسلم (٥٤٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى بُصَاقًا فِي جِدَارِ الْقِبْلَةِ فَحَكَّهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَبْصُقُ قَبْلَ وَجْهِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى».

وفي البخاري (٤٠٥) ومسلم (٥٥١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ فَلَا يَزُقُّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنْ شِمَالِهِ تَحْتَ قَدَمِهِ».

وفي البخاري (٤١٠ و ٤١١) عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَأَبَا سَعِيدٍ أَخْبَرَاهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى نُخَامَةً فِي حَائِطِ الْمَسْجِدِ، فَتَنَاولَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصَاةً فَحَثَّهَا، ثُمَّ قَالَ: «إِذَا تَنَخَّمَ أَحَدُكُمْ، فَلَا يَتَنَخَّمُ قَبْلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ الْيُسْرَى».

وفي لفظ للبخاري (٤١٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَا يَبْصُقُ أَمَامَهُ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللَّهَ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ، فَيَكْفِئُهَا».

(١) صحيح: الحديث أورده المصنف بمعناه وقد جاء في "الصحيحين" عن جمع من الصحابة منهم: ابن عمر خ (٤٠٦) م (٥٤٧)، أبو سعيد وأبو هريرة خ (٤٠٨، ٤٠٩) م (٥٤٨)، أنس خ (٤٠٥) م (٥٥١)، جابر عند مسلم (٣٠٠٨).

وفي مسلم (٥٥٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ فَيَسْتَنَعِ أَمَامَهُ، أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيَسْتَنَعِ فِي وَجْهِهِ؟ فَإِذَا تَنَعَّ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَنَعِ عَنْ يَسَارِهِ، تَحْتَ قَدَمِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَقُلْ هَكَذَا» وَوَصَفَ الْقَاسِمُ فَتَقَلَّ فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ مَسَحَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ.

وفي مسلم (٣٠٠٨) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسْجِدِنَا هَذَا، وَفِي يَدِهِ عُرْجُونُ ابْنِ طَابٍ، فَرَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُخَامَةً فَحَكَّهَا بِالْعُرْجُونِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟» قَالَ فَخَشَعْنَا، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟» قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟» قُلْنَا: لَا أَتَيْنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ وَجْهِهِ، فَلَا يَبْصُقَنَّ قَبْلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى، فَإِنْ عَجَلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ فَلْيَقُلْ بِثَوْبِهِ هَكَذَا».

ونؤمن بدلالة هذا الحديث من أَنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِ الْمُصَلِّي إِذَا كَانَ يُصَلِّي، وَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ وَمَحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَفِي حَدِيثٍ حَذِيفَةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ ابْنِ مَاجَهٍ (١٠٢٣) قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، حَتَّى يَنْقَلِبَ أَوْ يُحْدِثَ حَدَثَ سُوءٍ». فَتَبَتَ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَ لَهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ اتِّحَادًا وَلَا اخْتِلَافًا وَلَا حُلُولًا، بَلْ هُوَ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى وَهُوَ قَبْلَ وَجْهِ الْمُصَلِّي كَمَا جَاءَ النَّصُّ وَهُوَ فِي عُلُوِّهِ، فَلَا يَتَنَاقَضُ هَذَا الْحَدِيثُ مَعَ أَدَلَّةِ الْعُلُوِّ، هَذَا الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ وَمِثْلَ حَدِيثِ: «إِنَّ اللَّهَ قَرِيبٌ» وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ فِي الْعُلُوِّ بَلْ اللَّهُ عَزَّجَلَّ فِي الْعُلُوِّ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ وَكَمَا يُقَالُ: (قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ وَعَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ).

* هنا فائدة للشيخ ابن عثيمين حفظه الله يقول: يمكن الجمع من ثلاث أوجه:

الوجه الأول: أنَّ الشرع جمع بينهما ولا يجمع بين متناقضين وهذا قد تمَّ الإشارة إليه وهو أنَّ الله أخبر أنَّه على عرشه والنبِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أنَّ الله قَبَلَ وجه المصلِّي فهذا على ظاهره وهذا على ظاهره لكن ما هو الظاهر من قِبَل وجه المصلِّي، الظاهر أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ في الجدار تعالى الله عن ذلك، أم الظاهر أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه وهو أمام وجه المصلِّي لأنَّ الله محيط بكلِّ شيء وفوق كلِّ شيء.

الوجه الثاني: ممكن أن يكون الشيء عاليًا وهو قِبَل وجهك فهذا هو الرجل يستقبل الشمس أوَّل النهار فتكون أمامه وهي في السماء ويستقبلها آخر النهار وتكون هي أمامه في السماء فإذا كان هذا في المخلوق ففي الخالق من باب أولى بلا شك.

الوجه الثالث: هب أنَّ هذا ممتنع في المخلوق فلا يلزم أنَّه ممنوع في الخالق لأنَّ الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته.

وهذا هو الذي نُعبّر عنه بأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ فوق كلِّ شيء ومحيط بكلِّ شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقال المصنف رَحِمَهُ اللهُ كما في "الحموية":

وكذلك قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ قَبَلَ وَجْهَهُ، فَلَا يَنْصُقُ قَبْلَ وَجْهِهِ» الحديث حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلِّي، بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات؛ فإنَّ الإنسان لو أنه يناجي السماء ويناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضًا قبل وجهه. انتهى

قال رحمه الله:

وقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ» ^(١) وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، ^(٢) أَعُوذُ بِكَ ^(٣) مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، ^(٤) أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، [اقض عني الدين وأغنني من الفقر] ^(٥) رواه مسلم. ^(٦)

من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) في المطبوع زيادة: [والأرض]، وفي مسلم زيادة: «وَرَبَّ الْأَرْضِ»، وقد رواها بدونها: أحمد

(٢/ ٤٠٤)، وابن خزيمة في "التوحيد" (ص ١١٦)، والحاكم (٤٨٥).

(٢) هذه رواية الحاكم (٤٨٥)، أما رواية مسلم وغيره: «وَالْفُقْرَانِ».

(٣) زاد في (ف) والمطبوع: [أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي] ولم نقف عليها في طرق هذا الحديث، ولذا

لم نذكرها في المتن، نعم؛ ثبتت في حديث آخر في أذكار النوم، رواه أبو داود (٥٠٦٧)، والترمذي

(٣٣٩٢)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (١١) عن أبي هريرة أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ قَالَ: يَا رَسُولَ

اللَّهِ مُرِنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ،

عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي،

وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهِ، قَالَ: قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ» وهو في

"الصحيح المسند" لشيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ رقم (١٣٣٣).

(٤) زاد مسلم وحده - فيما وقفنا عليه -: «اللَّهُمَّ» والله أعلم.

(٥) هكذا عند أبي داود (٥٠٥١)، والترمذي (٣٤٠٠)، وابن خزيمة في التوحيد (ص ١١٦، ١١٧) وغيرهم

بالإفراد، والذي عند مسلم بلفظ الجمع «اقض عني الدين وأغنني من الفقر».

(٦) رواه مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة، وفي المطبوع: [رواية مسلم] وليس بصواب؛ لأنك قد رأيت

عدة مواضع مخالفة للفظ مسلم.

وقد تقدّم الشاهد منه وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، فيثبت لله **عَزَّجَلَّ** صفة الأولية وصفة الآخرية وصفة الظاهرية وصفة الباطنية، وهو تعالى قريب في علوه وعالٍ في دنوه **عَزَّجَلَّ**، وفيه الاستعاذة بالله من الشرور والآثام جميعاً، وفيه أن نواصي العباد بيد الله **عَزَّجَلَّ**، وفيه استحباب دعاء الله في قضاء الدين ودعاء الله **عَزَّجَلَّ** بإزاحة الفقر، والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يدع كثيراً بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» من حديث أبي بكرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أبي داود (٥٠٩٠)، النسائي (١٣٤٦)، والفقر مصيبة وبلاء إذا نزل على الإنسان يُحوجه إلى الناس وقد يصيبه اللأواء والمرض والتعب والنصب ويتحمّل الديون كما قال عمر بن عبدالعزيز **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (الدين رَقٌّ فانظر عند من تضع رقبتك)، وكثير من الناس لا يعلمون أحكام الديون ولا يعرف ما يتعلّق بذلك وقد ألّفت فيه كتاباً بعنوان "الدرّ المكنون في أحكام الديون"، ومن عجيب ما يُذكر أن رجلاً كان له صاحب يشغله بسؤاله فقال له:

إِنَّ الْقَضَاءَ سَيَأْتِي دُونَهُ أَجَلٌ ❀ فَاطُورِ الصَّحِيفَةِ وَاحْفَظْهَا مِنَ الْفَارِ وابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يقول: (لئن أفرّض أحبّ إليّ من أن أتصدّق مرتين)، وفي حديث بريدة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أحمد (٢٣٠٤٦)، قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِيهِ صَدَقَةٌ، قَالَ: ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِيهِ صَدَقَةٌ، قُلْتُ: سَمِعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَقُولُ: مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِيهِ صَدَقَةٌ، ثُمَّ سَمِعْتُكَ تَقُولُ: مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِيهِ صَدَقَةٌ، قَالَ لَهُ: بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدِّينُ، فَإِذَا حَلَّ الدِّينُ فَأَنْظَرُهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِيهِ صَدَقَةٌ»، أجزور عزيمة يحصل عليها أصحاب الأموال لو احتسبوا والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ تِلْكَهَا أَتَلَفَهُ اللَّهُ»، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٢٣٨٧)، وفي حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: تُوفِّي رَسُولُ

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩١٦).

إثبات صفتي السمع والبصر لله عز وجل

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر: «أَيُّهَا النَّاسُ! ازْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِي رَاحِلَتِهِ» متفق عليه.^(١)

من حديث أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٣٨٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٠٤). ولفظه تامًا: قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ ازْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ». قَالَ وَأَنَا خَلْفُهُ وَأَنَا أَقُولُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بَنَ قَيْسٍ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ». فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

قال رَحِمَهُ اللهُ: (ازْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) أي: هَوِّنُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وارفقوا بها.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا) هذه من الصفات السلبية والصفات السلبية تتضمن إثبات كمال الضد فيثبت لله عَزَّوَجَلَّ صفة السمع الذي الأصوات كما قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، انظر البخاري (١٨/٣٩٥)، ابن ماجه (١٨٨)، النسائي (٣٤٦٠)،

(١) متفق عليه: خ (٤٢٠٥) م (٢٧٠٤) عن أبي موسى الأشعري، ومن قوله: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ...» انفرد به مسلم.

وفيه إثبات فضيلة الذكر وحرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على الخير وفيه تعليم الجاهل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا) فيه إثبات صفة القرب لله عَزَّوَجَلَّ وصفة السمع وصفة البصر لله عَزَّوَجَلَّ ولا مناقضة فالله عَزَّوَجَلَّ قريب في علوه فلا يقال قريب أي معنا متّحد ومختلط هذا قول الاتحادية وهذا أقبح الكفر والإلحاد.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ) وهو على عرش، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته وهو بائن من خلقه فلا يتوهم مُتَوَهَّم بهذه الأدلة الحلول والاتحاد والاختلاط، تعالى الله أن يحلّ في شيء من مخلوقاته.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "الفتاوى":

فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ لَمَّا كَانُوا يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبُعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ». وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِ فَلَا يَبْصُقَنَّ قَبْلَ وَجْهِهِ فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ لَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَرْشِ وَعَنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ بَلْ هُوَ الْحَامِلُ بِقُدْرَتِهِ الْعَرْشَ وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ. وَقَدْ جَعَلَ تَعَالَى الْعَالَمَ طَبَقَاتٍ وَلَمْ يَجْعَلْ أَعْلَاهُ مُفْتَقِرًا إِلَى أَسْفَلِهِ فَالسَّمَاءُ لَا تَفْتَقِرُ إِلَى الْهَوَاءِ وَالْهَوَاءُ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى الْأَرْضِ فَالْعُلَى الْأَعْلَى رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الَّذِي وَصَفَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] أَجَلٌ وَأَعْظَمُ وَأَغْنَى وَأَعْلَى مِنْ

أَنْ يَفْتَقِرَ إِلَى شَيْءٍ بِحَمْلٍ أَوْ غَيْرِ حَمْلٍ بَلْ هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ الَّذِي كُلُّ مَا سِوَاهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ وَهُوَ مُسْتَعْنٍ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ. انتهى

القول في الرؤية

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

وقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ [صَلَاةٍ] ^(١) قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» متفق عليه. ^(٢) إلى أمثال هذه الأحاديث التي يُخْبِرُ فيها رسولُ الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن ربه بما يُخْبِرُ به.

من حديث جرير بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣)، وجاء عن عدة، منهم، أبوهريرة، وأبوسعيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وقد تقدم الكلام على المسألة بما يغني عن الإعادة والتكرار.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ) أي لا تزدهمون، وفي رواية (لا تضارون) أي لا يلحقكم ضرر، وفيه إثبات رؤية الله **عَزَّ وَجَلَّ** وأن الله يُرى في العلوّ.

قوله: (إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ): أي: أن هذه أمثلة ساقها شيخ الإسلام للدلالة على سواها من الأحاديث الثابتة التي يُخْبِرُ فيها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن ربه فيما يُخْبِرُ به، ولو أراد الاستقصاء لطال المقام جدا وخرج عن المقصود، لكن ملا يدرك كله لا يترك جله، وكما أننا آمنّا بآيات الصفات وما دلّت عليه، كذلك يجب علينا أن نؤمن بالأحاديث سواء كانت من أخبار الآحاد أو من المتواتر وكلّ ما ثبت عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فإنه يُفيد العلم ويجب علينا اعتقاد ما دلّت عليه تلك الأحاديث على طريقة السلف والبعد عن

(١) المثبت رواية الترمذي (٢٧٤٨)، وبدونها متفق عليه، وللبخاري (٧٤٣٤): «وصلاة قبل غروب الشمس».

(٢) متفق عليه: خ (٥٥٤) م (٦٣٣) عن جرير، وليس عندهما: «لَيْلَةَ الْبَدْرِ» وإنما: «هَذَا الْقَمَرُ».

التحريف والتعطيل والتكليف والتمثيل لأنَّه سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

مَجْمَلُ طَرِيقَةِ الْفَرْقَةِ النَّاجِيَةِ فِي أَبْوَابِ الْإِيمَانِ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

قال رَحِمَهُ اللهُ :

فإنَّ الفرقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ، كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْلِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ.

أي يؤمنون بدلالة الأحاديث النبوية على الصفات كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه والسبب في ذلك أمور:

الأول:

أَنَّ السَّنَّةَ وَحْيٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

الثاني:

أَنَّ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أوجب علينا الأخذ بقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبخبره، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وسواء كان التحكيم في باب الأخبار أو الأحكام فيتحاكم إلى سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والعرب قسّموا الكلام إلى خبر وإنشاء فخير الله تعالى وخبر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقابل بالتصديق، مثل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا

وَجْهَهُ ﴿[القصص: ٨٨]، إلى غير ذلك، وقول النبي ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا».

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنُؤُا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فهو إنشاء وهو الطلب والطلب يُقابل بالفعل أو الترك، إذا كان طلب فعل يُقابل بالفعل: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ﴾ وإن كان طلب ترك فيُقابل بالترك. وقد تقدم الكلام على بقية المباحث والله الحمد والمنة



أهل السنة الوسط العدل الخيار

قال رحمه الله:

بَلْ هُمُ الْوَسْطُ فِي فِرَقِ الْأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسْطُ فِي الْأُمَمِ.

قوله: (بل هم) يعود على أهل السنة الطائفة المنصورة الفرقة الناجية التي تقدم ذكر شيء من خصائصها، قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] والوسط: العدل الخيار. وفي البخاري من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُجَاءُ بَنُو حِمْيَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهِدَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُجَاءُ بِكُمْ، فَتَشْهَدُونَ». ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قَالَ: «عَدْلًا» لِيَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا.

وقال الله عز وجل: ﴿أَهْدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾، وقال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]. وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

هذا وقد تكلمت - والله المنة - بتوسع عن فضل هذه الأمة، وفضل نبيها، وفضل كتابها، في كتابي الذي رقمته في الرد على دعاة وحدة الأديان.

وهذا الوصف يدخل فيه ابتداء أهل السنة والجماعة، أهل الفقه والنظر، والخير والأثر، الذين هم ملازمون لطريقة المعصوم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأمّا غيرهم فقد

غير وبدل، ويكون بُعْده وقربه بقدر ما هو عليه من التنكب عن الكتاب والسنة، واستحقوا هذا الوصف للعدالة التي لازموها في أقوالهم وأفعالهم بعيداً عن طرق النصارى الضالين الذين غلو حتى بلغ بهم الغلو أن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله **عَزَّوَجَلَّ**، وألّهُوا عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، فقال الله **عَزَّوَجَلَّ** ناهياً لهم عن هذا الصنيع الذميمة: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١]، **وقال تعالى**: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

قال شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الجواب الصحيح" (١٠٠/٢): (ومن تدبر حال اليهود والنصارى مع المسلمين وجد اليهود والنصارى متقابلين هؤلاء في طرف ضلال وهؤلاء في طرف يقابله والمسلمون هم الوسط وذلك في التوحيد والأنبياء والشرائع والحلال والحرام والأخلاق وغير ذلك). اهـ

وقال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فادَّعَوْا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقاً أو باطلاً أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً؛ ولهذا **قال تعالى**: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. اهـ



وأما اليهود فقد وقع منهم الجفاء حتى قتلوا الأنبياء، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

هذا في جانب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ووقع منهم الغلو في عزيز حتى ألَّهوه قال الله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمْ اللَّهُ أَنْزِلْ يُؤَفِّكُوتَ﴾ [التوبة: ٣٠] فكل من الفريقين اليهود المغضوب عليهم والنصارى الضالون وقع منهم الغلو من جانبيه.

قال الشنقيطي **رَحِمَهُ اللَّهُ فِي** "أضواء البيان": (وعليه فيكون الغلو المنهي عنه شاملاً للتفريط والإفراط). اهـ

وقال الشوكاني **رَحِمَهُ اللَّهُ فِي** "فتح القدير" (١/ ٦٣٣): (والمراد بالآية النهي لهم عن الإفراط تارة والتفريط أخرى فمن الإفراط غلو النصارى في عيسى **عَلَيْهِ السَّلَام** حتى جعلوه رباً ومن التفريط غلو اليهود فيه حتى جعلوه لغير رشده). اهـ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ**، بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبَّهَةِ.

وغلت الجهمية في جانب التنزيه زعموا، وهو التعطيل، فزعموا أن لهم رباً لا فوق ولا تحت ولا داخل العالم ولا خارج عنه ولا حي ولا ميت وهكذا، وعند التحقيق تجد أن هذا رباً لا وجود له وإنما هو العدم ووافقهم المعتزلة في نفي الصفات وخالفوهم في إثبات الأسماء.

وفي الضدّ قابلتهم طائفة الممثلة فغلوا في الإثبات حتى زعموا أن الله **عَزَّوَجَلَّ** له صفات كصفات المخلوقين المربوبين المحتاجين الناقصين تعالى الله عن قولهم



علوًا كبيرًا ولم يلتفتوا إلى مثل قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

مع أن أهل السنة الطائفة المنصورة الفرقة الناجية أثبتوا لله ما أثبتته لنفسه وما أثبتته له رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل له صفات تليق بجلاله **عَزَّوَجَلَّ**، كما أنه لا مثيل له في ذاته فكذلك لا مثيل له في صفاته.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ تَعَالَى يَبِينَ [الْقَدَرِيَّةُ وَالْجَبَرِيَّةُ].^(١)

وغلت الجبرية في إثبات القدر حتى زعموا أن الفاعل حقيقة هو الله **عَزَّوَجَلَّ** تعالى عن قولهم علوًا كبيرًا وأن الإنسان لا مشيئة له ولا قدرة ولا استطاعة ولا إرادة وهو كالريشة في مهبّ الريح أو كميّة بين يدي المغسّل لا يستطيع أن يفعل شيئًا حيث سلبوا العبد من فعله وقدرته ومشيئته واختياره.

وبالمقابل غلت النفاة من القدريّة المعتزلة في إثبات أفعال العباد حتى زعمت أن المخلوق المربوب هو خالق فعله وأن الله **عَزَّوَجَلَّ** ليس بخالق للشرّ وأخرجوا أفعال العبد من عموم قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]. وقالوا العبد له فعل وقدرة ومشيئة واستطاعة وإرادة، ليس لله **عَزَّوَجَلَّ** فيها شيء فالعبد يخلق عمله وسلبوا الله من مشيئته وخلقه وقدرته وإرادته.

وأهل السنة هم الوسط بين طرفين وهدى بين ضالّتين وحقّ بين باطلين، خرجوا من بين فرث الغلو ودم التفريط لبنًا سائغًا للشاربين؛ لأنّهم عملوا بقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، ففي هذا الباب مثلاً

(١) في المطبوع زيادة: [وغيرهم]، وحذفها أقرب.

أثبتوا لله تعالى خلقاً، وقدرته، وشيئة، وأثبتوا للمخلوق فعلاً وقدره واستطاعة، ومشية لكن مشيئة العبد واستطاعته، وقدرته، وإرادته تكون بمشيئة الله فمشيئة الله نافذة فكان أهل السنة هدى بين الجبرية الجهمية وبين المعتزلة الضلال الذين يردون مثل قول الله **عَزَّوَجَلَّ: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾** [الزمر: ٦٢]، وصارت المجوس في هذا الباب أحسن حالاً من القدرية لأن المجوس يُثبتون خالقين للعالم، إله النور وإله الظلمة، وإله النور هو خالق الخير وإله الظلمة هو خالق الشر، بينما أولئك أثبتوا خالقين، وقول المجوس من أفسد الأقوال: قال بعضهم راداً عليهم:

وَكَمْ لظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ ❀ تُحَدِّثُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

يعني: أنهم يزعمون أن الخير من النور وكم من إنسان يقوم في الليل يقول يا رب (فرّج عني ما أنا فيه، يا رب يسّر أمري) ويدعو الله بما يريد ويفرّج الله لهم ويقضي الدين ويفرّج الكرب وييسّر الأمور (اللهم لا سهلاً إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن إن شئت سهلاً) ولهذا قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في القدرية النفاة: **«الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ: إِنْ مَرَضُوا فَلَا تَعُدُّوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»**، من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أبي داود (٤٦٩١) وغيره حسنه العلامة الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

والسبب: أن أهل السنة يأخذون بجميع الأدلة، أما أهل البدع فإنما يأخذون ما وافق آرائهم وأيد أفكارهم فحادوا وزاغوا عن الصراط المستقيم والطريق القويم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واتبعوا سبيل المعرضين الضالين الذين أمرنا الله بالبعد عنهم بقوله: **﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [الروم: ٣١].

والأشاعة خرجوا من قول الجهمية بحيلة من أفسد الحيل فقالوا نحن ما نقول كالجهمية بأن الإنسان مجبور نقول بأن للإنسان كسب، وحقيقة الكسب عند

الأشعري كقول الجبرية سواء فهم ينفون أي قدرة للعبد، وقد عجز الأشاعرة أنفسهم عن تفسيرها فضلاً عن إفهامها لغيرهم، ولهذا قيل:

مِمَّا يُقَالُ وَلَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ * مَعْقُولَةٌ تَدْنُوا إِلَى الْأَفْهَامِ
الْكُسْبُ عِنْدَ الْأَشْعَرِيِّ وَالْحَالُ عِنْدَ * دِ الْبُهْشَمِيِّ وَطَفَرَةُ النَّظَامِ

قال رحمه الله:

وفي بابٍ وَعِيدِ اللَّهِ يَنْزِلُ الْمَرْجِيَّةُ، وبين الوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

أي: أن أهل السنة في باب الوعد، والوعيد وسط بين المرجئة، والوعيدية، والوعيد هو ما توعد به الله تعالى على الذنوب والمعاصي مثل قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، ومثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٥٧٧٨) ومسلم (١٠٩).

ومثل حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» رواه البخاري (٥٩٨٤) ومسلم (٢٥٥٦)، أي قاطع رحم. وما في بابها من الوعيد العظيم على الذنوب والمعاصي فالناس في هذا الباب طرفان ووسط:

الطرف الأول: الخواج:

وطريقتهم تكفير فاعل الكبيرة، وقاربته المعتبرة حيث زعموا أن فاعل الكبيرة في (منزلة بين منزلتين) لا مؤمن ولا كافر واتفقوا على القول بتخليد فاعلها في النار.

الطرف الثاني: المرجئة:

حيث زعموا أنّ السارق والزاني والفسق والمغني وغيرهم من أصحاب الكبائر إيمانه كامل على إيمان جبريل ومكائيل عليهما الصلاة والسلام، وعلى إيمان أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فوق بسببهم بلاء عظيم وخطر عظيم، كان تأثيره في البعد عن شرائع الدين أعظم من تأثير الخوارج حتى قال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ كما عند ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (٦/ ٢٧٤): (لأنا على الأمة من هؤلاء -يعني المرجئة- أخوف من عدتهم من الأزارقة -يعني الخوارج-). وأخرج عبدالله بن أحمد في "السنة" (٧٣٣) عن يحيى بن أبي كثير وقتادة قال: (ليس من الأهواء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء). وأخرج رقم (٢٥٨) عن مغيرة بن مقسم كان يقول: (والله الذي لا إله إلا هو ما أعرف منه شر منهم) قيل لأبي بكر: يعني المرجئة؟ قال: المرجئة وغير المرجئة.

ولا يُبالون بهذه الأحاديث التي تروى في باب الوعيد، ولا ينظرون إليها وإذا رَووها يروونها على سبيل التعجب.

والوسط هم أهل السنة:

اتباع السلف أصحاب الحديث فهم وسط بين الخوارج والمعتزلة الوعيدية وبين المرجئة ويعتقدون أنّ أصحاب الكبائر من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النار لا يُخلّدون ويعتقدون أنّ الذنوب خلا الشرك بالله تعالى تحت مشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ إن شاء غفرها وإن شاء عذب عليها كما أنّهم يعتقدون فضائل لا إله إلا الله ويعتقدون أنّه لا يخرج من الإسلام أحداً إلاّ بمكفر فكانوا وسط، وسبب ضلال الخوارج أنّهم عمدوا إلى أدلة الوعيد وتركوا أدلة الرجاء وسبب ضلال المرجئة أنّهم عمدوا إلى أدلة الرجاء وتركوا أدلة الوعيد وسلم أهل السنة في دينهم لأنّهم جمعوا بين أدلة الرجاء وأدلة الوعيد فصار فاعل الكبيرة عندهم فيما دون الشرك مؤمناً بإيمانه فاسق بكبيرته

بينما يكون عند الخوارج كافرين وعند المرجئة كامل الإيمان وأهل السنة أثبتوا له الإيمان بحسب ما عنده من مطلق الإيمان وأثبتوا له الفسوق بقدر ما عنده وزعمت المعتزلة والخوارج أنه لا يجوز لله **عَزَّجَلَّ** أن يُغيّر هذا الحكم أي حكم الوعيد والصحيح أن هناك فرق بين الوعد والوعيد فالوعد يُطلق على الشيء الذي المؤمل وهذا خلفه لا يجوز، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ**» من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩). وهو في حق الله أولى، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾ [آل عمران: ٩]، بينما الوعيد هو التهديد وخلفه قد يكون لكرم وفضل وإحسان فمثلاً عندما توعد أبوبكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مسطح أن لا يُنفق عليه عند أن قال في عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** ما قال، عاتبه الله **عَزَّجَلَّ** فقال: ﴿**أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [النور: ٢٢]، قال أبوبكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (بلى نُحب)، القصة المذكورة في حديث الإفك عند البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠)، وعاد إلى الإنفاق على مسطح مع أنه قد كان توعدّه والعرب يمدحون الوفاء بالعهد والوعد ويذمّون إنفاذ الوعيد خصوصاً في من يستحقّ العفو حتّى قال أحدهم:

وَإِنِّي إِذَا أَوْعَدْتُهِ أَوْ وَعَدْتُهِ ❀ لَمْ أَخْلِفْ إِيْعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي

ففرّق بين الوعد والوعيد والمعتزلة أوجبوا على الله **عَزَّجَلَّ** إنفاذ الوعيد وصار هذا أصل من أصولهم الخمسة (العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمنزلة بين المنزلتين)، ومرادهم من إنفاذ الوعيد تخليد العصاة من أمة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في النار، قال بعضهم لعمر بن عُبيد (إنما أوتيت من عُجمتك)، أي لم تُفرّق بين الوعد والوعيد.



فالوعد يكون في خير والوعيد يكون في شرٍّ، فالذي يجب هو الوفاء بالوعد لقول النبي ﷺ: «آيَةُ الْمُتَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩). والوعيد يُستحبُّ بل يُثنى على من أخلفه لأنَّ الرجل قد لا يستحقُّ هذه العقوبة التي توعدته بها أو قد يكون كرمك وجودك العفو عنه فتتحقق مصالح فالوعد في حقِّ الله عَزَّوَجَلَّ في قوله ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٦٣٨).

والوعد في حقِّ الله عَزَّوَجَلَّ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، هل كلُّ قاتل عمدٍ من المسلمين يجب على الله أن يُدخله النار والنبي ﷺ يقول: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٠٩)، أي يطعن نفسه، هل يجب على الله عَزَّوَجَلَّ أن يدخل من قتل نفسًا النار؟ لا يجب وإذا عفى الله عَزَّوَجَلَّ فهذا فضله وكرمه وجوده.

ففي حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١١٦) أَنَّ الطُّفِيلَ بْنَ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟ - قَالَ: حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللَّهُ لِلْأَنْصَارِ، فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفِيلُ بْنُ عَمْرِو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَا الْمَدِينَةَ، فَمَرَضَ، فَجَزَعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ، فَرَأَاهُ الطُّفِيلُ بْنُ عَمْرِو فِي مَنَامِهِ، فَرَأَاهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةً، وَرَأَاهُ مُغَطِّيَا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: عَفَرَ لِي بِهَجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيَا يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ

مَا أَفْسَدْتَ، فَقَصَّهَا الطِّفْلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ وَلِيدِيهِ فَاعْفُرْ».

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي بابِ أسماءِ الإيمانِ والدينِ، بَيْنَ الْحُرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ.

الحُرُورِيَّةُ اسمٌ للخوارج، نسبةٌ إلى حروراء منطقة في العراق، انعزلوا فيها وجعلوا يُكفِّرون المسلمين ويستبيحون دماءهم، وجعلوا يتعمقون في الدين تعمقاً مفضياً إلى الإلحاد، والمروق من الدين، كما قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن بعضهم: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حَدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّبِيِّ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦). وقد جاءت معاذة العدويَّة رحمها الله إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقالت لها: مَا بَالُ الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ، وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟ فَقَالَتْ: أَحْرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟ قُلْتُ: لَسْتُ بِحُرُورِيَّةٍ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُ. قَالَتْ: كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ، فَنُؤْمِرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ، وَلَا نُؤْمِرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ. أخرجه مسلم (٣٣٥).

واستباح الخوارج دماء المسلمين بأدنى الشُّبه، وقد بين عوار مذهبهم وفساد شبههم وأنها كخيوط العنكبوت الواهية عبدُ الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حيث أخرج ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (١١٢٩)، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمَّا خَرَجَتِ الْحُرُورِيَّةُ اجْتَمَعُوا فِي دَارٍ وَهُمْ سِتَّةُ آلَافٍ أَتَيْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبْرِدْ بِالظُّهْرِ لَعَلِّي أَتِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَأَكَلُّهُمْ. قَالَ: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ. قَالَ قُلْتُ: كَلَّا. قَالَ: فَخَرَجْتُ أَتَيْتُهُمْ وَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ حُلْلِ الْيَمَنِ فَأَتَيْتُهُمْ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي دَارٍ وَهُمْ قَائِلُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا عَبَّاسٍ فَمَا هَذِهِ الْحُلَّةُ؟ قَالَ

قُلْتُ: مَا تَعْبُونِ عَلَى لَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الْحُلِّ وَنَزَلْتُ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، قَالُوا: فَمَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لِأُبَلِّغَكُمْ مَا يَقُولُونَ وَتُخْبِرُونِي بِمَا تَقُولُونَ فَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَهُمْ أَعْلَمُ بِالْوَحْيِ مِنْكُمْ وَفِيهِمْ أُنْزِلَ وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا تُخَاصِمُوا قُرَيْشًا فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَآتَيْتُ قَوْمًا لَمْ أَرِ قَوْمًا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ، مُسَهَّمَةٌ وَجُوهُهُمْ مِنَ السَّهَرِ، كَانُوا أَيْدِيَهُمْ وَرُكْبَهُمْ ثِقْنًا، عَلَيْهِمْ قُمْصٌ مُرَحَّضَةٌ، قَالَ بَعْضُهُمْ: لَنُكَلِّمَنَّه وَلَنَنْظُرَنَّ مَا يَقُولُ. قُلْتُ: أَخْبِرُونِي مَاذَا نَقَمْتُمْ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِهرِهِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ قَالُوا: ثَلَاثًا. قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالُوا: أَمَّا إِحْدَاهُنَّ فَإِنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي أَمْرِ اللَّهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وَمَا لِلرِّجَالِ وَمَا لِلْحُكْمِ. فَقُلْتُ: هَذِهِ وَاحِدَةٌ. قَالُوا: وَأَمَّا الْأُخْرَى فَإِنَّهُ قَاتَلَ وَلَمْ يَسِبْ وَلَمْ يَغْنَمْ فَلَيْنَ كَانَ الَّذِينَ قَاتَلَ كُفَّارًا لَقَدْ حَلَّ سَبِيهِمْ وَغَنِمَتُهُمْ وَإِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مَا حَلَّ قِتَالُهُمْ قُلْتُ: هَذِهِ ثِنْتَانِ فَمَا الثَّالِثَةُ؟ قَالُوا: إِنَّهُ مَحَا اسْمَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ. قُلْتُ: أَعِنْدَكُمْ سِوَى هَذَا؟ قَالُوا: حَسْبُنَا هَذَا. فَقُلْتُ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَمِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَرُدُّ بِهِ قَوْلَكُمْ أَتَرْضَوْنَ؟ قَالُوا: نَعَمْ فَقُلْتُ لَهُمْ: أَمَّا قَوْلُكُمْ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّا أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ مَا قَدْ رُدَّ حُكْمُهُ إِلَى الرِّجَالِ فِي ثَمَنِ رُبْعٍ دِرْهَمٍ فِي أَرْزَبٍ وَنَحْوَهَا مِنَ الصَّيْدِ فَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، فَشَدَّتُكُمْ بِاللَّهِ أَحْكُمِ الرِّجَالَ فِي أَرْزَبٍ وَنَحْوَهَا مِنَ الصَّيْدِ أَفْضَلُ أَمْ حُكْمُهُمْ فِي دِمَائِهِمْ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ وَأَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَوْ شَاءَ لَحَكَّمَ وَلَمْ يُصَيِّرْ

ذَلِكَ إِلَى الرِّجَالِ وَفِي الْمَرْأَةِ وَرَوْجَهَا قَالَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا
حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥]، فَجَعَلَ اللَّهُ حُكْمَ الرِّجَالِ سُنَّةً
مَاضِيَةً أَخْرَجَتْ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ قَاتِلْ فَلَمْ يَسِبْ وَلَمْ يَغْنَمْ
أَتَسُبُّونَ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ ثُمَّ تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا يُسْتَحِلُّ مِنْ غَيْرِهَا فَلَيْنَ فَعَلْتُمْ لَقَدْ كَفَرْتُمْ
وَهِيَ أُمَّكُمْ وَلَيْنَ قُلْتُمْ لَيْسَتْ بِأُمَّنَا لَقَدْ كَفَرْتُمْ! فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿التَّيُّ أَوْلَى
بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فَأَنْتُمْ تَدُورُونَ بَيْنَ ضَلَائِلَيْنِ
أَيُّهُمَا صِرْتُمْ إِلَيْهَا صِرْتُمْ إِلَى ضَلَالَةٍ فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قُلْتُ: أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟
قَالُوا: نَعَمْ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنَا أَتَيْكُمْ بِمَنْ تَرْضَوْنَ أَرِيكُمْ قَدْ
سَمِعْتُمْ أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَوْمَ الْحُدَيْيَةِ كَاتَبَ الْمُشْرِكِينَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو وَأَبَا
سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: «اُكْتُبْ يَا عَلِيُّ هَذَا مَا
اضْطَلَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لَا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ
نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا قَاتَلْنَاكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي
رَسُولُكَ اُكْتُبْ يَا عَلِيُّ هَذَا مَا اضْطَلَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ». فَوَاللَّهِ لَرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ وَمَا أَخْرَجَهُ مِنَ النُّبُوَّةِ حِينَ مَحَا نَفْسَهُ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (فَرَجَعَ مِنَ الْقَوْمِ أَلْفَانِ وَقُتِلَ سَائِرُهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ).

وهم كلاب النار، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ» رواه ابن ماجه
(١٧٣) من حديث ابن أبي أوفى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**. وفي حديث أبي غَالِبٍ، قَالَ: رَأَى أَبُو أَمَامَةَ
رُءُوسًا مَنْصُوبَةً عَلَى دَرَجِ دِمَشْقَ، فَقَالَ أَبُو أَمَامَةَ: «كِلابُ النَّارِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ
السَّمَاءِ، خَيْرٌ قَتْلَى مِنْ قَتْلُوهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ
أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل
عمران: ١٧٦]، قُلْتُ لِأَبِي أَمَامَةَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟ قَالَ: لَوْ لَمْ

أَسْمَعُهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا حَتَّى عَدَّ سَبْعًا مَا حَدَّثْتُكُمْوهُ. رواه الترمذي (٣٠٠٠). وقال عنهم: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدْنَاءُ الْأَسْنَانِ سُفْهَاءُ الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ فَأَيُّنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٦١١) وزاد مسلم (١٠٦٦) في أول الحديث: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَ قِرَاءَتُهُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ وَلَا صَلَاتُهُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ وَلَا صِيَامُهُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، صفات عظيمة قالها عنهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في آخر كتاب الزكاة من صحيح مسلم وما بين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صفة فرقة من الفرق كما بين صفات الخوارج.

و(وَالْمُعْتَرِلَةُ): هم أتباع واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد بن باب اعتزلوا مجلس الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ، جاء رجل إلى الحسن فقال له: (ماذا تقول في فاعل الكبيرة؟)؛ لأنَّ الخوارج كانوا يُكْفَرُونَ فاعل الكبيرة والمرجئة يحكمون له بالإيمان فاعتزل واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد بن باب وابتدعوا القول بـ (المنزلة بين منزلتين) ويعنون بها أن العبد لا مؤمن ولا كافر في الدنيا، وأوجبوا له في الآخرة الخلود في النار موافقة للخوارج، وقولهم مخالف للكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وبين المرجئة والجهمية.

والمرجئة أقسام على ما يأتي بيانه، ومذهبهم أنهم يخرجون الأعمال من مسمى الإيمان، ومرجئة الفقهاء منهم يزعمون أنَّ الإيمان إعتقاد القلب مع قول اللسان فقط، ومنهم أبو حنيفة وحماد بن أبي سليمان والطحاوي، وقولهم فاسد وضلال فإنَّ

الله **عَزَّوَجَلَّ** أمر بالإيمان والعمل، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥]، سواء كان عمل الجوارح أو القلب أو اللسان، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةٌ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**» من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) واللفظ له.

وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فتضمنت الآية الأعمال القلب والجوارح واللسان، وبوّب البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ** في صحيحه (باب أمور الإيمان)، واستدل بالآية السابق ذكرها، وجاء من حديث أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن رجلاً سأل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن أمور الإيمان فقرأ عليه الآية ولا يصح، وبوّب البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ** في صحيحه (باب قيام ليلة القدر من الإيمان)، وهكذا يردّ بهذه التبويبات على المرجئة الذين يُخرجون الأعمال من مسمى الإيمان، وحسروا الكفر بالجحود.

وأما الجهمية فهم أشرّ المرجئة، فالجهمية يزعمون أن الإيمان هو المعرفة فقط، ويلزم على قولهم أن يكون إبليس مؤمناً، لأنّ إبليس عرف ربه ويقول (رَبِّي) و(خلقتني) (فبعزتكَ) فعرف ربه وفرعون على حدّ قولهم مؤمن؛ لأنّه كان يعرف ربه بقلبه حتى قال له موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، ويلزمهم أن اليهود مسلمون مؤمنون أليس يقول عن اليهود: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، قال بعض السلف: (ومن

العجب أن جهنم أدخل إبليس في الإيمان وأخرج نفسه من الإيمان؛ لأن إبليس عرف ربه وجهه لم يعرف ربه لما قيل له: (أين ربك؟) قال: (لا فوق ولا تحت، ولا داخل ولا خارج، ولا متصل ولا منفصل، ولا حي ولا ميت).

قال رحمه الله:

وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الروافض، وبين الخوارج.

وكما أنهم وسط فيما تقدم، فهم وسط في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بين الرافضة والخوارج، فطريقة الرافضة تكفير أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا أحد عشر صحابياً وقيل سبعة عشر رضي الله عنهم، وقيل غير ذلك، والخوارج كفروا بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقتلواهم، وأهل السنة يثنون على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصفونهم بالجميل ويستغفرون لهم ويكفون عما شجر بينهم وإن شئت قل وسط بين الخوارج والرافضة والنواصب فالنواصب ينصبون العداوة لأهل البيت رضوان الله عليهم مع أن أبا بكر رضي الله عنه يقول: (ارْقُبُوا مُحَمَّدًا فِي آلِ بَيْتِهِ) ويقول رضي الله عنه: (لَئِنْ أَصِلَ قَرَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَصِلَ قَرَابَتِي). على ما سيأتي بيانه إن شاء الله وما من مؤلف يؤلف في كتب العقائد إلا ويذكر فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الطعن فيهم رضي الله عنهم طعن في الدين، فهم مبلّغوه، وهم حُفَظَاهُ، وهم وزراء النبي صلى الله عليه وسلم وهم سفراءه، والطعن فيهم طعن في الدين، وطعن في النبي صلى الله عليه وسلم، وطعن في الله عز وجل؛ إذ كيف يرضى أن يكون وزراء النبي صلى الله عليه وسلم وهم على الخيانة وعلى الكذب وعلى التلّون وعلى التلبس كما يزعم الرافضة والخوارج.

والصحابه رضي الله عنهم لهم المكان الأعلى والشرف العظيم حتى جعل الله عز وجل طريقتهم ومنهجهم حجة على من سواهم فقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾

وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿[النساء: ١١٥]، والمؤمنون هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن سار على سيرهم وقال الله عز وجل: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسِيَكِهِمْ أَهْلُ اللَّهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، فجعل الله الحجة والسبيل للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنهم ساروا على سير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما وعد الجنة إلا لمن اتبعهم وسار على سيرهم، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وأخبر الله عز وجل أن الفئء والغنائم تُقسم فيهم، قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفَ نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٨-١٠]، فالذي لا يستغفر لهم ولم يكن سائرًا على سيرهم، فليس له في الفئء نصيب بهذه الآية، والأخرى التي في سورة الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَجٍ أَخْرَجَ شَطْلُهُ فَتَزَارُهُ فَأَسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].



القول في المعية

قال رَحِمَهُ اللهُ :

فصل

وقد دخل فيما ذكرناه مِنَ الإِيَّانِ بالله: الإِيَّانُ بما أَخْبَرَ اللهُ به في كتابِهِ، وتواترَ عن رسولِهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وأَجْمَعَ عليه سَلَفُ الأُمَّةِ، مِنْ أَنَّهُ سَبَحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سَبَحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَمَا هُمْ عَامِلُونَ، كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ، فَإِنْ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، [وهو خلافُ ما أجمع عليه سلفُ الأُمَّةِ، وخلافُ ما فطر اللهُ عليه الخلق] ^(١) بل القمُرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ، مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمَسَافِرِ وَغَيْرِ الْمَسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ! وَهُوَ سَبَحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مَهِيْمٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رَبُوبِيَّتِهِ، وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ سَبْحَانَهُ - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ مَعَنَا - حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُّ عَنِ الظَّنِّ الْكَاذِبَةِ؛ مِثْلُ: أَنْ يُظَنَّ أَنْ ظَاهَرَ قَوْلِهِ: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أَنْ السَّمَاءَ ثِقْلُهُ أَوْ تُظَلُّهُ؛ وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيَّانِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وَهُوَ الَّذِي ﴿يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾، ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، ﴿وَمَنْ عَائِلَتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾.

(١) ما بين المعقوفتين ليس في المطبوع.

الدليل على إثبات هذه الصفة القرآن والسنة والإجماع ويدل على وجوب الإجماع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، ووجه الدلالة منه قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فما أجمع عليه المؤمنون حق لحديث النبي ﷺ: «إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ» من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٣٥٩٠) وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الحاكم (٣٩٩).

قوله: (مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانُهُ فَوْقَ سَمَآوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ) قد تقدمت الكلام وذكر الأدلة على صفة العلو بما يغني عن الإعادة مع ذكر أنها تنوعت على أوجه كثيرة تمنع القول بمجازها وتحريفها عن دلالتها، ومع ذلك ساق المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الموطن الجمع بين أدلة العلو، والمعية إقامة للحجة، ودفعاً للشبهة، وهذا المبحث من أمتن ما كتب مع إختصار في هذا الباب، والحمد لله رب العالمين.

قوله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا) لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْزَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَٰعِيَهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

لكن الحلولية والاتحادية ومن إليهم من المعطلة والجهمية نظروا إلى هذه الأدلة بنظرة قاصرة مع ما عندهم من المعتقدات الفاسدة، فيجب الجمع بين المتماثلات، والتفريق بين المختلفات، فالإيمان بأدلة العلو والإلحاد في أدلة المعية ممنوع شرها وعقلا، والإيمان بأدلة المعية والإلحاد في أدلة العلو كذلك، بل يجب علينا الإيمان

بأدلة العلو وما تضمنته من المعاني العظيمة وبأدلة المعية وما تضمنته من المعاني العظيمة ولكن ينبغي لطالب العلم وغيره من المسلمين أن يكون متجرداً عن التعطيل والتحريف والتكيف والتمثيل ثم تأمل كلام العرب الذي نزل به القرآن ماذا تعني كلمة (على) وماذا تعني كلمة (مع) فكلمة (على) تدل على العلو والظهور: ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣]، وماذا يعني كلمة (فوق) في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وكلمة (مع) تدل على مطلق مصاحبة.

فهل يمكن للمسلم أن يؤمن بأدلة العلو وأدلة المعية في آن واحد؟ الجواب، نعم؟ لأن أدلة العلو في القرآن والسنة وأدلة المعية في القرآن والسنة وما كان فيهما يجب اعتقاده وصيانته عن التحريف والتمثيل والتعطيل والتكيف، ولا يمكن أن يناقض أو يختلف **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

والمبتدعة زعموا أن كلمة (مع) تقتضي الحلول والاتحاد والاختلاط، فيقال أين وجدتم هذا؟ بآية أم بأثر أم بإجماع تقولون؟ فسينقطعون عندئذ.

قوله: (يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]) في هذا بيان أن معية الله لخلقه تكون بعلمه وإحاطته وقهره وسلطانه وغير ذلك من خصائص ربوبيته فهو سبحانه على عرشه وهو مع عباده يعلم ما هم عاملون كما جمع الله بينهما والقرآن لا يناقض بعضه بعضاً وإنما يوافقه لأنه قال الله **عَزَّجَلَّ:** ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقال **عَزَّجَلَّ:** ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ففي هذه الآية: التي ذكرها بيان أنه معنا وأنه على العرش والمعية فسرت في الآية بقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، فهي معية علم وإحاطة وبصر وإطلاع وفي آية المجادلة أيضًا ما بين ذلك، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آذَنٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، فافتح الله عز وجل الآية بالعلم، وختمها بالعلم فدلّت على المقصود والحمد لله.

قوله: (وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا تَوَجُّهَ، اللَّغَةُ، بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ) فإذا كانت لا توجه اللغة، كما لم يوجه الشرع، فمن أين لهم أنها توجب الحلول، والاتحاد، والاختلاط إلا مجرد الهوى ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قوله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيِّمٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رَبُّوبِيَّتِهِ) على ما تقدم من ذكر أدلة العلو، ثم إن المعية تفسر، بما هو أعم من معية العلم، والذي يُفسّر المعية بالعلم فقط تفسيره صواب من حيث أنه يردّ به على المعتزلة إلا أن تفسير المعية العامة بما هو أعم من العلم أولى فتفسيرها بالعلم والإحاطة والسلطان والبصر، والقهر، وغير ذلك من خصائص الربوبية، وتُفسر المعية الخاصة بالحفظ والكلاءة والنصر والتأييد، ويدلّ على المعية العامة قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾، ويدلّ على المعية الخاصة المقيدة بشخص قوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿لَا تَخْزَنَ إِنَّ اللَّهَ

مَعَنَا [التوبة: ٤٠]، وعلى المقيّدة بوصف قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ونحوه.

قوله: (وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا - حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ؛ مِثْلُ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: (فِي السَّمَاءِ) أَنَّ السَّمَاءَ تُظَلُّهُ أَوْ تُقَلُّهُ) وحقيقة العلو أنه على عرشه استوى، وعلا، وارتفع، وحقيقة المعية أنه مع خلقه بعلمه، وإحاطته، وقهره، وسلطانه، وقهره، وغير ذلك من خصائص ربوبيته تعالى، على ما هو ظاهر القرآن، والسنة الصحيحة، بينما المبتدعة ظنوا أن حقيقة (معكم) الاتحاد والاختلاط، وهذا ليس بحقيقة اللفظ على ما تقدم، بل هو من الظنون الكاذبة الفاسدة المخالفة للكتاب، والسنة، والعقل الصحيح، والنقل الصريح. **فَالْهِيَ:** ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]، **وَالْهِيَ:** ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

فمن اعتقد أن السماء تُظَلُّه بمعنى أنها ظرفية له، أو تُقَلُّه بمعنى أنها تحمله فقد كفر لأنه اعتقد أن الله في المخلوق والله **عَزَّجَلَّ** منزه عن الحلول والاتحاد بالمخلوقات، ومنزهة عن الحاجة بل هو الغني الحميد سبحانه، وتعالى.

قوله: (وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ) أي أن معنى (في السماء) داخل السماء، هَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، لأنه مخالف لظاهر القرآن، والسنة، وإجماع السلف الصالح، واعتقاده يؤدي إلى قول الاتحادية، والحلولية، والكفر والزندقة نسأل الله السلامة.

قوله: (فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) والعرش أعظم من الكرسي بل قد جاء في الآثار أن الكرسي في العرش كحلقة في فلاة والله أعظم وأكبر وأجل،

فكيف تُقلَّه السماء أو تحتويه. والكرسي هو كالمِرْقاة للعرش وهو موضع قدمي الجبار، والعرش هو المخلوق العظيم الذي استوى عليه الجبار فالعرش أكبر المخلوقات قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، فلو كان أكبر منه لأضافه لنفسه والنبى ﷺ يقول: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»، من حديث جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم (٢٦٢٧)، فلو كان أكبر من العرش لذكره.

قوله: (وَهُوَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]، فكيف تقلَّه السماء أو تظللَّ وهو يمسك السماء أن تقع على الأرض، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: ٢٥].



إثبات صفة القرب لله عز وجل

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

فصل

وقد دخل في ذلك: الإيمان بأنه قريبٌ مِنْ خلقِهِ مجيبٌ، كما جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ في قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أي: ودخل في الإيمان بالله **عَزَّجَلَّ** الإيمان بأنه قريب مجيب ويدل على ذلك ما ذكر **رَحِمَهُ اللَّهُ** مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، وفي الحديث: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ جَوْفَ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَحْضُورَةٌ مَشْهُودَةٌ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ»، عن عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ أخرجه النسائي (٥٧٢).

وُثِّبَتْ لله صفة القرب على ظاهرها، وليس ظاهرها أَنَّ الله مَتَّحِدٌ بِمَخْلُوقَاتِهِ أَوْ حَالٌ فِيهِمْ، لَأَنَّهُ لَوْ كَانَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ لَكَانَ ظَاهِرُهُ الْكُفْرَ، وَيُسْتَحَالُ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الْكُفْرَ، فَالْمُرَادُ بِالْقُرْبِ أَنَّ اللَّهَ قَرِيبٌ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْقُرْبِ وَوَصَفَهُ نَفْسَهُ بِالْعُلُوِّ وَلَا تَنَاقُضُ وَمِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ **عَزَّجَلَّ**: الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ دَلٌّ عَلَى الْإِحَاطَةِ الزَّمَانِيَةِ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ دَلٌّ عَلَى الْإِحَاطَةِ الْمَكَانِيَةِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٧١٣)، وفيه الحثُّ على الدعاء وفضله وعلى قُرْبِ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال النبي ﷺ: للصحابة لما رفعوا أصواتهم بالذكر: «يُهَا النَّاسُ! ازْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِي رَاحِلَتِهِ»^(١).

من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٣٨٦) واللفظ له، مسلم (٢٧٠٤) وزاد قوله ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِي رَاحِلَتِهِ». والحديث على ظاهره من حيث إثبات القرب لله عَزَّوَجَلَّ مع ما هو متقرر من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله عَزَّوَجَلَّ عليّ في دنوه، وقريب في علوه، فلا يلزم من ذلك حلولاً ولا اتحاداً ولا اختلاطاً.

أمّا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، فالمراد به قُرب الملائكة كما هو مبين، ولو قيل المراد به قرب الله تعالى فعلى المعنى المذكور.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "مجموع الفتاوى" (٥/٥٠١):

وَهُوَ بِذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُوسَّوْسُ بِهِ أَنْفُسُنَا مِنَّا فَكَيْفَ بِحَبْلِ الْوَرِيدِ وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو عَمْرٍو الطلمنكي قَالَ: وَمَنْ سَأَلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى مَعْنَى الْعِلْمِ بِهِ وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَالِدَّلِيلُ مِنْ ذَلِكَ صَدْرُ الْآيَةِ؛ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، لِأَنَّ اللَّهَ لَمَّا كَانَ عَالِمًا بِوَسْوَستِهِ؛ كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَحَبْلِ الْوَرِيدِ لَا يَعْلَمُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ النَّفْسُ.

(١) تقدم تخريجه قريباً.

وَيَلْزَمُ الْمُلْحِدَ عَلَى اعْتِقَادِهِ أَنْ يَكُونَ مَعْبُودُهُ مُخَالِطًا لِلدَّمِ الْإِنْسَانِ وَلَحْمِهِ وَأَنْ لَا يُجَرَّدَ الْإِنْسَانُ تَسْمِيَةً الْمَخْلُوقِ حَتَّى يَقُولَ: خَالِقٌ وَمَخْلُوقٌ لِأَنَّ مَعْبُودَهُ بِزَعْمِهِ دَاخِلٌ حَبْلُ الْوَرِيدِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَخَارِجُهُ فَهُوَ عَلَى قَوْلِهِ مُمْتَرِجٌ بِهِ غَيْرُ مُبَايِنٍ لَهُ.

قَالَ: وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ وَنَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَعَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلوًّا كَبِيرًا. قَالَ: وَكَذَلِكَ الْجَوَابُ فِي قَوْلِهِ فَيَمُنْ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥] أَيُّ بِالْعِلْمِ بِهِ وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ إِذْ لَا يَقْدِرُونَ لَهُ عَلَى حِيلَةٍ وَلَا يَدْفَعُونَ عَنْهُ الْمَوْتَ وَقَدْ **نَالَهُ نَسَالَى**: ﴿تَوَفَّقْتُه رُسُلْنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] **وَقَالَ نَسَالَى**: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

قُلْتُ: وَهَكَذَا ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِثْلَ الثَّعْلَبِيِّ وَأَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ وَغَيْرِهِمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وَأَمَّا فِي قَوْلِهِ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٥] فَذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ الْقَوَلَيْنِ: إِنَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَإِنَّهُ الْقُرْبُ بِالْعِلْمِ. وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مَقْصُودُهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ ذَاتَ الْبَارِي **جَلَّ وَعَلَا** قَرِيبَةٌ مِنْ وَرِيدِ الْعَبْدِ مِنَ الْمَيِّتِ وَلَمَّا ظَنُّوا أَنَّ الْمُرَادَ قُرْبُهُ وَحْدَهُ دُونَ قُرْبِ الْمَلَائِكَةِ فَسَرُّوا ذَلِكَ بِالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ كَمَا فِي لَفْظِ الْمَعِيَّةِ وَلَا حَاجَةَ إِلَى هَذَا؛ فَإِنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٥] أَيُّ بِمَلَائِكَتِنَا فِي الْآيَتَيْنِ وَهَذَا بِخِلَافِ لَفْظِ الْمَعِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ: وَنَحْنُ مَعَهُ بَلْ جَعَلَ نَفْسَهُ هُوَ الَّذِي مَعَ الْعِبَادِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَنْبِئُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا عَمِلُوا وَهُوَ نَفْسُهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ نَفْسُهُ الَّذِي اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ فَلَا يُجْعَلُ لَفْظٌ مِثْلَ لَفْظِ مَعَ تَفْرِيقِ الْقُرْآنِ بَيْنَهُمَا. اهـ

وقد ذهب بعض المبتدعة زاعماً أن أهل السنة وقعوا في التأويل؛ حيث فسروا قول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] بقرب الملائكة.



والجواب: أن تفسير القرب فيهما بقرب الملائكة ليس صرفاً للكلام عن ظاهره لمن تدبره.

فإن القرب مقيد فيها بما يدل على ذلك حيث قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [١٦] إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ [ق: ١٦-١٨] ففي قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾ [ق: ١٧] دليل على أن المراد به قرب الملكين ولو قيل المراد به قرب الله سيكون المعنى ما تقدّم من أنه قريب وهو في علوه وهو مستوٍ على عرشه بائن من خلقه.

وبنحو هذا أجاب الشيخ ابن عثيمين في "القواعد المثلى".

ملخص الجمع بين أدلة العلوّ والقرب والمعيّة:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وما ذُكِرَ في الكتابِ والسنةِ مِنْ قُرْبِهِ ومعِيتهِ، لا يُنَافِي ما ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وفَوْقِيَّتِهِ، فإنه سبحانه؛ ليس كمثله شيءٌ في جميع نُعُوْتِهِ، وهو عَلِيٌّ في دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ في عُلُوِّهِ.

وهذا الذي ذكره من أوجه الردّ على من زعم أنّ القول بالمعيّة والقرب يلزم منه الحلول والاتحاد فإذا كان ذلك يلزم في حقّ المخلوق فلا يلزم في حقّ الخالق لأنّ الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لا في اسمائه ولا صفاته ولا أفعاله.



القول في القرآن

قال رحمه الله:

فصل

ومن الإيمان به وبكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.^(١)

تقدم الكلام على هذه المسألة وأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق أنزله تعالى منه وتكلم به حقيقة، سمعه منه جبريل عليه السلام فبلغه محمد صلى الله عليه وسلم ومن زعم أن كلام الله مخلوق فقد زعم أن كل كلام حقه وباطله كلام الله حتى قال بعض من يعتقد هذا القول:

وَكُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُهُ * سَوَاءٌ عَلَيْنَا نَثَرُهُ وَنَظَامُهُ

وكان أحدهم إذا سمع الكلب ينبح يقول (سبحانك يا أرحم الراحمين) لأنه يعتقد أن صوت الكلب هو كلام الله ومن زعم أن كلام الله مخلوق جوز للمخلوق أن يقول (إنني أنا الله لا إله إلا أنا) وكان فرعون لعنه الله محقا في قوله: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤].

فالله تعالى متكلم حقيقة بصوت وحرف يُسمع والأصل أنهم يقال القرآن كلام الله كما نقول بصر الله وسمع الله وقدرة الله لكن لما زعمت الجهمية القول بخلق القرآن أجمع السلف رضوان الله عليهم على هذه الإضافة (القرآن كلام الله غير مخلوق).

(١) قوله: [وإليه يعود] صرح في "الفتاوى" (١٧٤/٣) بأن دليله ما رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) وغيره عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَذْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَذْرُسُ وَشِي الثَّوْبِ حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ وَلَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ» الحديث، وهو في "الصحيحة" للعلامة الألباني (٨٧)، و"الصحيح المسند" لشيخنا الإمام الوادعي (٢٩٣)، وجاءت عدة آثار عن السلف في ذلك.

القول في اللفظ

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي فقلت: إن قوماً يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة؟ قال: (هم جهمية، وهم شر ممن يقف). وقال: (هذا هو قول جهم) وعظم الأمر عنده في هذا، وقال: قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**حَتَّى أُبْلَغَ كَلَامَ رَبِّي**»، وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ**» فمن قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي. قال: فقلت لأبي: إن الكرايسبي يقول: لفظي بالقرآن مخلوق. فقال: (هذا كلام سوء رديء، وهو كلام الجهمية، كذب الكرايسبي، هتكه الله، الخبيث). وقال: (قد خلف هذا بشراً المريسي). قال عبد الله: وكان أبي يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء، وأن يقال: لفظي به مخلوق أو غير مخلوق. أخرجه ابن بطة في "الإبانة".

وأخرج أيضاً عنه قال: سألت أبي: ما تقول في رجل قال: التلاوة مخلوقة، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق؟ قال: هذا كافر، وهو فوق المبتدع، وهذا كلام الجهمية. قلت: ما ترى في مجانبته؟ وهل يسمى مبتدعاً؟ فقال: (هذا يجانب، وهو فوق المبتدع، وهذا كلام الجهمية، ليس القرآن بمخلوق، قالت عائشة: تلا رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، والقرآن ليس بمخلوق).

وأخرج عن المروزي: قلت لأبي عبد الله: إن رجلاً من أصحابنا زوج أخته من رجل، فإذا هو من هؤلاء اللفظية، يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، وقد كتب الحديث، فقال أبو عبد الله: (هذا شر من جهمي). قلت: فتفرق بينهما؟ قال: نعم، قلت: فإن أخاها يفرق بينهما؟ قال: (قد أحسن)، وقال: (أظهروا الجهمية، هذا كلام ينقض

آخره أوله). قلت لأبي عبدالله: إن الكرابيسي يقول: من لم يقل: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر؟ قال: (بل هو الكافر). وقال: (مات بشر المريسي وخلفه حسين الكرابيسي) فكان أول من أظهر مسألة اللفظ هو حسين الكرابيسي ونشرها بين الناس، كما ترى وذلك سنة أربع وثلاثين ومئتين، ففي "تاريخ بغداد" (٨/٦٥) قال: جاء رجل إلى أبي علي الحسين بن علي الكرابيسي فقال: ما تقول في القرآن؟ فقال حسين الكرابيسي: كلام الله غير مخلوق، فقال له الرجل: فما تقول في لفظي بالقرآن، فقال له حسين: لفظك بالقرآن مخلوق، فمضى الرجل إلى أبي عبدالله أحمد بن حنبل فعرفه أن حسيناً قال له: إن لفظه بالقرآن مخلوق؛ فأنكر ذلك، وقال: هي بدعة. فرجع الرجل إلى حسين الكرابيسي فعرفه إنكار أبي عبدالله أحمد بن حنبل لذلك، وقوله: هذا بدعة، فقال له حسين: تلفظك بالقرآن غير مخلوق؛ فرجع إلى أحمد بن حنبل فعرفه رجوع حسين وأنه قال: تلفظك بالقرآن غير مخلوق. فأنكر أحمد بن حنبل ذلك أيضاً، وقال: هذا أيضاً بدعة، فرجع الرجل إلى أبي علي حسين الكرابيسي فعرفه إنكار أبي عبدالله أحمد بن حنبل وقوله: هذا أيضاً بدعة، فقال حسين: أيش نعمل بهذا الصبي، إن قلنا مخلوق قال: بدعة، وإن قلنا: غير مخلوق، قال: بدعة، فبلغ ذلك أبا عبدالله، فغضب له أصحابه فتكلموا في حسين، وكان ذلك سبب الكلام في حسين والغمز عليه بذلك. اهـ

ومسألة اللفظ فيها إجمال ولهذا نهى السلف عن الخوض فيها، والمذهب الحق في إثبات كلام الله تعالى قد تقدم بيانه، وأن الله **عَزَّوَجَلَّ** متكلم حقيقة بحرف وصوت متى شاء وكيف شاء. ولما وقعت المحنة التي مرت بها الأمة في زمن المأمون من القول بخلق القرآن، وأعز الله الدين وأهله وقمع الباطل وأهله، وصار الإمام أحمد علماً لأهل السنة الجائين بعده، تلبس المبتدعة بألفاظ موهمة.

قال شيخ الإسلام كما في "المجموع" (٣٥٨/١٢): وَصَارَتْ فُرُوعُ التَّجَهُّمِ تَجُولُ فِي نُفُوسِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ. فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعْرُوفًا بِالسُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ: وَلَا نَقُولُ مَخْلُوقٌ وَلَا غَيْرَ مَخْلُوقٍ بَلْ نَقِفُ وَبَاطِنُ أَكْثَرِهِمْ مُوَافِقٌ لِلْمَخْلُوقِيَّةِ وَلَكِنْ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ أَشَدَّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ.

وَطَائِفَةٌ أُخْرَى قَالَتْ: نَقُولُ كَلَامُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يُنْزَلْهُ غَيْرَ مَخْلُوقٍ وَأَمَّا الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَتَلَاهُ جِبْرِيلُ وَمُحَمَّدٌ وَالْمُؤْمِنُونَ فَهُوَ مَخْلُوقٌ وَهَؤُلَاءِ هُمْ (الْلَفْظِيَّةُ). فَصَارَتْ الْأُمَّةُ تَفْرَعُ إِلَى إِمَامِهَا إِذْ ذَاكَ فَيَقُولُ لَهُمْ أَحْمَدُ: افْتَرَقَتِ الْجَهْمِيَّةُ عَلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ تَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ وَفِرْقَةٌ تَقُولُ كَلَامُ اللَّهِ وَتَسْكُتُ وَفِرْقَةٌ تَقُولُ: أَلْفَاظُنَا وَتِلَاوَتُنَا لِلْقُرْآنِ مَخْلُوقَةٌ. فَإِنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِ هَؤُلَاءِ أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُوَ قُرْآنُ مَخْلُوقٍ لَمْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ وَكَانَ لَهُؤُلَاءِ شُبْهَةٌ كَوْنِ أَفْعَالِنَا وَأَصْوَاتِنَا مَخْلُوقَةً وَنَحْنُ إِنَّمَا نَقْرُؤُهُ بِحَرَكَاتِنَا وَأَصْوَاتِنَا. وَرُبَّمَا قَالَ بَعْضُهُمْ مَا عِنْدَنَا إِلَّا أَلْفَاظُنَا وَتِلَاوَتُنَا وَمَا فِي الْأَرْضِ قُرْآنٌ إِلَّا هَذَا. وَهَذَا مَخْلُوقٌ. فَقَابَلَهُمْ قَوْمٌ أَرَادُوا تَقْوِيمَ السُّنَّةِ فَوَقَعُوا فِي الْبِدْعَةِ. وَرَدُّوا بِاطِّلًا بِاطِّلٍ وَقَابَلُوا الْفَاسِدَ بِالْفَاسِدِ فَقَالُوا: تِلَاوَتُنَا لِلْقُرْآنِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ وَأَلْفَاظُنَا بِهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْقُرْآنُ. وَالْقُرْآنُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ الْإِسْمِ الْمُطْلَقِ وَالْإِسْمِ الْمُقَيَّدِ فِي الدَّلَالَةِ وَبَيْنَ حَالِ الْمُسَمَّى إِذَا كَانَ مُجَرَّدًا وَحَالِهِ إِذَا كَانَ مَقْرُونًا مُقَيَّدًا. فَأَنْكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ تِلَاوَةَ الْعِبَادِ وَقِرَاءَتَهُمْ وَأَلْفَاظَهُمْ وَأَصْوَاتَهُمْ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ وَأَمَرَ بِهَجْرَانِ هَؤُلَاءِ كَمَا جَهَّمِ الْأَوَّلِينَ وَبَدَّعَهُمْ. اهـ

وكما ترى أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ قد أنكر على من قال لفظي بالقرآن مخلوق، ومن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق؛ والسبب في ذلك الإجمال الحاصل في كلمة (اللفظ)، والقاعدة في الألفاظ المجملة قد بين السلف كيفية التعامل معها.



قال شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي "التدمرية" (٦٥):** وما تنازع فيه المتأخرون نفيًا واثباتًا فليس على أحد بل ولا له: أن يوافق أحد على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعرف مراده فإن أراد حقا قبل وإن أراد باطلاً رد وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً ولم يرد جميع معناه بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى. اهـ

وقال **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي "منهاج السنة" (٢/٢١٧):** وأما الألفاظ المجملة بالكلام فيها بالنفي والإثبات دون الاستفصال يوقع في الجهل والضلال والفتن والخبال والقييل والقال وقد قيل أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء. اهـ

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي "النونية" مع شرح ابن عيسى (١/٣٢٥):**
فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ وَالتَّمْيِيزِ قَالِ * إِطْلَاقُ وَالْإِجْمَالُ دُونَ بَيَانِ
قَدْ أَفْسَدَا هَذَا الْوُجُودَ وَخَبَطَا أَلْ * أَذْهَانَ وَالْأَرْءَاءَ كُلَّ زَمَانِ
 فهذا هو السبب الأول في نهي السلف عن الخوض في هذه المسألة وهو الإجمال في اللفظ أضف إلى ذلك النزاع في مسألة الإيمان هل هو مخلوق أو غير مخلوق.

قال شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ كَمَا فِي "المجموع" (١٢/٤٣١):** وأصل ذلك القرب والاتصال الحاصل بين ما أنزله الله تعالى من القرآن والإيمان الذي هو من صفاته وبين أفعال العباد وصفاتهم؛ فلعسر الفرق والتمييز يميل قوم إلى زيادة في الإثبات، وآخرون إلى زيادة في النفي. اهـ

وقال شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي بَيَانِ مَعْنَى اللَّفْظِ بِالْإِجْمَالِ فِيهِ (٢/٣٠٦-٣٠٧):**
 واللفظ في الأصل مصدر لفظ يلفظ لفظاً وكذلك التلاوة، والقراءة مصدران؛ لكن شاع استعمال ذلك في نفس الكلام الملفوظ المقروء المتلو وهو المراد باللفظ في إطلاقهم فإذا قيل: لفظي أو اللفظ بالقرآن مخلوق أشعر أن هذا القرآن الذي يقرؤه ويلفظ به مخلوق، وإذا قيل: لفظي غير مخلوق أشعر أن شيئاً مما يضاف إليه غير

مخلوق وصوته وحركته مخلوقان، لكن كلام الله الذي يقرؤه غير مخلوق والتلاوة قد يراد بها نفس الكلام الذي يتلى وقد يراد بها نفس حركة العبد وقد يراد بها مجموعهما؛ فإذا أريد بها الكلام نفسه الذي يتلى فالتلاوة هي المتلو وإذا أريد بها حركة العبد فالتلاوة ليست هي المتلو وإذا أريد بها المجموع فهي متناولة للفعل والكلام فلا يطلق عليها أنها المتلو ولا أنها غيره. اهـ

وأما بالنسبة للإمام البخاري فقد قال الإمام ابن القيم كما في "مختصر الصواعق" مدافعاً عنه (٤/١٣٥٠) وما بعده: فالبخاري أعلم بهذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه، وكلامه فيها أوضح وأمتن من كلام أبي عبدالله، فإن الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ** وأرضاه سدّ الذريعة حيث منع إطلاق لفظ المخلوق نفياً وإثباتاً على اللفظ، فقالت طائفة: أراد سد باب الكلام في ذلك.

وقالت طائفة منهم ابن قتيبة: إنما كره أحمد ذلك ومُنِع منه؛ لأن اللفظ في اللغة الرمي والإسقاط، يقال: لفظ الطعام من فيه ولفظ الشيء من يده إذا رمى به، فكره أحمد إطلاق ذلك على القرآن، وقالت طائفة: إنما مراد أحمد أن اللفظ غير الملفوظ، فلذلك قال: إن من زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق فهو جهمي.

وأما منعه أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق، فإنما منع ذلك؛ لأنه عدول عن نفس قول السلف، فإنهم قالوا: القرآن غير مخلوق، والقرآن اسم يتناول اللفظ والمعنى، فإذا حُص اللفظ بكونه غير مخلوق كان ذلك زيادة في الكلام ونقصاً من المعنى، فإن القرآن كله غير مخلوق، فلا وجه لتخصيص لكن هذا التخصيص ممنوع منه، وكل هذا عدول عما أراده الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

وهذا المنع في النفي والإثبات من كلام علمه باللغة والسنة وتحقيقه لهذا الباب، فإنه امتحن به مالم يمتحن به غيره، وصار كلامه قدوة وإماماً لحزب رَسُولِ اللَّهِ



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يوم القيامة، والذي قصده أحمد أن اللفظ يراد به أمران: أحدهما: الملفوظ نفسه، وهو غير مقدور للعبد ولا فعل له.

والثاني: والتلفظ به والأداء له وهو فعل العبد، بإطلاق الخلق على اللفظ قد يوهم المعنى الأول وهو خطأ، وإطلاق نفي الخلق عليه قد يوهم المعنى الثاني، وهو خطأ، فمُنْع للإطلاقين.

وأبو عبد الله البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ مَيَّزَ وفصل وأشبع الكلام في ذلك، وفرق بين ما قام بالرب، وبين ما قام بالعبد، وأوقع المخلوق على تلفظ العباد وأصواتهم وحركاتهم وأكسابهم، ونفي اسم الخلق عن الملفوظ وهو القرآن الذي سمعه جبريل من الله تعالى وسمعه محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جبريل، وقد شفي في هذه المسألة في كتاب "خلق أفعال العباد" وأتى فيها من الفرقان والبيان بما يزيل الشبهة ويوضح الحق ويبين محله من الإمامة والدين، ورد على الطائفتين أحسن رد.

قال أبو عبد الله البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: فأما ما احتج الفريقان لمذهب أحمد ويدّعيه كلُّ لنفسه فليس بثابت كثير من أخبارهم ورُبما لم يفهموا دقة مذهبه، بل المعروف عن أحمد وأهل العلم أن كلام الله تعالى غير مخلوق، وما سواه فهو مخلوق، وأنهم كرهوا البحث والتفتيش عن الأشياء الغامضة، وتجنبوا أهل الكلام والخوض والتنازع إلا فيما جاء به العلم وبينه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ

وقوله: (مُنَزَّلٌ مِنْهُ بَدَأَ) تقدمت الأدلة على ذلك مثل قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]، وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، و(من) للابتداء.

وقوله: (وَالَيْهِ يَعُودُ) في حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٤٠٤٩) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَذَرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَذَرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي

الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ»، ويكون هذا الرفع حين يحصل من أهل الإسلام البعد عن هذا الكتاب قبل قيام الساعة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً.

أي: أن حروفه، وكلامه، ومعانيه من الله تعالى سمعه منه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ حقيقة، وبلغه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا يردّ قول المبتدعة الذين يقولون إن كلام الله تكلم به غيره أو أن كلام الله عَزَّوَجَلَّ نفساني وتكلم جبريل بما في نفس الله أو تكلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما في نفس الله وهذا من أقبح القول لأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يعلم ما في نفسه إلا هو، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وفي سنن أبي داود (٤٧٣٨): عن عبدالله ابن مسعود قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلْسَّمَاءِ صَلَصلةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُضْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» قَالَ: «فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقُّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقُّ، الْحَقُّ». وعلقه البخاري.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً لَا كَلَامُ غَيْرِهِ.

على ما تقدم، ولهذا لو حلفت بالقرآن لزمك أحكام اليمين المكفّرة ولو كان مخلوقاً كالشجر والحجر، لكان من حلف به أشرك، ولما جاز الاستعاذة به وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»، من حديث خولة بنت

حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم (٢٧٠٨) وجاء بنحوه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إذ لو جاز الاستعاذة به وهو مخلوق لجاز الاستعاذة بالصنم والحجر والقبر ولم يبق في الإنكار على المشركين معنى ولكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعاذة بصفة الله وهي كلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر.

ولو كان القرآن كلام البشر لما كفر الله من زعم أنه قول البشر لكن لما قال الوليد بن المغيرة: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]، أنزل الله: ﴿إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۝٢٤ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝٢٥ سَاصِلِهِ سَقَرٌ ۝٢٦﴾ [المدثر: ١٨-٢٦].

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلما توعدّه الله بسقر علمنا أنه ليس بقول البشر).

وقد تحدّاهم الله عزَّجَلَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وتحداهم أَنْ يَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِنْ مِثْلِهِ فَقَالَ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣] وتحداهم أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ فَقَالَ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]، فعجزوا وهم أفصح العرب لساناً ولهذا نزل القرآن بلغتهم لفصاحتهم وبلاغتهم ومع ذلك عجزوا أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ قَوْلِ اللهِ عزَّجَلَّ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١-٣]، كلام عظيم، كلام جميل، معجز يجمع الله في الآية بين الخبر والأمر والنهي والوعد والوعيد وغير ذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، انظر إلى حياة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ منذ



خروجه من بطنه أمه إلى أن أرسل في آية يُخبر الله عزَّجَل بها، قال الله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ
الْبَاطِلُ مِنْ يَمِينٍ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، كلما قرأه
الإنسان زاده انشراحاً في صدره وفهماً له.

قال رحمه الله:

ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله، أو عبارة عنه.

قال ابن القيم رحمه الله:

رَعَمُوا الْقُرْآنَ عِبَارَةً وَحِكَايَةً ❀ قُلْنَا كَمَا رَعَمُوهُ قُرْآنَانِ
هَذَا الَّذِي نَتْلُوهُ مَخْلُوقٌ كَمَا ❀ قَالَ الْوَلِيدُ وَبَعْدَهُ الْفَتَّانِ

قال الهراس رحمه الله:

وَمَنْ رَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْمَوْجُودَ بَيْنَنَا حِكَايَةً عَنْ كَلَامِ اللَّهِ؛ كَمَا تَقُولُهُ الْكُلَابِيَّةُ، أَوْ أَنَّهُ
عِبَارَةٌ عَنْهُ؛ كَمَا تَقُولُهُ الْأَشْعَرِيَّةُ؛ فَقَدْ قَالَ بِنَصْفِ قَوْلِ الْمُعْتَزِلَةِ؛ حَيْثُ فَرَّقَ بَيْنَ الْأَلْفَافِ
وَالْمَعَانِي، فَجَعَلَ الْأَلْفَافَ مَخْلُوقَةً، وَالْمَعَانِي عِبَارَةً عَنِ الصِّفَةِ الْقَدِيمَةِ؛ كَمَا أَنَّهُ
ضَاهَى النَّصَارَى فِي قَوْلِهِمْ بِحُلُولِ اللَّاهُوتِ وَهُوَ الْكَلِمَةُ فِي النَّاسُوتِ وَهُوَ جَسَدُ
عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إِذْ قَالَ بِحُلُولِ الْمَعَانِي الَّتِي هِيَ الصِّفَةُ الْقَدِيمَةُ فِي هَذِهِ الْأَلْفَافِ
الْمَخْلُوقَةِ، فَجَعَلَ الْأَلْفَافَ نَاسُوتًا لَهَا. انتهى

قال رَحِمَهُ اللهُ :

بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ، أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ، لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللهِ تعالى حقيقةً، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً، إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا، وَهُوَ كَلَامُ اللهِ حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ، لَيْسَ كَلَامُ اللهِ الْحُرُوفُ دُونَ الْمَعَانِي، وَلَا الْمَعَانِي دُونَ الْحُرُوفِ.

وفي كتاب "العقل والنقل" (٦٠/٢) نقلًا عن أبي حامد: وكان عبد الله بن سعيد بن كلاب يقول: هي حكاية عن الأمر فخالفه أبو الحسن الأشعري، بأن الحكاية تحتاج أن تكون مثل المحكي، ولكن هو عبارة عن الأمر القائم بالنفس. انتهى

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ :

وَكَذَلِكَ اخْتَلَفُوا فَقِيلَ حِكَايَةٌ * عَنْهُ وَقِيلَ عِبَارَةٌ لِيَّانِ
إِنْ كَانَ مَا يَحْكِي كَمَحْكِيٍّ وَهَـ * ذَا اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فَمُخْتَلَفَانِ
وَلِذَا يُقَالُ حَكَى الْحَدِيثَ بِعَيْنِهِ * إِذْ كَانَ أَوَّلُهُ نَظِيرَ الثَّانِي
فَلِذَاكَ قَالُوا لَا تَقُولُ حِكَايَةً * وَنَقُولُ ذَاكَ عِبَارَةَ الْفُرْقَانِ
وَالْآخَرُونَ يَرَوْنَ هَذَا الْبَحْثَ لَفَـ * ظِيًّا وَمَا فِيهِ كَيْرُ مَعَانِي



إثبات الرؤية

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فصل

وقد دخل أيضا فيما ذكرناه من الإيذان به، وبكثيره،^(١) وبرسليه: الإيذان بأن المؤمنين يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ]،^(٢) كما يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا^(٣) سَحَابٌ، وكما يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، يَرَوْنَهُ سَبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ،^(٤) ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.^(٥)

قد تقدم الكلام عليها بما يغني عن الإعادة لكن كرر لكثرة المخالفين لأهل السنة في هذا الباب، واعلم أن الإيمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة هو معتقد أهل السنة والجماعة المؤيد بالأدلة الجلية والبراهين النقلية والشواهد العقلية.

(١) زاد في المطبوع: [وبملائكته].

(٢) هذه الجملة أخرجها البخاري (٧٤٣٥) عن جرير، تفرد بها أبو شهاب الحنات، وليس أهلاً للتفرد؛ قال الذهبي في "الميزان": صدوق في حفظه شيء. اه وقال الحافظ في "التقريب": صدوق يهم. اه وقال الطبراني في "الأوسط" (٢٧/٩) (٨٠٥٣) بعد أن ساق الحديث بسنده: لم يقل أحد ممن روى الحديث عن إسماعيل بن أبي خالد: «ترونها بكم عياناً» إلا أبو شهاب، تفرد به خلف. اه وقد قال شيخنا يحيى الحجوري بشذوذها، أما العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فقد حكم بشذوذها في ظلال الجنة (٤٦١)، ورجع عنه في "السلسلة الصحيحة" (٣٠٥٦)، والصواب شذوذها.

(٣) جاء في "الصحيحين" خ (٨٠٦) م (١٨٢) عن أبي هريرة، وفي المطبوع: [بها].

(٤) متفق عليه: خ (٨٠٦) م (١٨٢) عن أبي هريرة مرفوعاً بأبي سعيد، وهو حديث الشفاعة الطويل.

(٥) رواه مسلم (١٨١) من حديث صهيب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "لاميته":

وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ * وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ
وقال أبو بكر بن أبي داود في **رَحِمَهُ اللَّهُ** "حائثه":

وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً * كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ * وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى الْمُسَبِّحُ
وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا * بِمُضْدَاقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثُ مُصَرِّحُ
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ * فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجِحُ

قال الطحاوي **رَحِمَهُ اللَّهُ** (١٨٨) مع الشرح: والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٣٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٣٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وتفسيره على ما أراد الله وعلمه، وكلما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ فهو كما قال، ومعناه ما أراد. اهـ

وقال الدارمي **رَحِمَهُ اللَّهُ** ص (١٠٤): قَدْ صَحَّتِ الْأَثَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَكِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقُ بِهِ، فَإِذَا اجْتَمَعَ الْكِتَابُ وَقَوْلُ الرَّسُولِ وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ لَمْ يَبْقَ لِمُتَأَوِّلٍ عِنْدَهَا تَأْوِيلٌ، إِلَّا لِمُكَابِرٍ أَوْ جَاحِدٍ. اهـ
وقال عبدالغني المقدسي في "الاقتصاد في الاعتقاد" ص (١٢٥): وأجمع أهل الحق واتفق أهل التوحيد والصدق أن الله تعالى يُرى في الآخرة، كما جاء في كتابه، وصح عن رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. اهـ

وأدلة الرؤية متواترة متكاثرة حتى قيل:

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثُ مَنْ كَذَبَ * وَمَنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْتًا وَاخْتَسَبَ
وَرُؤْيَا شَفَاعَةً وَالْحَوْضُ * وَمَسْحُ خُفَّيْنِ وَهَذِي بَعْضُ

الإيمان باليوم الآخر

قال رحمه الله:

فَصُلِّ

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَبِنَعِيمِهِ.
فَأَمَّا الْفِتْنَةُ فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، يُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللَّهُ رَبِّي، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيِّي.
وَأَمَّا الْمَرَاتَبُ فَيَقُولُ: [هَاهُ هَاهُ]؛^(١) لَا أَذْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ.^(٢) ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ: إِمَّا نَعِيمٌ، وَإِمَّا عَذَابٌ.

وبداية الإيمان باليوم الآخر الموت ففي حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٣٠٨) وابن ماجه (٤٢٦٧)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَمَنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»، فقولُه

(١) وقع في (ظ) و(م): [آه آه].

(٢) متفق عليه: خ (١٣٣٨) م (٢٨٧٠) عن أنس، ورواه أبو داود (٤٧٥٣) وابن أبي شيبة (٣/٣٨٠) عن البراء وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا الإمام الوادعي (١٤١)، لكن في حديثهما استثناء الثقلين، أما التي أشار إليها المصنف فليست في عذاب القبر، وإنما فيما تقول الجنابة حين تُحْمَلُ عَلَى الْأَعْنَاقِ، كَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٨٠) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا وُضِعَتِ الْجِنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرَّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَالَتْ: قَدْ مُونِي قَدْ مُونِي؛ وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟! يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ»، ولم أر أحدا نبه على هذا فله الحمد.

الإيمان باليوم الآخر يدخل فيه أمور كثيرة من أمور الغيب مثل: الإيمان بملك الموت، الإيمان بالقبر وبما فيه من النعيم والعذاب والضمّة والفتنة، والإيمان بأنّ الإنسان يبلى إلّا عجب الذنب والإيمان بالبعث بعد الموت والحساب والصراف والميزان والحوض وتطير الصحف ورؤية الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ومسائل الإيمان بالشفاعة.

وسُمّي باليوم الآخر لأنّه ليس بعده يوم وهو يوم واحد للإنسان وإن قال قائل أنتم تقولون القبر أوّل منازل الآخرة وما زالت الأيّام والليالي تتعاقب يقال لهم ليس للميّت بعد ذلك تفريق بين الليل والنهار وإتّما هو امتداد شيء واحد إلّا ما كان من مودة خفيفة ما بين النفختين على ما ذكر قتادة ويبقى الناس بعد التمييز بين أهل الجنة، وأهل النار إمّا في نعيم خالد وإمّا في عذاب خالد، ومن أعظم الأسباب المعينة على العمل الصالح استحضار الإخلاص لله **عَزَّ وَجَلَّ** وأيضًا الرغبة في ذلك اليوم ولهذا قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ **الْآخِرَ**﴾ [الأحزاب: ٢١]، والإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، **وَقَالَ نِسَاءُ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾** [النساء: ١٣٦]، والنبّي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال لما سُئِلَ عن الإيمان: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»** من حديث عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٨).

وفي حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** المتفق عليه عند البخاري (٤٧٧٧) ومسلم (٩)، قال الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ»**، وهو يتضمّنه، وهذا الركن من الأركان التي اتفقت عليه

الرسول وأول ما نزل من القرآن كانت آيات فيها ذكر الجنة والنار والقيامة لأن الناس كانوا لا يؤمنون باليوم الآخر: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، ولا حول ولا قوة إلا بالله فكانوا لا يُبالون ماذا صنعوا وماذا فعلوا لأنهم يعتقدون أنهم سيموتون ويكونون تراباً، فعن ابن عباس، أن العاصي بن وائل أخذ عظما من البطحاء ففتنه بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أياحيي الله هذا بعد ما أرى؟ فقال رسول الله ﷺ: «نَعَمْ، يُمِيتُكَ اللَّهُ ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ جَهَنَّمَ»، قال: ونزلت الآيات من آخر (يس). أخرجه ابن أبي حاتم، وهو قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

في كثير من الآيات يُقرر الله تعالى البعث ومسائله وكان من أبلغ التقرير ما في آخر سورة ياسين حيث ضرب الله لهم المثل بتلك الشجرة الخضراء التي يخرج منها النار فالله عَزَّوَجَلَّ لا يُعجزه شيء في السماوات ولا الأرض ومما يستدل به العلماء وجاءت حجتيه في القرآن أن الإيجاد من العدم أشد من الإعادة وإذ كان الله لم يُعجزه إيجادهم من العدم فمن باب أولى أن لا تُعجزه الإعادة وفي سورة القيامة قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْتُمُونَ آيَاتِنَا وَيَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٥]، وكثير من الملاحدة لا يؤمنون باليوم الآخر مثل البوذيين والهندوس وإنما يعتقدون أن الروح الشريرة تخرج في الشرير وهذا هو عذابها والروح الطيبة تخرج إلى شيء طيب فيقولون بتناسخ الأرواح.

الكلام في القبر وما فيه

وتضمنت هذه الفقرة الإشارة إلى القبر وما فيه من النعيم والعذاب وقبل ذلك ما فيه من الفتنة والضمّة، أمّا الفتنة فيدل عليها قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يُتَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فقال النبي



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَزَلْتُ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ»، من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٨٧١) واللفظ له، والبخاري (١٣٦٩).

والفتنة هي السؤال قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فيما ترويه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ: فَبِي تَفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ» مسند أحمد (٢٥٠٨٩)، وبهذا استدلل العلماء على أنّ الأنبياء لا يُفْتَنُونَ في قبورهم وذلك لأنّ الناس يُسألون عن أنبيائهم ولا يُسأل الأنبياء فقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَبِي تَفْتَنُونَ»، أي يقال: «من نبيك؟»، كما في بعض الروايات وفي بعضها: «مَا عَلِمْتُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤَقِنُ لَا أَذْرِي بِأَيِّهِمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ فَيَقُولُ هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلَاثًا فَيَقَالُ نَمَّ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ وَأَمَّا الْمُتَنَاقِضُ أَوْ الْمُتَرَاتِبُ لَا أَذْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ فَيَقُولُ لَا أَذْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ» من حديث أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥).

وهذا يدلّ على أنّ التقليد ليس بنافع ويسلم من هذه الفتنة الصديقون والشهداء والمرابطون، أمّا الصديقون فلم نجد دليلاً على إخراجهم منها لكنهم أفضل من الشهداء بالإجماع، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، وأمّا الشهداء فقد صحّ عند النسائي (٢٥٥٢)، أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عن الشهداء هل يُفْتَنُ في قبره؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»، وأمّا المرابط فعن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٢٥٠٠)، قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُلُّ الْمَيِّتِ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَوْمَئِذٍ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ»، فهو لاء الأصناف السالمون الناجون من الفتنة.

وفي القبر ضمّةٌ وهي نائلة كلّ أحد ولم يستثن بعضهم حتى الأنبياء والصحيح أنّ الأنبياء يسلمون منها؛ لأنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لِلْقَبْرِ ضَغْطَةٌ، لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ

لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخرجه الطبري في "تهذيب الآثار" (٣٢٨)، وابن حبان في "صحيحه" (٣١١٢) وغيرهما، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا الَّذِي تَحْرَكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ فُرِجَ عَنْهُ» من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند النسائي (٢٠٥٤). فلو أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأنبياء لقال: (لنجوت منها أنا)، ولكن لما ذكر سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دل على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد غير الأنبياء وإلى هذا القول ذهب الحكيم الترمذي ولم أر غيره ذكر هذا القول والحكيم الترمذي فيه ما فيه من الكلام لكن هذا القول الذي لا يصلح أن نذكر غيره، وكثير من العلماء يقولون ضمة المؤمن في القبر كضمة الأمم الحنون، وهذا غير صحيح؛ لأن الحديث فيه: «ثم فرج عنه»، والتفريج يقع بعد شدة، وهي ضمة تتخالف فيها الأضلاع، نسأل الله السلامة، إلا أن المؤمن يُفرج عنه بعدها والكافر يظل على ما هو فيه، على ما يأتي في حديث البراء.

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما في القبر من النعيم والعذاب وقد دل على عذاب القبر ونعيمه الكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْهَنَكَمُ الشَّكَاثُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝﴾ [التكاثر: ١-٢]، قد يقول قائل: (حتى زرتم المقابر بأجسادكم وذهبتم تنظرون إلى القبور)، يُقال هذا المعنى ضعيف، بل المعنى المراد (حتى زرتم المقابر) أي دخلتم فيها أمواتاً، ويدل على ذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فَقَالَ لَهُ: «لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ: قُلْتَ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ، أَوْ تَثُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَنَعَمْ إِذَنْ» من حديث ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٦١٦) وغيره.

وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿التَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، والعجب ممَّن يتجرأ على إنكار عذاب القبر مع دلالة هذه الآية ووضوح الاستدلال بها، فدلَّت على عذاب قبل الساعة وعلى عذاب بعد الساعة، وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ خَفَقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتْ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصَّوْمُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتْ الزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، وَيُؤْتَى مِنْ عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصَّوْمُ مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، وَيُؤْتَى مِنْ عَنْ يَسَارِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، وَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيَقَالُ لَهُ: افْعُدْ فَيَقْعُدُ، وَتُمَثَّلُ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ دَنَتْ لِلْغُرُوبِ فَيَقَالُ لَهُ مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، وَمَا تَشْهَدُ بِهِ؟ فَيَقُولُ: دَعُونِي أُصَلِّي، فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ وَلَكِنْ أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ قَالَ: وَعَمَّ تَسْأَلُونِي عَنْهُ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ، فَيَقُولُ: دَعُونِي أُصَلِّي. فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ وَلَكِنْ أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ، قَالَ: وَعَمَّ تَسْأَلُونِي؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبِرْنَا مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ وَمَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدًا، أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِّتْ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتْ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ قِبَلِ النَّارِ فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَنْزِلِكَ وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ، لَوْ عَصَيْتَ فَيَزَادُ غِظَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ قِبَلِ الْجَنَّةِ فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَنْزِلِكَ، وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فَيَزَادُ غِظَةً

وَسُرُورًا» وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قَالَ: وَقَالَ أَبُو الْحَكَمِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَيَقَالُ لَهُ: «أَزِفَدُهُ رَقْدَةَ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَعَزُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، أَوْ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ»، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، وَيُوتَى عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ يُوتَى عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ يُوتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، فَيَقَالُ لَهُ: افْعُدْ فَيَفْعُدُ خَائِفًا مَرْعُوبًا، فَيَقَالُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَجُلٍ؟ فَيَقُولُونَ: الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ. قَالَ: فَلَا يَهْتَدِي لَهُ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا فَقُلْتُ كَمَا قَالُوا، فَيَقُولُونَ: عَلَى ذَلِكَ حَيِّتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ قِبَلِ الْجَنَّةِ فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَنْزِلِكَ، وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ لَوْ كُنْتَ أَطَعْتَهُ فَيَزِدَادُ حَسْرَةً وَتُؤْبَرًا، قَالَ: ثُمَّ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ» قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنَّ لَهُو مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]. أخرجَه الحاكم وهو حديث حسن.

واستدلَّ بعض العلماء بقول الله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، وبقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وبما استدللَّ به النبي ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال: ﴿نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ﴾ متفق عليه عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن الأدلة الصريحة ما ذكره الله **عَزَّوَجَلَّ** في آخر سورة الواقعة: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۖ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ۝٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ۝٩٢﴾ فَزُلْ مِنْ حَمِيمٍ ۝٩٣﴾ وَنَضْلِيَةٌ جَعِيمٍ ۝٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۝٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝٩٦﴾ [الواقعة: ٨٦-٩٦]، حيث ذكر الله **عَزَّوَجَلَّ** هذه الآيات بعد سياقة خروج الروح من الجسد في آيات غير هذه ذكرناها في كتاب "عذاب القبر ونعيمه".

وأما الأحاديث فهي متواترة، ومنها قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ» من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٥٨٨)، (٥٩٠) وعن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

وعن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَدَّثَ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبَرُ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ ... فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبَرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: «فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ. أخرجه مسلم (٢٨٦٧).

وفي مسلم (٥٨٤) عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ شَعَرْتَ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟ قَالَتْ:



فَارْتَاَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَبِثْنَا لِيَالِي، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ شَعَرْتَ أَنَّهُ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ يَسْتَعِيدُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (١٣٧٢)، ومسلم، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ».

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... وفيه: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ - وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لِمَوْتِ بَشَرٍ - فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ، مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ، لَقَدْ جِئَ بِالنَّارِ، وَذَلِكَكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، مَخَافَةً أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِخْجَنِ يَجُرُّ قُضْبَهُ فِي النَّارِ، كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِخْجَنِهِ، فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِخْجَنِي، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهَرَّةِ الَّتِي رَبَطْتَهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تَدْعَها تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، ثُمَّ جِئَ بِالْجَنَّةِ، وَذَلِكَكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي مَقَامِي، وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ». أخرجه مسلم (٩٠٤).

ويدل عليه حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (١٣٨٦) واللفظ له، ومسلم (٢٢٧٥)، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ. فَسَأَلْنَا يَوْمًا فَقَالَ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمُ رُؤْيَا؟» قُلْنَا: لَا، قَالَ: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ

كَلُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ» قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى: «إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتِمِسُ شِدْقَهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ، فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفَهْرٍ - أَوْ صَخْرَةٍ - فَيَشْدُخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهَدَهَ الْحَجَرُ، فَاَنْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتِمِسَ رَأْسَهُ وَعَادَ رَأْسَهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ، فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا إِلَى ثَقَبٍ مِثْلِ التَّنُورِ، أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ، فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسْطِ النَّهْرِ» - قَالَ يَزِيدُ، وَوَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ: عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ -: «وَعَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ، فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضِرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِييَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ، وَأَذْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرُ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ، وَصِييَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَذْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ، قُلْتُ: طَوَفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ، قَالَا: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذِبَةِ، فَتَحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيَصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدُخُ رَأْسَهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقَبِ فَهُمْ الزُّنَاةُ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهْرِ أَكَلُوا الرِّبَا، وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالصَّيْيَانُ، حَوْلُهُ، فَأَوْلَادُ النَّاسِ وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكُ خَازِنِ النَّارِ، وَالْدَّارُ الْأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارَ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ

الشَّهَدَاءِ، وَأَنَا جَبْرِيلُ، وَهَذَا ميكائيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالَا: ذَاكَ مَنَزْلُكَ، قُلْتُ: دَعَانِي أَذْخُلْ مَنَزْلِي، قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنَزْلَكَ».

وفي حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الحاكم (٢٨٣٧)، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَأَخَذَا بَضْبِعِي، فَاتَيَا بِي جَبَلًا وَعَرَا، فَقَالَا لِي: اصْعَدْ. فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أُطِيقُ. فَقَالَا: إِنَّا سَنُسَهِّلُهُ لَكَ، فَصَعِدْتُ حَتَّى كُنْتُ فِي سَوَاءِ الْجَبَلِ، إِذَا أَنَا بِأَصْوَاتِ شَدِيدَةٍ، قُلْتُ: مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟ قَالُوا: هَذَا هُوَ عَوَاءُ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيهِمْ، مُشَقَّقَةً أَشْدَاقُهُمْ، تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دَمًا، فَقُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحَلَّةِ صَوْمِهِمْ، ثُمَّ انْطَلَقَا بِي، فَإِذَا بِقَوْمٍ أَشَدَّ شَيْءَ انْتِفَاحًا، وَأَنْتَنِيهِ رِيحًا، وَأَسْوَرِيهِ مَنْظَرًا، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الزَّانُونَ وَالزَّوَانِي، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي، فَإِذَا أَنَا بِنِسَاءٍ تَنْهَشُ ثُدْيَهُنَّ الْحَيَّاتُ، فَقُلْتُ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ اللَّوَاتِي يَمْنَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ أَلْبَانَهُنَّ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَإِذَا بِغِلْمَانٍ يَلْعَبُونَ بَيْنَ نَهْرَيْنِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ شَرَفَ لِي شَرَفٌ فَإِذَا أَنَا بِثَلَاثَةِ نَفَرٍ يَشْرَبُونَ مِنْ خَمَرٍ لَهُمْ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، ثُمَّ شَرَفَ لِي شَرَفٌ آخَرُ، فَإِذَا أَنَا بِثَلَاثَةِ نَفَرٍ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: إِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَتَنَظَّرُونَكَ».

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرَزْتُ لَيْلَةً أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ حُطَبَاءُ أُمَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ» رواه أحمد

(١٢٨٥٦) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ» رواه أبو داود (٤٨٧٨) من حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ومن أوسع الأدلة في الباب حديث البراء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُثُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ يَبْضُ الْوُجُوهَ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ»، قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَحْذَاهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ» قَالَ: «فَيُصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُوتُونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ**: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى» قَالَ: «فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟

فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَاْمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيَنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَافْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ»، قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطَيِّبِهَا، وَيُنْفَسِحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ»، قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي»، قَالَ: «وَأَنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَخْرِجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ»، قَالَ: «فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيُتَزَرَّعُ كَمَا يُتَزَرَّعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيفَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ النَّبِيِّ كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُتَمَتَّى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٤٠]، «فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ

حَرَّهَا، وَسَمُومَهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ
الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُتَنُّ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ
تُوَعِّدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ،
فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ، أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي "مَصْنَفِهِ" (١٢٠٥٩)، وعبد الرزاق
(٣٧٣٧)، وأحمد (١٨٥٣٤)، والحمد لله.

* ومن شبه منكري عذاب القبر قولهم: أخذنا ميتًا ووضعناه في القبر ووضعنا
على صدره زئبقًا، وفي اليوم الثاني حفرنا فوجدنا الزئبق كما هو، وأنتم تزعمون أن
الملائكة يجلسون الميت ويضربونه ويضمم وغير ذلك، فلو حصل هذا لسال الزئبق؟!
هؤلاء أصحاب عقول فاسدة وإلا فحياة البرزخ ثابتة قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ وَرَّاهُمْ
بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، فنحن يجب علينا أن نؤمن بالبرزخ وما فيه بعيدا
عن هذه الشبه، ثم لو أن رجلين على فراش واحد ثم جاء أحدهما رؤيا محزنة، رؤيا
عذاب والآخر جاءته رؤيا نعيم، فهذا يُنعم في نومه ويُعذَّب فيه، وقد يُسمع بعض
عذاب القبر فقد سمع النبي ﷺ بعض الأصوات وقال: «إِنَّ يَهُودَ تُعَذَّبُ فِي
قُبُورِهِمْ»، والذي يريد أن يجعل الأمر إلى عقله سيتعب، ويُتعب، وسيقع في الزندقة
والإلحاد، ولو أردت أن تستجري مع الشيطان سيوسوس لك في كل شيء في الله، وفي
رسله، وفي كتبه.

والعذاب أو النعيم في القبر يقع على الروح والجسد، قال الحافظ في "الفتح"
(٣/ ٣٠١): وقد أخذ ابن جرير وجماعة من الكرامية بهذه القصة: أن العذاب في القبر
يقع على البدن فقط، وأن الله يخلق فيه إدراكًا بحيث يسمع ويعلم ويلذ ويألم.
وذهب ابن هبيرة، وابن حزم إلى أن السؤال يقع على الروح فقط، من غير عود
إلى الجسد.

وذهب الجمهور فقالوا: تعاد الروح إلى الجسد أو بعضه، كما ثبت في الحديث ولو كان على الروح فقط لم يكن للبدن بذلك اختصاص. والحامل للقائلين أن السؤال يقع على الروح فقط: أن الميت قد يشاهد في قبره حال المسائلة، لا أثر فيه من إبعاد ولا غيره، ولا ضيق في قبره ولا سعة، وكذلك غير المقبور كالمصلوب.

وجوابهم: أن ذلك غير ممتنع في القدرة، بل له نظير في العادة، وهو النائم فإنه يجد لذة وألمًا لا يدركه جليسه، وإنما أتى اللفظ على ما قبله، والظاهر أن الله صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك، وستره عنهم إبقاء عليهم لئلا يتدافنوا وليست للجوارح الدنيوية قدرة على إدراك أمر الملكوت، إلا من شاء الله، وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب إليه الجمهور. اهـ

ونقل ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي "الروح" (٩٥)** وكما هو في "مجموع الفتاوى" (٤/٢٦٢) عن شيخ الإسلام قوله: بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما مجتمعين في هذه الحالة. ثم ذكر أقوال طوائف ممن يشبّون عذاب القبر، ومذاهبهم فقال: وهؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه على الروح فقط.

الثاني: أنه عليها وعلى البدن بواسطتها.

الثالث: أنه على البدن فقط.

ثم قال **رَحْمَةُ اللَّهِ:** والقول الثالث الشاذ قول من يقول إن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب، بل لا يكون ذلك حتى تقوم الساعة، ثم قال: فجميع هذه الطوائف في أمر



البرزخ ضلّال، إلا أنهم خير من الفلاسفة، فإنهم مقرون بالقيامة الكبرى، فإذا عرفت هذه الأقوال الباطلة فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحة وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً، ويحصل لها النعيم أو العذاب. اهـ بتصرف وقد ذكر ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** في كتاب "الروح" أنّ للروح مع الجسد خمسة

تعلّقات:

الأوّل: تعلّق في بطن الأمّ.

الثاني: تعلّق باليقظة في الدنيا.

الثالث: تعلّق في المنام.

الرابع: تعلّق في القبر.

الخامس: تعلّق يوم القيامة وهو أكمل التعلّقات، إذ النعيم أو العذاب واقع على الروح والجسد بصورة متساوية بينما في الدنيا الألم أو اللذة يقع على الجسد والروح تبعاً له، وفي القبر وفي النوم اللذة أو العذاب تقع على الروح والجسد تابع لها، أمّا في القيامة فالعذاب أو النعيم عليهما جميعاً؛ ولهذا كان أكمل التعلّقات.

والحياة البرزخية حياة حقيقية لها مميّزاتها ولها خصائصها فنحن نؤمن أنّ من مات ناله ما يستحقّه من النعيم أو العذاب قُبْر أو لم يُقْبَرْ، كان في بطون السباع أو في بطون الأسماك أو في أيّ مكان كان، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وتشمل الفتنة الأطفال حيث يخلق الله لهم إدراكاً يستطيعون الإجابة به، وقد قرر هذا شيخ الإسلام وفيه من أهل العلم، وذهب ابن عبد البر **رَحْمَةُ اللَّهِ** إلى أنّ الفتنة على أهل الإسلام ولا تشمل غيرهم والصحيح أنّها عامّة شاملة والأحاديث التي قالها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مثل: «فَبِئْسَ تَفْتُنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ»، كونه يُخاطب أمّته وإلاّ فهي عامّة، وممّا يجب الإيمان به أنّ الملكين اللذان يسألان

المقبور في قبره هما منكر ونكير، صَحَّت التسمية عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعند الترمذي (١٠٧١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَنَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يَنْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنُومَةَ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُتَنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: التَّيْمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتِمِسُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

إلى يوم القيامة الكبرى،^(١) فتَعَادُ الأرواحُ إلى الأجساد.

أي أن الحياة البرزخية نهايتها بقيام الساعة وهو البعث، والنشور، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وهو القيام في النفخة الأخرى قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، على ما يأتي بيانه إن شاء الله.

(١) يدل عليه قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

القيامة الكبرى وما فيها

قال رَحِمَهُ اللهُ:

فَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ، فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا. ^(١) وَتَذْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ. ^(٢)

وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ، ^(٣) ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ^(١٣) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ^(١٤) [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وَتُنْشَرُ الدَّوَابِئُ، وَهِيَ: صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، فَأَخَذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَأَخَذُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِيقَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ ^(١٣) أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ^(١٤) [الإسراء: ١٣-١٤].

وَيُحَاسَبُ اللهُ الْخَلَائِقَ، وَيُخْلَوُ بَعْدَهُ الْمُؤْمِنُ فَيَقَرُّهُ بِذُنُوبِهِ، كَمَا وَصَفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، ^(٤) وَأَمَّا الْكَفَّارُ فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةً مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ، فَإِنَّهُمْ

(١) متفق عليه: خ (٣٣٤٩ و ٦٥٢٧) م (٢٨٥٩ و ٢٨٦٠) عن عائشة وابن عباس.

(٢) رواه مسلم (٢٨٤٦) من حديث المقداد بن الأسود.

(٣) يدل عليه قوله تعالى ﴿وَنُضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ ^(١٣) [الأنبياء: ٤٧]، قال ابن كثير في تفسير الآية:

الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه. اهـ

(٤) إشارة إلى قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ^(٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ^(٨) وَيَنْقَلِبُ

إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ^(٩) [الانشقاق: ٧-٩] الآيات، وإشارة أيضًا لما في "الصحيحين" خ (١٠٣) م

(٢٨٧٦) عن عائشة، أما تقرير العبد المؤمن بذنوبه فإشارة لما في "الصحيحين" خ (٢٤٤١) م

(٢٧٦٨) عن ابن عمر.

لا حسنات لهم،^(١) ولكن تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ وتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا، وَيُجْزَوْنَ بِهَا.

وفي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ: الْحَوْضُ الْمُرَوِّدُ لِمُحَمَّدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، آتِيَتْهُ عِدْدُ نَجُومِ السَّمَاءِ، طَوْلُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.^(٢)

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ: الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ،^(٣) يَمُرُّ

(١) رواه مسلم (٢٨٠٨) من حديث أنس.

(٢) أحاديث الحوض متواترة وكثيرة، منها: حديث سهل وعبدالله بن عمرو وأنس في الصحيحين خ (٧٥٥٠ و ٦٥٧٩ و ٦٥٨٠)، م (٢٢٩٠ و ٢٢٩٢ و ٢٣٠٣)، ولمسلم (٢٢٩٩ و ٢٣٠٠ و ٢٣٠١) عن ابن عمر وأبي ذر وثوبان.

(٣) الثابت في "الصحيحين" وغيرهما عن أبي سعيد -وسيأتي- أن الجسر على جهنم، وفي رواية: بين ظهري جهنم. وأما أنه بين الجنة والنار فقد ورد من حديث أبي أمامة عند الآجري في "الشرعية" (٩٠٧)، من طريق عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة، وهذه نسخة رويت بها أحاديث كثيرة، وهي سلسلة متكلم فيها، فعثمان بن أبي العاتكة ضعيف ويشدد ضعفه إذا روى عن علي بن يزيد، وقال الحافظ في "التقريب": صدوق ضعفه في روايته عن علي بن يزيد الألهاني. اه وانظر "التهذيب".

وفيه: علي بن يزيد الألهاني ضعفه أحمد، وقال يعقوب: واهي الحديث كثير المنكرات، وقال ابن معين: علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة ضعاف كلها، وكذا قال أبو حاتم، وقال أيضًا: ضعيف الحديث أحاديثه منكرات، وقال البخاري: منكر الحديث ضعيف، وكذا قال أبو نعيم الأصبهاني، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال مرة: متروك الحديث، وكذا قال الدارقطني والأزدي والبرقي، وقال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث، وقال الساجي: اتفق أهل العلم على ضعفه، انظر "التهذيب".

وفيه أيضًا: القاسم بن عبد الرحمن شيخ علي بن يزيد، ضعفه قوم ووثقه آخرون وهو إلى الاحتجاج أقرب، وإنما الحمل فيما أنكر من حديثه على من روى عنه من الضعفاء، انظر "التهذيب".

الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمرُّ كالمح البصر، ومنهم من يمرُّ كالبرق، ومنهم من يمرُّ كالريح، ومنهم من يمرُّ كالفرس الجواد، ومنهم من يمرُّ كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم، فإن الجسر عليه كاللب، تخطف الناس بأعمالهم،^(١) فمن مرَّ على الصراط دخل الجنة، فإذا عبروا عليه، وقفوا على فطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة.^(٢) وأول من يستفتح باب الجنة: محمد صلى الله عليه وسلم،^(٣) وأول من يدخل الجنة من الأمم: أمته.^(٤)

وله صلى الله عليه وسلم في القيامة ثلاث شفاعات:^(٥)

أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم، بعد أن يتراجع

هذا من حيث الكلام على الحديث، أما من حيث معناه أصحيح أم لا؟ فإنه إذ ثبت أن الجنة في أعلى عليين، وأن النار في أسفل سافلين، تجد أن قول المصنف بأن الصراط بين الجنة والنار صحيح والله أعلم.

(١) يشير إلى حديث أبي سعيد في "الصحيحين" خ (٧٤٣٩) م (١٨٣)، وجاء نحوه عن أبي هريرة وحذيفة عند مسلم (١٩٥).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد.

(٣) رواه مسلم (١٩٦) و (١٩٧) من حديث أنس.

(٤) يشير للحديث الذي في "الصحيحين" خ (٨٧٦) م (٨٥٥) - واللفظ له - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَحْنُ الْأَخْرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» الحديث.

(٥) انظر في الشفاعة أنواعها وأقسامها وما يتعلق بذلك مع أدلتها من الكتاب والسنة الصحيحة: كتاب شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله الحافل: "الشفاعة"، فإن فيه ما يشفي ويكفي.



الأنبياء؛ آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم الشفاعة^(١) حتى تنتهي إليه^(٢).

وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة،^(٣) وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار - وهذه الشفاعة له، ولسائر النبيين، والصديقين وغيرهم - فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها،^(٤) ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها.^(٥)

ويخرج الله تعالى من النار أقوامًا بغير شفاعة، بل بفضلِهِ ورحمته، ويبقى في الجنة فضلٌ عَمَّنْ دخلها من أهل الدنيا، فيُنشئ الله لها أقوامًا فيدخلهم الجنة.^(٦) وأصناف ما تتصمَّنه الدار الآخرة من: الحساب، والعقاب، والثواب، والجنة،

(١) في المطبوع: [عن الشفاعة]، والمثبت أصوب، إذ معناه أن الأنبياء كل واحد منهم يُرجعُ الشفاعة إلى الآخر حتى انتهت للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

(٢) وهذه هي الشفاعة العظمى وأدلتها متواترة، من ذلك: حديث أنس وأبي هريرة في الصحيحين خ (٤٧١٢ و٦٥٦٥) م (١٩٣ و١٩٤).

(٣) رواه مسلم (١٩٦) من حديث أنس.

(٤) يدل عليه حديث عائشة وأنس في مسلم (٩٤٧)، وحديث ابن عباس في مسلم أيضًا (٩٤٨).

(٥) يدل عليه حديث الشفاعة الطويل في "الصحيحين" عن أبي سعيد وأنس خ (٧٤٣٩ و٤٤٧٦) م (١٨٣ و١٩٣)، وحديث جابر خ (٦٥٥٨) م (١٩١)، وعمران عند البخاري (٦٥٦٦)، وحديث أنس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**» أخرجه أحمد (٢١٣/٣)، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥) وغيرهم عن أنس، وهو صحيح بمجموع طرقه جاء عن جمع من الصحابة، انظر "ظلال الجنة" للعلامة الألباني (٨٣١)، والكتاب الحافل لشيخنا الإمام الوادعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** "الشفاعة" (ص ٩٨-١٠٨) ومن أحيل على مليء فليتبّع.

(٦) متفق عليه: خ (٧٣٨٤) م (٢٨٤٨) من حديث أنس، ولهما أيضًا خ (٤٨٥٠) م (٢٨٤٦) عن أبي هريرة.

والنارِ حقٌّ، وتفاصيلُ ذلكَ مذكورةٌ في الكتبِ المنزلةِ من السماءِ، وفي الآثارِ من العلمِ الماثورةِ عن الأنبياءِ، وفي العلمِ الموروثِ عن محمدٍ صلى الله عليه وسلم من ذلكَ ما يشفي ويكفي، فمن ابتغاه وجدّه.

قوله: (وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ): كما في قوله: ﴿الْقَارِعَةُ ۝۱ مَا الْقَارِعَةُ ۝۲ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝۳﴾ [القارعة: ١-٣]، **وقال تعالى:** ﴿الْمَاقَةُ ۝﴾ [الحاقة: ١]، **وقال تعالى:** ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝﴾ [الواقعة: ١]، **وقال تعالى:** ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدِيرُكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝﴾ [الأحزاب: ٦٣]، **وقال تعالى:** ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَفِّيَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ۝ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَافِيٌ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٨٧]، **وقال تعالى:** ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ۝۵۱﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۝۵۲﴾ [ان كانت إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝۵۳﴾ [يس: ٥١-٥٤]، **وقال تعالى:** ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ۝۸۷﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَذَى أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝۸۸﴾ [النمل: ٨٧-٨٨]، **وقال تعالى:** ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝۱۰۰﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۝۱۰۱﴾ [المؤمنون: ١٠٠-١٠١].

ولها أسماء كثيرة، منها: يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعََنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧].



واليوم الآخر، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ عِندَ اللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةُ وَالْكِتَابُ وَالنَّبِيُّنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والآخرة أو الدار الآخرة، كقوله: ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ
الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي
الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]، وقوله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾
[العنكبوت: ٦٤].

والساعة، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْصَبْ الصَّصَحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، وقال:
﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥].

ويوم البعث، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ
اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦].

ويوم الخروج، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢].
والقارعة: **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③﴾
[القارعة: ١-٣].

ويوم الفصل، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبا: ١٧].
ويوم الدين، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي حَجِيمٍ ④ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ⑤ وَمَا هُمْ عَنْهَا
بِغَائِبِينَ ⑥ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ⑦ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ⑧ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ
لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ⑨﴾ [الانفطار: ١٤-١٩].

والصاخة، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ﴾ [عبس: ٣٣].
والطامة الكبرى، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٣٤].

ويوم الحسرة، **قَالَ تَبٰىءُ**: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]. ويتحسر المؤمنون في ذلك اليوم بسبب عدم استزادتهم من أعمال البر والتقوى.

والغاشية، **قَالَ تَبٰىءُ**: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١].

ويوم الخلود، **قَالَ تَبٰىءُ**: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٤].

ويوم الحساب، **قَالَ تَبٰىءُ**: ﴿الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]. وقال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

والواقعة، **قَالَ تَبٰىءُ**: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١].

ويوم الوعيد، **قَالَ تَبٰىءُ**: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠].

ويوم الآزفة: **قَالَ تَبٰىءُ**: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَقَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ﴾ [غافر: ١٨].

ويوم الجمع، **قَالَ تَبٰىءُ**: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى: ٧].

والحاقة، **قَالَ تَبٰىءُ**: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣﴾ [الحاقة: ١-٣].

ويوم التلاق، **قَالَ تَبٰىءُ**: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].

ويوم التناد، **قَالَ تَبٰىءُ** حاكياً نصيحة مؤمن آل فرعون قومه: ﴿وَيَقُومُ إِلَيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢].



ويوم التغابن، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]. وكل اسم له معنى يتضمّنه. ^(١)

قوله: (فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين، حُفَاءَ عُرَاءَ غُرَلًا. وتذو منهم الشمس، ويلجمهم العرق).

هذا القيام يكون بعد النفخ في الصور، ففي حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٤٩٣٥) ومسلم (٢٩٥٥)، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَيْتُ، قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَنْبُتُ إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفي حديث عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٢٩٤٠)، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمْتِي فَيَمُكُّ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا - فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةٌ بَنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ ثُمَّ يَمُكُّ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عِدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ، وَأَخْلَامِ السَّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رَزَقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يُلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ فَيُضَعِّقُ وَيُضَعِّقُ النَّاسُ حَوْلَهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ -

(١) من "القيامة الكبرى" (ص: ٥).

أَوْ قَالَ: يُنَزِّلُ اللَّهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظَّلُّ، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارَ فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِئَةٌ وَتِسْعَةٌ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «تُحْشَرُونَ حُفَاةً، عُرَاةً، غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرَجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [١١٧] إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨] رواه البخاري (٣٤٤٧).

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ». قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ فَوَاللهِ مَا أَدْرَى مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ أَمْسَافَةَ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ. قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَامَا» من حديث المقداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٤٨٦).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ» رواه البخاري (٤٩٣٨) ومسلم (٢٨٦٢).

والذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هم أولياء الله، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، وأيضاً أهل الاستقامة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وما يتضمّنه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي يعلى (٦١١)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ» قِيلَ: مَنْ هُمْ؟ لَعَلْنَا نُحِبُّهُمْ. قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا أَنْسَابٍ، وَجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِنْ خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِنْ حَزَنَ النَّاسُ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صِدْقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ قَالَ: يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ»، قَالَ يَزِيدُ: وَكَانَ أَبُو الْخَيْرِ لَا يُخْطِئُهُ يَوْمٌ إِلَّا تَصَدَّقَ فِيهِ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَعَكَّةً أَوْ بَصْلَةً أَوْ كَذَا. مِنْ حَدِيثِ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ أَحْمَدَ (١٧٣٣٣).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٦٦٠)، مُسْلَمَ (١٠٣١).

وتبدل الأرض، قال الله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]، وعند تبديلها يكون الناس في ظلمة دون الجسر كما في حديث ثوبان عند مسلم (٣١٥): أَئِنَّ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ»، أي تحت الجسر حيث أراد الله عَزَّ وَجَلَّ.

وهذه الجبال تسيل، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ⑤﴾ [القارعة: ٤-٥]، **وقال تعالى:** ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ⑥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ⑦﴾ [طه: ١٥٥-١٥٦]، وقال الله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ⑧﴾ [طه: ١١١]، وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ⑨ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ⑩ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ⑪ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ⑫ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكَرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ⑬﴾ [إبراهيم: ٤٨-٥٢]، **وقال تعالى:** ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ⑭ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ⑮ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ⑯ وَصَلَاتِهِ وَبَنِيهِ ⑰ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ⑱ وَوُجُوهُهُمُ مُّسْفِرَةٌ ⑲ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ⑳ وَوُجُوهُهُمُ عَلَيْهَا عَذَرٌ ㉑ تَرَهَقَهَا قَرَّةٌ ㉒ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ㉓﴾ [عبس: ٣٣-٤٢].

إثبات الميزان:

قوله: (وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فتوزن فيها أعمال العباد)، **فمن ثقلت موازينه، فأولئك هم المفلحون** ① **ومن خفت موازينه، فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خللدون** ② [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وأهل السنة يؤمنون بالميزان يوم القيامة قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ ③ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ④ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⑤ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ⑥﴾ [القارعة: ٦-٩]، وقال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ⑦﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑧ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ⑨﴾ [الأعراف: ٨-٩].



وأما من السنة فالأحاديث في ذلك كثيرة بلغت مبلغ التواتر، منها: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الإمام مسلم والبخاري (٤٧٢٩) قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ»**.

ومنها: حديث البطاقة، الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّةُ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظْلَمْتَكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ قَالَ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكِ عَذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ، فَيَهْتُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً لَا ظِلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتَخْرُجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ، قَالَ: فَتَوْضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفِّهِ، قَالَ: فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ مَعَ اسْمِ اللَّهِ»**.

ومنها: حديث أبي سلمى راعي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بَخٍ بَخٍ، لَخَمْسُ مَا أَثَقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فِيَحْتَسِبُهُ، وَالِدَاهُ»** أخرجه أحمد (٤٤٣/٦).

ومنها: حديث أبي مالك الأشعري عند الإمام مسلم (١٢٣) والنسائي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»**.

ومنها: حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»** أخرجه أحمد (٤٤٦/٦).

وأخرج أحمد من طريق شعبة عن عطاء بن السائب عن أبيه، وأبوداود (٥٦٥) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: **«حَصْلَتَانِ، أَوْ خَلَّتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ إِلَّا**

دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ، يُسَبِّحُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُ عَشْرًا، فَذَلِكَ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ، وَيُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ، وَيَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ». هذا حديث حسن، وشعبة قد سمع من عطاء قبل الاختلاط.

وأخرج أحمد (٣٩٩١) عن عبدالله بن مسعود: أنه كان يجتني سواكا من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله ﷺ: «مِمَّ تَضَحَّكُونَ؟»، قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه. فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَنْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ».

قال ابن أبي العز رحمه الله (٤٧٢): قال القرطبي: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها. اهـ
واعلم أن الميزان واحد وأما قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، فالمراد به الموزونات فجمع باعتبار تنوع الأعمال، وهذا هو القول الصحيح، وإلا فقد قيل بأن لكل أمة ميزان.

قال ابن عطية في "التفسير" (١٣/٧): الناس على خلافه أي لكل أمة ميزان وإنما لكل واحد وزن يختص به والميزان واحد.

ثم اعلم أيضًا أن الميزان الذي دلت عليه السنة له كفتان حسيّتان مشاهدتان والدليل على ذلك حديث عبدالله بن عمرو السابق وفيه: «فَتَوَضَّعُ السَّجَّالَاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ».

الموزونات:

يوزن العامل كما في حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويوزن العمل كما في حديث أبي هريرة: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَسْبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»، متفق عليه.

وكما في حديث أبي سلمى راعي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكما في حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وتوزن الصحف كما في حديث البطاقة.

والذين أنكروا الميزان من الملاحدة وأهل الاعتزال وغيرهم شبهتهم أن الأعمال أعراض لا تقبل الوزن وإنما يقبل الوزن الأجسام فإن الله يقبل الأعراض أجساماً ففي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيَنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَسْرَتُّوْنَ وَيَنْظُرُوْنَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُوْنَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ، ثُمَّ يَنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَسْرَتُّوْنَ وَيَنْظُرُوْنَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَعْرِفُوْنَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ، فَيَذْبَحُ...» أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

والحكمة من نصب الميزان، مع أن الله محيط بكل شيء علماً، إظهار العدل وبيان الفضل حيث أن الله يزن مثاقيل الذر من خير وشر. انتهى أفاده ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ.

مسألة: وزن أعمال الكفار:

للعلماء في هذه المسألة قولان:

الأول: أنها لا توزن إلا أعمال المؤمنين، مستدلين بقول الله عَزَّ وَجَلَّ في شأن الكفار: ﴿فَلَا نَقِمْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ذَنْبًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، وما في بابها.



والثاني: أنها توزن أعمال جميع الناس؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلُمُونَ﴾ [الأعراف: ٩]، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [١٣] تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاكْتُمُ بِهَا تُكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ [المؤمنون: ١٠٣-١٠٥].

وفي البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»** وَقَالَ: اقْرَءُوا: ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٥]. والحديث ليس فيه نص أنه لا يوزن وإنما فيه أن وزنه لا مقدار له لأنه لا حسنات له.

وقد رجح هذا القول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في "التذكرة" (٢٧٢-٢٧٣) قال: فإن قيل أما وزن أعمال المؤمنين فظاهر وجهه فتقابل الحسنات بالسيئات فتوجد حقيقة الوزن، والكافر لا يكون له حسنات فما الذي يقابل بكفره وسيئاته وأنى يتحقق في أعماله الوزن؟

فالجواب أن ذلك من وجهين:

أحدهما: أن الكافر يُحضر له ميزان فيوضع كفره وسيئاته في إحدى كفتيه ثم يقال له هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى فلا يجد فيشال الميزان فترفع الكفة الفارغة وتقع المشغولة، فهذه خفت موازينه وهذا ظاهر الآية.

الثاني: أن الكافر يكون منه صلة الأرحام ومواساة الناس وعتق مملوك وغيرها مما لو كانت للمسلم لكانت طاعة فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنها تجمع وتوضع في ميزانه غير أن الكفر إذا قابلها رجح بها. انتهى

هل يقام الوزن لكل الناس؟

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في "التذكرة" (ص ٢٧١): الميزان حق ولا يكون في حق كل أحد بدليل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقال: **«يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ**

عَلَيْهِ الحديث. وقوله تعالى: ﴿يُعَرِّفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الرحمن: ١٠١]، وإنما يكون لمن بقي من أهل المحشر ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً من المؤمنين وقد يكون للكافرين على ما ذكرنا. انتهى

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "النهاية" بعد نقل كلام القرطبي: إن من لا حساب عليه ولا عذاب لا توزن أعماله وكذلك المجرمون الذين يعرفون بسيماهم، وفي هذا نظر، والله أعلم.

وقد توزن أعمال السعداء وإن كانت راجحة لإظهار شرفهم وفضلهم على رؤوس الأشهاد والتنويه بسعادتهم ونجاتهم وإن كانوا لا حساب عليهم. وأما الكفار فتوزن أعمالهم وإن لم يكن لهم حسنات تنفعهم يقابل بها كفرهم... فتوزن لإظهار شقائهم وتوبيخهم وفضيحتهم على رؤوس الأشهاد.

* فائدة:

نقل ابن كثير في "النهاية" عن القرطبي قوله: وقد روى عن مجاهد والضحاك والأعمش أن الميزان هنا بمعنى العدل والقضاء، وذكر الوزن والميزان ضرب مثل، كما يقال هذا الكلام في وزن هذا قلت: أي ابن كثير لعل هؤلاء إنما فسروا هذا عند قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۖ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۚ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۚ﴾ [الرحمن: ٧-٩]. فهنا المراد بالميزان أن الله تعالى وضع العدل بين عباده وأمر عباده أن يتعاملوا به فيما بينهم، فأما الميزان الموضوع يوم القيامة فقد تواترت بذكره الأحاديث كما رأيت وهو ظاهر القرآن العظيم: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [المؤمنون: ١٠٢]، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [المؤمنون: ١٠٣]، وهذا إنما يكون لشيء محسوس.



إثبات نشر الدواوين وصحائف الأعمال:

قوله: (وَتُنَشَّرُ الدَّوَاوِينُ، وهي: صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، فَأَخَذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَأَخَذُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، كَمَا **قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِرَهُ فِي عُقُقِهِ﴾ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

ويؤمن أهل السنة بنشر الدواوين، وصحائف الأعمال، التي سُطِرَتْ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِيَّةٌ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: ١٩-٢٠]، وَظَنَنْتُ هُنَا بِمَعْنَى اسْتَيْقَنْتُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَشَرِبُوا هَيْهَاتَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حَسْبِيَّةٌ ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢١-٢٩]، وَفِي الْآيَةِ الْآخَرَى **قَالَ تَعَالَى:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٧-١٢]، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ أَنَّ الْكَافِرَ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ وَالْمُؤْمِنُ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَهَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ كَبِيرَةً وَلَا صَغِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا **قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُكَذِّبُنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِرَهُ فِي عُقُقِهِ﴾ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].



إخبار عن كمال عدله تعالى وأن كل إنسان يلزمه طائره في عنقه، أي: ما عمل من خير وشر يجعله الله ملازما له لا يتعداه إلى غيره، فلا يحاسب بعمل غيره ولا يحاسب غيره بعمله.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشْهُورًا﴾ ما عمله من الخير والشر حاضرا صغيره وكبيره ويقال له: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ وهذا من أعظم العدل والإنصاف أن يقال للعبد: حاسب نفسك ليعرف بما عليه من الحق الموجب للعقاب. انتهى من "تفسير السعدي".

الإيمان بالحساب:

قوله: (وَيُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ، وَيَخْلُو بَعْدَهُ الْمُؤْمِنُ فَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ، كَمَا وَصَفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَةِ).

الحساب يوم القيامة ثابت بالكتاب، والسنة، والإجماع **قَالَ تَبَالِي:** ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٢٠] **وَقَالَ تَبَالِي:** ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨] **وَقَالَ تَبَالِي:** ﴿وَإِنْ مَا نُزِّنَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ١٠] **وَقَالَ تَبَالِي:** ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْلًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].

وحساب المؤمن يكون تقريرا، كما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «إِنِّي لَا أَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ اغْرَضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَازْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا. فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ فَيُقَالُ عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ نَعَمْ. لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ. فَيُقَالُ لَهُ فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً.

فَيَقُولُ رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا» من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٩٠). يعني هناك كبائر ما أراها؛ لأنه قد رأى رحمة الله تعالى حين بدّل الله السيئات حسنات. وقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]، أي العرض، ففي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦) قال عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حُوسِبَ عُذْبٌ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قَالَتْ فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ»، أي يعرض الله عليه أعماله عرضًا يُقَرِّره بها، ولكن من نوقش الحساب عُذْبٌ، لأنّ الكافر حين تعرض عليه أعماله يُنكرها أمّا المؤمن حين تُعرض عليه أعماله يستقرّ بها فيتجاوز الله عنه ويعفو عنه عند ذلك. وفي حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ ثُمَّ يَنْظُرُ فَلَا يَرَى شَيْئًا قُدَّامَهُ ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» أخرجه البخاري (٦٥٣٩) ومسلم (١٠١٦).

وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٦٣٩) واللفظ له، ابن ماجه (٤٣٠٠)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظْلَمَكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ أَفَلَاكَ عُذْرٌ فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ احْضُرْ وَزَنَكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ فَقَالَ إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ فَتَوَضَّعُ السَّجَلَاتُ فِي كَفِّهِ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفِّهِ فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ».



ومن حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٦٩٦)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَذَرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟»، قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ قَالَ يَقُولُ بَلَى. قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّي لَا أُجِزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي قَالَ فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ شَهِيدًا وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهَدَاءَ، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيَقَالُ لِأَرْكَانِهِ انْطِقِي، قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ: فَيَقُولُ بَعْدًا لَكُنَّ وَسُخْقًا. فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلُّ».

قوله: (وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتخصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويجزون بها).

أما الوزن تقدم الكلام فيه وأنهم يوزنون ولكن لا قيمة لوزنهم، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٩٦٨)....: «.. قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدُ فَيَقُولُ أَيُّ فُلٍ أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأُسَوِّدَكَ وَأَزَوَّجَكَ وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ فَيَقُولُ بَلَى. قَالَ فَيَقُولُ أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِي فَيَقُولُ لَا، فَيَقُولُ فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي فَيَقُولُ أَيُّ فُلٍ أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأُسَوِّدَكَ وَأَزَوَّجَكَ وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ فَيَقُولُ بَلَى أَيُّ رَبِّ، فَيَقُولُ أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِي فَيَقُولُ لَا، فَيَقُولُ فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ. وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ فَيَقُولُ هَا هُنَا إِذَا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدًا عَلَيْكَ. وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ انْطِقِي فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعَذَّرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ».



الإيمان بالحوض:

قوله: (وفي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ: الْحَوْضُ الْمُرَوِّدُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ، أَنَيْتُهُ عَدَدُ نَجُومِ السَّمَاءِ، طَوْلُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرِبَ؛ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا).

هو المراد بقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝﴾ [الكوثر: ١-٢]، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهَرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ سُورَةٌ». فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾، ثُمَّ قَالَ: «أَتَذَرُونِ مَا الْكَوْثَرُ؟». فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ رَبُّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ مَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُكَ بِعَدِّكَ». رواه مسلم (٤٠٠).

وأحاديث الحوض ذكر كثير منها البخاري في كتاب الرقاق وذكر منها الإمام مسلم كثير في كتابه فضائل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (باب الحوض)، وقد جمع مصنف في مرويات الحوض لبقّي بن مخلد وعدد الرواة الذين رواوا أحاديث الحوض فوق الثمانين صحابياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ.

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثُ مَنْ كَذَبَ ❖ وَمَنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْتًا وَاحْتَسَبَ وَرُؤْيَا شَفَاعَةً وَالْحَوْضُ ❖ وَمَسَحُ خُفَّيْنِ وَهَذِي بَعْضُ وَحُوضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجود الآن، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمَنْبَرِي عَلَى حَوْضِي» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (١١٩٦)، ومسلم (١٣٩١).

ولهما البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أَحَدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ - أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ - وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

فحوضه موجود الآن وزواياه سواء ومسيرته شهر وأنيته أكثر من نجوم السماء وأحاديث الحوض متواترة فمنها ما جاء، عن سهل بن سعد قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ وَرَدَ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا وَلَكِرْدَنٌ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» أخرجه البخاري (٦٥٨٣)، ومسلم (٢٢٩٠).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرِ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ وَمَاؤُهُ أَبْيَضٌ مِنَ الْوَرِقِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا» أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

وعن أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤْخَذُ أَنْاسٌ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيَقَالُ أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بِعَدْلِكَ، وَاللَّهِ مَا بَرَحُوا بِعَدْلِكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»، قَالَ فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ تَرْجِعَ عَلَيَّ أَعْقَابَنَا أَوْ أَنْ تُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا. أخرجه البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَصْحَابِهِ: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْظُرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ

مِنْكُمْ، فَوَاللَّهِ لَيَقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ فَلَا قَوْلَ لِّأَيِّ رَبِّ مَنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بِعَدْلِكَ مَا زَالُوا يَزْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ» أخرجه مسلم (٢٢٩٤).

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ وَالْجَارِيَةُ تَمْشُطُنِي فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهَا النَّاسُ»، فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ اسْتَأْخِرِي عَنِّي، قَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالُ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءُ. فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ فَإِيَّايَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيَذِبُ عَنِّي كَمَا يَذِبُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بِعَدْلِكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا» أخرجه مسلم (٢٢٩٥).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا» البخاري (٤٠٤٢)، ومسلم (٢٢٩٦).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَا تُنَازِعَنَّ أَقْوَامًا نُمُّ لَأُغْلِبَنَّ عَلَيْهِمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَيَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بِعَدْلِكَ» البخاري (٦٥٧٦)، ومسلم (٢٢٩٧).

وَعَنْ حَارِثَةَ، أَنَّه سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: حَوْضُهُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَوِدُّ: أَلَمْ تَسْمَعْهُ قَالَ: الْأَوَانِي؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ الْمُسْتَوِدُّ: تُرَى فِيهِ الْآيَةُ مِثْلَ الْكَوَكِبِ. البخاري (٦٥٩١)، ومسلم (٢٢٩٨).



وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ أَمَّاكُمْ حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَّتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَزْبَاءِ وَأَذْرَحٍ» البخاري (٦٥٧٧)، ومسلم (٢٢٩٩).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا آيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَنْتَهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَكِبِهَا إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِحَةِ آيَةُ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخَرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ» أخرجه مسلم (٢٣٠٠).

وَعَنْ ثَوْبَانَ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَبِعَقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ». فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ». وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدُّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ» أخرجه مسلم (٢٣٠١).

ويُطرد عنه طائفتان:

الأولى: المبتدعة لحديث النبي ﷺ أنه قال: «أَنَا فَارَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَا تَنَازِعَنَّ أَقْوَامًا نُمُّ لَأُغْلِبَنَّ عَلَيْهِمْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي. فَيَقَالُ إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ» من حديث عبدالله بن مسعود عند مسلم (٢٢٩٧) واللفظ له. وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند البخاري (٣٣٤٩).

الثانية: ويُطرد عنه بعض العصاة لحديث كعب بن عُجرة وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي ﷺ: «أُعِيدُكَ بِاللَّهِ يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ مِنْ أُمَرَاءِ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ عَشِيَ أَبَوَاهُمْ فَصَدَّقَهُمْ فِي كَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضُ، وَمَنْ عَشِيَ أَبَوَاهُمْ أَوْ لَمْ يَعِشْ وَلَمْ يُصَدِّقَهُمْ فِي كَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعْنِهِمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَسِيرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضُ، يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ الصَّلَاةُ



بُرْهَانٌ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَرَبُّو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ» أخرجه الترمذي عن كعب بن عُجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٦١٤). ومن حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (١٤٤١).

وَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ، أَي: مَنْ جَاءَ وَسُمِحَ لَهُ بِالْوَصُولِ إِلَيْهِ وَهُوَ الْمُؤْمِنُ شَرِبَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا» من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٠٥٠) و(٧٠٥١)، والفرط هو الذي يسبق الناس.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، يَجْرِي عَلَى جَنَادِلِ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، شَرَابُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ» من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٥٩١٣)، يحتاجه الناس بعد خروجهم ولهذا قال العلماء (إنَّ الحوض يقدم عليه الناس) أي المؤمنون بعد الخروج من قبورهم فإنَّهم يخرجون عطاشا فناسب أن يكون الحوض أوَّلًا فيأتون الحوض فمن شرب منه لا يظمأ بعده أبدًا.

وهنا مسألة إذا عَذَّبَ المؤمن الذي قد شرب من الحوض قالوا (يُعَذَّبُ بغير العطش حتى وإن دخل النار)، ويكون شربه في الجنة شرب تلذذ.

وأنكر الخوارج والمعتزلة وغيرهم من منكري الغيب الحوض، حتى قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دخلت على ابن زياد، وهم يتذاكرون الحوض، فلما رأوني طلعت عليهم قالوا: قد جاءكم أنس، فقالوا: يا أنس، ما تقول في الحوض؟ فقلت: والله ما شعرت أني أعيش حتى أرى أمثالكم تشكون في الحوض، لقد تركت عجائز بالمدينة، ما تصلي واحدة منهن صلاة إلا سألت ربهَا عَزَّ وَجَلَّ أن يوردها حوض محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



قال محمد بن الحسين **رَحِمَهُ اللَّهُ**: ألا ترون إلى أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يتعجب ممن يشك في الحوض إذ كان عنده أن الحوض مما يؤمن به الخاصة والعامة حتى إن العجائز يسألن الله تعالى أن يسقيهن من حوضه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فنعوذ بالله ممن لا يؤمن بالحوض، ويكذب به، وفيما ذكرناه من التصديق بالحوض الذي أعطاه الله تعالى نبينا محمداً **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كفاية عن الإكثار، والأثر المذكور في "الشرعية" للأجري **رَحِمَهُ اللَّهُ** وسنده محتج به برقم (٨٣٠).

وأما ما يُذكر (أن لكل نبي حوض)، أخرجه الترمذي (٢٤٤٣)، فالحديث ضعيف فيه الحسن لم يسمع من سُمرة والصحيح فيه أنه من مراسلات الحسن البصري ثم أيضاً أحاديث الحوض تُشعر أنه من خصائص النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما نقل ذلك غير واحد من أهل العلم ومعلوم أن ما كان من خصائصه أنه انفرد به عن بقية الأنبياء والمرسلين وإن لم يكن لكل نبي حوض وإنما هو حوض النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فهل يشرب المؤمنون من كل أمة من هذا الحوض؟ الظاهر نعم لأنه حوض ترده عليه أمة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ولا مانع أن يرد غيرهم ويكون في هذا كرامة للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

الإيمان بالصراط:

قوله: (والصَّراطُ مَنْصُوبٌ على متن جهنم، وهو: الجِسْرُ الذي بين الجنة والنار، يَمُرُّ الناسُ عليه على قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ، فمنهم مَنْ يَمُرُّ كَلَمَحِ البَصْرِ، ومنهم مَنْ يَمُرُّ كالبرق، ومنهم مَنْ يَمُرُّ كالريح، ومنهم مَنْ يَمُرُّ كالفرسِ الجَوَادِ، ومنهم مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، ومنهم مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، ومنهم مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، ومنهم مَنْ يَرْحَفُ رَحْفًا، ومنهم مَنْ يُخَطَفُ فَيُلْقَى في جهنم، فإنَّ الجِسْرَ عليه كلالِبُ، تَخْطِفُ الناسَ بأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ مَرَّ على الصراطِ دخل الجنة، فإذا عَبَرُوا عليه، وَقَفُوا على قَنْطَرَةٍ بين الجنة والنار، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فإذا هُذِّبُوا وَنُقُوا، أُذِنَ لَهُمْ في دخولِ الجنة).

في هذه الإشارة إلى مسألة عظيمة من مسائل الإيمان بالغيب وهي داخلة في مسائل الإيمان باليوم الآخر وهي مسألة الإيمان بالصراط ويُقال الزراط بالزاي ويقال السراط، وهو الجسر الممدود على متن جهنم يمرّ عليه المؤمنون دون غيرهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۖ﴾ [مريم: ٧١-٧٢]، وهذا الورد هو المرور على الصراط.

وقلنا: يجوزه المؤمنون فقط لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «..... وَيُضْرَبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانِ؟..» رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

وبنحوه عن أبي سعيد رضي اله عنه عند البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣) واللفظ له: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «...ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضُ مِرْلَةٍ فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوبِكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ....».

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَى الصَّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنْبَةُ الصَّرَاطِ تَقَادَعُ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ قَالَ فَيُنْجِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ قَالَ ثُمَّ يُؤَدَّنُ لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ أَنْ يَشْفَعُوا فَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ وَيُخْرِجُونَ وَزَادَ عَفَّانُ مَرَّةً فَقَالَ أَيْضًا وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً مِنْ إِيْمَانٍ» رواه أحمد (٢٠٤٤٠) عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



وتكون الأمانة والرحم جانبتي الصراط، يعني الأمانة في جانب والرحم في جانب، وفي ذلك الموقف العظيم لا يتكلم إلا الرسل كما في حديث أبي هريرة وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٩٥)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرِّ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرَّ الرِّيحَ، ثُمَّ كَمَرَّ الطَّيْرَ، وَشَدَّ الرَّجَالَ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا».

وقد تعجب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ كَمَرَّ الرِّيحَ ثُمَّ كَمَرَّ الطَّيْرَ وَشَدَّ الرَّجَالَ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ» من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٩٥). هذا أمر من الله والسبب الأعمال الصالحة والصراط قد جاء وصفه في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٨٣)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَخَضَ مَرَلَةً. فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَالَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُؤْيَكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ»، السعدان نعرفه إلا من كان في مدينة وإلا عندنا يقال له الكلبان ويقال له السعدان، هذا الشوك إذا قربت منه قل أن تنجو إما يأخذ بالثوب أو بالرجل أو باليد وإذا اردت أن تبعده من جسمك يأخذ بإصبعك، والحسك أظنكم تعرفونها تأتي مثل الثمرة في بعض الشجر مثل الكرة وفيها اشواك كثيرة من هنا ومن هنا إذا مسكت بالثوب لصقت وإذا مسكت بالجسم مسكت مثل الحسك عليها كالاليب وخطاطيف، الخطاف معروف، فبعض المؤمنون يُسلمهم الله لسرعتهم ولخلوص أعمالهم ومنهم من يُكرّس على وجهه في نار جهنم ومنهم المخدوش الذي ينجو وآخر من يخرج من الصراط رجل يحبو مرةً ويكبو مرةً، انظر تصوّر يعني كيف يحبو على متن جهنم إذا سقط سقط في جهنم، يحبو مرةً ويكبو مرةً.

وجاء في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٨٣)، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (بَلَّغْنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ وَاحِدٌ مِنَ السَّيْفِ)، وفي وصفه مدحضة مزلة فالدحض هو المكان الذي تمشي فيه بعد المطر تجد أماكن تزلق فيها دحضة مزلة، إذا دحضت فيه انزلت إلى جهنم، وجاء عند الشيخين البخاري (٩٠١) ومسلم (٦٦٩)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لِمُؤَذِّنِهِ فِي يَوْمِ مَطِيرٍ: (إِذَا قُلْتَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَلَا تَقُلْ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ قُلْ صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ فَكَأَنَّ النَّاسَ اسْتَكْرُوا قَالَ فَعَلَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي إِنَّ الْجُمُعَةَ عَزْمَةٌ وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أُخْرِجَكُمْ فَتَمْشُونَ فِي الطِّينِ وَالِدَّحْضِ)؛ لأن الدحض يزلقون فيه وتتوسخ ثيابهم وتتوسخ أبدانهم وربما تأثرت ظهورهم إلى غير ذلك فالصراط دحضة مزلة لا يجوزه إلا المؤمنون والمنافقون يبقون مع المؤمنين في عرصات يوم القيامة كما تقدّم من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيصعدون على الصراط ويُعطِيهم الله نورًا على قدر ما كانوا عليه من الإسلام فإذا صعدوا على الصراط انطفأ النور الذي معهم، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونهم أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ كُنْتُمْ تَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمُ اللَّهُ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: ١٣-١٤]، كانوا بالظاهر مع المؤمنين بالقول لا بالاعتقاد ويريدون أن يلتمسوا نورًا فينقادون في النار ويكونون في الدرك الأسفل من النار.

ثم بعد أن يجوز المؤمنون الصراط تبقى القنطرة وهي طرف الصراط ممّا يلي الجنة كما في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٥٣٥)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيَحْبُسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَقْصُرُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمٌ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُفِّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا أَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ

كَانَ فِي الدُّنْيَا»، يبقى الناس عليها فلا يدخل أحد الجنة وعنده مظلمة لأحد يتجاوز الله عن بعضهم ويصلون إلى هذه المرتبة لكن تبقى مظالم فيقع القصاص حتى إذا نَقَّوْا هَذَبُوا دَخَلُوا كَأَنَّ أَحَدَهُمْ يَعْرِفُ بَيْتَهُ وَيَفْتَحُ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أوّل شافع وأوّل مشفّع وأوّل من يفتح باب الجنة.:

أول من يستفتح باب الجنة وأولهم دخولاً:

قوله: (وأوّل مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأوّل مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَمِ: أُمَّتُهُ).

وهذه من خصائص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأُمَّتِهِ، ويدل على ذلك حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٩٧)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ».

وأوّل من يدخل الجنة من الأمم أُمَّتُهُ، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَصْلَ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَذَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ» من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٨٥٦)، وجاء عند مسلم (١٨٢) واللفظ له وبنحوه عند البخاري (٦٥٧٣). وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ» متفق عليه.

ويدخل من أُمَّتِهِ سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا زُمْرَةً وَاحِدَةٌ مِنْهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم واللفظ له (٢١٧)، والبخاري (٣٢٤٧) عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةً



الْبَدْرِ لَا يَنْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَغَوِّطُونَ أَيْتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مَخُّ سَوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٢٤٥) ومسلم (٢٨٣٤).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدَّ كَوَكَبٍ إِضَاءَةً قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَى مَخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الْحُسْنِ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا لَا يَسْقَمُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَنْصُقُونَ أَيْتُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَوَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الْأَلْوَةُ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٢٤٦).

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدَّ كَوَكَبٍ دَرِيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً لَا يَيُولُونَ وَلَا يَتَغَوِّطُونَ وَلَا يَنْفِلُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ الْأَنْجُوجُ عُودُ الطَّيِّبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٣٢٧).

وللجنة ثمانية أبواب، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرِّيَّانَ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ» من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البخاري (٣٢٥٧).

وللنار سبعة أبواب، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٦﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿١٧﴾» [الحجر: ٤٣-٤٤]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْجَنَّةُ



لَهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ وَالنَّارُ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ» من حديث عتبة بن عمرو السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن سعد (٤٣٠/٧).

والجنة درجات، قال النبي ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْقُ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مِزْلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا» من حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (١٤٦٤) والترمذي (٢٩١٤).

والنار دركات، **فَالِقَالِي:** ﴿إِنَّ الْمُتَفَقِّينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وفي هذا بيان لفضيلة النبي ﷺ أنه هو الذي يفتح باب الجنة ومن فضيلته وفضيلة أمته أن أمته أول وأكثر الأمم دخولا، قال النبي ﷺ: «هَاهُنَا تُحْشَرُونَ هَاهُنَا تُحْشَرُونَ هَاهُنَا تُحْشَرُونَ ثَلَاثًا رُكْبَانًا وَمُشَاةً وَعَلَى وُجُوهِكُمْ تُوفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عند أحمد (٢٠٠١). وقال النبي ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةٌ صَفٌّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ» من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٥٤٦) وابن ماجه (٤٢٨٩).

وقال ﷺ: «خَيْرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ أَتْرُونَهَا لِلْمُتَّقِينَ لَا وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ» من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٤٣١١).

وفي الصحيحين: البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ،



وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: «أَبَشِّرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدٍ ثَوْرٍ أَبْيَضٍ، أَوْ كَشَعْرَةِ بَيْضَاءٍ فِي جِلْدٍ ثَوْرٍ أَسْوَدَ».

الإيمان بالشفاعة وخروج الموحدين من النار:

قوله: (وله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القيامة ثلاث شفاعات: أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم، بعد أن يتراجع الأنبياء؛ آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم الشفاعة حتى تنتهي إليه). أي: من خصائصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث شفاعات:

فالأولى: هي الشفاعة العظمى التي دل عليه قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وكما قال جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ فِيهِ؟

وهي المذكورة في حديث أبي هريرة وأنس وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي غيرها من الأحاديث، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَّغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِيَعْضِ عَلَيْكُمْ بِأَدَمَ فَيَأْتُونَ أَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا فَيَقُولُ أَدَمُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى عَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا

اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ فَذَكَرْهُمْ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أَوْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحُ مِنْهُ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ عِيسَى إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّوَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْزُقْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشْفَعْ.

فيه: دليل على أن أسماء الله وصفاته ليست محصورة بعدد معلوم لنا وكل الرواة رَوَوْا الْحَدِيثَ مُخْتَصِرًا وَلَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ الشَّفَاعَةَ الْعَظْمَى وَإِنَّمَا ذَكَرُوا شَفَاعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَمْتِهِ؛ وَالسَّبَبُ أَنَّهُمْ يَسُوقُونَ الْحَدِيثَ لِلرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ فَيَذْكُرُونَ



الشاهد منه وهي الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما الشفاعة العظمى فهي متفق عليها بين أهل السنة والمعتزلة والخوارج، وهذه الشفاعة لفصل القضاء بين العباد.

وأما الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد فيُنكرها المعتزلة والخوارج ومن إليهم، ويستدلون بقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وبقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، وبقوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، زعموا أن هذه الآيات عامة فيمن دخل النار.

ويرد هذه ما رواه يزيدُ الفقيرُ حيث قال: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةِ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحْجَّ ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ - جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟! وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، وَ ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟! قَالَ: فَقَالَ: أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ فِيهِ؟ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٩١). وقد تقدم الحديث.

ويقصدون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الخروج على الحكام وقتل المسلمين، فالخوارج شبههم ركيكة ومما يدل على أن من دخل النار من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويخرج منها حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحَمَّا أُذُنٌ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ صَبَائِرَ صَبَائِرَ فَبُثُّوا عَلَى

أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ثُمَّ قِيلَ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ. فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ» رواه مسلم (١٨٥).

وفيه: بيان أنَّ الكفار يُخلَّدون في العذاب قال الله تعالى: ﴿وَأَدَاؤُا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْكَ رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْنُونُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

قوله: (وأما الشفاعةُ الثانيةُ: فيشفعُ في أهلِ الجنةِ أن يدخلوا الجنةَ، وهاتانِ الشفاعتانِ خاصتانِ له).

دليل هذه الشفاعة ما تقدّم في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٩٧)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتَحَ فَيَقُولُ الْحَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ بِكَ أَمْرٌ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ».

قوله: (وأما الشفاعةُ الثالثةُ: فيشفعُ فيمنِ استحقَّ النارَ - وهذه الشفاعةُ له، ولسائرِ النبين، والصديقين وغيرهم - فيشفعُ فيمنِ استحقَّ النارَ أن لا يدخلها، وشفعُ فيمنِ دخلها أن يخرج منها).

إذ قد يستجيب الله له ويدخل من شاء الجنة ابتداءً من غير عذاب، وقد يدخل قوم النار فيشفع فيهم فيخرجهم الله تعالى، وفي حديث أنس وغيره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» رواه أبوداود (٤٧٣٩)، الترمذي (٢٤٣٥)، ابن ماجه (٤٣١٠). وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ أَتْرُونَهَا لِلْمُتَّقِينَ لَا وَلَكِنَهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ» من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٤٣١١)، وأحمد (١٩٦١٨).

وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٥١٠)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربّه: «انْطَلَقْتُ فَأَخْرَجْتُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى مُثْقَالِ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرَجَهُ مِنَ النَّارِ»، زاد مسلم (١٨٣) وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ



وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ». ويقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبَرِيَّائِي وَعَظَمَتِي لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» من حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٧٥١٠).

وآخر من يخرج من النار كما في حديث جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِمْ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: مَا نَرَى نَفْعَكُمْ إِسْلَامُكُمْ شَيْئًا» وفي رواية: «مَا نَرَى نَفْعَكُمْ عِبَادَتُكُمْ شَيْئًا» وفي رواية: «مَا نَرَى نَفْعَكُمْ إِيْمَانُكُمْ شَيْئًا» فعند ذلك يأمر الله أن يخرج من النار عند ذلك قال الله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

وجاء من حديث أبي موسى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند الحاكم (٢٩٥٤)، والكلام في الشفاعة يطول ويستدل من يقول بعدم كفر تارك الصلاة بأحاديث الشفاعة والصحيح أن لا دلالة لهم في هذه الأحاديث، لأننا لو جمعنا طرق حديث الشفاعة نجد أن المشفوع لهم يميزون بمواطن السجود. وقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ»، فيحمل على أناس لم يتمكنوا من العمل كما هو حال متأخري الأمة الذين ذكرهم في حديث حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يُدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يُدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَذْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا» فَقَالَ لَهُ صَلَةٌ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: (يَا صَلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ) ثَلَاثًا. أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩).

أو يُحمل على أناس قالوا لا إله إلا الله ثم لم يتمكنوا من العمل، أو على قوم من أعراب المسلمين أو ممن أسلم في بلاد العجم كما كان الحال في بلاد الروس وغيرهم من بلدان الاشتراكيين، وانتهى الجيل الأول من المسلمين وجاء الجيل الثاني لا يعرف من الإسلام إلا أنه مختون يقول لا إله إلا الله، ما أقيمت عليهم الحجة فهو لاء يدخلون في عموم أدلة العذر بالجهل، أما أن نقول أن تارك الصلاة ليس بكافر مع صحت الأدلة عن النبي ﷺ مثل حديث: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ» من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٦٢١)، وابن ماجه (١٠٧٩)، والنسائي (٤٦٢) وأحمد (٢٢٩٣٧). وقال ﷺ: «إِنْ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرَكَ الصَّلَاةَ» من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٨٢). إلى غير ذلك، بل إن القول بكفره يعد إجماعاً من الصحابة.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِيْمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ).

أي: عنده أعمال سيئة تكون سبباً لاستحقاقه العذاب لكن قد يتجاوز الله عنه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِّقِينَ وَغَيْرِهِمْ).

وهذه تكون في أصحاب الكبائر خلا الشرك بالله، وهي شفاعة عامة للنبي ﷺ ولغيره من الأنبياء والصالحين.

ويشفع الشهداء، ويشفع رجل من أمة محمد في مثل ربيعة ومضر، وهو ابن أبي الجدعاء ويشفع الأب لولده والولد لأبيه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، وهذه الشفاعة يُثبتها المعتزلة وهي رفع بعض درجات المؤمنين في الجنة ويُنكرون الشفاعة في أهل الكبائر فالله عَزَّ وَجَلَّ من رحمته إذا مات الأب على صلاح يرفع الولد إليه،

ويشفع أبناء الآباء في آبائهم، فعن أبي حسان قال قلت لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِي ابْنَانِ فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثٍ تُطِيبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا، قَالَ: قَالَ: نَعَمْ، «صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ - فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ بِيَدِهِ - كَمَا أَخْذُ أَنَا بِصِنْفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا فَلَا يَتَنَاهَى - أَوْ قَالَ فَلَا يَتَّهَى - حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ» رواه مسلم (٢٦٣٥).

ومن أسباب الشفاعة قراءة سورة الملك، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً تَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (١٤٠٠) واللفظ له، الترمذي (٢٨٩١)، ابن ماجه (٣٧٩٦)، وله طرق.

ومن أسبابها الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الأذان ثم الدعاء له بالوسيلة، كما في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند مسلم (٣٨٤)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَزْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

ومن أسبابها العمل بالقرآن، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَا حَلَّ مُصَدِّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ» من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن أبي شيبة (٣٠٠٥٤). وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَّاتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخَذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ» من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٨٠٤).

ومن أسبابها الموت في المدينة، فعند مسلم (١٣٦٣) عن سعد قال قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتِي الْمَدِينَةِ أَنْ يُقَطَعَ عِضَاهُهَا، أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا»، وَقَالَ: «الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لَا يَدْعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبَدَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأَوَائِهَا وَجْهَهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا، أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وغير ذلك من الأسباب.

قوله: (وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا. وَيُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ، بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ).

أي: يشفع فيمن دخل النار أن يخرج منها وقد تقدمت الأدلة ويخرج الله تعالى أقوامًا بفضلِهِ وَرَحْمَتِهِ على ما تقدم في الأحاديث وقوله: وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ قد تقدم التنبيه على ما جاء أنه ينشئ للنار وهي زيادة شاذة بل منكورة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٤٦]، فلا يدخل النار إلا من استحقها ووجب عليه الخلود فيها أما الجنة لفضله الواسع ينشئ لها نساءً أي يُخْلِقُ لَهَا خَلْقًا يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا فَضْلًا مِنْهُ وَرَحْمَةً مِنْهُ سَبْحَانَهُ؛ لِأَنَّهُ وَعَدَ النَّارَ وَوَعَدَ الْجَنَّةَ بِمَلَأَ بِهِمَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اِخْتَجَبَتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِهَذِهِ أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ - وَرُبَّمَا قَالَ أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ - وَقَالَ لِهَذِهِ أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُؤُهَا» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٨٤٦).

وهل هناك شفاعة في الدنيا؟ الجواب نعم، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا



أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَرِي مِنَ الْبَوْلِ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا بِنِصْفَيْنِ ثُمَّ عَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرِ وَاحِدَةٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسَا» رواه البخاري (١٣٦١) ومسلم (٣٠١٢)، فالدعاء شفاعة لهما، ويدل على ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً، كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ، إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ» من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم (٩٤٧)، فالصلاة على الميِّت تُعتبر شفاعة.

ثم إن الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال:

فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا. والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره في أهل الكبائر. وأما أهل السنة والجماعة، فيقرون بشفاعة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الكبائر، وشفاعة غيره، لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله له ويحد له حداً، كما في الحديث الصحيح، حديث الشفاعة أنهم يأتون آدم، ثم نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، فيقول لهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اتُّوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ازْفَعْ رَأْسَكَ. سَلْ تُعْطَهُ، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُثُ لِي حَدًّا، ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقْعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ، أَوِ الرَّابِعَةِ...». ذكرها ثلاث مرات.

التوسل بذوات الصالحين:

وأما الاستشفاع بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء، ففيه تفصيل: فإن الداعي تارة يقول: بحق نبيك أو بحق فلان، يقسم على الله بأحد من مخلوقاته، فهذا محذور من وجهين:

أحدهما: أنه أقسم بغير الله.

والثاني: اعتقاده أن لأحد على الله حقاً.

ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وكذلك ما ثبت في الصحيحين من قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لمعاذ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وهو رديفه: **«يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟»**. قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **«أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ»**، قال: **«أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟»**. قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **«أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ»**. فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعد الصديق، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير، وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم، وترك تعذيبهم معنى لا يصلح أن يقسم به، ولا أن يسأل بسببه ويتوسل به، لأن السبب هو ما نصبه الله سبباً.

وكذلك الحديث الذي في المسند من حديث أبي سعيد عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، في قول الماشي إلى الصلاة: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا»**، فهذا حق السائلين، هو أوجه على نفسه، فهو الذي أحق للسائلين أن يجيبهم، وللعابدين أن يثيبهم، ولقد أحسن القائل:

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ ❖ كَلَّا وَلَا سَعْيٍ لَدَيْهِ ضَائِعٌ
إِنْ عَذَّبُوا فَبِعَذْلِهِ، أَوْ نَعَّمُوا ❖ فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَاسِعُ
فإن قيل: فأى فرق بين قول الداعي: **«بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ»** وبين قوله: (بحق نبيك)، أو نحو ذلك؟

فالجواب: أن معنى قوله: **«بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ»**، أنك وعدت السائلين بالإجابة، وأنا من جملة السائلين، فأجب دعائي، بخلاف قوله: بحق فلان - فإن فلانا وإن كان

له حق على الله بوعده الصادق - فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل. فكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي! وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء! وقد **قَالَ نَسَائِي**: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، لم ينقل عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، ولا عن أحد من الأئمة، وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهيكل التي يكتب بها الجهال والطريقة.

والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبنها على السنة والاتباع، لا على الهوى والابتداع. وإن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان، فذلك محذور أيضًا، لأن الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز، فكيف على الخالق؟! وقد قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ».

ولهذا قال أبو حنيفة وصاحبه **رَحِمَهُمُ اللَّهُ**: يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام، ونحو ذلك حتى كره أبو حنيفة ومحمد أن يقول الرجل: اللهم إني أسألك بمعقد العز من عرشك، ولم يكرهه أبو يوسف **رَحِمَهُ اللَّهُ** لما بلغه الأثر فيه.

وتارة يقول: بجاه فلان عندك، يقول: نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك. ومراده أن فلانًا عندك ذو وجهة وشرف ومنزلة فأجب دعاءنا. وهذا أيضًا محذور، فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه، يطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يؤمنون على دعائه، كما في الاستسقاء وغيره. فلما مات **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - لما خرجوا يستسقون -: (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا). معناه بدعائه هو ربه وشفاعته وسؤاله، ليس

المراد أنا نقسم عليك به، أو نسألك بجاهه عندك، إذ لو كان ذلك مراداً لكان جاه النبي ﷺ أعظم وأعظم من جاه العباس.

وتارة يقول: باتباعي لرسولك ومحبتي له وإيماني به وسائر أنبيائك ورسلك وتصديقي لهم، ونحو ذلك. فهذا من أحسن ما يكون في الدعاء والتوسل والاستشفاع.

فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به فيه إجمال، غلط بسببه من لم يفهم معناه: فإن أريد به التسبب به لكونه داعياً وشافعاً، وهذا في حياته يكون، أو لكون الداعي محباً له، مطيعاً لأمره، مقتدياً به، وذلك أهل للمحبة والطاعة والاقتداء، فيكون التوسل إما بدعاء الوسيلة وشفاعته، وإما بمحبة السائل واتباعه، أو يراد به الإقسام به والتوسل بذاته، فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه.

وكذلك السؤال بالشيء، قد يراد به التسبب به، لكونه سبباً في حصول المطلوب، وقد يراد به الإقسام به.

ومن الأول: حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار، وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما، فإن الصخرة انطبقت عليهم، فتوسلوا إلى الله بذكر أعمالهم الصالحة الخالصة، وكل واحد منهم يقول: فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون. فهؤلاء: دعوا الله بصالح الأعمال، لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله، ويتوجه به إليه، ويسأله به، لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله.

فالحاصل: أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر، فإن الشفيع عند البشر كما أنه شافع للطالب شفعه في الطلب، بمعنى أنه صار شفيعاً فيه بعد أن كان وتراً، فهو أيضاً قد شفّع المشفوع إليه، وشفاعته صار فاعلاً للمطلوب، فقد شفّع الطالب



والمطلوب منه، والله تعالى وتر، لا يشفعه أحد، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فالأمر كله إليه، فلا شريك له بوجه.

فسيد الشفعاء يوم القيامة إذا سجد وحمد الله تعالى فقال له الله: «**ازْفَعُ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهُ، وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ، فَأَزْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يَعْلَمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيُحَدِّثُ لِي حَدًّا، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ**»، فالأمر كله لله. كما **قَالَ نَبِيُّ**: «**قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ**» [آل عمران: ١٥٤]، **وَقَالَ نَبِيُّ**: «**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**» [آل عمران: ١٢٨]، **وَقَالَ نَبِيُّ**: «**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**» [الأعراف: ١٥٧]، فإذا كان لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه لمن يشاء، ولكن يكرم الشفيع بقبول شفاعته، كما قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ**».

وفي الصحيح: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «**يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ**».

وفي الصحيح أيضًا: عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**لَا أُلْفِينَ يَجِيءُ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِينَ يَجِيءُ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثَغَاءٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِينَ يَجِيءُ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمَحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِينَ يَجِيءُ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفسٌ لَهَا صِيَّاحٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِينَ يَجِيءُ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا**».

فإذا كان سيد الخلق وأفضل الشفعاء يقول لأخص الناس به: «**إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**»، فما الظن بغيره؟ وإذا دعاه الداعي، وشفع عنده الشفيع، فسمع الدعاء،

وقبل الشفاعة، لم يكن هذا هو المؤثر فيه كما يؤثر المخلوق في المخلوق، فإنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو الذي جعل هذا يدعو ويشفع، وهو الخالق لأفعال العباد، فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه. وهذا مستقيم على أصول أهل السنة المؤمنين بالقدر، وأن الله خالق كل شيء؛ انتهى من "شرح الطحاوية" لابن أبي العز **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

الإيمان المجمل بكل ما علمنا وما لم نعلم مما ذكر الله تعالى ورسوله:

قوله: (وأصناف ما تَتَضَمَّنُهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ مِنَ: الحساب، والعقاب، والثواب، والجنة، والنارِ حقًّا، وتفاصيل ذلك مَذْكُورَةٌ في الكتبِ الْمُنَزَّلَةِ من السماء، وفي الآثارِ من العلمِ الماثورة عن الأنبياء، وفي العلمِ الموروثِ عن محمدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من ذلك ما يَشْفِي ويَكْفِي، فَمَنْ ابْتِغَاهُ وَجَدَهُ).

هذه إشارة من المصنف **رَحِمَهُ اللَّهُ** إلى أن تفاصيل اليوم الآخر ليس هذا موطن بسطها، ولكن هذه إشارات، وإذا أردت أن تنظر في تفاصيله فاقراً جزء (عم) مع التفكير والتدبر تجد ذلك عياناً مثل سورة: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ۝٢﴾ [الانفطار: ١-٢]، و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: ١]، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق: ١]، وسورة (القارعة)، و(عبس)، و(عم)، و(المرسلات)، و(الزلزلة). ففي البخاري عن يوسف بن ماهك قال: إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ، فَقَالَ: أَيُّ الْكَفَنِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ: وَيْحَكَ، وَمَا يَضُرُّكَ؟! قَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَرَيْنِي مُصْحَفَكَ؟ قَالَتْ: لِمَ؟ قَالَ: لَعَلِّي أَوَّلُفُ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ، قَالَتْ: وَمَا يَضُرُّكَ أَيُّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟! إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ، لَقَالُوا: لَا نَدْعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا، لَقَالُوا: لَا نَدْعُ الزَّنا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ

بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةُ أَلْعَبُ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ [القمر: ٤٦] وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ. قَالَ: فَأَخْرَجَتْ لَهُ الْمُصْحَفَ، فَأَمَلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّورِ.

وله في أخرى مختصراً قال: قالت عائشة: لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةُ أَلْعَبُ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾. أخرجه البخاري. وفي القرآن، والسنة من هذا كثير جداً.

الإيمان بأن الجنة والنار موجودتان الآن:

ومن قول أهل السنة أن الجنة والنار قد خلقتا، **قَالَ نَبِيُّ**: ﴿وَقُلْنَا يَتَادِمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقال: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ [يس: ٢٦]، وقال: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦].

ولم يخالف في ذلك إلا أهل البدع من المعتزلة والخوارج، والأدلة على ذلك متوافرة متواترة استقصينا كثيراً منها في كتاب الإيمان والله الحمد منها:

قوله تعالى: ﴿أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١]، وقوله: ﴿أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ».

وقال عن النار: ﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ ① لِلطَّاغِينَ مَنَابًا ② [النبا: ٢١-٢٢]، وقوله تعالى في الجنة: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ③ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ④ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ⑤﴾ [النجم: ١٣-١٥].



ومن السنة:

ما أخرجه في الصحيحين، أخرج البخاري (٥٢٢٦): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ أَوْ أَتَيْتُ الْجَنَّةَ فَأَبْصَرْتُ قَصْرًا فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا قَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلُهُ فَلَمْ يَمْنَعْنِي إِلَّا عِلْمِي بِغَيْرَتِكَ»، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَوْ عَلَيْكَ أَغَارُ؟! أخرجه مسلم (٢٣٩٤).

وأخرج (٣٢٤٢): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ؛ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا» فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. أخرجه مسلم (٢٣٩٥).

وأخرج (٣٢٤١): حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا سَلَمٌ بْنُ زَرِيرٍ حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ».

وأخرج (٣٢٤٠): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ». أخرجه مسلم (٨٦٦).

وأخرج البخاري (٤٥٠): عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ الْخَوْلَانِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ يَقُولُ عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ حِينَ بَنَى مَسْجِدَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِنَّكُمْ أَكْثَرْتُمْ وَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا - قَالَ بُكَيْرٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: يَتَّبِعِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ - بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ»، أخرجه مسلم (٥٣٣).



وأخرج مسلم (٢٤٥٦): عن أنس: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ بَنَتْ مِلْحَانَ أُمِّ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ». وأخرج (٢٤٥٧): عن جابر بن عبد الله: أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ امْرَأَةً أَبِي طَلْحَةَ، ثُمَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَةً أَمَامِي فَإِذَا بِلَالٌ».

وأخرج (٢٤٥٨): عن أبي هريرة قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبلال عند صلاة الغداة: «يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتُهُ، عِنْدَكَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْفَعَةٌ، فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ». قال: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنْفَعَةً، مِنْ أَنِّي لَا أَتَطَهَّرُ طَهُورًا تَامًا، فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطَّهُورِ، مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ.

وأخرج (٤٢٦): عن المختار بن فلفل عن أنس قال: صلى بنا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِمَامُكُمْ، فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالْإِنْصِرَافِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي»، ثم قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا». قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ».

وأخرج البخاري (٣٥٢١): عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ الْبَحِيرَةُ الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ وَلَا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَالسَّائِبَةُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِأَهْتِهِمْ فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ قَالَ وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّْ الْخَزَاعِيَّ يَجْرُ قُصْبُهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»، أخرجه مسلم (٢٨٥٦).

وأخرج مسلم (٢٨٤٦): عن أبي هريرة: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تَحَاجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُورِثْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ، وَسَقَطُهُمْ، وَعَجَزُهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحِمْتِي أَرْحَمُ

بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي»، أخرجه البخاري (٤٨٥٠).

وأخرج (١٩١٤): عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ».

وأخرج البخاري (٣٤٨٢): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عَذِّبْتُ امْرَأَةً فِي هَرَّةٍ سَجَّيْتُهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسْتُهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»، أخرجه مسلم (٢٢٤٢).

وأخرج مسلم (٢٦١٩): عن أبي هريرة عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ مِنْ جَرَاءِ هَرَّةٍ لَهَا، أَوْ هِرٍّ، رَبَطْتُهَا فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تُرْمَرُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلًا».

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح الطحاوية" (٤٠٠): أما قوله: (الجنة والنار مخلوقتان)، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة كذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية وأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يعلمه الله وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل فيهم التجهم فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى. اهـ

فيا ليت شعري كيف سيتأولون حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٤٧٤٤): «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ:



أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ: فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا».

ومن الأدلة على وجودهما ما أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦). عن نافع عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وعن كعب بن مالك كان يحدث أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ». أخرجه مالك في "الموطأ" (١/١٨٦) وأحمد في "المسند" (٣/٤٥٥) والآن في "الشرعية" (٣٩٢) وابن ماجه (٤٢٧١).

والحديث يدل على أن أرواح المؤمنين في الجنة إلا من حبس لدين أو غيره والشاهد من الحديث قوله: «طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»، فلو كانت غير موجودة الآن لكان هذا الكلام لغوً وكذباً والعياذ بالله.

* فائدة:

هذا الحديث يدل على أن أرواح المؤمنين طيرٌ في الجنة، أما أرواح الشهداء فهي في أجواف طير خضر كما أخرج مسلم (١٨٨٧) في صحيحه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال مسروق: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾



أَمَوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٩٦﴾ [آل عمران: ١٩٦]، فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أَزَوَّاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ».

وعن عبدالله بن عباس أنه قال: خسفت الشمس فصلى رسول الله ﷺ والناس معه، ثم ذكر الحديث وفيه قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم تكعكت، فقال رسول الله ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاولْتُ مِنْهَا عُنُقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهَ لَأَكَلْتُ مِنْهُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنَظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» أخرجه البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧).

والحديث نص لا يحتمل التأويل والتحريف أن النبي ﷺ رأى الجنة بعينه ورأى النار بعينه، فلا ينكر وجود الجنة والنار مع وجود هذه الأدلة الصراح الصحاح إلا من أزاغ الله قلبه وأعمى بصيرته، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

الإيمان بأن الجنة والنار لا تفنيان:

وأهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار لا تفنيان ولا يموت أهلها **قَالَ نَبِيُّنَا ﷺ**: ﴿وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لِهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. وقال: ﴿وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]، وقال: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]. وقال: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ [الدخان: ٥٦].

وقد تقدم في الباب الأول بيان أن الجنة والنار موجودتان الآن وسوق الأدلة على ذلك وبيان أن ذلك هو مذهب أهل السنة قاطبة، ولم يخالف في ذلك إلا الشواذ من أهل البدع والريب، ويلتحق بهذا الباب الكلام على أبديتهما قال شيخ الإسلام في رسالته "الرد على من قال بفناء الجنة والنار" (٤١): وللناس في ذلك ثلاثة أقوال: قوم

قالوا ببقائهما جميعاً، وقوم قالوا بفناء دار الجزاء وبقاء دار الإفضال والإنعام والإكرام... وأما القول بفنائهما إنما حكوه عن الجهم. اهـ

قال ابن أبي العز **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "شرح الطحاوية" (٤٠٣): قوله: (لا تفنيان أبداً ولا تبيدان)، هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف، والقولان مذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها، وقال ببقاء الجنة وقال بفناء النار جماعة من السلف والخلف، والقولان مذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها. وقال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف قط لا من أهل السنة، وأنكره عليه عامة أهل السنة وكفروه به وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض وهذا قاله لأصله الفاسد الذي اعتقده، وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث. اهـ

والآيات البينات والأحاديث الصحيحة على هذه المسألة كثيرات وواضحات لا يعتقد خلافها إلا أهل الضلالات قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَنَافِلُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾ [هود: ١٧٨]، أي غير مقطوع، وسيأتي الإجابة على الاستثناء إن شاء الله تعالى.

وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقًا مَّا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، وقال: ﴿أَكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧]، وقال: ﴿لَا مَقْطُوعَ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣].

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مؤكداً خلود أهل الجنة فيها: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَدْ لَهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦]، وهذا الاستثناء منقطع، والمراد به أنهم ماتوا في الوقت الذين لم يكونوا في الجنة.

ومن الأدلة على أبدية الجنة من السنة، ما أخرجه مسلم (٢٨٣٦) وحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبَاسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ».

وفي حديث أبي سعيد: «يَأْهَلُ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَأْهَلُ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» متفق عليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "حادي الأرواح" (٣٢٣): الباب السابع والستون في أبدية الجنة وأنها لا تنفَى ولا تبِيد: وهذا مما يعلم بالاضطرار أن الرَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر به، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَنَفَى الْجَنَّةِ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ [هود: ١٨]، أي مقطوع ولا تنافي بين هذا وبين قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٨].

وقال (ص ٣٢٨): والمقصود أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة.

قال ابن القيم في "حادي الأرواح" (٣٢٩-٣٣٠): وأما أبدية النار ودوامها فقال عنها شيخ الإسلام: فيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف عن التابعين قال: وقلت هاهنا أقوال سبعة:

أحدها: أن من دخلها لا يخرج منها أبداً، بل من دخلها خلد فيها أبد الآبدين بإذن الله، وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

الثاني: أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعية نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم، وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي والطائفي...

الثالث: قول من يقول: إن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها أقوام آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأكذبهم الله، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].



وقال تعالى: ﴿أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آل عمران: ٢٣-٢٤].

الرابع: قول من يقول: يخرجون منها وتبقى نارًا على حالها ليس فيها أحد يعذب، حكاه شيخ الإسلام، والقرآن والسنة أيضًا يردان على هذا القول كما تقدم.

الخامس: قول من يقول: بل تنفى بنفسها لأنها حادثة بعد أن لم تكن وما ثبت حدوثه استحالة بقاءه وأبديته، وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عندهم بين الجنة والنار.

السادس: قول من يقول: تنفى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جمادًا لا يتحركون ولا يحسون بألم، وهذا قول أبي الهذيل العلاف إمام المعتزلة.

السابع: قول من يقول بل يفنيها ربها، وخالقها تبارك وتعالى فإنه جعل لها أمدًا تنتهي إليه تنفى ويزول عذابها.

قال شيخ الإسلام: وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم. اهـ

وذكر ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" (٤٠٦)، هذا التقسيم وقال في آخره:

الثامن: أن الله يخرج منها من يشاء كما ورد في الحديث ثم يبقها شيئًا ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمدًا تنتهي إليه.

التاسع: أن الله تعالى يخرج منها من شاء كما ورد في السنة ويبقى فيها الكفار بقاء لا انقضاء له.

وما عدا هذين القولين الآخرين، ظاهر البطلان وهذان القولان لأهل السنة ينظر في أدلتهم. انتهى القول الحق هو التاسع، والقول الثامن وإن كان قد قال به بعض السلف فهو قول غير صحيح، لقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، ﴿لَا

يُفْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿ [الزخرف: ٧٥]، ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿ [النبا: ٣٠]، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿ [الجن: ٢٣]، ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿ [الحجر: ٤٨]، ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿ [البقرة: ١٦٧]، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴿ [الأعراف: ٤٠]، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴿ [فاطر: ٣٦]، ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿ [الفرقان: ٦٥].

قال ابن أبي العز **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: (لا إله إلا الله)، وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

* فائدة:

ما لا يدخل في الفناء ثمانية نُضْمِتْ في هذا البيت:

ثَمَانِيَّةٌ حُكْمُ الْبَقَاءِ يَعْمُهَا * مِّنَ الْخَلْقِ وَالْبَاقُونَ فِي حَيِّزِ الْعَدَمِ
هِيَ الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ نَارٌ وَجَنَّةٌ * وَعَجَبٌ وَأَرْوَاحٌ كَذَا اللَّوْحُ وَالْقَلَمُ



الإيمان بالقدر

قال رَحِمَهُ اللهُ :

وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ: بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

و(من) هنا ليست للتبعض وإنما هي لبيان الجنس أي ويؤمن أهل السنة والجماعة وهي مثل قول الله **عَزَّوَجَلَّ** في آخر سورة الفتح: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، حيث قالت الرافضة (من) للتبعض (وعد الله المؤمنين من الصحابة بالجنة)، لأنهم يذهبون إلى تكفير عامة الصحابة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ** إلا أحد عشر أو سبعة عشر صحابياً **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ** بينما أهل السنة يقولون (من) لبيان الجنس وهذه هو الصحيح في معنى الآية (أي من جنسهم) كما في قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ف(من) لبيان عموم الجنس فالقرآن كله شفاء.

والمراد بالقدر هو تعلق علم الله بالكائنات وإرادته لها أولاً قبل وجودها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾

[الحجر: ٨].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْتَهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾

فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات: ٢٠-٢٣].

وفي حديث عمر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عن مسلم (٨) في أركان الإيمان وفيه: «وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، وفي حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٦٥٥): «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ»، والقدر سر الله **عَزَّوَجَلَّ** لم يُطلع عليه نبياً مرسلًا ولا ملكاً مقرباً.

ودليها قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] **وَقَالَ نَبِيُّ**: ﴿هُوَ
 اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر: ٢٢]. **وَقَالَ نَبِيُّ**: ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ
 لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ
 إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبا: ٣]، **وَقَالَ نَبِيُّ**: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا



إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ
الْأَرْضِ وَلَا رَظِيٍّ وَلَا يَافِيسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

وفي البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سئل رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أبناء
المشركين فقال: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ».

ويتم الإيمان بهذه المرتبة بأن تعتقد وتقر بأن الله تعالى عالم بكل شيء جملة
وتفصيلاً أزلاً، وأبداً سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده فعلمه محيط
بما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم الموجود والمعدوم،
والممكن، والمستحيل، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض،
وقد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، فعلم أرزاقهم وآجالهم وأقوالهم، وأعمالهم
وجميع حركاتهم وسكناتهم، وأهل الجنة، وأهل النار - ومرتبة العلم السابق - اتفق
عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم، واتفق عليها جميع الصحابة ومن تبعهم من هذه
الأمّة، وخالفهم مجوس هذه الأمّة - القدرية الغلاة -^(١).

المرتبة الثانية: الكتابة:

يدل على هذه المرتبة قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]. وقال: ﴿وَكُلَّ
شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وقال تعالى في ذكر محاجة موسى لفرعون:
﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾
طه: ٥١-٥٢].

وفي حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم (١٣/ ١١٧): «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ
أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

(١) "الإيمان بالقضاء والقدر" (٣) لإبراهيم الحمد (٦٢).

وفي حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا مِنْ نَفْسٍ مَنُفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ، أَوْ سَعِيدَةٌ» متفق عليه.

وفي حديث عبادة بن الصامت المتقدم في باب الإيمان بالقلم: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ».

فيجب على المسلم أن يؤمن بأن الله تعالى كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ، وقد أجمع الصحابة، والتابعون وجميع أهل السنة، والحديث على أن كل كائن إلى يوم القيامة، فهو مكتوب في أم الكتاب التي هي اللوح المحفوظ، والذكر والإمام المبين والكتاب المبين^(١).

المرتبة الثالثة: المشيئة:

يدل على هذه المرتبة قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]. وقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَاءِ إِيَّيْ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۖ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وفي حديث عبدالله بن عمر عند مسلم (٢٦٥٥): «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ». وفي "صحيح مسلم": «فَإِنَّ اللَّهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ لَا مُكْرَهَ لَهُ».

وهذه المرتبة هي المعبر عنها بقول الناس: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وتكون بالإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن،

(١) "الإيمان بالقضاء والقدر" (٦٣).

وأنه لا حركة ولا سكون ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله الناس عليها خلقه وأدلة العقل والبيان.

ومما ينسب إلى الإمام الشافعي:

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ ❀ وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ

ومشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة وما لم يشأ كونه فإنه لا يكون لعدم مشيئته لا لعدم قدرته عليه، **قَالَ نَبِيُّ:** ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فعدم اقتتالهم ليس لعدم قدرته ولكن لعدم مشيئته ذلك^(١).

المرتبة الرابعة: الخلق:

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، **وَقَالَ نَبِيُّ:** ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦].

وعن حذيفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنَعَتِهِ»، أخرجه البخاري في كتاب أفعال العباد.

وهذه المرتبة تقتضي أن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها وصفاتها وحركاتها وبأن كل ما سوى الله مخلوق مُوجد من العدم كائن بعد أن لم يكن، وهذه المرتبة دلت عليها الكتب السماوية، وأجمع عليها الرسل عليهم الصلاة والسلام، واتفقت عليها الفطر القويمة، والعقول السليمة.

(١) "الإيمان بالقضاء والقدر" (٦٥).

وقد جُمِعَتْ هذه المراتب الأربع في قول الناظم:

عِلْمٌ كِتَابُهُ مَوْلَانَا مَشِيئَتُهُ ❀ وَخَلْقُهُ وَهُوَ إِجَادٌ وَتَكْوِينٌ

فلا يتم إيمان عبد بالقضاء والقدر حتى يؤمن بهذه المراتب الأربع.

أنواع التقدير:

الأول: التقدير العام الشامل: وهو شامل لجميع الكائنات وهو المكتوب في اللوح المحفوظ وقد تقدم دليله.

الثاني: التقدير المفصل للتقدير العام، وينقسم إلى أنواع:

النوع الأول: التقدير البشري، وهو المذكور في قوله الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

النوع الثاني: التقدير العمري؛ كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ عَاقَبَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْعَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ بَرَزِقِهِ وَأَجَلِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَاللَّهِ إِنْ أَحَدَكُمْ أَوْ الرَّجُلُ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا» متفق عليه.

النوع الثالث: التقدير الحولي، وهو ما يقدر في ليلة القدر من وقائع العام؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ كَبِيرٍ﴾ [الدخان: ٤].

النوع الرابع: التقدير اليومي، وهو ما يقدر من حوادث اليوم من حياة وموت وعز وذل، إلى غير ذلك؛ كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].



ولا بد للمسلم من الإيمان بالقدر العام وتفصيله؛ فمن جحد شيئاً منهما؛ لم يكن مؤمناً بالقدر، ومن لم يؤمن بالقدر؛ فقد جحد ركناً من أركان الإيمان^(١).

الإرادة الربانية:

تنقسم إرادة الله عَزَّجَلَّ إلى إرادة كونية، وإرادة شرعية:

١- **فالإرادة الكونية:** هي المعبر عنها بمشيئة الله تعالى، وهذه الإرادة لا يخرج عنها شيء، فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء، فالتطاعات، والمعاصي كلها بمشيئة الرب وإرادته، ومن أمثلتها قوله: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: ١١].

٢- **والإرادة الشرعية:** تتضمن محبة الله عَزَّجَلَّ ورضاه، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية:

- ١- الإرادة الكونية تكون فيما يحبه الله تعالى وما لا يحبه.
- الإرادة الشرعية لا تكون إلا فيما يحبه الله عَزَّجَلَّ.
- ٢- الإرادة الكونية لا بد أن تقع.
- الإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع.
- ٣- الإرادة الكونية مرادفة للمشيئة.
- الإرادة الشرعية مرادفة للمحبة والرضا.

(١) "الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد" للفوزان (٣٠٧-٣٠٨).

٤- الإرادة الكونية مقصودة لغيرها كخلق إبليس، فإنه رأس الشر لكن خلقه الله عَزَّوَجَلَّ لحكمة، فتحقق بسبب وجوده الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك.

- الإرادة الشرعية مقصودة لذاتها.

٥- الإرادة الكونية متعلقة بربوبية الله وخلقها.

- الإرادة الشرعية متعلقة بألوهية الله وشرعه.

٦- الإرادتان تجتمعان في حق المطيع وتفترقان في حق العاصي مثاله إيمان أبي بكر أراده الله عَزَّوَجَلَّ كوناً وشرعاً، إما كونه أراده كوناً فوقوعه دليل عليه، وأما أنه أراده شرعاً، فالإيمان محبوب إلى الله تعالى، بينما إيمان أبي جهل أراده الله عَزَّوَجَلَّ شرعاً ولم يردّه كوناً، ولو أراده كوناً لوقع^(١).

مذاهب الناس في الإيمان بالقدر:

والناس في هذا الباب ينقسمون إلى طرفين ووسط:

أما الوسط فهم أهل السنة والجماعة الطائفة المنصورة الفرقة الناجية أهل الحديث السلفيون.

قال شيخ الإسلام كما في "المجموع" (٨/٤٤٩-٤٥٠): مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان: وهو أن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه؛ بل هو قادر

(١) انظر "منهاج السنة" (٣/١٨٠-١٨٣)، "الطحاوية" (١١٤)، "الإيمان بالقضاء والقدر" (٩٧-٩٩).

على كل شيء ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم: قدر آجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة، وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء.

وقال (٨/٤٥٢): وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضاً على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به، منهيون عما نهاهم الله عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة، ومتفقون أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه، ولا محرم فعله بل لله الحجة البالغة. اهـ

وأما الطرفان المخالفان في هذا الباب فهما:

الجبرية: أصل قولهم من جهنم بن صفوان، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه، وغَلَوُ في إثبات القدر حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له، ولا فعل كالريشة في مهب الريح، وإنما تُسند إليه الأفعال مجازاً فيقال: صلى وصام، وقتل وسرق كما يقال طلعت الشمس وجرت الريح، ونزل المطر، ومؤدى قولهم إلى اتهام الله بالظالم، وتكليف العباد ما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من أفعالهم واتهموه بالعبث في تكليف العباد وأبطلوا الحكمة والأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون.

وهؤلاء في الحقيقة يزعمون أن الله هو الفاعل الحقيقي لأفعالهم بخلاف ما عليه أهل السنة الذين يقولون إن الله هو الخالق والعبد هو الفاعل، ولذا ترتب على فعله الثواب والعقاب.



ومن أسماء الجبرية القدرية المشركة؛ لأنهم شابهوا المشركين في قولهم: ﴿أَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ ^(١) [الأنعام: ١٤٨].

وبلغ الجبر لدى غلاة الصوفية حتى قال بعضهم:

أَصْبَحْتُ مُنْفَعِلًا لِمَا يَخْتَارُهُ ❀ مِنِّْي فَفَعَلِي كُلُّهُ طَاعَاتُ
وهؤلاء يرون كل ما يصدر من العبد من ظلم وكفر، وفسوق هو طاعة محضة؛
لأنها إنما تجري وفق ما قضاه الله وقدره، فهو محبوب لديه مرضي عنده، فإذا كان قد
خالف أمر الشرع بارتكاب هذه المحظورات، فقد أطاع بإرادة الله ونفذ مشيئته فمن
أطاع الله في قضاءه وقدره هو كمن أطاعه في أمره ونهيه كلاهما قد قام بحق العبودية
لله ^(٢).

وعلى هذا القول فالكل مطيع، قوم نوح الذين أهلكهم الله **عَزَّجَلَّ**، وقوم فرعون
وقوم لوط وقوم هود وقوم صالح، ولازمه أن يكون الله **عَزَّجَلَّ** ظالمًا لهم، تعالى الله
عما افتراه الظالمون علوًّا كبيرًا.

القدرية: وهم نفاة القدر وينقسمون إلى قسمين:

الأول: نفاة العلم: وهم الذين يقولون بأن الله لا يعلم الشيء إلا عند وقوعه،
وكان أول ظهورهم في أواخر عهد الصحابة. قال يحيى بن يعمر: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي
الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبُدُ الْجُهَنِيِّ فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمَيْرِيُّ حَاجِّينَ أَوْ
مُعْتَمِرِينَ فَقُلْنَا لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ
هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ فَوَقَّوْا لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ فَكَتَفْتُهُ أَنَا
وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ

(١) "الإيمان بالقضاء والقدر" (١٧٥).

(٢) "شرح النونية" للهراس (١/ ٣٧٢).

فَقُلْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قَبْلَنَا نَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ - وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ - وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا قَدَرَ وَأَنَّ الْأَمْرَ أَتْفُ. قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ. الحديث في "صحيح مسلم" رقم (٨)، وهذه الطائفة قد كفرها العلماء، وقد حكي النووي، وكذا شيخ الإسلام انقراضهم^(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر، قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون: الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم. وهذه القدرية تسمى: مجوس هذه الأمة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ»، شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الإرادة، كما قسمت المجوس، فصرفت الخير إلى يزدان، والشر إلى أهرمن.

قال الخطابي: إنما جعلهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجوسًا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثنوية، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله تعالى والشر إلى غيره، والله تعالى خالق الخير والشر جميعًا لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته، فهما مضافان إليه عَزَّ وَجَلَّ خلقًا، وإيجادًا، وإلى الفاعلين لهما من عبادة فعلاً واكتسابًا. اهـ

(١) "شرح صحيح مسلم" (١/ ١٥٣).

و مما يدل على أن الله عَزَّوَجَلَّ خالق الخير والشر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنَعَتِهِ».

والعجب أن هؤلاء يخرجون أفعال العباد المخلوقة المربوبة من عموم قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ويدخلون في عموم هذه الآية القرآن الذي هو صفة الله عَزَّوَجَلَّ.

وملخص القول: أن سبب ضلال من ضل من هذه الفرق عدم جمعه بين الأدلة من القرآن والسنة، فعلى هذا كل دليل صحيح يستدل به الجبري فيه رد على القدرية النفاة، وكل دليل صحيح يستدل به القدري فيه رد على الجبرية، ولشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب قيم بعنوان "الجامع الصحيح في القدر" ألفه للرد على الشيعة القدرية النفاة.

تنبيه: ينظر إلى الشر بمنظورين:

الأول الشرعي: يجب عليك طاعة الله عَزَّوَجَلَّ والابتعاد عن الشرّ، والله عَزَّوَجَلَّ أمرك بطاعته: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

الثاني الكوني: تعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق الشرّ لحكمة ولذلك قال السفاريني:

وَلَيْسَ وَاجِبٌ عَلَى الْعَبْدِ الرِّضَا ❁ بِكُلِّ مَقْضِيٍّ وَلَكِنْ بِالْقَضَا
فالزنا، والخمر، والقتل، والغيبة، والنميمة، والكفر، والبدعة، التي تحصل من العبد مقضيات ولا يجوز له أن يرضى بها، ولا يجوز له أن يرضى بالكفر والنفاق ولكن يرضى بما هو من فعل الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الله خلق هذه الأشياء لحكمة علمها ولمصالح أرادها، فالشرّ بالنسبة لله تعالى ليس بشرّ.

واعلم أنك لن تحقق الإيمان بالقدر على وجهه حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، قال النبي ﷺ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ، كَانَتْ رَحْمَتُهُ لَهُمْ خَيْرًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ جَبَلَ أَحَدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، لَدَخَلْتَ النَّارَ» من حديث أبي بن كعب وزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٤٦٩٩) وابن ماجه (٧٧).

وفي حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أركان الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ»، أي أنه من الله.

وقد خاصم الكفار النبي ﷺ في القدر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ فَتَرَلَّتْ: ﴿يُورِثُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ [القمر: ٤٨-٤٩]، رواه مسلم (٢٦٥٦).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

والإيمان بالقدر على درجتين، كلُّ درجةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ: فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى عَلِمَ ما الخلق عاملون بِعِلْمِهِ القديم، الذي هو موصوفٌ به أزلاً وأبدًا، وَعَلِمَ جميعَ أحوالهم من: الطاعات والمعاصي، والأرزاق والآجال.

هذه هي المرتبة الأولى من مراتب القدر على ما تقدّم، قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عِلَاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ وَشَقِيٌّ أَوْ

سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ»، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٣٣٢) ومسلم (٢٦٤٣)، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَبْدٌ يَمُوتُ حَتَّى يَبْلُغَهُ آخِرُ رِزْقٍ هُوَ لَهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ مِنَ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الْحَرَامِ»، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الحاكم (٢١٣٤).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق.
فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قال: ما أكتبُ؟ قال: اكتب ما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ.^(١)

وهذه هي المرتبة الثانية من مراتب القدر، وهذا الحديث يستدل به من يرى أنَّ القلم أوَّلُ المخلوقات، والصحيح أنَّ أوَّلَ المخلوقات هو العرش العظيم وإنَّما المعنى كما تقول العرب (أوَّل ما دخل زيدٌ قلت له اجلس) وليس معنى ذلك إنَّ أوَّل الداخلين من الباب زيد لكن مبدأ دخول زيد قلنا له اجلس فالله عَزَّجَلَّ لَمَّا خَلَقَ الْقَلَمَ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(١) صحيح بمجموع طرقه: هذا الحديث جاء عن جمع من الصحابة، أصحها حديث عبادة بن الصامت، رواه أبو داود (٤٧٠٠) بسند حسن، وشيخ أبي داود: جعفر بن مسافر فيه كلام يسير لا يخرج عن مرتبة الاحتجاج، وله طرق أخرى.
انظر: "ظلال الجنة" للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كما في الأرقام (١٠٣ و١٠٤ و١٠٥ و١٠٧)، و"الجامع الصحيح في القدر" لشيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ١٠٤-١٠٨).

قال رَحِمَهُ اللهُ :

فما أصابَ الإنسانَ لم يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، وما أخطأهُ لم يَكُنْ لِيُصِيبْهُ، جَفَّتِ الأَقْلَامُ.

يدلُّ على ذلك عدَّةُ أحاديثٍ في الباب منها قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وَلَوْ أَنْفَقْتَ جَبَلٌ أُحْدِ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، لَدَخَلْتَ النَّارَ» من حديث أبي بن كعب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عند أبي داود (٤٦٩٩) وابن ماجه (٧٧).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**، أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يَا غُلَامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» أخرجه أحمد (٢٦٦٩).

وقال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وَكَلَّ اللهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ نُطْفَةُ أَيُّ رَبِّ عَاقَةُ أَيُّ رَبِّ مُضْغَةُ فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا قَالَ أَيُّ رَبِّ أَذْكَرٌ أَمْ أَثْنَى أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ فَمَا الْأَجَلُ فَيَكْتُبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ» من حديث أنس **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عند البخاري (٦٥٩٥) ومسلم (٢٦٤٦).

وعن علي **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَاتَّانَا رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَكَسَّ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ وَمَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ» قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَكَلَّمُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيَسْرُونَ لِعَمَلٍ

أَهْلَ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيَسْرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ۝﴾ [الليل: ٥-١٠]. أخرجه البخاري (٤٩٤٨) ومسلم (٢٦٤٧).

وهو الذي أقسم به في قوله تعالى: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُونَ﴾ [القلم: ١].

والأقلام مجموعة:

الأول: القلم العام: وهو القلم المذكور في هذا الحديث الذي كتب مقادير كل شيء، قال النبي ﷺ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقَلَمَ ثُمَّ قَالَ لَهُ اكْتُبْ قَالَ وَمَا أَكْتُبُ قَالَ فَاكْتُبْ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ» من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٢٢٧٠٧)، وبنحوه عند أبي داود (٤٧٠٠)، الترمذي (٢١٥٥).

الثاني: القلم البشري: وهو الذي أخذ على بني آدم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]، هذا تقدير بشري وهو مكتوب بالقلم البشري.

الثالث: القلم العمري: ويطلق عليه التقدير العمري وهو أن الله عَزَّوَجَلَّ حين يتكوّن الجنين في بطن أمه يُرسل الملك فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، وهو المذكور في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المذكور قبل.

الرابع: القلم التكليفي: وهو المذكور في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند البيهقي في "الكبرى" (٢١٢٠)، وغيره قال النبي ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيْقَ وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ».

الخامس: القلم السنوي: وهو تقدير سنوي، كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝﴾ [الدخان: ٤-٥].



السادس: القلم اليومي: والتقدير اليومي، قال الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾

[الرحمن: ٢٩]. وأشرف هذه الأقلام هو القلم الأول المذكور في حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجميع الأقلام هو حاكمها وكلها عائدة إليه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ.^(١)

كناية على أن القدر قد فُرج منه ففي "مسند أحمد" (٦٥٦٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟» قَالَ: قُلْنَا: لَا، إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ

(١) حسن بشواهده: رواه أحمد (٢٩٣/١) والترمذي (٢٥١٦) والطبراني في "الكبير" (١١٢٤٣ و ١١٥٦٠) من طرق عن ابن عباس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «يَا عَلَّامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ؛ أَحْفَظُ اللَّهَ يَحْفَظُكَ» الحديث، وهو حسن بشواهده كما بينته في تحقيق "الأربعين"، قال ابن رجب في "جامع العلوم والحكم": وبكل حال فطريق حنش التي أخرجها الترمذي حسنة جيدة. اه وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ رقم (٦٨٥).

قوله: [فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه....] يشهد لها مع ما تقدم ما رواه أحمد (٤٤١/٦) عن أبي الدرداء عن النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ» وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ رقم (١٠٤٦)، وجاء نحوه عند أحمد (١٨٢/٥)، وأبي داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، من حديث زيد بن ثابت مرفوعاً، وجاء موقوفاً عن ابن مسعود وأبي بن كعب وحذيفة كما في المصادر السابقة، ومصرحاً به عند أحمد (١٨٥/٥)، وصححه العلامة الألباني في "ظلال الجنة" (٢٤٥)، وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٥٠)، وقال: هذا حديث حسن.

تنبيه: قول المصنف [جفت الأقلام، وطويت الصحف] بهذا اللفظ عند الآجري في "الشرية" (٤١٢)، بسند ضعيف.

لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَى: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، بِأَسْمَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ، لَا يُرَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَضُ مِنْهُمْ أَبَدًا» ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي يَسَارِهِ: «هَذَا كِتَابُ أَهْلِ النَّارِ، بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ، لَا يُرَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَضُ مِنْهُمْ أَبَدًا» فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَلَايَ شَيْءٍ إِذْنُ نَعْمَلُ إِنْ كَانَ هَذَا أَمْرًا قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَدُّوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ لَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ» ثُمَّ قَالَ: بِيدِهِ فَقَبَضَهَا ثُمَّ قَالَ: «فَرِّغْ رَبِّكُمْ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْعِبَادِ» ثُمَّ قَالَ بِالْيُمْنَى: فَنَبَذَ بِهَا، فَقَالَ: «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ»، وَنَبَذَ بِالْيُسْرَى، فَقَالَ: «فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ».

قال رحمه الله:

كَمَا قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

هذه الآية وما في بابها تدلُّ على المرتبة الأولى وبيان أن الله عَزَّوَجَلَّ يعلم ما في السماوات والأرض وذلك الذي يعلمه في كتاب، إن ذلك على الله يسير، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، لكمال علمه عَزَّوَجَلَّ.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَالَ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وفي هذه الآية بيان من الله عزَّ وجلَّ على أن أي شيء يقع فيه العبد فهو مكتوب في كتاب يدل على ما تضمنه حديث عبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وما في بابه وهي دالة على المرتبة الثانية من مراتب القدر وهي الكتابة.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه، يكون في مواضع جملة وتفصيلاً، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه، بعث إليه ملكاً فيؤمِّر بأربع كلمات، فيقال له: اكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد ونحو ذلك.^(١)

تقدم الكلام على أنواع التقدير والذي ذكر ودل عليه حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الصحيحين وجاء من حديث أنس بن مالك وحذيفة بن أسيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ النُّطْفَةَ تَقَعُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَتَصَوَّرُ عَلَيْهَا الْمَلَكُ» - قَالَ زُهَيْرٌ: حَسِبْتُهُ قَالَ: الَّذِي يَخْلُقُهَا - «فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَذْكَرٌ أَوْ أُنْثَى فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ ذَكَراً أَوْ أُنْثَى ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ أَسَوِيٌّ أَوْ غَيْرُ سَوِيٍّ فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ سَوِيّاً أَوْ غَيْرُ سَوِيٍّ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ مَا رِزْقُهُ مَا أَجَلُهُ مَا خُلُقُهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ اللَّهُ شَقِيّاً أَوْ سَعِيداً» رواه مسلم (٦٨٩٨).

(١) هذه إشارة إلى حديث ابن مسعود المشهور، الذي رواه الشيخان خ (٣٢٠٨) م (٢٦٤٣): «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خُلُقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً» الحديث.

قال رحمه الله :

فهذا القدر قد كان يُنكرُهُ غلاةُ القَدَرِيَّةِ قديماً؛ ومُنكرُوهُ اليومُ قليلٌ.

أي: مرتبة العلم والذين يُنكرون هذا التقدير كفّار لأنّهم يُنكرون ما تضافرت الأدلّة على إثباته وما علّم ضرورة بأنّ الله عزّوجلّ بكلّ شيءٍ علیم وبكلّ شيءٍ محيط، وقد كفرهم ابن عمر رضي الله عنهما عند مسلم (٨) عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدْرِ بِالْبُصْرَةِ مَعْبُدُ الْجَهَنِّيِّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمَيْرِيُّ حَاجِبِينَ أَوْ مُعْتَمِرِينَ، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدْرِ، فَوَقَّ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاکْتَفَتْهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قَبْلَنَا نَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَفَقَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أَنْفٌ، قَالَ: فَإِذَا لَقِيتُ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يَرَى عَلَيْهِ أَثَرَ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ:

فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تِلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُيُوتِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

وكان الشافعي يقول: ناظروهم بالعلم، فإن أقرؤا به خصموا، وإن أنكروه كفروا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله تعالى النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وهو: الإيَّانُ بأنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن،^(١) وأنه ما في السموات والأرض من حركة ولا سُكُونٍ، إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، لا يكون في ملكه إِلَّا ما يُريدُ، وأنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على كل شيء قديرٌ من: المَوْجُودَاتِ، والمَعْدُومَاتِ، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء، إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لا خالق غيره، ولا رب سواه.

تضمَّنت هذه الفقرة الإشارة إلى مرتبتين عظيمتين من القدر، كما تضمَّنت الفقرة التي قبلها مرتبتين عظيمتين العلم والكتابة وهذه تضمَّنت المشيئة والخلق.

الأولى: المشيئة وأدلتها أكثر من أن تُحصَر وأشهر من أن تُذكر وقد تقدَّم شيء منها ومن أشهرها ما يعلمه الناس ويسمعونه وهو قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ

(١) هو أمر مجمع عليه عند أهل السنة كما أبانه المصنف هنا، وقد جاء في معناه عدة أحاديث كلها ضعاف، يغني عنها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، وقد نقل الإجماع على هذا أيضًا: ابن قتيبة في مقدمة كتابه الاختلاف في اللفظ، وأبو الحسن الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين" ص (٣٤٦).

يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ» [البقرة: ٢٥٣]، **وَقَالَ نَبِيُّ:** «فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ» [البروج: ١٦]، **وَقَالَ نَبِيُّ:** «فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ» [الأنعام: ١٢٥]، وكلُّ المسلمين يقولون هذه العبارة (ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن)، وكان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذا أمر أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بأمر فلم يتحقق ذلك الأمر، **قَالَ نَبِيُّ:** «لَوْ قُضِيَ لَكَانَ، وَلَوْ قُدِّرَ لَكَانَ» رواه البيهقي في "شعب الإيمان" (٧٧١٤)، وابن حبان في "صحيحه" (٧١٧٩).

وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اِرْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ وَلِيَعِزِّمْ مَسْأَلَتُهُ إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا مُكْرَهَ لَهُ» من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٧٤٧٧) واللفظ له، ومسلم (٢٦٧٩). وهكذا في حديث عبدالله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (١٨٧)، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيما يرويه عن ربه **عَزَّ وَجَلَّ:** «إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»، فمشيئة الله **عَزَّ وَجَلَّ** نافذة، ولا يمكن أن يقع في هذا الكون شيء من صغار الأمور وكبارها إلا بمشيئة الله، وأن المشيئة الكونية لا تعلق لها بالمحبة بل هي في المحبوب وغير المحبوب.

الثانية: أن الله خالق الخلق وأعمال الخلق لقوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾** [الصافات: ٩٦]، **وَقَالَ نَبِيُّ:** «اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ» [الزمر: ٦٢]، وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنَعَتِهِ» من حديث حذيفة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، ومن عجيب أمر المعتزلة أنهم يزعمون أن الله لم يخلق أفعال العباد التي هي مخلوقة مربوبة ويذهبون إلى أن القرآن مخلوق، ما دليلكم على أن القرآن مخلوق؟ قالوا: قال الله تعالى: **﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾** [الزمر: ٦٢]، والقرآن شيء، ولماذا أفعال العباد ليست مخلوقة؟ قالوا: هم يخلقون أفعالهم، والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: **«وَالشَّرُّ لَيْسَ**

إِلَيْكَ»، فأخرجوا المخلوق من عموم (كَلِّ) وأدخلوا صفة الله في عموم (كَلِّ)، وهذا من تناقضهم.



قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومع ذلك فقد أمر العبادَ بطاعته، وطاعة رسوله، ونهاهم عن معصيته.

يعني مع كون القدر مفروغ منه فلا حجة في ترك العمل فقد أمر الله تعالى العباد بطاعته ونهاهم عن معصيته فالواجب على الإنسان أن يلزم الطاعة ويتعد عن المعصية وإن قُدِّرَ عليه شيء من ذلك يستغفر الله، ولذلك لما قال المشركون كما قال الله تعالى: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، أخبر الله أن هذا هو التكذيب وأن هذا هو الكفر، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فردَّ الله عليهم الاحتجاج بالقدر.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو سبحانه يحبُّ المتقين، والمحسنين، والمقسطين، ويَرْضَى عن الذين آمنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الكافرين، وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفُسَادَ. وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللَّهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ.

إشارة لفساد قول من يزعم أن الإرادة الكونية التي هي المشيئة مرادفة للمحبة، وبمعرفة الفوارق بين الإرادتين ينتفي الإشكال ومن الفوارق:

الأول: أن الإرادة الكونية لا بد أن تقع والإرادة الشرعية قد تقع أو لا تقع.

الثاني: الإرادة الكونية تكون في المحبوب وغيره والإرادة الشرعية لا تكون إلا في المحبوب.

الثالث: الإرادة الكونية مرادفة للمشيئة، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وما أراد الله كوناً كان وما لم يرد لم يكن، بينما الإرادة الشرعية مرادفة للأمر والنهي والمحبة.



الرابع: تجتمع الإرادة الكونية والإرادة الشرعية في حق المؤمن المطيع، وتفترق الإرادة الكونية عن الإرادة الشرعية في حق العاصي.

الرد على الجبرية والقدرية

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً) رد على الجبرية، (وَاللَّهُ خَلَقَ أَفْعَالَهُمْ) رد على نفاة القدر من المعتزلة يقولون إنّ الله لم يخلق أفعال العباد، والحق الذي لا غيره أنّ الله خلقها للابتلاء والاختبار، خلق شرها وهو غير راضي بها، لكن لحكمة علمها وقد تقدّم أنّ الشرّ بالنسبة إلى الله تعالى ليس بشرّ محض، لأنّ الله أوجده لمصلحة.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

والعبد هو: المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، والمصلّي والصائم. وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم، وخالق قدرتهم وإرادتهم.

هذا هو حال العبد مع أنّ الله خالق لفعله، فالخلق الله **عَزَّجَلَّ** والفعل من العبد وينسب إليه وتلحقه أحكامه.

هذا ردّ على الجبرية لأنّهم يزعمون أنّ العبد كالريشة في مكان تتلاطم فيه الرياح، فالعبد لديه قدرة واستطاعة وإرادة وفعل وهذا الذي يقول هذا القول، لو أخذ حجرًا وكسر رأسه سيذهب إلى السلطان ويقول فلان كسر رأسي، إذا قال له السلطان الله الذي كسر رأسك، سيرضى أم يخالف؟ سيخالف بلا شك ولا ريب.

والقول بالجبر تضييع للحدود، ومن قولهم:

أَصْبَحْتُ مُنْفَعِلًا لِمَا يَخْتَارُهُ ❀ مِنِّْي فَفَعَلِي كُلُّهُ طَاعَاتٌ

الزنا والفجور والخمر والصلاة والصيام والذبح للقبر والذبح للصنم ودعاء غير الله فكلّ هذا طاعات، نقول له أيّها الجبري الله **عَزَّجَلَّ** لم يرضى من المشركين هذا

الاعتذار، لما قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، قال لهم الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

قال رحمه الله:

كما قال تعالى: ﴿لَمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

فأثبت سبحانه للعبد مشيئة، لكنها تابعة لمشيئته، والمعتزلة يستدلون بالآية الأولى ويتركون الثانية والجبرية يستدلون بالآية الثانية ويتركون الأولى وأهل السنة يستدلون بالآيتين، ففي الآية الأولى إثبات مشيئة العبد والآية الثانية فيها إثبات مشيئة الله النافذة وأن مشيئة العبد مقيّدة بمشيئة الله، ويستدل الجبرية بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وهذا الدليل فيه ردُّ عليهم من أن الله عزَّ وجلَّ يقول لمحمد: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، فأثبت له رميًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾، أثبت فعلاً وهو رمي الحصى ثم قال: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾، أي سدّد، فالآية ردُّ عليهم فكل دليل يستدل به الجبري على بدعته فيه ردُّ على النفاة النفاة من المعتزلة، إذ يستدل الجبري بعموم أدلة المشيئة والإرادة الكونية والعلم والكتابة والخلق، لكنه يستدل بها على أن الله هو الفاعل.

والجبري يعطل العبد من الإرادة والاستطاعة والقوّة والمشيئة، والمعتزلي يُثبتها للعبد، فأبى دليل يستدل به القدري فيه ردُّ على الجبرية وسبب ضلال القدرية والجبرية أنهم أخذوا جزءاً من الأدلة وتركوا الجزء الآخر بينما أهل السنة أخذوا بعموم أدلة القدر فسلموا من الجبر وسلموا من الاعتزال.



والسبب الثاني في ضلال المعتزلة والجبرية: أنَّهم جعلوا الإرادة والمشئَّة هي المحبَّة وقد تقدَّم الفرق بين الإرادة الكونيَّة والإرادة الشرعية وعلمنا أنَّ القدر الكوني يكون في المحبوب وغيره .

فالشبهة واحدة وهي أنَّ المشئَّة (الإرادة الكونية) هي المحبوب ثمَّ انقسموا إلى فرقتين، فرقة قالت كلَّ ما يقع في هذا الكون فهو محبوب لله **عَزَّجَلَّ** وهم الجبرية، وفرقة قالوا ما يقع في الكون من معاصي ومن سيِّئات غير مخلوق لله لأنَّه غير محبوب، وأهل السنَّة قالوا القدر الكوني الذي يقع منه المحبوب ومنه غير محبوب، فالمحبوب مراد لذاته وغير المحبوب مراد لغيره أي للمصالح التي تحقِّق.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وهذه الدرجة من القَدَرِ، يُكذَّبُ بها عامةُ القدريةِ الذين سبَّاهُمُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَجْجُوسَ هذه الأُمَّةِ»^(١).

(١) حسن بشواهد: هذا الحديث جاء عن جمع من الصحابة منهم: أنس وحذيفة وابن عمر وسهل وأبو هريرة وجابر وعائشة، وكلها -فيما وقفنا عليه- أحاديث ضعاف؛ لا تخلو طريق من مقال إلا من طريق واحدة، وقد جمعت طرقها من نحو خمس وعشرين طريقاً -ولله الحمد والمنة-، ولولا خشية الإطالة لسقتها، ولكن نقتصر على أحسنها وهي ثلاثة فقط:

الأولى: من طريق موسى بن إسماعيل عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه أبي حازم عن ابن عمر. أخرجه أبو داود (٤٦٩١)، والحاكم (٢٨٦)، وهو حسن إلى أبي حازم لكنه منقطع. ورواه عمر مولى غفرة وزكريا بن منظور عن أبي حازم عن نافع عن ابن عمر، وهما ضعيفان وقد اضطربا في الحديث كثيراً، فروايتهما منكراً لضعفهما، ثم لمخالفتهما لعبد العزيز بن أبي حازم وهو أرجح منهما.

الثانية: من طريق محمد بن عبد الملك بن زنجويه عن حجاج بن منهال عن معتمر بن سليمان عن حجاج بن فرافصة عن نافع عن ابن عمر. أخرجه ابن بشران في أماليه (٤٣٢)، ورجاله ثقات ما

أي مرتبة الخلق ومرتبة المشيئة يُكذَّب بها القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة، وهم المعنزلة لحديث عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند أبي داود (٤٦٩١) وله شواهد يُحَسِّن بها، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ، إِنْ مَرَضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»، وسموا مجوساً؛ لأنَّ المجوس يعتقدون أنَّ للكون خالقين، خالق النور وخالق الظلمة وخالق النور الذي يُعطي الخير وخالق الظلمة ضدَّ ذلك، حتى قال بعض الشعراء:

وَكَمْ لظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ ❀ تُحَدِّثُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

يعني: كم من إنسان يقوم آخر الليل ويقول: (يارب اغفر لي، يارب انصربي، يارب ارحمني) وتأتي الإجابة ويأتي الفرج في الليل، والمجوس يعتقدون أنَّ الظلمة إله الشرِّ فجاء القدرية النفاة وزعموا أنَّ كلَّ مخلوق يخلق فعل نفسه فجعلوا مع الله خالقين، مع أن الله يقول: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

عدا معتمر بن سليمان حسن الحديث، وشيخه حجاج بن فرافصة فيه كلام لا يخرج عن مرتبة الاحتجاج والله أعلم.

الثالثة: من طريق بقية بن الوليد عن الأوزاعي عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر. أخرجه ابن ماجه (٩٢)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٣٢٨)، والآجري في "الشريعة" (٣٨٤)، وبقية وابن جريج وأبو الزبير مدلسون وقد عنعنوا. لكن صرح بقية بالتحديث في رواية ابن أبي عاصم، فبقِي عنعنة ابن جريج وأبي الزبير وهي في الشواهد الآن.

والحديث حسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "ظلال الجنة" (٣٣٨ و٣٤٢)، وغيره، ولولا خشية الطول لذكرنا أقوالهم.



قال رَحِمَهُ اللهُ :

ويغلو فيها قومٌ من أهلِ الإِثباتِ، حتّى يَسْلُبُوا العبدَ قدرتهُ واختيارَهُ، ويُخْرِجُونَ
عن أفعالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ، حُكْمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

وهؤلاء هم الجبرية على ما تقدم.



القول في الإيمان

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فصل

ومن أصولِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

تحقيق هذا الأصل من المهمات؛ وذلك لأن سبب ضلال الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة لعدم تحقيقه، قد نقل الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من الأئمة الإجماع على هذا التعريف فأهل السنة والجماعة على أَنَّ الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعات وينقص بالعصيان وعبر بعض السلف إلى الاختصار بقولهم: الإيمان قول وعمل، والمراد بالقول قول القلب واللسان وقول القلب هو تصديقه وقول اللسان هو نطقه والمراد بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب هو إخلاصه وخشيته وخوفه ورجاءه وتوكله إلى غير ذلك، والدليل على ما قلنا حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) واللفظ له، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».

ومن المعلوم: أَنَّ قول لا إله إلا الله باللسان مجرّد عن الاعتقاد لا يفيد صاحبه وإنّما الذي يُفيد صاحبه هو الاعتقاد والنطق الموافق للاعتقاد وقوله: (وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)، فالحياء عمل قلبي وإمطة الأذى عمل الجوارح، ولهذا نجد أن الله عَزَّجَلَّ قد قرن العمل الصالح بالإيمان في أكثر من خمسين موضعاً في القرآن وهذا يدلّ دلالة صريحة على أَنَّ الأعمال داخلية في مسمّى

الإيمان ومعنى ذلك أن الصلاة من الإيمان والحج من الإيمان والصدق من الإيمان وبرّ الوالدين من الإيمان والإحسان إلى الأرحام من الإيمان والإحسان إلى الجيران من الإيمان وقيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً من الإيمان وصيام رمضان من الإيمان كما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٣٨) ومسلم (٧٦٠).

وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٤٧).

وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَإِيمَانًا بِي وَتَصَدِيقًا بِرُسُلِي فَهُوَ عَلَى ضَامِنٍ أَنْ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ لَوْ أَنَّ دَمَ وَرِيحِهِ مِنْكَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ يَشَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً وَيَشَقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزَوُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْتُلُ ثُمَّ أَغْزَوُ فَأَقْتُلُ ثُمَّ أَغْزَوُ فَأَقْتُلُ» من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٣٦) ومسلم (١٨٧٦) واللفظ له.

وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ» من حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٢١) ومسلم (٤٣).

وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفِقُ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]، وفي آيات كثيرات وفي أحاديث كثيرات تدل على أن الأعمال من الإيمان.

وقد انقسم المخالفون لأهل السنة في مسمى الإيمان إلى أقسام:

أولهم: الخوارج حيث زعموا أن فاعل الكبيرة كافر كفر أكبر مخرج من الملة والسبب في ذلك أن الخوارج يُخالفون أهل السنة في الزيادة والنقصان والأدلة على زيادة الإيمان، ونقصانه كثيرة منها قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، فذكر الله الزيادة وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، **وقال تعالى**: ﴿وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، **وقال تعالى**: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، **وقال تعالى**: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، ويقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، قال الإمام البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (فإذا ترك شيئاً من الكمال فهو ناقص)، وما زال الإيمان ينزل على النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والناس يعملون به فيزداد إيمانهم وخيرهم وبرهم ومن الأحاديث الدالة على هذه المسألة حديث أبي سعيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٤٩)، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعْبِرْهُ»

بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِقْلِيهِ وَذَلِكَ أَوْضَعُ الْإِيمَانِ»، وفي الحديث الآخر قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ» من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٥٠).

وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين عند البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣)، قال النبي ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل: «فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ». وقال النبي ﷺ: «فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ وَيَحْرُمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجْهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا» من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).

والنبي ﷺ يقول للنساء: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقُلْنَ وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتٍ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبُّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ قُلْنَ وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ قُلْنَ بَلَى قَالَ فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ قُلْنَ بَلَى قَالَ فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا» من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٠٤) ومسلم (٧٩)، ففسر نقصان الدين بأنها تترك الصلاة فالمرأة حين تترك الصلاة وهي معذورة ينقص دينها بنص

الحديث فكيف بالذي يرتكب المعاصي ويرتكب السيئات، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧): «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَتَّهَبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارُهُمْ حِينَ يَتَّهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

والأدلة المتواترة على زيادة الإيمان ونقصانه إما لفظاً وإما معناً ثم إن المرء يجده من نفسه ذل، فعَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: - وَكَانَ مِنْ كُتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٧٥٠).

وفي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: غَدَا أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْنَا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ. فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: النَّفَاقُ،



النِّفَاقُ. قَالَ: «أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ النِّفَاقُ» أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى (٣٣٠٤).

ثم إنه من المعلوم عند الناس أنهم إذا رأوا المستقيم بلحية وثوب قصير ويحافظ على الصلوات في وقتها ويبرّ والديه ويحسن إلى الأرحام يقولون هذا إيمانه زائد، وإذا رأوا حلق لحية يستخدم الأغاني ويعصي الله بأنواع المعاصي قالوا هذا إيمانه ناقص ثم إننا نجد أن الإنسان كلما ازداد علمه وعمله وجد ذلك، في سبعة أوجه ذكرها شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كتابه "الإيمان الأوسط".

وممن ذهب إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص المرجئة والخوارج فرعموا أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وأن زيادة الإيمان ونقصانه كفر ويستدلّون بحديث رواه مكحول عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «**الْإِيمَانُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ**»، وهذا حديث لا يصحّ. فتلخص أن عقيدة أهل السنة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وهذا التعريف هو الذي تدل عليه أدلة الكتاب والسنة، وأقوال السلف.

قال اللالكائي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "شرح أصول أهل السنة" (٩٠٧/٥):

قال سهل بن المتوكل: أدركت ألف أستاذ أو أكثر كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

وقال يعقوب بن سفيان: أدركت أهل السنة والجماعة على ذلك.

وقال عبدالرزاق: سمعت سفيان الثوري وابن جريج ومالك بن أنس ومعمّر بن راشد وسفيان ابن عيينة يقولون: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

وقال عبدالرزاق أيضًا: لقيت اثنين وستين شيخًا منهم معمّر والأوزاعي والثوري والوليد بن محمد القرشي ويزيد بن السائب وحمام بن سلمة وحمام بن زيد وسفيان بن عيينة وشعيب بن حرب ووکیع بن الجراح ومالك بن أنس وابن أبي

ليلى وإسماعيل بن عياش والوليد بن مسلم، ومن لم يسمعه كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

فمسمى الإيمان عند أهل السنة مركّز على خمسة أمور:

- ١- قول القلب وهو تصديقه وإيقانه.
 - ٢- قول اللسان وهو النطق بالشهادتين.
 - ٣- عمل القلب وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والتوكل وغيرها.
 - ٤- عمل اللسان وهو الأذكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكلام المعروف وقراءة القرآن... إلى غير ذلك.
 - ٥- عمل الجوارح وهو العمل الذي لا يؤدي إلى بواسطتها من ركوع وسجود ومشى إلى المساجد وسفر الحج والجهاد وغير ذلك.
- وهذا هو تعريف أهل الحق والهدى يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، فهذه فيها عمل القلب.
- ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٣]، وهذه جمعت بين عمل القلب واللسان والجوارح.

أما المرجئة ومن وافقهم فقد ذهبوا في تعريف الإيمان مذاهب بعيدة عن الحق. فقال بعضهم: هو الإقرار باللسان وتصديق بالجنان، وإلى هذا ذهب الطحاوي. ومنهم من يقول: إنه تصديق بالجنان فقط، والإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وإلى هذا ذهب الماتريدي ويروى عن أبي حنيفة. وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط.



وذهب الجهمية ومن وافقهم إلى أنه المعرفة بالقلب، وكل هذه الأقوال باطلة ومخالفة لطريقة الرشد.

وأبعدها عن الحق قول الجهم، فإنه لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم صدقوا موسى وهارون عليهما السلام ولم يؤمنوا بهما، ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]. وقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، بل إبليس يكون عند جهم مؤمناً كامل الإيمان فإنه لم يجهل ربه، بل هو عارف بربه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: ٧٩]، وقوله: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، ﴿قَالَ فِعْزَتِكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

والكفر عند جهم هو الجهل بالرب ولا أحداً أجهل منه بربه. اهـ^(١).

وعلى قول الكرامية: المنافقون عندهم مؤمنون كاملوا الإيمان.

وعلى قول مرجئة الفقهاء: بأن الإيمان هو إقرار باللسان واعتقاد، يكون الفسقة وقطاع الصلاة وغيرهم من أهل الإجرام كاملي الإيمان، لأنهم قد أقرؤا بألستهم الإسلام والإيمان واعتقدوا بقلوبهم، وأن لهم هذا، ورحم الله ميمون بن مهران إذ يقول عندما رأى جارية تغني فقال: الخيبة لمن يزعم أن إيمان هذه مثل إيمان مريم بنت عمران.

وحاصل الكل: يرجع إلى أن الإيمان أما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ كما تقدم أو بالقلب واللسان دون الجوارح، كما ذكر الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابه

(١) "شرح الطحاوية" (٣٣٢).

رَجَّهْمُ اللَّهِ، أو باللسان وحده كما تقدم ذكره عند الكرامية، أو بالقلب وحده وهو إما المعرفة كما قاله الجهم أو التصديق كما قاله أبو منصور الماتريدي، وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر. اهـ^(١).

وكان السبب في ضلال هذه الطوائف كونهم جعلوا الإيمان حقيقة واحدة لا تتبع، إما مجرد تصديق القلب كقول الجهمية، أو تصديق القلب واللسان كقول المرجئة...

وقالت الخوارج والمعتزلة: الطاعات كلها من الإيمان فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيمان فذهب سائرهم، فحكموا أن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان...

وجماع شبهتهم في ذلك أن الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها كالعشرة، فإنه إذا زال بعضها لم تبق عشرة...

قالوا: فإذا كان الإيمان مركباً من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة لزم زواله بزوال بعضها، وهذا قول الخوارج والمعتزلة، قالوا: ولأنه يلزم أن يكون الرجل مؤمناً بما فيه من الإيمان كافرًا بما فيه من الكفر، فيقوم به كفر وإيمان، ثم إن هذه الشبهة هي شبهة من منع أن يكون في الرجل الواحد طاعة ومعصية؛ لأن الطاعة جزء من الإيمان والمعصية جزء من الكفر.^(٢)

(١) "شرح الطحاوية" (٣٣٣).

(٢) راجع "مجموع الفتاوى" (٥١٠/٧-٥١٢).

ولما كان الإيمان يدخل فيه المعرفة بالقلب والقول والعمل كله كانت زيادته بزيادة الأعمال ونقصانه بنقصانها، وقد صرح بذلك مجموعة من السلف فقالوا: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية^(١).

وفي مرتكب الكبيرة كان أهل السنة هم الوسط الخيار، قال شيخ الإسلام: ومذهب أهل السنة والجماعة: أن فساق أهل الملة ليسوا مخلصين في النار كما قالت الخوارج والمعتزلة وليسوا كاملين في الدين والإيمان والطاعة؛ بل لهم حسنات وسيئات يستحقون بهذا العقاب وبهذا الثواب^(٢).

قال ابن أبي العز في "شرح الطحاوية": أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة لكان مرتداً يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر! وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام.

ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة، فإن قولهم باطل أيضاً؛ إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، **قَالَ تَبَّالِي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾** [البقرة: ١٧٨]، إلى أن قال: **﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ﴾** [البقرة: ١٧٨]، فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخاً لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب. **وَقَالَ تَبَّالِي: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾** [الحجرات: ٩]، إلى أن قال: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾** [الحجرات: ١٠].

(١) "الفتح" لا بن رجب (٩/١).

(٢) "المجموع" (٦٧٩/٧).

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ تَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ» أخرجاه في الصحيحين.

فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه. وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟». قالوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قال: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» رواه مسلم.

وقد قاله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]. فدل ذلك على أنه في حال إساءته يعمل حسنات تمحو سيئاته. وهذا مبسوط في موضعه.

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد^(١).

ومما يطرق في هذا الباب هو العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام، وللسلف في هذا الباب قولان:

الأول: وهو التفريق بين مسمى الإيمان والإسلام وهذا القول ذهب إليه جمهور أهل السنة.

الثاني: عدم التفريق بينهما، وأن الإسلام والإيمان اسمان لمعنى واحد، وممن قال بهذا القول البخاري، ومحمد بن نصر المروزي، وابن مندة، وابن عبد البر.

(١) "شرح الطحاوية" (٣٦٠-٣٦١).

وقد استدل القائلون بالتفريق بمثل قول الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامِنًا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٧]، ومن الأدلة المشهورة في التفريق بين المسميين هو حديث جبريل.

قال شيخ الإسلام كما في الإيمان: قد فرق رسول ﷺ كما في حديث جبريل بين مسمى الإسلام، ومسمى الإيمان، ومسمى الإحسان. اهـ
ويكون في حالة الاجتماع الإسلام يطلق ويراد به الأعمال الظاهرة كما في حديث جبريل، والإيمان يطلق ويراد به أعمال القلوب، وإذا افترقا دل كل منهما على الأعمال الظاهرة والقلبية يدل على ذلك حديث ابن عباس عند البخاري ومسلم وفيه: «أَمُرُّكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟». قالوا الله ورسوله أعلم. قال: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغَانِمِ الْخُمْسَ».

وجماع القول أنهما إذا افترقا اجتماعا، وإذا اجتمعا افترقا، وإلى هذا التفصيل ذهب الخطابي، وابن الصلاح، والبعوي، وشيخ الإسلام، وابن رجب، وغيرهم، وهو الذي تجتمع معه الأدلة.



القول في الاستثناء في الإيمان

الاستثناء في الإيمان كأن تقول أنا مؤمن إن شاء الله أو أن يقال لك أنت مؤمن؟ تقول أرجو ذلك، أو تُسأل أنت مؤمن؟ فتقول مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبهذا تنوعت عبارات السلف في الاستثناء، والناس في مسألة الاستثناء انقسموا إلى ثلاثة أقسام، طرفان ووسط:

الطرف الأول: الأشاعرة: حيث أوجبوا الاستثناء.

الطرف الثاني: المرجئة: الذين زعموا أنّ من قال أنا مؤمن إن شاء الله كان كافراً، لأنّه شكّ في إيمانه ولهذا حرّم المرجئة زواج الحنفية من الشافعي.

❦ **واوسط هم أهل السنة والجماعة:** حيث ذهبوا إلى استحباب الاستثناء في الإيمان كما قال ابن مهدي **رَحِمَهُ اللَّهُ:** (أصل الإرجاء ترك الاستثناء)، والدليل على ذلك من كتاب الله وسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، أمّا من كتاب الله فإنّ الله تعالى يقول: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقد علم أنّهم داخلون ومع ذلك قال: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، وبهذه الآية استدّل الإمام أحمد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ومن إليه من أهل العلم على استحباب الاستثناء في الإيمان، وعن عائشة رض الله عنها أنّها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَيْعِ يَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَأَنَا كُمْ مَا تُوْعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأَهْلِ بَيْعِ الْعَرْقَدِ» رواه مسلم (٩٧٤).

وقد علم أنّه لاحق بهم، وجاء رجل إلى عبدالله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فقال: (أنا مؤمن)، فقال له **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (قل في الجنة؟)، فأبى فقال له: (كما استثيت في الثانية فاستثن في الأولى).

ويكون الاستثناء جائزاً إذا كان خائفاً من تزكية النفس وباعتبار ما يختم له، أو على التبرك بذكر الله تعالى، أما إن كان الاستثناء على الشك فهذا محرم لا يجوز قطعاً، بل هو كفر.

وقد نقل أبو يعلى، وغيره إجماع السلف على جواز الاستثناء في الإيمان.



العلاقة بين مسمى الإيمان ومسمى الإسلام

ومما يطرق في هذا الباب هو العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام، وللسلف في هذا الباب قولان:

الأول: وهو التفريق بين مسمى الإيمان والإسلام وهذا القول ذهب إليه جمهور أهل السنة.

الثاني: عدم التفريق بينهما، وأن الإسلام والإيمان اسمان لمعنى واحد، وممن قال بهذا القول البخاري، ومحمد بن نصر المروزي، وابن مندة، وابن عبد البر.

وقد استدل القائلون بالتفريق بمثل قول الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تَزَلُوا كُفْرًا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، ومن الأدلة المشهورة في التفريق بين المسميين هو حديث جبريل.

قال شيخ الإسلام كما في الإيمان: قد فرق رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث جبريل بين مسمى الإسلام، ومسمى الإيمان، ومسمى الإحسان. اهـ

ويكون في حالة الاجتماع الإسلام يطلق ويراد به الأعمال الظاهرة كما في حديث جبريل، والإيمان يطلق ويراد به أعمال القلوب، وإذا افترقا دل كل منهما على الأعمال الظاهرة والقلبية يدل على ذلك حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الصحيحين البخاري (٥٣) ومسلم (١٧)، أن وفد عبد قيس جاءوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصِيَامُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ»، ففسر الإيمان بأركان الإسلام.

وجماع القول أنهما إذا افترقا اجتماعا، وإذا اجتمعا افترقا، وإلى هذا التفصيل ذهب الخطابي، وابن الصلاح، والبعثي، وشيخ الإسلام، وابن رجب، وغيرهم، وهو الذي تجتمع معه الأدلة.

واستدل بعض العلماء على أن المسمى واحد بقول الله عز وجل: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "الإيمان الأوسط" وقاله في قصة قوم لوط: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦]، وقد ظن طائفة من الناس أن هذه الآية تقتضي أن مسمى الإيمان والإسلام واحد. وعارضوا بين الآيتين؛ وليس كذلك؛ بل هذه الآية توافق الآية الأولى لأن الله أخبر أنه أخرج من كان فيها مؤمنا وأنه لم يجد إلا أهل بيت من المسلمين. وذلك لأن امرأة لوط كانت في أهل البيت الموجودين ولم تكن من المخرجين الذين نجوا؛ بل كانت من الغابرين الباقين في العذاب وكانت في الظاهر مع زوجها على دينه وفي الباطن مع قومها على دينهم خائنة لزوجها تدل قومها على أضيافه.

قال رحمه الله:

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ، كَمَا تَفَعَّلُهُ الْخَوَارِجُ.

أي: وأهل السنة لا يكفرون بالمعاصي غير المكفرة كما هو دين الخوارج الذين يكفرون المسلمين بالكبائر فيما دون الشرك وخالفوا بذلك إجماع المسلمين، وطريقة المستقيمين، وبهذه البدعة الشنيعة استحلوا دماء المسلمين وكفروهم وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدعتهم في أحاديث كثيرة، ذكر بعضها الإمام مسلم في آخر كتاب الزكاة ما يبين خطر هذه البدعة وغيرها من البدع، فمنها:



أخرج الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ (١٠٦٣): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبٍ بِلَالٍ فِضَّةٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبِضُ مِنْهَا يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ، قَالَ: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ اَعْدِلُ؛ لَقَدْ خَبَتْ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ اَعْدِلُ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقْتُلْ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: «مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ بِالْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي تَرْبَتِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرِ الْفَزَارِيُّ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ الْعَامِرِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِلَابٍ وَزَيْدُ الْخَيْرِ الطَّائِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ، قَالَ: فَغَضِبْتُ فُرَيْشَ، فَقَالُوا: أَتُعْطِي صَنَادِيدَ نَجْدٍ وَتَدَعُنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَنَّا لَفَهُمْ»؛ فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُ اللَّحْيَةِ مُشْرِفُ الْوَجْتَيْنِ، غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِيءُ الْجَبِينِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: أَتَى اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ إِنْ عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَلَا تَأْمَنُونِي؟» قَالَ: ثُمَّ أَذْبَرَ الرَّجُلُ، فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فِي قَتْلِهِ يُرُونَ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِي هَذَا قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحْصَلْ مِنْ تَرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ

أَرْبَعَةَ نَفَرٍ: بَيْنَ عُسَيْثَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعِ إِمَّا عَلَقَمَةُ بْنُ عَلَانَةَ، وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً» قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللَّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْأُزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَى اللَّهَ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ» قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي» قَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَمْ أَوْمَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشَقَّ بُطُونَهُمْ» قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٌّ، فَقَالَ: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضَنْضِي هَذَا: قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، -قَالَ: أَظُنُّهُ قَالَ:- لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثُمُودَ».

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَعَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُمَا أَتَيَا أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلَاهُ عَنِ الْحُرُورِيَّةِ: هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُهَا؟ قَالَ: لَا أَدْرِي مِنَ الْحُرُورِيَّةِ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَمْ يَقُلْ مِنْهَا قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، فَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حُلُوفَهُمْ أَوْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ فَيَنْظُرُ الرَّامِي إِلَى سَهْمِهِ إِلَى نَصْلِهِ إِلَى رِصَافِهِ فَيَتَمَارَى فِي الْفُوقَةِ، هَلْ عَلِقَ بِهَا مِنَ الدَّمِ شَيْءٌ؟».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْدِلْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ اْعْدِلْ، قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ اْعْدِلْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ، قَالَ



رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُهُ؛ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَافِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ وَهُوَ الْقِدْحُ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْزِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالْدَّمَ أَيُّهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضْدِيهِ مِثْلُ ثَنِي الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبُضْعَةِ تَتَذَرْدُرُ يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ؛ فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتَمَسَ فَوُجِدَ فَأَتَيْ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي نَعْتُ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ قَوْمًا يَكُونُونَ فِي أُمَّتِهِ، يَخْرُجُونَ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ سِيَمَاهُمْ التَّحَالُقُ، قَالَ: «هُمْ شُرُ الْخَلْقِ أَوْ مِنْ أَشَرِّ الْخَلْقِ، يَقْتُلُهُمْ أَذْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ» قَالَ: فَضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ مَثَلًا، أَوْ قَالَ قَوْلًا: «الرَّجُلُ يَزِمِي الرَّمِيَّةَ» أَوْ قَالَ: «الْغَرَضُ فَيَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلَا يَرَى بَصِيرَةً، وَيَنْظُرُ فِي النَّضِيِّ فَلَا يَرَى بَصِيرَةً، وَيَنْظُرُ فِي الْفُوقِ فَلَا يَرَى بَصِيرَةً»، قَالَ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَأَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ».

وَعَنْ سُؤَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَنْزِلَنَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ؛ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدَعَةٌ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ

قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ الْخَوَارِجُ، فَقَالَ فِيهِمْ: «رَجُلٌ مُخْدَجُ الْيَدِ أَوْ مُودُنُ الْيَدِ أَوْ مَثْدُونُ الْيَدِ، لَوْلَا أَنْ تَبْطَرُوا؛ لَحَدَّثْتُكُمْ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَهُمْ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ الْجُهَنِيِّ؛ أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَكَلُّوا عَنِ الْعَمَلِ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَصْدٌ، وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ عَلَى رَأْسِ عَصْدِهِ مِثْلَ حَلْمَةِ الثَّدي عَلَيْهِ شَعْرَاتٌ بَيْضٌ»، الْحَدِيثُ.

وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أَنَّ الْحُرُورِيَّةَ لَمَّا خَرَجَتْ وَهُوَ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ عَلِيٌّ: كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَفَ نَاسًا إِنِّي لَأَعْرِفُ صِفَتَهُمْ فِي هَؤُلَاءِ، يَقُولُونَ الْحَقَّ بِالْإِسْتِثْنَاءِ، لَا يَجُوزُ هَذَا مِنْهُمْ، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ، مِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ، مِنْهُمْ أَسْوَدُ إِحْدَى يَدَيْهِ طُبْيُ شَاةٍ، أَوْ حَلْمَةُ ثَدْيٍ؛ فَلَمَّا قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: انْظُرُوا؛ فَنَظَرُوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا، فَقَالَ: ارْجِعُوا فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ،



وَلَا كُذِبْتُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ وَجَدُوهُ فِي خَرِبَةٍ فَأَتَوْا بِهِ حَتَّى وَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: وَأَنَا حَاضِرُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَقَوْلِ عَلَيٍّ فِيهِمْ.

عَنْ يُسَيْرِ بْنِ عَمْرِو قَالَ: سَأَلْتُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْخَوَارِجَ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُهُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ: «قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَا يَعْدُو تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ».

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ؛ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَبِيهَ قَوْمٌ قَبْلَ الْمَشْرِقِ مُحَلَّقَةٌ رُءُوسُهُمْ».

وعند أحمد في "مسنده" (٢٥٠/٥) من طريق سيار قال: لَمَّا أَتَيْتُ بُرْءُوسَ الْأَزَارِقَةِ فَنُصِبَتْ عَلَى دَرَجِ دِمَشْقَ، جَاءَ أَبُو أُمَامَةَ فَلَمَّا رَأَاهُمْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ: «كِلَابُ النَّارِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، هَؤُلَاءِ شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَيْدِي السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَيْدِي السَّمَاءِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ هَؤُلَاءِ» قَالَ: فَقُلْتُ: فَمَا شَأْنُكَ دَمَعْتَ عَيْنَاكَ؟ قَالَ: رَحْمَةٌ لَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ. قَالَ: قُلْنَا: أَبْرَأِيكَ قُلْتُ: هَؤُلَاءِ كِلَابُ النَّارِ، أَوْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: إِنِّي لَجَرِيءٌ بَلْ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا اثْنَتَيْنِ وَلَا ثَلَاثٍ قَالَ: فَعَدَّ مِرَارًا.

وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٠١/١٥-٣٠٢): من طريق قَطْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو مَرْيٍ، عَنْ أَبِي غَالِبٍ، قَالَ: كُنْتُ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءُوا بِسَبْعِينَ رَأْسًا مِنْ رُءُوسِ الْحُرُورِيَّةِ، فَنُصِبَتْ عَلَى دُرْجِ الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ أَبُو أُمَامَةَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «كِلَابُ جَهَنَّمَ، شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ، وَمَنْ قَتَلُوا خَيْرُ قَتْلَى تَحْتَ السَّمَاءِ» وَبَكَى وَنَظَرَ إِلَيَّ، وَقَالَ: يَا أَبَا غَالِبٍ، إِنَّكَ مِنْ بَلَدِ هَؤُلَاءِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَعَاذَكَ، قَالَ: أَظُنُّهُ قَالَ: اللَّهُ مِنْهُمْ، قَالَ: تَقْرَأُ آلَ عِمْرَانَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ وَقَالَ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ قُلْتُ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، إِنِّي رَأَيْتُكَ تَهْرِيقُ عَبْرَتِكَ، قَالَ: نَعَمْ، رَحْمَةً لَهُمْ، إِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، قَالَ: قَدْ افْتَرَقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى وَاحِدَةٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَزِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِرْقَةً وَاحِدَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ، وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ، السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ خَيْرٌ مِنَ الْفِرْقَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، أَمِنْ رَأْيِكَ تَقُولُ أَمْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنِّي إِذَا لَجَرِيءٌ، قَالَ: بَلْ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ حَتَّى ذَكَرَ سَبْعًا.

وعند أحمد (٣٨٢-٣٨٣/٤) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُمَهَانَ قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُوْفَى وَهُوَ مَخْجُوبُ الْبَصَرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا سَعِيدُ بْنُ جُمَهَانَ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ وَالدُّكْ؟ قَالَ: قُلْتُ: قَتَلْتَهُ الْأَزْرَاقَةُ، قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْأَزْرَاقَةَ، لَعَنَ اللَّهُ الْأَزْرَاقَةَ، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ كِلَابُ النَّارِ، قَالَ: قُلْتُ: الْأَزْرَاقَةُ وَحَدَهُمْ أَمْ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا؟ قَالَ: بَلِ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا. قَالَ: قُلْتُ: فَإِنَّ السُّلْطَانَ يَظْلِمُ النَّاسَ، وَيَفْعَلُ بِهِمْ، قَالَ: فَتَنَّاوَلْ يَدَيَّ فَعَمَزَهَا بِيَدِهِ عَمَزَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: وَيَحْكُ يَا ابْنَ جُمَهَانَ عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ، عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ إِنْ كَانَ السُّلْطَانُ يَسْمَعُ مِنْكَ، فَأْتِهِ فِي بَيْتِهِ، فَأَخْبِرْهُ بِمَا تَعْلَمُ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْكَ، وَإِلَّا فَدَعُهُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِأَعْلَمَ مِنْهُ. وأخرج ابن أبي شيبة في "المصنف" (٣٢٤/١٥) عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [الكهف: ١٠٣-١٠٤] أَهْمُ الْحُرُورِيَّةِ؟ قَالَ: لَا، هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، أَمَّا الْيَهُودُ فَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّا النَّصَارَى فَكَفَرُوا

بِالْجَنَّةِ وَقَالُوا: لَيْسَ فِيهَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ، وَلَكِنَّ الْحَرُورِيَّةَ ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧] وَكَانَ سَعْدٌ يُسَمِّيهِمُ الْفَاسِقِينَ.

وأخرج ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٥/ ٣٢٨) قال:

يَحْيَى بْنُ أَدَمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ حَسِيلِ بْنِ سَعْدِ بْنِ حُذَيْفَةَ، قَالَ حَدَّثَنَا حَبِيبُ أَبُو الْحَسَنِ الْعَبْسِيُّ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ثُمَّ قَالَ آخَرُ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ فَمَا تَدْرُونَ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ؟ يَقُولُونَ: لَا إِمَارَةَ، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يُصْلِحُكُمْ إِلَّا أَمِيرٌ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ، قَالُوا: هَذَا الْبَرُّ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا بَالُ الْفَاجِرِ؟ فَقَالَ: يَعْمَلُ الْمُؤْمِنُ وَيُمْلِي لِلْفَاجِرِ، وَيَبْلُغُ اللَّهُ الْأَجَلَ، وَتَأْمَنُ سُبُلُكُمْ، وَتَقُومُ أَسْوَافُكُمْ، وَيَقْسَمُ فَيُؤْكَمُ وَيُجَاهَدُ عَدُوُّكُمْ وَيُؤْخَذُ الضَّعِيفُ مِنَ الْقَوِيِّ أَوْ قَالَ: مِنَ الشَّدِيدِ مِنْكُمْ.

قال رحمه الله:

بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٩٠﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

إذ لو لم يكن فاعل المعصية فيما دون الشرك مسلماً لما وصفه الله تعالى بالأخ، ولكان حد العاصي المرتكب لما يوجب الحد القتل دائماً، لكن الواقع أن الله نوع الحدود؛ فالسارق تقطع يده، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا



جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ [المائدة: ٣٨]، والزاني البكر يجلد، وهكذا قاذف المحصن، قال الله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٠﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [النور: ٢-٤]، وشارب الخمر. وتأمل ما قاله تعالى في حق القاتل: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾ وسماء أخا، وهكذا في الآية الأخرى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: ثم قد وجدنا الله تبارك وتعالى يكذب مقالتهم وذلك أنه حكم في السارق بقطع اليد، وفي الزاني والقاذف بالجلد، ولو كان الذنب يكفر صاحبه ما كان الحكم على هؤلاء إلا القتل؛ لأن رسول الله ﷺ قال: **«من بدل دينه فاقتلوه»** (١) أفلا ترى أنهم لو كانوا كفارًا لما كانت عقوباتهم القطع والجلد؟ وكذلك قول الله فيمن قتل مظلومًا: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لُولِيِّهِ سُلْطَانًا﴾، فلو كان القتل كفرًا ما كان للولي عفو ولا أخذ دية، ولزمه القتل، وأما القول الرابع الذي فيه تضعيف هذه الآثار، فليس مذهب من يعتد بقوله، فلا يلتفت إليه، إنما هو احتجاج أهل الأهواء والبدع، الذين قصر علمهم عن الاتساع، وعييت أذهانهم عن وجوهها، فلم يجدوا شيئًا أهون عليهم من أن يقولوا: متناقضة، فأبطلوها كلها. وإن الذي عندنا

(١) أخرجه البخاري عن ابن عباس (٣٠١٧-٦٩٢٢) وأخرجه أحمد (٢٣١/٥) من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصته مع أبي موسى في اليهودي الذي ارتد، فقال: لا أجلس حتى يقتل؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من بدل دينه فاقتلوه»**. لكن الحديث صورته الإرسال، وهذا الحديث بعينه قد أخرجه البخاري (٢٢٦١-٦٩٢٣-٧١٥٦)، ومسلم (١٧٣٣) وفيه: لا أجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله.

في هذا الباب كله: أن المعاصي والذنوب لا تزيل إيماناً، ولا توجب كفراً، ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذي نعت الله به أهله، واشترطه عليهم في مواضع من كتابه. انتهى

قال رحمه الله:

ولا يَسْلُبُونَ الفاسقَ الميَّ اسمَ الإيمانِ بالكُفَّةِ، ولا يُخْلِدُونَهُ في النارِ، كما تقولهُ المعتزلةُ، بل الفاسقُ يدخلُ في [اسم الإيمان] ^(١) في مثلِ قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، وقد لا يدخلُ في اسمِ الإيمانِ المطلقِ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقولِ النبي ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَتَّبِعُ نَهْيَ ذَاتِ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَتَّبِعُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» ^(٢)، ويقولون: ^(٣) هو مؤمنٌ ناقضُ الإيمانِ، أو مؤمنٌ بإيمانه، فاسقٌ بكبيرته، فلا يُعْطَى الاسمَ المطلقَ، ولا يُسَلَبُ مُطلقُ الاسمِ.

بل الفاسق مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ويدخل في مطلق الإيمان فيجزئ في عتق الرقبة ولا يدخل فيمن يُثنى عليهم على ما تقدم بيانه.

فعقيدة أهل السنة والجماعة: أن أصحاب الكبائر من أمة محمد ﷺ لا يخلدون في النار، ففي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) كذا الصواب، والذي في المطبوع: [اسم الإيمان المطلق] وهو خطأ.

(٢) متفق عليه: خ (٥٥٧٨) م (٥٧) عن أبي هريرة.

(٣) كذا في المخطوطتين و(ف) وهو الصواب، لأنه يحكي قول أهل السنة لا قوله هو، والذي في المطبوع: [ونقول].

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحَمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُتُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَسْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ.



القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال رحمه الله:

فصل

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وَطَاعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(١).

الحديث بهذا اللفظ جاء عن أبي هريرة عند مسلم (٢٥٤٠)، والمتفق عليه من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١) ولفظه: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

(١) متفق عليه: خ (٣٦٧٣) - واللفظ له - م (٢٥٤١) عن أبي سعيد إلا قوله: «فوالذي نفسي بيده» فلمسلم، وهو بهذا اللفظ عند أبي داود (٤٦٥٨)، والحديث رواه مسلم أيضاً عن أبي هريرة (٢٥٤٠) وهو معلول، أعله الدارقطني وأبو مسعود الدمشقي، وأبانا أن الصواب عن أبي سعيد، وذكر الحافظ في "الفتح" (٣٦٧٣) أنه شاذ، لكن اختلف المحمل فيه على مَنْ؟ فذهب المزني في "تحفة الأشراف" أن مُسْلِمًا وَهَمَ فِيهِ وَهَمَ كِتَابُهُ يَظْهَرُ مِنَ السِّيَاقِ، وَرَدَ هَذَا الْحَافِظُ بِأَنَّ الْمَحْمَلَ فِيهِ عَلَى مَنْ دُونَ مُسْلِمٍ لِأَمْرَيْنِ:

الأول: أن أبا نعيم لم ينبه على هذا في مستخرجه.

الثاني: أن الدارقطني أعله كما في العلل، ومع ذلك لم ينبه عليه في تعقباته على الشيخين، دلَّ على أن الوهم فيه ليس من مسلم.

انظر: "تحفة الأشراف"، وشرح مسلم للنووي، والفتح فإنه بحثه بحثاً نفيساً فليراجع.

وقد تضمنت هذه الفقرة أصل من أصول أهل السنة والجماعة وهو سلامة قلوبهم من بغض أصحاب النبي **صلى الله عليه وسلم** وسلامة ألسنتهم من سبهم وتنقصهم والخوض فيما شجر بينهم بل طريقتهم الدعاء لهم والاستغفار لهم ممثلين قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، قالت عائشة **رضي الله عنها**: ابن أختي أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي **صلى الله عليه وسلم** فسبواهم. رواه مسلم (٣٠٢٢)، وفي الحديث فضل أصحاب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** على غيرهم وتحريم سبهم وتنقصهم وسيأتي مزيد بيان.

قال رحمه الله:

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ، مِنْ فُضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ، فَيُقَضُّوْنَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صَلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ - وَقَاتَلَ، عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ.

أما فضائلهم في القرآن فأكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر منها قول الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، **وقال تعالى**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ٧٦ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٧٧ [الأنفال: ٧٤-٧٥]، **وقال تعالى**: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ٨ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخْرَجُونَ مِنْ حَاجَرِ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ

حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شَحْنَفَهِ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر: ٨-٩]، **وقال تعالى:** ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا
وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا
سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَتْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ
وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ
عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُفِّي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّذِينَ هَاجَرُوا وَلُحِجُوا مِنْ دِينِهِمْ
وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتِّلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ [آل عمران: ١٩١-١٩٥].

وقال تعالى: ﴿لَكِنِ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩]، **وقال تعالى:** ﴿وَمَنْ
يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ ثُمَّ يَذَرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ [النساء: ١٠٠].

وقال عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ ﴿٤٣﴾ [الأعراف: ٤٣]، **وقال تعالى:** ﴿هُوَ
الَّذِي آتَاكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَاللَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهِدُوا
وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ [النحل: ١١٠]، **وقال تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ

هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لِنُبُوَّتِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ [النحل: ٤١-٤٢].

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿يَوْمَ لَا يُجْزَى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨]، **وقال تعالى:** ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّجٍ أَخْرَجَ شَطْلُهُ فَفَازَرَهُ فَأَسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ يَعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ﴾ [٨] وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا

وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر: ٨-١٠]

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في "جامع أحكام القرآن" (٣٢/١٨): في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والإستغفار لهم، وأن من سبهم، أو واحداً منهم، أو اعتقد فيه شراً إنه لا حق له في الفيء، روي ذلك عن مالك وغيره.

قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فئ المسلمين، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ومن فضائلهم من السنة ما في البخاري (٢٨٩٧) ومسلم (٢٥٣٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، يَغْزُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: فَيْكُم مِّن رَّأَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحَ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: فَيْكُم مِّن رَّأَى مَن صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحَ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: هَلْ فَيْكُم مِّن رَّأَى مَن صَحِبَ مَن صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحَ لَهُمْ».



وفي مسلم (٢٥٣٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ».

وفي مسلم (٢٥٣٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثَتْ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لَا، قَالَ: «ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السَّمَانَةَ، يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا».

وفي مسلم (٢٥٣٥) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» - قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ قَرْنِهِ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً - «ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ».

وفي مسلم (٢٥٣٦) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّالِثُ».

وفي صحيح البخاري (٣٦٩٢) عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ: لَمَّا طَعِنَ عُمَرُ جَعَلَ يَأْلَمُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَأَنَّهُ يُجَزِّعُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَئِنْ كَانَ ذَاكَ، لَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ أَبَا بَكْرٍ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ صُحْبَتَهُمْ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ، وَلَئِنْ فَارَقْتَهُمْ لَتَفَارِقْتَهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ، قَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى مَنْ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ أَبِي بَكْرٍ وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مِنْ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَنْ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا تَرَى مِنْ جَزَعِي فَهُوَ مِنْ أَجْلِكَ وَأَجَلِ أَصْحَابِكَ، وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ لِي طِلَاعَ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَأَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ.



وفي البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١) واللفظ له: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنْ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مَدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ».

وأخرجه مسلم (٢٥٤٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مَدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ».

قال رحمه الله:

وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ.

لتقديم الله لهم حيث قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ٩﴾ [الحشر: ٨-٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩]، فالمهاجرون أفضل من الأنصار في الجملة ومن أفراد الأنصار من هو أفضل من أفراد المهاجرين.

قال رحمه الله:

ويؤمنون بأن الله تعالى قال لِأَهْلِ بَدْرٍ -وكانوا ثلاثمائة وبِضْعَةَ عَشَرَ-: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».^(١)

(١) متفق عليه: خ (٣٠٧) م (٢٤٩٤) عن علي في حديث طويل.

وكانت في السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة وكان عدد الذين شهدوا غزوة بدر ثلاث مائة وبضعة عشر كما صحَّ في البخاري (٣٩٥٩) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ أَصْحَابَ بَدْرٍ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةُ عَشَرَ بَعْدَ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ وَمَا جَاوَزَ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ. وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اسْتَصْغَرْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نِيًّا عَلَى سِتِّينَ وَالْأَنْصَارُ نِيًّا وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ. أخرجه البخاري (٣٩٥٦).

وقوله: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ. فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ) جاء عن عدة من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاحٍ فَإِنَّ بِهَا ظِعِينََّةً وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا» فَاَنْطَلَقْنَا تَعَادَى بَنَّا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ فَإِذَا نَحْنُ بِالظِعِينََّةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقَيْنَنَّ الشِّيبَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟!» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عَنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ صَدَقْتُكُمْ» قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يَذْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ!» أخرجه البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤).

وفي سنن أبي داود (٤٦٥٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ مُوسَى - «فَلَعَلَّ اللَّهُ» - وَقَالَ ابْنُ سِنَانٍ - «اطْلَعَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ!».

وفي البخاري (٣٩٩٢) عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعِ الزَّرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرِ قَالَ: جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا تَعْدُونَ أَهْلَ بَدْرِ فِيكُمْ؟ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: «وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ».

وكانت أول معركة في الإسلام ولهم السابقة ولهذا رفع الله قدرهم وتجاوز عن سيئاتهم المستقبلية وهذا فضل عظيم.

قال رحمه الله:

وبأنه لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة، كما أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،^(١) بل قد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.^(٢)

كما في حديث حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا». قَالَتْ: (بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ)، فَاَنْتَهَرَهَا فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ [مريم: ٧٢]»

(١) رواه مسلم (٢٤٩٦) من حديث أم بشر.

(٢) يشير المصنف إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وإلى ما رواه الشيخان خ (٤١٥٤) م (١٨٥٦) عن جابر قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ: «أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ» وَكُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَع مِائَةٍ.

أخرجه مسلم (٢٤٩٦). وكانوا ألف وأربعة مائة أو ألف وخمسمائة بحذف الكسر أو إضافة الكسر كما أخبر في سورة الفتح، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وهذا خبر الله **عَزَّوَجَلَّ** الصادق ومما يدل على هذا العدد حديث جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ. رواه البخاري (٤٨٤٠).

وفي رواية مسلم (١٨٥٦) قال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ، فَبَايَعْنَاهُ وَعُمَرُ أَخَذَ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَهِيَ سَمُرَةٌ. وَقَالَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: بَايَعْنَاهُ عَلَى أَلَا نَقِرَّ، وَلَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ. وفي رواية **قال رحمه الله**: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ»، وَقَالَ جَابِرٌ لَوْ كُنْتُ أَبْصُرُ لَأَرَيْتُكُمْ مَوْضِعَ الشَّجَرَةِ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عَنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ فَقَالَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: لَوْ كُنَّا مِائَةً أَلْفٍ لَكَفَانَا كُنَّا أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةٍ. رواه مسلم (١٨٥٦).

ومن حديث ابن أبي أوفى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: كَانَ أَصْحَابُ الشَّجَرَةِ أَلْفًا وَثَلَاثِمِائَةٍ وَكَانَتْ أَسْلَمُ ثُمُنُ الْمُهَاجِرِينَ. أخرجه مسلم (١٨٥٧). ومن حديث معقل بن يسار **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ الشَّجَرَةِ وَالنَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يُبَايِعُ النَّاسَ وَأَنَا رَافِعُ غُصْنًا مِنْ أَغْصَانِهَا عَنْ رَأْسِهِ وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً قَالَ لَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ وَلَكِنْ بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَقِرَّ. عند مسلم (١٨٥٨).



قال رحمه الله:

وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَالْعَشْرَةِ.^(١)

سُمُوا بالعشرة لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكرهم في حديث واحد، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبُوبَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ وَسَعِيدُ فِي الْجَنَّةِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»، من حديث عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حديث عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الترمذي (٣٧٤٧) و(٣٧٤٨)، وابن ماجه (١٣٣) عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بمجموع الطريقين حسن.

قال رحمه الله:

وَكُتَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ.^(٢)

ويدل على ذلك ما أخرجه مسلم (١١٩) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢٠]، جَلَسَ

(١) صحيح: يشير المصنف إلى حديث أبي الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل الذي رواه أبو داود (٤٦٤٨، ٤٦٤٩) والترمذي (٣٧٤٨) وغيرهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَشْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، وَطَلْحَةُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ» قَالَ: فَعَدَّ هَؤُلَاءِ التَّسْعَةَ وَسَكَتَ عَنِ الْعَاشِرِ؛ فَقَالَ الْقَوْمُ: نَشُدُّكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْأَعْوَرِ مِنَ الْعَاشِرِ؟ قَالَ: نَشَدْتُمُونِي بِاللَّهِ، «أَبُو الْأَعْوَرِ فِي الْجَنَّةِ»، وليس في لفظ أبي داود ذكر أبي عبيدة، والحديث قد جاء عن عبد الرحمن بن عوف كما عند الترمذي (٣٧٤٧) وغيره لكنه معل، انظر: "أحاديث معلقة" لشيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٢٨٤-٢٨٥).

(٢) متفق عليه: خ (٤٨٤٦) م (١١٩) - واللفظ له - عن أنس.

ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ أَشَتَكِي؟» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى. قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

قال رحمه الله:

وغيرهم من الصحابة.^(١)

مثل بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٤٥٨)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ: «يَا بَلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ عِنْدَكَ فِي

(١) وهم كثير، منهم:

- ١- عكاشة بن محصن: خ (٦٥٤٢ و ٦٥٤١) م (٢٢٠ و ٢١٦) م عن ابن عباس وأبي هريرة.
- ٢- عبد الله بن سلام: خ (٣٨١٢ و ٣٨١٣) م (٢٤٨٣ و ٢٤٨٤) م عن سعد بن أبي وقاص ورجل مبهم من أصحاب رسول الله.
- ٣- خديجة: خ (١٧٩٢ و ٣٨٢٠) م (٢٤٣٢ و ٢٤٣٣) م عن أبي هريرة وعبد الله بن أبي أوفى.
- ٤- فاطمة بنت رسول الله: خ (٣٦٢٤) م (٢٤٥٠) م عن عائشة، ولأحمد (١/ ٢٩٣) عن ابن عباس، وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٥٩٦).
- ٥- الحسن والحسين: رواه أحمد (٣/ ٣) عن أبي سعيد وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٢١).
- ٦- بلال بن رباح: خ (١١٤٩ و ٢٦٧٩) م (٢٤٥٧ و ٢٤٥٨) م عن أبي هريرة وجابر.
- ٧- أم سليم: خ (٣٦٧٩) م (٢٤٥٧) م عن جابر، ورواه مسلم أيضًا عن أنس (٢٤٥٦).
- ٨- عبد الله بن مسعود: رواه أحمد (١/ ٤٤٥) عنه، وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٨٥٢).

الإِسْلَامُ مَنَفَعَةٌ فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشَفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ»، قَالَ بِلَالٌ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا فِي الإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنَفَعَةً مِنْ أَنِّي لَا أَتَطَهَّرُ طُهُورًا تَامًا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي أَنْ أَصَلِّيَ.

ومثل الغميصاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٤٥٧)، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ امْرَأَةً أَبِي طَلْحَةَ ثُمَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَةَ أَمَامِي فَإِذَا بِلَالٌ».

ومثل عبدالله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعند مسلم (٢٤١٣) عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لِحَيٍّ يَمْشِي أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ.

ومثل الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (١٠٩٩٩)، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

ومثل خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٨٢٠) ومسلم (٢٤٣٢)، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ فَصَبٍ لَا صَحَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ».

وبُشِّرَتْ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال عمار: إِنَّهَا زَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَكِنَّهَا مِمَّا ابْتُلِيَتْمْ. رواه البخاري (٧١٠).



قال رحمه الله:

وَيُقَرَّرُونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ، مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ^(١) وَيُكَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، ^(٢) وَيُرْبِعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ.

أَمَّا مَا جَاءَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٧١)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ، قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْبُخَارِيِّ (٣٦٩٧)، قَالَ: كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَفْضِلُ بَيْنَهُمْ.

وهذا إقرار.

وَمَا جَرَى فِي عَصْرِهِ ثُمَّ اطَّلَعَ * عَلَيْهِ إِنْ أَقْرَرَهُ فَلْيَتَّبِعْ
وعبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: لَسْتُ بِالَّذِي أَنَا فِسْكَكُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، وَلَكِنْ كُنْتُ إِنْ شِئْتُمْ اخْتَرْتُ لَكُمْ مِنْكُمْ، فَجَعَلُوا ذَلِكَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَلَمَّا وَلَّوْا عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَمَرَهُمْ فَمَالَ النَّاسُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَتَّى مَا أَرَى أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يَتَّبِعُ أَوْلَيْكَ الرَّهْطَ وَلَا يَطْأُ عَقْبَهُ، وَمَالَ النَّاسُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُشَاوِرُونَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي، حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَصْبَحْنَا مِنْهَا فَبَايَعْنَا عُثْمَانَ قَالَ الْمِسُورُ: طَرَقَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَعْدَ هَجْعٍ مِنَ اللَّيْلِ فَضْرَبَ الْبَابَ حَتَّى اسْتَيْقِظْتُ، فَقَالَ: أَرَأَيْكَ نَائِمًا، فَوَاللَّهِ مَا اكْتَحَلْتُ

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧١) عن علي.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٥، ٣٦٩٧) عن ابن عمر.

هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِكَبِيرِ نَوْمٍ، انْطَلَقُ فَادْعُ الزُّبَيْرَ وَسَعْدًا فَدَعَوْتُهُمَا لَهُ، فَشَاوَرَهُمَا، ثُمَّ دَعَانِي فَقَالَ: ادْعُ لِي عَلِيًّا، فَدَعَوْتُهُ، فَنَاجَاهُ حَتَّى ابْهَارَ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَامَ عَلَيٌّ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ عَلَى طَمَعٍ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَخْشَى مِنْ عَلِيٍّ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي عُثْمَانَ، فَدَعَوْتُهُ، فَنَاجَاهُ حَتَّى فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْمُؤَدَّنُ بِالصُّبْحِ، فَلَمَّا صَلَّى لِلنَّاسِ الصُّبْحَ وَاجْتَمَعَ أَوْلِيَاكَ الرَّهْطُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ فَأَرْسَلَ إِلَى مَنْ كَانَ حَاضِرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَرْسَلَ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ وَكَانُوا وَافُوا تِلْكَ الْحَجَّةَ مَعَ عُمَرَ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَشَهَّدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، يَا عَلِيُّ إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ النَّاسِ فَلَمْ أَرَهُمْ يَعْدِلُونَ بِعُثْمَانَ فَلَا تَجْعَلَنَّ عَلَى نَفْسِكَ سَيِّئًا، فَقَالَ: أَبَايَعُكَ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ، فَبَايَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبَايَعَهُ النَّاسُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَأَمْرَاءُ الْأَجْنَادِ وَالْمُسْلِمُونَ. رواه البخاري (٧٢٠٧).

فهذا إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أنه أفضل من علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفضيلتهم على حسب الخلافة فترتيبهم في الخلافة هو ترتيبهم في الفضل.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ، بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَنُوا، [أَوْ رُبَعُوا] ^(١) بَعْلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا؛ لَكِنْ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ ثُمَّ عَلِيٍّ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ -مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمَخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَكِنْ الْمَسْأَلَةُ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمَخَالِفُ فِيهَا هِيَ: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ،

(١) في (م): [وربعوا].

ثم عليٌّ، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأُئِمَّةِ، فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارٍ أَهْلِهِ.

يعني اختلفوا من حيث التفضيل لا من حيث الخلافة، فأما الخلافة فلا خلاف فيها ثم إنَّ هذا القول لا أعلم أحدًا يقول به إلى الآن، بل صارت المسألة من الأصول فمن قدّم عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهو مخطأ لأنه خالف ما استقرت عليه الأئمة وخالف الأدلة، وعليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فضائله مشهورة وفي غير كتاب مذكورة.

والكلام على فضائل أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميل وطويل وقد يطول الكتاب بذكر فضائلهم ولو لم يكن إلا أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿وَالسَّيْفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَتْهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وَزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ. أخرجه أحمد (٣٦٠٠) وصححه الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند" (٨٤٢).

والمراد بالمسلمين هنا الصحابة رضوان الله عليهم وحذر الله من مشاققتهم فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُورًا مِمَّا قَدْ تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقال الله عز وجل: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسِيَكُنْكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقال نَسَائِي: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ

مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴿[الفتح: ٢٩]﴾، مثلهم في التوراة أنهم يُصَلُّونَ ويُكثِّرون من السجود ومن دعاء الله، ثم **قَالَ تَعَالَى**: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، مثلهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي** الإنجيل كالزراع الطيب الأخضر الذي نَمَى يعجب الزراع، والمراد بالكفار هنا الزراع، والواجب علينا تجاه الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ثلاثة أمور:

(١) ذكر فضائلهم لأن ذكر فضائلهم هو نقل للكتاب والسنة وهو دلالة على الخير وتحذير من الشر وهو من النفاح على الحق وأهله.

(٢) الكف عن مساوئهم مع الاستغفار لهم لقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، قالت عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: (أمرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ فَسَبَّوْهُمْ).

(٣) الكف عن ما شجر بينهم، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَمٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]، وقد قيل:

دَعِ الصَّحَابَةَ فِيمَا جَرَى بَيْنَهُمْ ❀ فَكُلُّهُمْ فِي الْحَشْرِ مَغْفُورٌ لَهُمْ
فهم ذروة الأمة وجب أن يُذكروا بالجميل ومن ذكرهم بغير الجميل فهو على غير السبيل ويُستغفر لهم فهذا الإسلام الذي نعبده الله به جاءنا من قبلهم، قدّموا أنفسهم وبذلوا من أجل تبليغ دين الله **عَزَّجَلَّ**، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«لَقَدْ أُودِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَمَا لِي وَلِلْأَلِ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا مَا وَارَى إِبْطُ بِلَالٍ»** من حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند ابن ماجه (١٥١).

وفي حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُوبَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ. فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُوبَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَالْبَسَوْهُمْ أَذْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالًا، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ. أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه (١٥٠)، وَقَدْ أَعْلَى بِالْإِسْأَالِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ رَوَى عَلَى الْوَجْهَيْنِ.

أفضل هذه الأمة على التعيين بعد نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الأول: أبوبكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وهو عبدالله بن عثمان بن أبي فُحافة وهو أول من أسلم من الرجال ومما يدل على سابقة أبي بكر في الإسلام ما أخرجه مسلم في صحيحه (٨٣٢) من حديث عمرو بن عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيَسُّوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بَرَجْلًا بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرَاءً عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللَّهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصَلَاةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ، وَعَبْدٌ»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُوبَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي».

وفي البخاري (٣٦٦٠) عن عَمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا مَعَهُ، إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ، وَامْرَأَتَانِ وَأَبُوبَكْرٍ.

قال ابن حجر: الأعباد المذكورون هم بلال وزيد بن حارثة وعامر بن فهيرة وأبوفكيهة وياسر والد عمار والمرأتان خديجة وسمية والدة عمار أو أم أيمن. اهـ

وفيه (٣٦٦) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرْفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ» فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ» ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَاتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا، فَاتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُودِيَ بَعْدَهَا.

قال الحافظ: وفي هذا الحديث أن أبا بكر أو من أسلم من الأحرار مطلقاً ولكن مراد عَمَّارٌ بذلك ممّن أظهر إسلامه. اهـ

وما جاء بأن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أوّل من أسلم ليس عليه دليل يصحّ ولو صحّ فإن عليّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان في ذلك الوقت لم يُكَلَّفْ بعد ومعلوم الفرق بين إسلام المكلف وإسلام غير المكلف وكم كانت لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المناصرات والمآزرات للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَا تَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ لَا

يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ» من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٤٦٦)، مسلم (٢٣٨٢).

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنُهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ» من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٥٣٢).

وفضائله في القرآن قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّا تَتَصَوَّرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فكان الثاني أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا فِي الْغَارِ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَ مَا ظَنَنْتُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا»، من حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١).

ومن فضائله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ» رواه مسلم (٢٣٨٧).

وفعلًا كان ما قاله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قضى كونًا أن يكون أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو خليفة المسلمين وهكذا المؤمنون صاروا على ذلك وهو من المبشرين بالجنة فقد اهتزَّ جبل أحد وفي رواية حراء فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْكُنْ أَحَدُ أَظْنُهُ ضَرْبَهُ بِرَجْلِهِ فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ» من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٦٩٩).



وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٤١٧)، وكان معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكلهم شهداء، والنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في سفر فقال: «مَا تَرَوْنَ النَّاسَ صَنَعُوا؟». قَالَ ثُمَّ قَالَ: «أَصْبَحَ النَّاسُ فَقَدُوا نَبِيَّهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَكُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُخْلَفْكُمْ، وَقَالَ النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، فَإِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ يَرْشُدُوا» من حديث قتادة عند مسلم (٦٨١)، وفي بعض الروايات قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ» من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٣٦٦٢). وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاهم.

فمن فضائل الصديق الأكبر: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ما جاء عند البخاري (٣٦٥٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي».

وفي حديث أبي سعيد عند البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جلس على المنبر؛ فقال: «عَبْدُ خَيْرِهِ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةُ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ؛ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى»، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ لَا تُبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةً؛ إِلَّا خَوْخَةً أَبِي بَكْرٍ».

وأخرج مسلم في "صحيحه" (٢٣٨٣) عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا».



وفي الصحيحين: البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤) عن عمرو بن العاص، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل؛ فأتيته، فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». فقلت: من الرجال؟ فقال: «أبوها». قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب»؛ فعدّ رجالاً.

وأخرج مسلم (١٠٢٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟». قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟». قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟». قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟». قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة».

وأخرج البخاري (٣٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينما راع في غنمه عدا الذئب فأخذ منها شاة فطلبها حتى استنفذها، فالتفت إليه الذئب فقال له: من لها يوم السبع ليس لها راع غيري». فقال الناس: سبحان الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فإني أومن به وأبو بكر، وعمر»، وما ثم أبو بكر وعمر.

وأخرج البخاري (٣٦٦٤)، ومسلم (٢٣٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينما أنا نائم رأيتني على قلب عليها دلو فتزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فتزع بها دنوباً أو دنوبين وفي نزع صغف، والله يغفر له صغفه ثم استحالت غرباً فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن».

وفيهما البخاري (٣٦٦٦) ومسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله، هذا خير لك وللجنة أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعي من

بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ
الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، قَالَ
أَبُوبَكْرٍ: هَلْ عَلَى مَنْ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضُرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلُّهَا أَحَدٌ يَا
رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ.

وفي البخاري (٣٦٦٧-٣٦٧٠) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ وَأَبُوبَكْرٍ بِالسُّنْحِ قَالَ إِسْمَاعِيلُ: -يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ- فَقَامَ
عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَفْعُ
فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُوبَكْرٍ فَكَشَفَ
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَبَّلَهُ قَالَ: يَا بِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ
أَبُوبَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ؛ فَحَمَدَ اللَّهُ أَبُوبَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ
مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]،

قَالَ: فَشَجَّ النَّاسُ يَبْكُونَ. قَالَ: وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ
بَنِي سَاعِدَةَ فَقَالُوا: مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ،
وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَاسْكَتَهُ أَبُوبَكْرٍ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا
أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا قَدْ أَعْجَبَنِي خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُوبَكْرٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ
أَبُوبَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ فَقَالَ فِي كَلَامِهِ: نَحْنُ الْأَمْراءُ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَءُ؛ فَقَالَ حُبَابُ
بْنِ الْمُنْذِرِ: لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَ لَنَا مِنْ أَمِيرٍ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ؛ فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ: لَا وَلَكِنَّا الْأَمْراءُ، وَأَنْتُمْ

الْوَزَرَاءُ هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا فَبَايَعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ؛ فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ فَأَنْتَ سَيِّدُنَا، وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ، فَقَالَ قَائِلٌ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَقَالَ عُمَرُ: قَتَلَهُ اللَّهُ.

وفي الصحيحين البخاري (٣٦٧٤) ومسلم عن أبي موسى الأشعري: أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَقُلْتُ: لَا لَزَمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَلَا كُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا قَالَ: فَجَاءَ الْمَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَاهُنَا، فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتُ أَرِيسٍ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حَاجَتَهُ، فَتَوَضَّأَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بَيْتِ أَرِيسٍ وَتَوَسَّطَ قَفِّهَا وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي الْبُئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ فَقُلْتُ: لَا كُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الْيَوْمَ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ ثُمَّ ذَهَبْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: **«اُذْنُ لَهُ، وَبَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ»**، فَأَقْبَلْتُ: حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ؛ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مَعَهُ فِي الْقَفِّ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبُئْرِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يُرِيدُ أَخَاهُ يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: **«اُذْنُ لَهُ، وَبَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ»**، فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بِالْجَنَّةِ. فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي الْقَفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبُئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ

فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «أَنْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرُهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ»، فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ وَبَشِّرْكَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مَلِئَ فَجَلَسَ وَجَاهَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ. قَالَ شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: فَأَوَلَّتْهَا قُبُورُهُمْ.

خلافته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنص أو بالإشارة:

اختلف العلماء في هذا فذهب بعضهم إلى أنَّ خلافته بالإشارة واستدلَّ بحديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٣٦٠)، ومسلم (٢٣٨٦) واللفظ له: أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ؟ - قَالَ أَبِي: كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ - قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَأَنِّي أَبَا بَكْرٍ».

وذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ خلافته كانت بالنص الخفي وهذا هو الصحيح، وأنها بالنص الخفي، ولو كانت بالنص الجلي لما عمُد الأنصار رضوان الله عليهم إلى تنصيب سعد بن عبادَةَ ضي الله عنه، وقد استدلَّ عليهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: أيكم يحب أن يتقدَّم أبا بكر في الصلاة وقد قدَّمه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلاة؟ قالوا: لا آئنا، وقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أليس الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، فأنتم المؤمنون ونحن الصادقون.

وقد تقدم حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في شأن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين دخل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته.

ونصر الله به الإسلام في الردّة حيث أرسل جيش أسامة وانتصر المسلمون وتهيب كثير من الأعراب ممّن ارتدّ عن الإسلام وقالوا ما زال المسلمون أقوىاء وبعضهم

رجع عن رَدِّته وهكذا لَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ، لَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا كَانُوا يُؤْذُونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ. أخرجه البخاري (٧٢٨٤) ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَسْأَلُ أَبَا بَكْرٍ نَصِيحَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْرٍ وَفَدَكٍ وَصَدَقَتُهُ بِالْمَدِينَةِ فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهَا ذَلِكَ وَقَالَ لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَرَكَتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيعَ فَأَمَّا صَدَقَتُهُ بِالْمَدِينَةِ فَدَفَعَهَا عُمَرُ إِلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ وَأَمَّا خَيْرٌ وَفَدَكٌ فَأَمْسَكَهَا عُمَرُ وَقَالَ هُمَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لِحَقْوَقِهِ الَّتِي تَعْرُوهُ وَنَوَائِبِهِ وَأَمْرُهُمَا إِلَى مَنْ وَلِيَ الْأَمْرَ، قَالَ: فَهُمَا عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ. عند البخاري (٣٠٩٣) ومسلم (١٧٥٩).

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ. أخرجه البخاري (٣٧١٣).

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي. أخرجه البخاري (٣٧١٢).

وكان يعمل بعض العمل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مؤنة أهله فلمَّا وُلِّيَ الخلافة أشار عليهم المسلمون بالتفرغ لشئون المسلمين ويأخذ من مال المسلمين ما يكفيه وفعلاً، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا استخلف بعده: (اتعبت من بعدك)؛ لَأَنَّهُ أُرْسِلَ ببعض الغلمان

الذين كانوا يخدمون في بيت المال ومع ذلك يبغضه الرافضة جداً ويسبونه ويلعنونه، قاتلهم الله، حتى قال الهبل لعنه الله:

الْعَنَ أَبَا بَكْرٍ الطَّاعِي وَثَانِيَهُ * وَالثَّالِثَ الرَّجْسَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَا
يَا رَبِّ فَالْعَنَهُمْ وَالْعَنَ مُجَبِّيَهُمْ * وَلَا تُقِمْ لَهُمْ فِي الْحَشْرِ مِيزَانَا
ثَلَاثَةً لَهُمْ فِي النَّارِ مَنَزِلَةٌ * مِنْ تَحْتِ مَنَزِلِ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
لعنه الله! أما علم أن محبهم رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومحبهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والله عَزَّ وَجَلَّ أيضًا أحبهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كذلك، فالشاهد أن الرافضة غلوا في بغض صحابة رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غلوا مفرطاً وغلوا في تعظيم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غلوا مفرطاً فكفروا من جهتين:

- من جهة غلوهم في بغض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- ومن جهة غلوهم في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثاني: عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وهو أبو حفص أمير المؤمنين الذي قال عنه عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر)، رواه البخاري (٣٨٦٣)، وهذا خبر من عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي عايش الأيام الأولى من البعثة يُخبر أن الإسلام وقعت له العزة والظهور منذ أسلم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان المسلمون إذا أسلم بعضهم تخفى بإسلامه فلما أسلم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أي بُني، أي الناس أكثر نقلاً للحديث)، قالوا: (أبوجميل أو أبوجميعة) فذهب إليه فقال: (أما علمت أنني أسلمت؟)، فما انتظر حتى ثانية إلا ويمشي مباشرة: (صبأ عمر، صبأ عمر) فاجتمع عليه المشركون فجالدهم بالسيف حتى انتصف النهار فقال عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وأنا أنظر من على البيت)، فقال: (فبينما هم كذلك إذ جاء رجل مقبلاً (وهو العاص بن وائل كافر من

سادات قريش)، فقال: (ما شأنكم؟)، قالوا: (صباً عمر)، فقال: (وإن صباً)، يعني حتى لو صباً ماذا فيه؟ قال: (فانفروا عنه ولم يبق حوله أحد)، ثم أعز الله به الإسلام. وأصل القصة في البخاري (٣٨٦٥).

وفي سيرة ابن إسحاق قصة لكتّها من طريق رجل لم يؤثّق أنّ عمر مرّ على أمّ عبدالله وهي تريد الحبشة فقال: أين يا أم عبدالله؟ فقالت له: آذيتمونا في ديننا فنذهب إلى أرض الله **عَزَّوَجَلَّ** حيث لا نؤذى في عبادة الله فقال: صحبتكم الله قالت: فذهب ثم جاء زوجي عامر بن ربيعة فأخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال: أترجين يسلم؟ فقلت: نعم فقال: (والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب). الحديث حسنه بعضهم. فكان شديداً على المسلمين قبل إسلامه حتى خرج يريد بعض الموالي لضربه والتضييق عليه فقال بعضهم (اذهب إلى ختنك) يعني اذهب إلى زوج اختك وإذا بأخته قد أسلمت فالشاهد أنّ الله منّ على المسلمين بإسلام عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وقد كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يدعو الله أن يعزّ الإسلام بعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** والحديث بمجموعه يصحّ، وأما حديث: **«اللهم أعزّ الإسلام بأحبّ العمرين إليك»** فلا يثبت وهما عمرو بن هشام أبو جهل وعمر بن الخطاب، وأما حديث: **«أعزّ الإسلام بعمر»** له طرق ولما أسلم كان قوياً في إسلامه حتى قال ابنه عبدالله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (إني لا أحسب القرآن ينزل على لسان عمر)، وحتى قال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: **«وَأَفَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَتَزَلْتُ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾»** [البقرة: ١٢٥]، **وَأَيُّهُ الْحِجَابُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ؛ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرَّ وَالْفَاجِرُ، فَتَزَلْتُ أَيُّهُ الْحِجَابُ. وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾** [التحريم: ٥]، فَتَزَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ. أخرجه البخاري (٤٠٢) ومسلم (٢٣٩٩) عن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وهذا ليس على سبيل الحصر فقد صحّ أنّه وافق القرآن في غير ذلك فلما أراد الرسول

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يُصَلِّيَ عَلَى ابْنِ أَبِي فَقَالَ: (كَيْفَ تَصَلِّيَ عَلَيْهِ وَقَدْ نُهِيتَ عَنْ ذَلِكَ)، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا خَيْرِنِي رَبِّي» رواه البخاري (٤٦٧٠) ومسلم (٤٧٦٢) (٢٤٠٠) و(٢٧٧٤)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وافق القرآن في أربعة عشر موضعًا وهذه بركة عظيمة لهذا الرجل العظيم أَنْ يتكلم بالكلام ثم يأتي وحي الله مؤيدًا لهذا، هذا يدلُّ على إيمان وعلم وتقوى وخير عظيم وتوفيق وتسديد من الله عَزَّجَلَّ مؤداه إلى ما تضمنه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٥٠٢) قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»، أي يُوفِّقُ الله جوارحه إلى خير عظيم، حتى قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شأنه: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ» رواه البخاري (٣٢٩٤) و(٣٦٨٣) و(٦٠٨٥) ومسلم (٢٣٩٦)، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لِأَحْسِبُ الشَّيْطَانَ يَفْرُقُ مِنْكَ يَا عُمَرُ» من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن أبي شيبة (٣١٩٩٥) وأحمد (٢٢٩٩٠)، أي يخاف.

وفضائله كثيرة وهذه إشارة إلى بعضها، ومنها: رؤيا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحق التي قال فيها: «أَتَيْتُ وَأَنَا نَائِمٌ بِقَدَحٍ مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى جَعَلَ اللَّبَنُ يَخْرُجُ مِنْ أَظْفَارِي، ثُمَّ نَاوَلْتُ فَضْلِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا أَوْلَتْهُ؟ قَالَ: «الْعِلْمُ» أخرجه البخاري (٣٦٨١) ومسلم (٢٣٩١) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي الحديث الآخر قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ

وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَهُ» قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الدِّينَ» من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٦٩١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِقَصْرِ مِنْ ذَهَبٍ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا فَقَالُوا لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَدْخُلَهُ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِلَّا مَا أَعْلَمُ مِنْ غَيْرَتِكَ» قَالَ: وَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٠٢٤) ومسلم (٢٣٩٤).

وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا مَاتَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ: مَا خَلَفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ وَإِنَّمِ اللَّهُ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ وَحَسِبْتُ إِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ. من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند البخاري (٣٦٨٥) ومسلم (٢٣٨٩).

وربما كان يُحدثهم بالحديث كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في الصحيح (٣٤٧١)، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذُّئْبُ فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ فَطَلَبَ حَتَّى كَانَهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ فَقَالَ لَهُ الذُّئْبُ هَذَا اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي فَقَالَ النَّاسُ سُبْحَانَ اللَّهِ ذَنْبٌ يَتَكَلَّمُ قَالَ فَإِنِّي أُوْمِنُ بِهِذَا أَنَا وَأَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ».

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى بَقَرَةٍ انْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا خُلِقْتُ لِلْجَرَاةِ قَالَ آمَنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٢٣٢٤) ومسلم (٢٣٨٨).



الثالث: عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

الذي قال لما حُصر: إِنَّهُمْ كَيِّتَوَاعِدُونِي بِالْقَتْلِ! فَلِمَ يَقْتُلُونِي؟ وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ: رَجُلٌ زَنَى وَهُوَ مُحْصَنٌ فَرُجِمَ، أَوْ رَجُلٌ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ، أَوْ رَجُلٌ ارْتَدَّ بَعْدَ إِسْلَامِهِ» فَوَاللَّهِ مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا فِي إِسْلَامٍ، وَلَا قَتَلْتُ نَفْسًا مُسْلِمَةً، وَلَا ارْتَدَدْتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ. أخرج ابن ماجه (٢٥٣٣)، والنسائي (٤٠٣١).

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله ما زنت لا في جاهلية ولا في إسلام وما تمنيت أن في ديني شيء بعد أن دخلت فيه وما قتلت نفساً.

وذكر عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يشرب الخمر أو أنه حرّمها على نفسه في الجاهلية. ومن فضائله أنه زوج ابنتي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا لم يكن لأحد على مَرِّ الدنيا أن واحداً تزوج ابنتي نبيٍّ إلا هو، تزوج رُقيّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وتزوج بعد مماتها أم كلثوم .

وكانوا يُغلظون عليه فقال الوليد: لبعض أصحاب رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لي أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ فقال: أبلغه عني أنني لم أفر يوم عَيْنين، قال عاصم: هو يوم أحد، ولم أتخلف عن بدر، ولم أترك سنة عمر رضي الله عنه فانطلق يُخبر ذاك عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أمّا قوله يوم عَيْنين فكيف يُعيرني بذنب قد عفا الله عنه، فقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَتْهُمُ الْغَمَّانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، وأمّا قوله: إِنِّي تَخَلَّفْتُ يَوْمَ بَدْرٍ، كُنْتُ أَمْرَضُ رُقيّة بنت رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى مَاتَتْ، وَقَدْ ضَرَبَ لِي بِسَهْمٍ، وَمَنْ ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَهْمٍ فَقَدْ شَهِدَ، وَأَمّا قوله: إِنِّي أَتْرُكُ سُنَّةَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنِّي لَا أُطِيقُهَا

أَنَا وَلَا هُوَ، فَأَتَيْتُهُ فَحَدَّثْتُهُ بِذَلِكَ. انظر "اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة" (٧/ ٧١)، و"المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية" (٣٩١٣).

وعن عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنُشِدُكُمْ اللَّهَ وَلَا أَنُشِدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَفَرَ بِنْرِ رُومَةٍ فَلَهُ الْجَنَّةُ»، فَحَفَرْتُهَا. أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ»، فَجَهَّزْتُهُمْ، فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٧٨).

وأخرج البخاري (٣٦٩٦) عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْخِيَارِ؛ أَنَّ الْمُسَوْرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنَ عَبْدِ يَغُوثَ قَالَا: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عَثْمَانَ لِأَخِيهِ الْوَلِيدِ؛ فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ، فَقَصَدْتُ لِعَثْمَانَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، قُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً وَهِيَ نَصِيحَةٌ لَكَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ، قَالَ مَعْمَرٌ: أَرَاهُ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ؛ فَاَنْصَرَفْتُ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عَثْمَانَ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا نَصِيحَتُكَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَهَاجَرْتُ الْهَجْرَتَيْنِ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَيْتُ هَدْيَهُ وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الْوَلِيدِ، قَالَ: أَذْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: لَا، وَلَكِنْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا يَخْلُصُ إِلَى الْعِذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا، قَالَ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَآمَنْتُ بِمَا بَعَثَ بِهِ وَهَاجَرْتُ الْهَجْرَتَيْنِ كَمَا قُلْتُ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَايَعْتُهُ؛ فَوَاللَّهِ مَا عَصَيْتُهُ وَلَا غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ، ثُمَّ اسْتَخْلِفْتُ؛ أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ، أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الْوَلِيدِ؛ فَسَنَأْخُذُ فِيهِ بِالْحَقِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا؛ فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ فَجَلَدَهُ ثَمَانِينَ.

وأخرج رقم (٣٦٩٨): عن عثمان بن مَوْهَبٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتَ؛ فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ؟ فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخِ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ؛ فَحَدَّثْتَنِي: هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ، وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ؛ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَى أُبَيُّنَا لَكَ؛ أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَاشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ»، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ؛ فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرُّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِيدِهِ الْيُمْنَى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ»؛ فَضْرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ»، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الْآنَ مَعَكَ.

وأخرج مسلم (٢٢٠١) عن عائشة قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَحْدَيْهِ أَوْ سَاقِيهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَوَى ثِيَابِهِ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ؛ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ تَهْتَشْ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشْ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسَتْ وَسَوَّيْتُ ثِيَابَكَ، فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ».

وفي حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقُلْتُ: لَا لَزَمَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا كُوتِنَ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، قَالَ: فَجَاءَ الْمَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَاهُنَا، فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتُ أَرِيْسٍ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجَتَهُ فَتَوَضَّأَ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بَيْتِ أَرِيْسٍ وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي الْبَيْتِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، فَقُلْتُ لَا أَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ ثُمَّ ذَهَبْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: «**إِذْنُ لَهُ وَبَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ**». فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ فِي الْقُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبَيْتِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقْنِي، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِيدُ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا - يُرِيدُ أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقُلْتُ عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: «**إِذْنُ لَهُ وَبَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقُفِّ عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبَيْتِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِيدُ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «**إِذْنُ لَهُ وَبَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ، عَلَى بُلُوَى تُصِيبُهُ**» فَجِئْتُ فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ، وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ عَلَى بُلُوَى تُصِيبُكَ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مَلَأَ فَجَلَسَ وَجَاهَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخَرِ قَالَ شَرِيكَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: فَأَوَلَّتْهَا قُبُورُهُمْ. رواه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣).

وقال رسول الله ﷺ: «سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَيَّ أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً جُنْدُ بِالشَّامِ، وَجُنْدُ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدُ بِالْعِرَاقِ»، قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا خَيْرُهُ اللَّهُ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَنِي إِلَيْهَا خَيْرَتُهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَمَّا إِنْ أَتَيْتُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْقُوا مِنْ عُذْرِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ» من حديث أبي حوالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٢٤٨٣).

وقد قُتِلَ مَظْلُومًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن جاوز الثمانين وهو يقرأ القرآن من قبل الخوارج المارقين عليهم من الله ما يستحقون، كذبوا وبغوا وتمالئوا عليه حتى منعه أن يُصَلِّي بأصحابه، فَعَنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَدِيٍّ بْنُ خِيَارٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مَحْضُورٌ فَقَالَ إِنَّكَ إِمَامٌ عَامَّةٌ وَنَزَلَ بِكَ مَا نَرَى وَيُصَلِّي لَنَا إِمَامٌ فِتْنَةٌ وَتَتَحَرَّجُ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ فَأَحْسِنَ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ. أخرجه البخاري (٦٩٥).

ومما يُذكر أَنَّهُ رَأَى قَبْلَ قَتْلِهِ النَّبِيَّ ﷺ منتظرًا له، فأصبح صائمًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فدخلوا عليه في الصحن وقتلوه وهو يقرأ القرآن. وقيل إِنَّهُ سَقَطَتْ قَطْرَةٌ مِنْ دَمِهِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وفعلًا قتل الله الخوارج الذين شاركوا في قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الرابع: علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وهو ابن عم الرسول ﷺ أسلم صغيرًا وجاهد وكان زوجًا لابنة رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وقد استخلفه رسول الله على المدينة فقال المنافقون جعلك مع القواعد فلحق بالنبي ﷺ فقال له ﷺ: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤) واللفظ له.

ومن فضائله أنه قال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إِلَيَّ: «أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ» رواه مسلم (٧٨).

ولقبه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بأبي تراب؛ وذلك في حديث سهل بن سعد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري (٤٤١)، ومسلم (٢٤٠٩)، قال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بَيْتَ فَاطِمَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فِي الْبَيْتِ فَقَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: «أَيْنَ ابْنُ عَمِّكَ؟» قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، فَغَاصْبَنِي، فَخَرَجَ، فَلَمْ يَقُلْ عِنْدِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لِإِنْسَانٍ: «انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟» فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَهُوَ مُضْطَجِعٌ، قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ، وَأَصَابَهُ تَرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَمْسَحُهُ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «قُمْ أَبَا تَرَابٍ، قُمْ أَبَا تَرَابٍ». وكان بعد ذلك أحب الألقاب إليه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وأرضاه.

ومن فضائل رابعهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وهو: علي بن أبي طالب، ما أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ يَوْمَ خَيْبَرٍ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ؟» فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: «فَازْسِلُوا إِلَيْهِ»؛ فَأَتِي بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ؛ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ؛ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».



وقال عنه رسول الله ﷺ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي» رواه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

وعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد وغيره مرفوعاً: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ». وهو من العشرة ففي حديث عبدالرحمن بن عوف عند الترمذي (٣٧٤٧) قال رسول الله ﷺ: «أَبُوبَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ».

وجاء الحديث عن سعيد بن زيد أيضاً عند الترمذي (٣٧٤٨)، والحديث حسن. وقد مات رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وهو عنهم راضٍ كما في البخاري (٣٧٠٠) عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكر علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وسعيداً. وهو أفضل أهل زمانه بعد الثلاثة الذين تقدّموا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ وَالْخَيْرُ مُنْجِحُ
فَرْضِ اللَّهِ عَنْهُمْ جميعاً وفضائلهم عظيمة ومنازلهم جليلة ومع ذلك أبى الخوارج والرافضة والنواصب إلا أن يقعوا فيهم.



القول في آل البيت النبي صلى الله عليه وسلم

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»،^(١) وقال أيضًا للعباس عمه -وقد شكى إليه أن بعض قریش يَجْفُو بني هاشم- فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ اللَّهُ وَلِقْرَابَتِي»،^(٢).

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم.

(٢) حسن بشواهد: بمعناه عند أحمد (١٦٥/٤)، و"فضائل الصحابة" له (١٧٥٧)، والترمذي (٣٧٥٨) من طريق يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة، ورواه أحمد أيضًا (٢٠٧/٨)، وفي "فضائل الصحابة" (١٧٧٣)، والحاكم (٥٥٠١) من طريق يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن العباس، وفي سندهما: يزيد بن أبي زياد الهاشمي مولا هم شيعي ضعيف، فالحديث ضعيف، وهو في "الضعيفة" للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٤٣٠)، و"المشكاة" (٦١٤٧). لكن للحديث شاهدان يرتقي بهما للحجية:

الأول: ما رواه أحمد في "فضائل الصحابة" (١٧٥٦) عن وكيع، ورواه ابن أبي شيبة (٣٢٧٥٠) عن ابن نمير، ورواه ابن عساكر في "تاريخه" (٣٣٨/٢٦) من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين وأبي داود الحفري، كل هؤلاء الأربعة -وكيع وابن نمير وأبو نعيم وأبوداود الحفري- عن الثوري عن أبيه عن أبي الضحى مسلم بن صبيح مرسلًا، وهو مرسل صحيح. وقد روي موصولًا من عدة طرق منها: ما هو شاذ، ومنها: ما هو منكر.

الثاني: ما رواه عبد الله بن أحمد في زوائد "فضائل الصحابة" (١٧٩٢)، وابن ماجه (١٤٠) من طريق الأعمش عن أبي سبرة النخعي عن محمد بن كعب القرظي عن العباس، وفيه علتان: أحدهما: الانقطاع: محمد بن كعب عن العباس قال المزي في تهذيب الكمال: يقال إنه مرسل، وجزم يعقوب بن شيبة بنفي سماعه كما في المصدر السابق. الأخرى: فيه أبو سبرة النخعي، قال ابن معين: لا أعرفه، وقال الحافظ: مقبول. وهو الآن في الشواهد.

وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(١).

فيما تقدم بيان وجوب محبة الصالحين من آل بيت النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهي اُجب شرعي، وطريق نبوي، والأحاديث في فضلهم كثيرة، منها ما تقدم في فضل أبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وزد على ذلك أن الله **عَزَّ وَجَلَّ** يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وهذا الحديث يستدل به الرافضة -عليهم لعائن الله- على ما لا دلالة لهم فيه، فيستدلون به على أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** نصب عليًا **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في ذلك اليوم خليفة للمسلمين، وليس فيه ذلك، ويستدلون به على أن متابعة آل البيت -وإن أحدثوا وغيروا وبدّلوا- واجبٌ لهذا الحديث.

والحديث عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة، وعمر بن مسلم، إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا، رأيت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه لقد لقيت، يا زيد خيرًا كثيرًا، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعني من رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا، فلا تكلّفوني، ثم قال: قام رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يومًا فينا خطيبًا، بماء يدعى خمًا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا

(١) رواه مسلم (٢٢٧٦) عن وائلة بن الأسقع نحوه.

بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي» فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ. رواه مسلم (٢٤٠٨).

وإن تتبعنا الطرق والشواهد لوجدت أنَّ الأمر الثاني لم يُذكر في الحديث وهو السنة، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ** هُوَ حَبْلُ اللَّهِ مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ» من حديث زيد بن أرقم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٢٤٠٨).

ثم استطرد رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وقال: «أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»، أي أدوا إليهم حقهم وأحسنوا إليهم هذا هو والإحسان يكون لمحسنهم فمن أحسن منهم باتباع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وبالتزام الإسلام الحق فإنه يُحبَّ حَبِيبَ، حبًّا لقربته وحبًّا لدينه، وإلا فالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الذي ذُكِرَ بآل البيت هو الذي ردَّ عليهم قبل موته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما في حديث معاذ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وهو يقول له: «إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي هَؤُلَاءِ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَوْلَى النَّاسِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِنَّ أَوْلِيَّائِي مِنْكُمُ الْمُتَّقُونَ، مَنْ كَانُوا أَوْ حَيْثُ كَانُوا» أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٢٤١).

والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول كما في حديث عمرو بن العاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** رواه مسلم (٢١٥): «أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي - يَعْنِي فَلَانًا - لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ إِنَّمَا وَلِيِّي اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ». فأهل بيت النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الصالحون منهم يُحبَّ حبًّا شرعيًّا وله منزلة عظيمة في قلوب أهل السنة والجماعة حتى أنَّ أبا بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يقول: (ارقبوا محمداً في آل

بيته)، ويقول **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (لئن أصل قرابة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أحب إلي من أصل قرابتي).

وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةٍ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**» من حديث واثلة بن الأسقع **رَحِمَهُ اللَّهُ** عند مسلم (٢٢٧٦).

في هذا الحديث بيان لاصطفاء الله تعالى لذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام **قَالَ تَهَنَّا**: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ **ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤]، وآل البيت الصالحاء لهم من هذا الاصطفاء.

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ اخْتَارَ هَذِهِ الْبُيُوتَ عَلَى سَائِرِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَاصْطَفَى آدَمَ، **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، خَلَقَهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسَجَدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَهْبَطَهُ مِنْهَا، لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ. وَاصْطَفَى نُوحًا، **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، لَمَّا عَبْدَ النَّاسُ الْأَوْثَانَ، وَأَشْرَكُوا فِي دِينِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَانْتَقَمَ لَهُ لَمَّا طَالَتْ مُدَّتُهُ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمِهِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ كَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَجَهَارًا، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا فِرَارًا، فَدَعَا عَلَيْهِمْ، فَأَغْرَقَهُمُ اللَّهُ عَنْ آخِرِهِمْ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَهُ عَلَى دِينِهِ الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ.

وَاصْطَفَى آلَ إِبْرَاهِيمَ، وَمِنْهُمْ: سَيِّدُ الْبَشَرِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ مُحَمَّدٌ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالْمُرَادُ بِعِمْرَانَ هَذَا: هُوَ وَالِدُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، أُمُّ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ **عَلَيْهِ السَّلَامُ**.



وقد قال تعالى: ﴿وَرَبَّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [الفصص: ٦٨]، وفي حديث ابن مسعود عند أحمد (٣٦٠٠): «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ».

فمن هذه الأدلة وغيرها كثير يظهر جلياً اصطفاء الله تعالى لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن شاء من خلقه. ونسبُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وليس في هذا خلاف، قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في "السير": هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شيبه، ابن هاشم واسمه عمرو، ابن عبد مناف واسمه المغيرة، ابن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة، واسمه عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم -صلى الله عليهما وعلى نبينا وسلم- بإجماع الناس.

لكن اختلفوا فيما بين عدنان وبين إسماعيل من الآباء، فقليل: بينهما تسعة آباء، وقيل: سبعة، وقيل مثل ذلك عن جماعة. لكن اختلفوا في أسماء بعض الآباء، وقيل: بينهما خمسة عشر أباً، وقيل: بينهما أربعون أباً وهو بعيد وقد ورد عن طائفة من العرب ذلك.

وأما عروة بن الزبير، فقال: ما وجدنا من يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان إلا تخرصاً.



وعن ابن عباس قال: بين معد بن عدنان وبين إسماعيل ثلاثون أباً، قاله هشام بن الكلبي النسابة، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس، ولكن هشام وأبوه متروكان. انتهى

القول في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

قال رحمه الله:

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، [وَيُقْرُونَ] ^(١) بِأَنْهَنَ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ، خصوصاً خديجة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، أُمُّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَعَاضِدُهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ [العلية] ^(٢).

تسميتهم بأهْمَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ثَبَتَ بِالنِّصِّ، **قَالَ نِسَالِي**: ﴿التَّيُّ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وفي مسلم (٣٤٩) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ رَهْطٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّونَ: لَا يَجِبُ الْغُسْلُ إِلَّا مِنَ الدَّفْعِ أَوْ مِنَ الْمَاءِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: بَلْ إِذَا خَالَطَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ، قَالَ أَبُو مُوسَى: فَأَنَا أَشْفِيكُمْ مِنْ ذَلِكَ. فَقُمْتُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَأُذِنَ لِي، فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّاهُ - أَوْ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ - إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ وَإِنِّي أَسْتَحْيِيكَ. فَقَالَتْ: لَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَسْأَلَنِي عَمَّا كُنْتُ سَائِلاً عَنْهُ أُمُّكَ الَّتِي وَلَدَتْكَ، فَإِنَّمَا أَنَا أُمُّكَ، قُلْتُ: فَمَا يُوجِبُ الْغُسْلُ؟ قَالَتْ: عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطَتْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعْبَيْهِ الْأَرْبَعِ وَمَسَّ الْخِتَانِ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ»**.

(١) في (م) و(ف): [ويؤمنون].

(٢) في (ف): [العالية].

وقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في شأن خديجة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** كما قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: أَتَى جَبْرِيلُ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا **عَزَّ وَجَلَّ** وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ» عند البخاري (٣٨٤٠)، ومسلم (٢٤٣٢). وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: بَشَّرَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** خَدِيجَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، قَالَ: نَعَمْ بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ. أخرجه البخاري (٣٨١٩)، ومسلم (٢٤٣٣).

وعائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، كما قال عَمَّار **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في البخاري (٧١٠٠): إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ وَوَاللهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وخديجة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** أم أولاده إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية.

ومات النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عن تسع يقسم لهنّ فمن اتهم إحداهنّ ممّا برأ الله منه عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** فقد كفر؛ لأنّ الله **عَزَّ وَجَلَّ** يقول: ﴿الْحَيِّثُ لِلْحَيِّثِينَ وَالْحَيِّثُونَ لِلْحَيِّثَاتِ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦]، والعجب أنّ الرافضة يزعمون أنّ زينب وأمّ كلثوم ورُقِيَّة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ** لسن بنات النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وإنّما هنّ بنات خديجة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** ممّن كان قبل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. وقولهم في غاية البطلان، بل أنّهن بنات النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بدلالة السنّة والإجماع، ولا عبرة بمخالفة الروافض.

وممّا يدلّ على مناصرتها له: ما أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قالت: كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يُلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - قَالَ: وَالتَّحَنُّنُ: التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لِدَلِكِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِهَا حَتَّى فَجَتْهُ الْحَقُّ، وَهُوَ فِي غَارٍ

حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلِكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]» فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زُمَّلُونِي زُمَّلُونِي»، فَزَمَلُوهُ، حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، قَالَ لِخَدِيجَةَ: «أَيُّ خَدِيجَةٍ، مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، أَبَشِّرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى آتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ أَمْرًا تَنْصَرَفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، قَالَ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا، ذَكَرَ حَرْفًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُم؟» قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا أُوْذِيَ، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ حَيًّا أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْسَبْ وَرَقَةَ أَنْ تُوفِّي، وَفَتَرَ الْوَحْيَ فِتْرَةً، حَتَّى حَزِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

ومما يدل على المنزلة العالية حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْثُرُ ذِكْرُهَا، وَرَبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَغْصَاءَ ثُمَّ يَبْعُثُهَا فِي صَدَائِقِ

خَدِيجَةَ، فَرَبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: «إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ» رواه البخاري (٣٨١٨). ولفظ مسلم (٢٤٣٥): قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا غَرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَلَقَدْ هَلَكْتُ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ؛ لَمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُبَشِّرَهَا بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ لِيَذْبَحَ الشَّاةُ ثُمَّ يُهْدِيهَا إِلَيَّ خَلَاءِهَا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

والصديقة بنت الصديق - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، التي قال فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»^(١).

والحديث عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٤١١) ومسلم (٢٤٣١). وهي عائشة بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفضائلها كثيرة، وفي الحديث الآخر قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرِيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَأَسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ» في "جامع الأصول في أحاديث الرسول" (٦٦٦٩).

واختلف العلماء في أيهما أفضل خديجة أم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أفضل في العلم وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل في السابقة والنصرة، وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم يتزوج عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى ماتت وعاضدت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رجع يرتجف من غار حراء لما جاءه الوحي، قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الصَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(١) متفق عليه: خ (٢٧٦٩ و ٢٧٧٠) م (٢٤٣١ و ٢٤٤٦) عن أبي موسى وأنس.

وقال النبي ﷺ كما في حديث علي رضي الله عنه عند البخاري (٣٤٣٢) ومسلم (٢٤٣٠) واللفظ له: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ حَوْيلِدٍ».

وفي ذكر أحاديث فضائلهن عند مسلم يظهر أنه يُقدِّم عائشة رضي الله عنها؛ لأنه ساق بعد هذا الحديث حديث أبي موسى رضي الله عنه عند البخاري (٣٤١١) ومسلم (٢٤٣١) قال النبي ﷺ: «وإنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»، وقد برأها الله ممَّا اتهمت به، فعنها رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله منه، قال الزُّهري: وكلُّهم حدَّثني طائفة من حديثها، وبَعْضُهُمْ أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، وَأَثْبَتُ لَهُ اقْتِصَاصًا، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْ عَائِشَةَ، وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا زَعَمُوا أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا، خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَفْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ، وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسَرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ، وَقَفَلْ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ أَذْنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزَعِ أَظْفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِيفًا لَمْ يَتَّقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثَقَلَ الْهُودَجِ، فَاحْتَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ،

فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَقْدُونَنِي، فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ، فِمِثْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذُّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ يَدَهَا، فَكَرَبْتُهَا، فَاَنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاسْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكَ، وَيَرِينِي فِي وَجْعِي، أَنِّي لَا أَرَى مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرُصُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تَيْكُمُ؟»، لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَفَهْتُ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ مُتَبَرِّزًا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُحْمٍ نَمْشِي، فَعَثَرْتُ فِي مِرْطَهَا، فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتَ، أَتَسْبِيْنِ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا، فَقَالَتْ: يَا هَتَاهَا، أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكَ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ فَقَالَ: «كَيْفَ تَيْكُمُ؟»، فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي إِلَى أَبِيي، قَالَتْ: وَأَنَا حِينِيذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَقِينَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاتَيْتُ أَبِيي فَقُلْتُ لِأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هُوَنِي عَلَى نَفْسِكَ الشَّانَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا، قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَجِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلَبْتَ الْوَحْيَ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدِّقْكَ،
 فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيكَ؟»،
 فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَعْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ
 أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنُّ، تَنَامُ عَنِ الْعَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَعَذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي إِبْنِ سَلُولٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ: «مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي
 إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا
 مَعِي»، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ
 ضَرْبَنَا عَنْقُهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا، فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ
 عُبَادَةَ - وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ -
 فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ:
 كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ،
 وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَنَزَلَ، فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى
 سَكَتُوا، وَسَكَتَ وَبَكَيْتُ يَوْمِي لَا يَرَقًا لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بَنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ،
 وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ
 عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي، إِذِ اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذْنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي،
 فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمٍ
 قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، قَالَتْ: فَتَشْهَدُ ثُمَّ
 قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيرَةَ، فَسَيَبْرُئُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ
 أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ
 عَلَيْهِ»، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ

قَطْرَةً، وَقُلْتُ لِأَيِّي: أَحَبُّ عَنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنَّ، لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرْتُ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَكِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِي، وَاللَّهُ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّتَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ وَاللَّهُ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحَيًّا، وَلَا أَنَا أَحَقُّرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّتَنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسُهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، حَتَّى أُنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْهَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجَمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا، أَنْ قَالَ لِي: ﴿يَا عَائِشَةُ أَحْمَدِي اللَّهُ، فَقَدْ بَرَّأَكَ اللَّهُ﴾، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [النور: ١٨] الْآيَاتِ، فَلَمَّا أُنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحَ بْنِ أَنَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ: وَاللَّهُ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهُ إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتَ مَا رَأَيْتِ؟»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ. رواه البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠).

فمن اهتمها بما برّأها الله فهو كافر، والحمد لله.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»، من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٤٣١).

ففي هذا الحديث أَنَّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتفاضلون وهذا فيه ردٌّ على المرجئة الذين يزعمون أَنَّ الإيمان واحد والناس في أصله سواء فلو كان كما يقولون لما كان التفاضل بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهكذا التفاضل بين الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وهذا أحد الأوجه التي يُستدلُّ بها على زيادة الإيمان ونقصانه.



بيان طريقة الروافض

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَيَبْرُؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرِّوَاغِضِ، الَّذِينَ يُنْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ. وَمِنْ طَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ، الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

البراءة من طريقة المخالفين لدين الإسلام واجب وحتم، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

وفي قصة ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٨) عن يحيى بن يعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدْرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبُدُ الْجَهَنِّيِّ فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَمِيرِيُّ حَاجِبِينَ أَوْ مُعْتَمِرِينَ فَقُلْنَا لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدْرِ فَوَقَّفَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ فَاسْتَفْتَنَاهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ فَقُلْتُ أبا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ - وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ - وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَا قَدَرَ وَأَنَّ الْأَمْرَ أَنْفٌ. قَالَ فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ.

والرافضة كفار؛ لطعنهم في أم المؤمنين عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** ممَّا برَّأها الله **عَزَّوَجَلَّ**، ولتكفيرهم لصحابة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ولقولهم بخلق القرآن، وغير ذلك،

على ما هو مُبَيَّن في كتب الملل. ومن أحسن الكتب في الردّ عليهم "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية" لشيخ الإسلام ابن تيمية، قال **رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ٢٢):**
وَمِنْ أَعْظَمِ حَبَثِ الْقُلُوبِ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ غُلٌّ لِحَيَارِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَادَاتِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ، وَلِهَذَا لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْفِيءِ نَصِيبًا لِمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَّا الَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سُورَةُ الْحَشْرِ: ١٠].

وَلِهَذَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْيَهُودِ مِنَ الْمُشَابَهَةِ فِي الْخَبَثِ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ الْيَهُودِ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّصَارَى مِنَ الْمُشَابَهَةِ فِي الْغُلُوِّ، وَالْجَهْلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّصَارَى مَا أَشْبَهُوا بِهِ هَؤُلَاءِ مِنْ وَجْهِ، وَهَؤُلَاءِ مِنْ وَجْهِ، وَمَا زَالَ النَّاسُ يَصِفُونَهُمْ بِذَلِكَ.

وَمِنْ أَخْبَرِ [النَّاسِ بِهِمْ] الشَّعْبِيُّ وَأَمثَالُهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْكُوفَةِ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: (مَا رَأَيْتُ أَحْمَقَ مِنَ الْخَشْيَةِ لَوْ كَانُوا مِنَ الطَّيْرِ لَكَانُوا رَحْمًا، وَلَوْ كَانُوا مِنَ الْبَهَائِمِ لَكَانُوا حُمْرًا، وَاللَّهُ لَوْ طَلَبْتُ مِنْهُمْ أَنْ يَمْلُثُوا لِي هَذَا الْبَيْتَ ذَهَبًا عَلَى أَنْ أَكْذِبَ عَلَى عَلِيِّ لَأَعْطُونِي، وَاللَّهُ مَا أَكْذِبُ عَلَيْهِ أَبَدًا)، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْكَلَامُ مَبْسُوطًا عَنْهُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، لَكِنَّ الْأَظْهَرَ أَنَّ الْمَبْسُوطَ مِنْ كَلَامِ غَيْرِهِ.

كَمَا رَوَى أَبُو حَفْصٍ بَنُ شَاهِينَ فِي كِتَابِ اللَّطِيفِ فِي السُّنَنِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بَنُ أَبِي الْقَاسِمِ بَنِ هَارُونَ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بَنُ الْوَلِيدِ الْوَاسِطِيُّ، حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بَنُ نَصِيرٍ الطُّوسِيُّ الْوَاسِطِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَنِ مَالِكِ بَنِ مَغُولٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ لِي الشَّعْبِيُّ: (أَحْذَرُكُمْ هَذِهِ الْأَهْوَاءَ الْمُضِلَّةَ، وَشَرُّهَا الرَّافِضَةُ لَمْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ رَغْبَةً، وَلَا رَهْبَةً، وَلَكِنْ مَقْتًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَبَغْيًا عَلَيْهِمْ قَدْ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بِالنَّارِ، وَنَفَاهُمْ إِلَى الْبُلْدَانِ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بَنُ سُبَيٍّ: يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ صَنْعَاءَ نَفَاهُ إِلَى سَابَاطَ، وَعَبْدُ اللَّهِ



بُنْ يَسَارٍ نَفَاهُ إِلَى خَاَزَرٍ وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ مِحْنَةَ الرَّافِضَةِ مِحْنَةُ الْيَهُودِ، قَالَتِ الْيَهُودُ: لَا يَصْلُحُ الْمُلْكُ إِلَّا فِي آلِ دَاوُدَ، وَقَالَتِ الرَّافِضَةُ: لَا تَصْلُحُ الْإِمَامَةُ إِلَّا فِي وَلَدِ عَلِيٍّ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ: لَا جِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَخْرُجَ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ، وَيَنْزِلَ سَيْفٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَقَالَتِ الرَّافِضَةُ: لَا جِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَخْرُجَ الْمَهْدِيُّ، وَيُنَادِيَ مُنَادٍ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى اشْتِبَاكِ النُّجُومِ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ يُؤَخَّرُونَ الصَّلَاةَ إِلَى اشْتِبَاكِ النُّجُومِ، وَالْحَدِيثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَزَالُ أُمَّتِي عَلَى الْفِطْرَةِ مَا لَمْ يُؤَخَّرُوا الْمَغْرِبَ إِلَى اشْتِبَاكِ النُّجُومِ»**، وَالْيَهُودُ تَزُولُ عَنِ الْقِبْلَةِ شَيْئًا، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَالْيَهُودُ تَتَوَدُّ فِي الصَّلَاةِ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَالْيَهُودُ تُسَدِّلُ أَتَوَابَهَا فِي الصَّلَاةِ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَالْيَهُودُ لَا يَرُونَ عَلَى النَّسَاءِ عِدَّةً، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَالْيَهُودُ حَرَفُوا التَّوْرَةَ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ حَرَفُوا الْقُرْآنَ، وَالْيَهُودُ قَالُوا: افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا خَمْسِينَ صَلَاةً، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ وَالْيَهُودُ لَا يُخْلِصُونَ السَّلَامَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا يَقُولُونَ: السَّامُ عَلَيْكُمْ، وَالسَّامُ الْمَوْتُ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَالْيَهُودُ لَا يَأْكُلُونَ الْجَرِيَّ، وَالْمَرْمَاهِيَّ، وَالذَّنَابَ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَالْيَهُودُ لَا يَرُونَ الْمَسْحَ عَلَى الْخَفَيْنِ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ.

وَالْيَهُودُ يَسْتَحِلُّونَ أَمْوَالَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُمْ **«قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَبِيلٌ»** [آل عمران: ٧٥]، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَالْيَهُودُ تَسْجُدُ عَلَى قُرُونِهَا فِي الصَّلَاةِ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَالْيَهُودُ لَا تَسْجُدُ حَتَّى تَخْفُقَ بِرُءُوسِهَا مِرَارًا شِبْهَ الرُّكُوعِ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَالْيَهُودُ تُبْغِضُ جَبْرِيلَ، وَيَقُولُونَ هُوَ عَدُوُّنَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ يَقُولُونَ: غَلَطَ جَبْرِيلُ بِالْوَحْيِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ وَافَقُوا النَّصَارَى فِي خَصْلَةِ النَّصَارَى: لَيْسَ لِنِسَائِهِمْ صَدَاقٌ إِنَّمَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِنَّ تَمَتُّعًا، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ يَتَزَوَّجُونَ بِالْمُتَّعَةِ، وَيَسْتَحِلُّونَ الْمُتَّعَةَ.

وَفُضِّلَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى عَلَى الرَّافِضَةِ بِخَصْلَتَيْنِ: سُئِلَتِ الْيَهُودُ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ قَالُوا: أَصْحَابُ مُوسَى، وَسُئِلَتِ النَّصَارَى مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ قَالُوا: حَوَارِيُّ عِيسَى، وَسُئِلَتِ الرَّافِضَةُ: مَنْ شَرُّ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ قَالُوا: أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمُرُوا بِالْإِسْتِغْفَارِ لَهُمْ فَسَبَوْهُمْ، فَالْسَّيْفُ عَلَيْهِمْ مَسْلُورٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا تَقُومُ لَهُمْ رَايَةٌ، وَلَا يَنْبُتُ لَهُمْ قَدَمٌ، وَلَا تَجْتَمِعُ لَهُمْ كَلِمَةٌ، وَلَا تُجَابُ لَهُمْ دَعْوَةٌ، دَعْوَتُهُمْ مَدْحُوضَةٌ، وَكَلِمَتُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، وَجَمْعُهُمْ مُتَفَرِّقٌ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ.

قُلْتُ: هَذَا الْكَلَامُ بَعْضُهُ ثَابِتٌ عَنِ الشَّعْبِيِّ كَقَوْلِهِ: لَوْ كَانَتِ الشَّيْعَةُ مِنَ الْبَهَائِمِ لَكَانُوا حُمْرًا، وَلَوْ كَانَتْ مِنَ الطَّيْرِ لَكَانُوا رَحِمًا، فَإِنَّ هَذَا ثَابِتٌ عَنْهُ.

قَالَ ابْنُ شَاهِينَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّحْوِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ، حَدَّثَنَا وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغُولٍ، فَذَكَرَهُ، وَأَمَّا السِّيَاقُ الْمَذْكُورُ، فَهُوَ مَعْرُوفٌ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مِغُولٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الشَّعْبِيِّ.

وَرَوَى أَبُو عَاصِمٍ خُشَيْشُ بْنُ أَصْرَمَ فِي كِتَابِهِ، وَرَوَاهُ مِنْ طَرِيقِهِ أَبُو عَمْرٍو الطَّلَمَنْكِيُّ فِي كِتَابِهِ فِي الْأُصُولِ قَالَ أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا السَّنْدِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْفَارِسِيُّ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّقِّيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مِغُولٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (قُلْتُ لِعَامِرِ الشَّعْبِيِّ: مَا رَدَّكَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَقَدْ كُنْتَ فِيهِمْ رَأْسًا؟ قَالَ: رَأَيْتُهُمْ يَأْخُذُونَ بِأَعْجَازٍ لَا صُدُورَ لَهَا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا مَالِكُ لَوْ أَرَدْتُ أَنْ يُعْطُونِي رِقَابَهُمْ عَيْدًا، أَوْ يَمْلُؤُوا لِي بَيْتِي ذَهَبًا، أَوْ يَحُجُّوا إِلَيَّ بَيْتِي هَذَا عَلَى أَنْ أَكْذِبَ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَفَعَلُوا، وَلَا وَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ عَلَيْهِ أَبَدًا. يَا مَالِكُ إِنِّي قَدْ دَرَسْتُ الْأَهْوَاءَ، فَلَمْ أَرْ فِيهَا أَحْمَقَ مِنَ الْخَشْيَةِ، فَلَوْ كَانُوا

مِنَ الطَّيْرِ لَكَانُوا رَحْمًا، وَلَوْ كَانُوا مِنَ الدَّوَابِّ لَكَانُوا حُمْرًا. يَا مَالِكُ لَمْ يَدْخُلُوا فِي
الْإِسْلَامِ رَغْبَةً فِيهِ لِلَّهِ، وَلَا رَهْبَةً مِنَ اللَّهِ، وَلَكِنْ مَقْتًا مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَبَغْيًا مِنْهُمْ عَلَى أَهْلِ
الْإِسْلَامِ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْمِصُوا دِينَ الْإِسْلَامِ، كَمَا غَمَصَ بُولِصُ بْنُ يُوشَعَ مَلِكُ الْيَهُودِ
دِينَ النَّصْرَانِيَّةِ، وَلَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ أَذَانَهُمْ، قَدْ حَرَقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
بِالنَّارِ، وَنَفَاهُمْ مِنَ الْبِلَادِ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَيِّئِ يَهُودِيٍّ مِنْ يَهُودِ صَنْعَاءَ نَفَاهُ إِلَى
سَابَاطٍ، وَأَبُوبَكْرٍ الْكَرَّوْسُ نَفَاهُ إِلَى الْجَابِيَّةِ، وَحَرَّقَ مِنْهُمْ قَوْمًا أَتَوْهُ، فَقَالُوا: أَنْتَ هُوَ،
فَقَالَ: مَنْ أَنَا؟ فَقَالُوا: أَنْتَ رَبُّنَا، فَأَمَرَ بِنَارٍ، فَأُجِّجَتْ، فَأُلْقُوا فِيهَا، وَفِيهِمْ قَالَ عَلِيُّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا ❁ أَجَجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَبْرًا
يَا مَالِكُ، إِنَّ مُحِثَّتَهُمْ مُحِنَةُ الْيَهُودِ قَالَتِ الْيَهُودُ: لَا يَصْلُحُ الْمُلْكُ إِلَّا فِي آلِ دَاوُدَ،
وَكَذَلِكَ قَالَتِ الرَّافِضَةُ: لَا تَصْلُحُ الْإِمَامَةُ إِلَّا فِي. وَلَدِ عَلِيٍّ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ: لَا جِهَادَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، وَيَنْزِلَ سَيْفٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَكَذَلِكَ
الرَّافِضَةُ قَالُوا: لَا جِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَخْرُجَ الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، وَيُنَادِيَ مُنَادٍ
مِنَ السَّمَاءِ: اتَّبِعُونِي.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ: فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ،
وَالْيَهُودُ لَا يُصَلُّونَ الْمَغْرِبَ حَتَّى تَشْتَبِكَ النُّجُومُ، وَقَدْ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا
تَزَالُ أُمَّتِي عَلَى الْإِسْلَامِ مَا لَمْ يُؤَخَّرُوا الْمَغْرِبَ إِلَى اسْتِيبَاكِ النُّجُومِ مُضَاهَاةً لِلْيَهُودِ»،
وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَالْيَهُودُ إِذَا صَلَّوْا زَالُوا عَنِ الْقِبْلَةِ شَيْئًا، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ.
وَالْيَهُودُ تَنُودُ فِي صَلَاتِهَا، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَالْيَهُودُ يُسَدِّلُونَ أَثَوَابَهُمْ فِي الصَّلَاةِ،
وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِرَجُلٍ سَادِلٍ ثَوْبَهُ، فَعَطَفَهُ عَلَيْهِ، وَالْيَهُودُ
يَسْجُدُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ الْكُنْدَرَةَ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ.

وَالْيَهُودُ لَا يُخْلِصُونَ بِالسَّلَامِ إِنَّمَا يَقُولُونَ: سَامٌ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ الْمَوْتُ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَالْيَهُودُ حَرَّفُوا التَّوْرَةَ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ حَرَّفُوا الْقُرْآنَ، وَالْيَهُودُ عَادُوا جِبْرِيلَ، فَقَالُوا: هُوَ عَدُونَا، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ قَالُوا: أَخْطَأَ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ، وَالْيَهُودُ يَسْتَحِلُّونَ أَمْوَالَ النَّاسِ، وَقَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: **لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمَمِينَ سَبِيلٌ** [آل عمران: ٧٥]، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ يَسْتَحِلُّونَ مَالَ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَالْيَهُودُ يَسْتَحِلُّونَ دَمَ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَالْيَهُودُ يَرُونَ غِشَّ النَّاسِ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ. وَالْيَهُودُ لَا يَعُدُّونَ الطَّلَاقَ شَيْئًا إِلَّا عِنْدَ كُلِّ حَيْضَةٍ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَالْيَهُودُ لَيْسَ لِنِسَائِهِمْ صَدَاقٌ إِنَّمَا يُمَتِّعُوهُنَّ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ يَسْتَحِلُّونَ الْمُتْعَةَ، وَالْيَهُودُ لَا يَرُونَ الْعَزَلَ عَنِ السَّرَارِيِّ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ.

وَالْيَهُودُ يُحَرِّمُونَ الْجُرِّيَّ، وَالْمَرْمَاهِيَّ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَالْيَهُودُ حَرَّمُوا الْأَرْزَبَ، وَالطَّحَالَ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَالْيَهُودُ لَا يَرُونَ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ. وَالْيَهُودُ لَا يُلْحِدُونَ، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ، وَقَدْ أَلْحَدَ لِنَبِيِّنَا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَالْيَهُودُ يَدْخُلُونَ مَعَ مَوْتَاهُمْ فِي الْكَفَنِ سَعْفَةً رَطْبَةً، وَكَذَلِكَ الرَّافِضَةُ.

ثُمَّ قَالَ لِي: يَا مَالِكُ: وَفَضَّلْتَهُمُ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى بِخَصْلَةٍ. قِيلَ لِلْيَهُودِ: مَنْ خَيْرٌ أَهْلَ مِلَّتِكُمْ؟ قَالُوا: أَصْحَابُ مُوسَى، وَقِيلَ لِلنَّصَارَى: مَنْ خَيْرٌ أَهْلَ مِلَّتِكُمْ؟ قَالُوا: حَوَارِيُّ عِيسَى، وَقِيلَ لِلرَّافِضَةِ: مَنْ شَرُّ أَهْلَ مِلَّتِكُمْ؟ قَالُوا: حَوَارِيُّ مُحَمَّدٍ يَعْغُونَ بِذَلِكَ طَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرَ.

أَمَرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ فَسَبُّوهُمْ، فَالَسَّيْفُ عَلَيْهِمْ مَسْلُوكٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَدَعَوْتُهُمْ مَدْحُوصَةٌ، وَرَأَيْتُهُمْ مَهْزُومَةٌ، وَأَمْرُهُمْ مُتَشَتَّتٌ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ.

وَقَدْ رَوَى أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرِيُّ فِي "شَرْحِ أَصُولِ السُّنَّةِ" نَحْوَ هَذَا الْكَلَامِ مِنْ حَدِيثِ وَهْبِ بْنِ بَقِيَّةِ الْوَاسِطِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَجَرِ الْبَاهِلِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مِغُولٍ، فَهَذَا الْأَثَرُ قَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مِغُولٍ مِنْ. وَجُوهٌ مُتَعَدِّدَةٌ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَبَعْضُهَا يَزِيدُ عَلَى بَعْضٍ، لَكِنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مِغُولٍ ضَعِيفٌ، وَذِمُّ الشَّعْبِيِّ لَهُمْ ثَابِتٌ مِنْ طُرُقٍ أُخْرَى.

لَكِنَّ لَفْظَ الرَّافِضَةِ إِنَّمَا ظَهَرَ لَمَّا رَفَضُوا زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ فِي خِلَافَةِ هِشَامٍ، وَقِصَّةُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ كَانَتْ بَعْدَ الْعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، سَنَةً إِحْدَى وَعِشْرِينَ، أَوْ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ هِشَامٍ. قَالَ أَبُو حَاتِمٍ النَّبَسِيُّ: قُتِلَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، وَصُلِبَ عَلَى خَشَبَةٍ، وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَعُلَمَائِهِمْ، وَكَانَتْ الشَّيْعَةُ تَنْتَحِلُهُ. انْتَهَى

والنواصب: هم الذين نصبوا العداء لآل بيت النبي ﷺ، وسبّوهم على المنابر ولعنوهم، وكانوا ظاهرين في عهد الدولة الأموية، حتى جاء عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، وكانوا يظنون أَنَّهُ سَيَسْلُكُ طَرِيقَةَ أَسْلَافِهِ فِي سَبِّ أَهْلِ الْبَيْتِ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي خُطْبَتِهِ الْمَشْهُورَةِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، وتلى الآية الأخرى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

وطريقة أوائلهم في الأسماء والصفات أَنَّهُمْ يُمَثِّلُونَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى التَّعْطِيلِ، وَذَكَرَ أَنَّ الْأَعْمَشَ لَقِيَ جَنِيًّا فَقَالَ: مَنْ شَرَّكُمْ؟ فَقَالَ: (الرافضة)، وقال: أَنْتُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرافضة).



ويستحلّون الكذب حتى قال الإمام الشافعي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (أجيز شهادة أهل الأهواء إلا الرافضة)؛ لأنّهم يستحلّون الكذب ودينهم التقيّة، حتى قالوا: (لا دين لمن لا تقيّة له)، فربّما يُظهر لك السنّة والإسلام والاستقامة والمحبة فإذا تمكّن منك انقلب في ساعة.

قتل عليّ بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مقدّمهم، وهم الذين زعموا أنّه إله، فخذّ الأخاديد وحفرها، وأشعل فيها النار، فقال ابن عبّاس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: لو كنت أنا لقتلتهم؛ لأنّ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**» رواه البخاري (٣٠١٧).

وإذا نظرت إلى مبدأ الرفض تجده من الزنادقة من عبد الله بن سبأ اليهودي ثم بعد ذلك اجتمع زنادقة المجوس وأخرجوا مذهباً وهو مذهب الباطنيّة الذي ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض واستدلّ الإمام مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** على تكفير الرافضة بقول الله **عَزَّجَلَّ**: «**لِيُعَذِّبَهُمُ الْكُفَّارُ**» [الفتح: ٢٩]، واستدلّ **رَحْمَةُ اللَّهِ** علدهم إعطاء الرافضة من الفيء والخمس بقول الله **عَزَّجَلَّ**: «**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**» [الحشر: ١٠]، وكان الإمام أحمد **رَحْمَةُ اللَّهِ** يأمر بإعادة الصلاة خلف الجهمي والرافضي.

وقال ابن حزم **رَحْمَةُ اللَّهِ** مقولته المشهورة: (يستدلّون علينا بقول الرافضة ما هم بمسلمين). يعني كيف تستدلّ عليّ بقول كافر.

وهم طرائق قدداً وأقسام شتى، تجدها في كتب الملل والنحل، فهم يُغضون الصحابة **رَحْمَةُ اللَّهِ**؛ لحملهم الإسلام، ويسبّونهم ويتنقّصونهم، ومن أدعيتهم التي يتقرّبون بها إلى الله: (اللهم العن صنمي قريش وابنتيهما) ويقصدون بذلك أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ**، مع أنّ حفصة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** لما طلقها النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال له: «رَاجِعْ حَفْصَةَ، فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ» من حديث قيس بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الحاكم في "مستدرکه" (٦٧٥٣). وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قد أثنى الله عَزَّوَجَلَّ عليها وذكر فضلها ثم هم يقعون في أحباب وخلفاء وأصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى قال بعضهم: (سئل اليهود: من أفضلکم؟ قالوا: أصحاب موسى)، وهذا معلوم عند جميع الأمم فإذا سألت النصراني: من أفضلکم؟ سيقول: (أصحاب عيسى)، ولما سئل الروافض من شرکم؟ قالوا: (أصحاب محمد)، جاءوا بما يُخالف المعقول والمنقول والأصول، فزعموا أَنَّ (غدير خُم) كان لعقد الخلافة لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سبحانه الله، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جهلوا هذا الحكم أو أنكروه، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يُطالب بحقه حتى يأتي زنادقة المجوس ويزعمون أَنَّ الخلافة كانت لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



القول فيما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم

قال رَحِمَهُ اللهُ :

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ.

لأنَّ الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مجتهدون، فمصيبهم له أجران، ومخطئهم له أجر، والمجتهد لا يؤاخذ عند الله عَزَّوَجَلَّ، مع أنَّنا نعتقد أن الحق في جميع الحروب التي خاضها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كان معه، سواء في وقعة الجمل أو في صفين أو كقتاله للخوارج في معركة النهروان. ومعاوية ومن معه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كان عندهم شيء من الحق؛ فقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في البخاري (٦١٦٣) ومسلم (١٠٦٤): «يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ - أَوْ مِنْ أَشَرِّ الْخَلْقِ - يَقْتُلُهُمْ أَذْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ»، فهم كانوا متأولين على أنهم يطالبون بدم عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ويقولون لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سلم قتلة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حتى نبايعك، وكان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ معذورا لم يستطع تسليم قتلة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ لكثرتهم ولتوغلهم في جيشه ولخوفه من الفتنة، أو لعدم قيام البيّنة على واحد بعينه.

وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لما خرجت من مكة إلى الكوفة ومعها طلحة والزبير وغيرهم من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تكن نيّتها الحرب بل كان نيّتها الإصلاح بين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وبين من خالفه، فلما بلغت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بعض مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب عليها، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: هذا ماء الحوَّاب، فوقفت وقالت: ما أظنني إلا راجعة، سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لنا ذات يوم: «كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبُحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوَّابِ» عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، انظر "اتحاف

المهرة في زوائد المسانيد العشرة" (٨/٨)، فقالوا لها: يا أم المؤمنين اخرجي لعل الله أن يحقن بك الدماء، ويُصلح بك بين المسلمين.

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة الكفُّ عما شجر بينهم، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

ومما ذكر ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كتابه "الروح" (١/٢٦) والله أعلم بصحتها: قال سعيد بن أبي عروبة: عن عمر بن عبدالعزيز: رأيت رسول الله وأبوبكر وعمر جالسان عنده، فسلمت، فبينما أنا جالس إذ أتني بعلي ومعاوية فأدخلا بيتا وأجيف عليها الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول: قضى لى ورب الكعبة، وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول: غفر لى ورب الكعبة.

وقال حماد بن أبى هاشم جاء رجل إلى عمر بن عبدالعزيز فقال: رأيت رسول الله فى المنام وأبوبكر عن يمينه وعمر عن شماله، وأقبل رجلان يختصمان وأنت بين يديه جالس، فقال لك: يا عمر، إذا عملت فاعمل بعمل هذين، لأبى بكر وعمر، فاستحلفه عمر بالله، أرأيت هذه الرؤيا؟ فحلف! فبكى عمر.

فهذا هو الذي يُوافق الأدلة من أن الله **عَزَّجَلَّ** قد نهى عن الخوض فيما شجر بينهم والله **عَزَّجَلَّ** رحيم بعباده.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويقولون: إِنَّ هَذِهِ الْأَثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا: مَا هُوَ كَذِبٌ.

وهذا هو الواقع لأنّها من طريق لوط بن أبى مخنف والواقدي والكلبي ومن طريق عمر بن شمر ومن طريق عمر بن خالد الواسطي وهؤلاء رافضة كذابون.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:



ومنها: ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه.

وهذا هو الواقع فإنك إذا نظرت إلى كتاب "البداية والنهاية" لابن كثير رحمة الله أو "تاريخ والأمم الملوك" للطبري رحمة الله أو غير ذلك من الكتب تجد ما لا يليق بالصحابة رضي الله عنهم ولا بالتابعين، ومنها ما ذكر في الحرّة حيث يقولون إن يزيد بن معاوية رضي الله عنه استباح إلى المدينة ثلاثة أيام وحملت سبعة ألف عذراء، سبحان الله أنت في زمن قوّة الإسلام والله الحمد، وفي زمن الخشية، والخوف من الله، نعم قاتلوهم على أنهم خرجوا على يزيد رحمة الله أمّا أن يستبيحوا دماءهم ونساءهم، كلّ هذا من كذب الرافضة والخطأ أنّه نقلها أهل سنّة عنهم ونحن نعلم أنّ باب السيرة والتاريخ لم يهذب، لو نقل لنا الواقدي حديثاً في الأحكام ما قبلنا منه فكيف نقل منه هذه التي فيها طعن ظاهر في الإسلام، الإسلام مازال قوياً والصحابة رضي الله عنهم متوافرون، ثم يقولون: زنى بسبعة آلاف امرأة، أليس رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ**» من حديث أمّ حرام رضي الله عنها عند البخاري (٢٩٢٤).

وكان قائده يزيد رحمة الله، أليس لما قُتل الحسين رضي الله عنه وجاء أولاد الحسين رضي الله عنه أكرمهم يزيد رحمة الله وأحسن إليهم وإثما قال الإمام أحمد رحمة الله: (لا نسبّه ولا نحبه).

وكثير ممّا يذكرونه عن يزيد رحمة الله ليس بثابت، مثل أنّه كان يُجاهر بشرب الخمر، وكان يفعل وكان يفعل، هذا تاريخ رافضي دخل في تاريخ الإسلام فينبغي أن يُنقى التاريخ ومن أحسن من ألف في هذه المسألة ابن العربي رحمة الله "العواصم من القواصم"، وحقّقه محبّ الدين الخطيب، فيراجعه من أراد الاستفادة وقد رأيت مؤلفاً في تحقيق المرويات في التاريخ.

قال رَحِمَهُ اللهُ :

والصحيح منه؛ هم فيه معذورون، إمّا مجتهدون مُصيبون، وإمّا مجتهدون مُحْطئون.

يعني إذا صحّ شيء ممّا نُقل هم فيه معذورون لماذا؟ إمّا مجتهدون مصيئون وإمّا

مجتهدون مخطئون وفي حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٣٥٢)

ومسلم (١٧١٦)، أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدْ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ

وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدْ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ».



القول في عصمة الصحابة رضي الله عنهم

قال رحمه الله:

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كِبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ.

أي أهل السنة لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ معصوم عن كبائر الإثم وصغائره فإن من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من وقع في الزنا في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجمه كما فعل في الغامدية وكما فعل في ماعز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومنهم من قُطعت يده ومنهم من غل وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه في النار لشملة أو عباءة ومنهم من قتل نفسه والصحبة ثابتة لهم لكن إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ معصوم، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنْ أُمِّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ»** من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٣٩٥٠).

بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم ويذكر العلماء عشرة أسباب لمغفرة الذنوب فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لهم الحظ الأوفر من هذه العشرة الأسباب: التوبة، والإسلام الحق، قال الله تبارك تعالي: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾** [الأنفال: ٣٨]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ التَّوْبَةَ تَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا»**، والمصائب والأمراض والأسقام، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»** رواه ابن أبي شيبة (١٠٨١١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمحافظة على العبادات مثل الصلاة وصيام رمضان، ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٣٣)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ»**.



قال رحمه الله:

بل [يجوز]^(١) عليهم الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةً مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ، حَتَّى إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

بل قد قال النبي ﷺ في حق أهل بدر: «لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ» من حديث علي رضي الله عنه عند البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤). وقال النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ. الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» من حديث جابر رضي الله عنه عند مسلم (٢٤٩٦).

ولهم دعوة إلى الإسلام وسبق، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا﴾ [الحديد: ١٠]، فالله عز وجل غفر لهم وتجاوز عنهم.

قال رحمه الله:

وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ: أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ.^(٢)

كما في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ قُرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، قَالَ عِمْرَانُ لَا أَدْرِي أَذْكَرُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ

(١) في (م) و(ف): [بل تجوز].

(٢) متفق عليه: خ (٢٦٥٢ و ٢٦٥٣) م (٢٥٣٣ و ٢٥٣٥) عن ابن مسعود وعمران، ولمسلم عن أبي هريرة وعائشة (٢٥٣٤ و ٢٥٣٦).

وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَنْدُرُونَ وَلَا يَقُونَ وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ» رواه البخاري (٢٦٥١) و (٣٦٥٠) و (٦٤٢٨) و (٦٦٩٥)، مسلم (٢٥٣٥).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ» أخرجه البخاري (٢٦٥٢) و (٣٦٥١) و (٦٤٢٩) و (٦٦٥٨).

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ زَعَمَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُبْعَثُ مِنْهُمْ الْبَعْثُ فَيَقُولُونَ انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ فِيكُمْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُوجَدُ الرَّجُلُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ ثُمَّ يُبْعَثُ الْبَعْثُ الثَّانِي فَيَقُولُونَ هَلْ فِيهِمْ مَنْ رَأَى أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ ثُمَّ يُبْعَثُ الْبَعْثُ الثَّالِثُ فَيَقَالُ انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِمْ مَنْ رَأَى مِنْ رَأَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَكُونُ الْبَعْثُ الرَّابِعُ فَيَقَالُ انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِمْ أَحَدًا رَأَى مِنْ رَأَى أَحَدًا رَأَى أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُوجَدُ الرَّجُلُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ» رواه مسلم (٢٥٣٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ» رواه مسلم (٢٥٣٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثَتْ فِيهِمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لَا قَالَ: «ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السَّمَانَةَ يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا» رواه مسلم (٢٥٣٤).



وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّلَاثُ» رواه مسلم (٢٥٣٦).



قال رحمه الله:

وَأَنَّ الْمَدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلٍ أُحْدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ.^(١)

وهذا الحديث قاله النبي ﷺ في شأن خالد وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما، ومن المعلوم أنّ خالدًا رضي الله عنه من أصحاب رسول الله ﷺ أسلم بعد الأحزاب وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أسلم قبل وهو من المهاجرين الأولين، فلما وقع بين خالد وعبدالرحمن رضي الله عنهما ما وقع قال النبي ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحْدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» من حديث أبي سعيد رضي الله عنه عند البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١). يقول هذا لخالد رضي الله عنه أحد أصحابه، لكن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه له صحبة أكثر؛ لأنّه هاجر الهجرة الأولى وله سابقة. والمُدُّ هو جمع اليدين، والنصيف بالكفّ، فإذا كان خالد بن الوليد رضي الله عنه لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه ولا نصيفه! فكيف بالمتأخرين الذين يقعون فيهم؟!

قال رحمه الله:

ثم إذا كان قد صدرَ من أحدِهِمْ ذَنْبٌ، فيكون قد تابَ منه.

والتوبة من مكفرات الذنوب يدلّ على ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

(١) هذه إشارة إلى حديث أبي سعيد المتقدم: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي».

قال النبي ﷺ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»، من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٤٢٥٠)، وأصح منه حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠)، قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

أو أتى بحسناتٍ تمحوهُ.

من حجٍّ وصيامٍ وجهادٍ ومعلوم أنَّ الحسنات تذهب السيئات قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيئَاتٍ﴾ [هود: ١١٤].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

أو غفرَ له بفضلِ سابقته.

كما في أصحاب بدر وبيعة الرضوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقد تقدّم الحديث فيهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

أو بشفاعَةِ محمدٍ ﷺ -الذين هم أحقُّ الناسِ بِشَفَاعَتِهِ.

والنبي ﷺ يقول: «خَيْرُ بَيْنِ الشَّفَاعَةِ، أَوْ يَدْخُلُ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتُرَوْنَهَا لِلْمُنْفِقِينَ، لَا وَلَكِنَّهَا لِلْمُتَلَوِّثِينَ الْخَطَّاءُونَ»، من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٥٤٥٢). وعن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٤٤١)، وابن ماجه (٤٣١١)، و(٤٣١٧).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

أو ابتليَّ ببلاءٍ في الدنيا كُفِّرَ به عنه. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ.

كما قال الرسول ﷺ: «لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوْ الْمُؤْمِنَةِ، فِي جَسَدِهِ، وَفِي مَالِهِ، وَفِي وَلَدِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ» من حديث أبي هريرة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٧٨٥٩). وفي الصحيح قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَمُحِيتَ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ» من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم (٢٥٧٢)، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّى يَهْمُ بِهِ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ» من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٥٧٣). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] بَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَارِبُوا وَسَدُّوا فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا أَوْ الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا» أخرجه مسلم (٢٥٧٤).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فكيف بالأُمُور التي كانوا فيها مجتهدين؛ إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور لهم. ثم القدر الذي قد يُنكر من فعل بعضهم قليل نزر، مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، من: الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح.

ويدل على ذلك ما فعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بحاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا كتب إلى قريش كتاباً يُخبرهم بمسير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم، فلَمَّا قال عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْنِي أَضْرِبْ عَنْقُ هَذَا الْمُنَافِقِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُذْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٣٠٧) ومسلم (٢٤٩٤).

قال رحمه الله :

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ - بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضَائِلِ - عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ.

يعني بالعلم أدلة الكتاب والسنة وبصيرة بمعرفة فضلهم وبعدم التعصب والهوى، فيجد ما من الله عز وجل عليهم به من الفضائل يعلم علماً يقيناً لا ظنّاً أنهم أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا كان في الأمم السابقة مثلهم كما لن يكون في اللاحقين، جاءت الرميضاء، أو الغميضاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لها: «لَقَدْ سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ فِي الْجَنَّةِ». ويقول لبلال رضي الله عنه: «يَا بِلَالُ، بِمِ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إِلَّا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، دَخَلْتُ الْبَارِحَةَ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي» من حديث بريدة رضي الله عنه عند الترمذي (٣٦٨٩).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأَتْ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا قَالُوا هَذَا لِعُمَرَ» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٥٢٢٧). ويقول لعبدالله بن سلام رضي الله عنه في الجنة ولثابت بن قيس رضي الله عنه في الجنة ويقول لأصحاب بيعة الرضوان رضي الله عنهم وهم أكثر من ألف وأربع مائة: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ. الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» من حديث جابر رضي الله عنه عند مسلم (٢٤٩٦)، هذا لا يكون لغيرهم يقول هذا مع علمه صلى الله عليه وسلم أنهم بشر وأنهم يُخطئون ويعلمون ويجهلون ومع علم الله عز وجل الأزلي الأبدي بأحوالهم وبما سيقع منهم ومع ذلك يقول الله عز وجل: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، فلا يتنقصهم إلا من لم يعرف قدرهم ومنزلتهم والإسلام الحق، فمن كان عارفاً بالإسلام الحق علم منزلة الصحابة رضي الله عنهم، فهم الذين نقلوه لنا وبذلوا دماءهم وأموالهم وهاجروا من بلدانهم وجاعوا وعروا وسهروا وتعبوا ونصبوا من

أجل تبليغ هذا الدين ثم يأتي زنادقة الروافض وجُهال المبتدعة ويتكلمون فيهم، الروافض يُكفرونهم والمبتدعة يقولون هم رجال ونحن رجال أو طريقتهم أسلم وطريقتنا أعلم وأحكم، والله ما يقول هذا القول إلّا من سفه نفسه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَأَتَتْهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ، وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

قد تقدّم البيان أنّ الخيريّة هي في القرون الثلاثة وأفضل هذه القرون هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وإنّ اللسان ليتعثر عن المجيء بما هم أهله وإنّ القلم لا يعجز عن كتابة فضائلهم وإنّ الوقت ليضيق بذكر محاسنهم هم صفوة خلق الله بعد الأنبياء والمرسلين ولا مثلهم ولن يكون مثلهم.

وتوسّع شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في باب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للحاجة إلى ذلك فإنّ المخالفين في باب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كثير فلهذا أتى على شبههم فلو سلّمنا أنّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقعوا في خطأ فهو مغفور لأسباب:

السبب الأول: لسابقيتهم.

السبب الثاني: أنّ لهم حسنات تُذهب تلك السيئات.

السبب الثالث: قد يكونوا مجتهدين في هذا الخطأ والمجتهد إن أصاب له أجران وإن أخطأ فله أجر، فهم مُثابون على أيّ حال، وقد يكونوا تابوا منه.

فلا يجوز الطعن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والازدراء لهم ولا التحذير منهم بل الواجب كفّ الألسنة عمّا شجر بينهم ولا يُذكرون إلّا بالجميل ولا يُذكرون إلّا بالخير وبالأوصاف التي تؤدّي إلى محبة الناس لهم، أمّا الأوصاف البذيئة المنكرة فلا يجوز أن تُطلق عليهم؛ ولهذا ردّ العلماء على عائض القرني لما قال: (الأقرع بن



حابس أحمق)، وعلى غيره، فلا يجوز تنقّص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأيّ حال من الأحوال، ولا تُذكر مثالبهم، فلهم من الخير والجميل ما يُغطيّ تلك المثالب -إذا وُجدت- فنحن قد نقول في حقّ عالم من العلماء تُدفن في بحر حسناته، فكيف بصحابي من الصحابة الأجلاء الفضلاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين هجروا الأهل والأوطان وعادوا الأقارب والخلّان من أجل دين ربّ العالمين، ثم بعد ذلك يطعن فيهم طاعن ويُرّهد فيهم مزهد، أمّا من كفرهم أو فسّقهم فليس من أهل الإسلام.



القول في كرامات الأولياء

قال رحمه الله:

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: التَّصَدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأثيرَاتِ، كَالْمَأْتُورِ^(١) عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ، فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، مِنَ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَسَائِرِ قُرُونِ الْأُمَّةِ^(٢)، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وهذه من الأصول التي خالف فيها المعتزلة ومن إليهم من الرافضة، والجهمية، مع أن كرامات الأولياء ثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف الصالحين. وقد انقسم الناس في كرامات الأولياء إلى ثلاثة أقسام:

الأول: هم أهل السنة والجماعة الذين يؤمنون بكرامات الأولياء بما قصَّ الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن من شأن أهل الكهف، قال الله تعالى: ﴿تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، ومكثوا في ذلك الكهف سنوات عديدة وأعوام مديدة ويسخر الله عَزَّوَجَلَّ لهم الشمس تدخل عليهم في الصباح والمساء وسلموا من الثعابين والحيَّات وسلموا من الموت والجوع مع أنَّ الإنسان إذا نام أربع وعشرين ساعة أو اثني عشر ساعة ربَّما يحتاج إلى طعام وإذا نام ولم يقع له تحوُّل من فراشه يقوم وقد أثر الفراش في جنبه فكيف بثلاث مائة وتسعة سنين وحفظهم الله عَزَّوَجَلَّ وأكرمهم وهكذا جاءت كرامات للصحابه رضوان الله عليهم ومنها أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ كان يُبارك لهم في الطعام القليل ومنها أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ربَّما جعل

(١) في المطبوع: [والمأثور] وهو خطأ.

(٢) في المطبوع: [فرق الأمة]، ومعناه لا يستقيم.

لبعضهم نورًا يمشي به كما حصل لأسيد بن حضير وعباد بن بشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَإِذَا نُورٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا حَتَّى تَقَرَّقَا فَتَفَرَّقَ النُّورُ مَعَهُمَا. رواه البخاري (٣٨٢٠). ودخل أبوذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى مَكَّةَ وَمَكَثَ أَيَّامًا يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمٍ حَيْثُ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلَقَدْ لَبِثْتُ يَا ابْنَ أَخِي ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنُقُ بَطْنِي وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَيْدِي سُخْفَةً جُوعٍ. رواه مسلم (٢٤٧٣). أكرمه الله بالبركة في ذلك الماء، فكان طعام طعم وشفاء سقم.

وما أكرمهم به الله عَزَّ وَجَلَّ في غزوة بدر وفي غزوة أحد وفي أسفارهم وفي حضرهم ومع ثبوت الكرامات بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة فإنَّ الواقع يدلُّ عليها، فكم أكرم الله عَزَّ وَجَلَّ من المؤمنين في سالف الدهر وحاضره ولا تزال الكرامات مستمرة حتى يرث الله الأرض فعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَ رَجُلٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ مَسَالِحُ الدَّجَالِ فَيَقُولُونَ لَهُ أَيْنَ تَعْمِدُ فَيَقُولُ أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا فَيَقُولُ مَا بِرَبِّنَا خَفَاءً. فَيَقُولُونَ اقْتُلُوهُ. فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُم رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَالِ فَإِذَا رَأَاهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَيَأْمُرُ الدَّجَالُ بِهِ فَيُسَبِّحُ فَيَقُولُ خُذُوهُ وَشُجُّوهُ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ: فَيَقُولُ أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِي قَالَ فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ رَجُلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ قُمْ. فَيَسْتَوِي قَائِمًا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ أَنْتُمْ بِي فَيَقُولُ مَا أَرَدَدْتُ فَيْكَ إِلَّا بِصِيرَةٍ، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَالُ لِيَذْبَحَهُ فَيُجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوتِهِ نُحَاسًا فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْدِفُ بِهِ فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّهَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي

الْجَنَّةِ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ» متفق عليه.

ومن الكرامات التي تحصل في ذلك الزمان أنَّ المسلمين حين يُحْصَرُونَ في الجبال ولا يستطيعون النزول ويمنع عنهم الأكل وغير ذلك بسبب مأجوج يكون طعامهم التسييح والتحميد والتكبير والتهليل كما صحَّ من طرق عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جاء عن أبي أمامة وعائشة وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على ما بيَّته في كتاب "تحذير العقال من فتنة المسيح الدجال".

وقد أَلَّفَ العلماء في كرامات الأولياء، أَلَّفَ الإمام اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ وهكذا من المؤلفات العصرية كتاب الشيخ عبدالرقيب الإبي في الصحيح من كرامات الأولياء. وكرامات الأولياء تُعتبر معجزة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والفرق بين كرامات الأولياء وخرافات الفساق الأشقياء أنَّ الوليَّ يحرص على إخفاء الكرامة، والأمر الثاني أنَّه لا يتكلَّف حصولها وإنَّما يُصَلِّي ويصوم ويحجَّ ويعتمر ويقرأ القرآن ويدع الله فإن حصلت فالحمد لله وإن لم تحصل ما يتكلَّف حصولها والأمر الثالث أنَّ الكرامة تكون في حقَّ المستقيمين على كتاب ربِّنا وسنَّة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّى قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (أفضل كرامة دوام الاستقامة)، أمَّا الصنف الثاني فهو يتكلَّف في الكرامة، ربَّما أجاع نفسه وربَّما عراها وأتعبها ويكون حريصًا على إظهارها وربَّما حصلت له خوارق العادات من المكاشفات وغيرها بسبب ما يحصل لنفسه من الجوع وفراغ الذهن من أمور الدنيا وهو مع ذلك على غير طريقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمثل هذا لا تكون في حقِّه كرامة وإنَّما تكون في حقِّه مهانة وقد تكلم الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى على باب الكرامات وباب الخرافات في كتابه "الصحيح المسند من دلائل النبوة"، وتكلَّم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "النبوات" و"الفرق بين أولياء

الرحمن وأولياء الشيطان"، فيذكر عن أبي السليل ضريب بن نفير قال: كنت مرافقاً للعلاء بن الحضرمي حين بعث إلى البحرين، فسلكننا مفازة فعطشنا عطشاً شديداً حتى خشينا على أنفسنا الهلاك وما ندري ما مسافة الأرض. فذكر ذلك له فنزل فصلى ركعتين ثم قال: يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اسقنا، قال: فإذا نحن بسحابة كأنها جناح طائر قد أظلتنا حتى أتينا على خليج من البحر ما خيض قبل ذلك اليوم ولا خيض بعده فالتمسنا سفناً فلم نجد. فذكرنا ذلك له فصلى ركعتين ثم قال: يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم أجرننا، ثم أخذ بعنان فرسه، ثم قال: جوزوا باسم الله.

قال أبوهريرة فمشينا على الماء فوالله ما ابتلت قدم ولا خف بعير ولا حافر دابة وكان الجيش أربعة آلاف.

فلما جزنا قال: هل تفقدون شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فأتينا البحرين فافتتحها وأقام بها سنة، ثم مات رحمة الله عليه.

ويذكر عن ابن عمر أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطب يوماً بالمدينة فقال يا سارية بن زنيم الجبل من استرعى الذئب فقد ظلم.

قال: فقيل له: تذكر سارية وسارية بالعراق؟! فقال الناس لعلي: أما سمعت عمر يقول: يا سارية وهو يخطب على المنبر؟! فقال: ويحكم دعوا عمر؛ فإنه ما دخل في شيء إلا خرج منه، فلم يلبث إلا يسيراً حتى قدم سارية، فقال: سمعت صوت عمر فصعدت الجبل. ذكرهما اللالكائي في "كرامات الأولياء".

ومما يذكر في الباب ما حصل لشيخ الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الكرامات سواء في حربه مع الرافضة أو مع الحشاشين أو التتر، وما زالت الكرامات مستمرة لأوليائه المتقين. يقول الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: تظهر الكرامة للمؤمن في وقت الحاجة، سنة الله عَزَّ وَجَلَّ في أوليائه وسنة الله عَزَّ وَجَلَّ في أصفياه أنه يكرمهم في قوت الحاجة.

ففي يوم بدر أنزل الله على المؤمنين المطر والنعاس أمنة منه، وأنزل عليهم الملائكة **قَالَ تَعَالَى:** ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَضْمِنَ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا لِّلنَّصْرِ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ١١﴾ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ١٢﴾ [الأنفال: ٩-١٢].

وفي الصحيحين: عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا نَاسًا فَقَرَاءَ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَرَّةً: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَلَاثَةٍ وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ»، أَوْ كَمَا قَالَ. وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ وَانْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَشْرَةٍ وَأَبُو بَكْرٍ بِثَلَاثَةٍ، قَالَ: فَهُوَ وَأَنَا وَأَبِي وَأُمِّي - وَلَا أَذْرَى هَلْ قَالَ وَامْرَأَتِي وَخَادِمٌ بَيْنَ بَيْنِنَا وَبَيْتِ أَبِي بَكْرٍ - قَالَ: وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَى عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعِشَاءُ ثُمَّ رَجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى نَعَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ - أَوْ قَالَتْ - ضَيْفِكَ قَالَ أَوْ مَا عَشَّيْتُهُمْ قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ قَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ فَعَلَبَوْهُمْ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ وَقَالَ يَا غُنْثَرُ. فَجَدَّعَ وَسَبَّ وَقَالَ: كُلُّوْا لَا هَنِيئًا. وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَطْعَمُهُ أَبَدًا، قَالَ: فَايُمُ اللَّهُ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلَّا رَبًّا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، قَالَ: حَتَّى شَبِعْنَا وَصَارَتْ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ أَوْ أَكْثَرُ. قَالَ لِامْرَأَتِهِ يَا أُخْتَ بَنَى فِرَاسٍ مَا هَذَا قَالَتْ لَا وَقَرَّةَ عَيْنِي لَهِيَ الْآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ مِرَارٍ، قَالَ: فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ - يَعْنِي يَمِينَهُ - ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ، قَالَ: وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَقْدٌ فَمَضَى الْأَجَلَ فَعَرَفْنَا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنَسُ اللَّهِ أَعْلَمَ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ إِلَّا أَنَّهُ بَعَثَ مَعَهُمْ فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ.

وفي مسلم: عَنِ الْقَدَادِ قَالَ أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا فَاتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ فَإِذَا ثَلَاثَةٌ أَعَزَّ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اخْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا**»، قَالَ فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرِبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ وَنَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ، قَالَ: فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ، قَالَ: ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّي ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرِبُ فَاتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ شَرِبْتُ نَصِيبِي فَقَالَ مُحَمَّدٌ يَأْتِي الْأَنْصَارَ فَيَتَحَفُّونَهُ وَيُصِيبُ عَنْدهُمْ مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَى هَذِهِ الْجُرْعَةِ فَاتَيْنَاهَا فَشَرِبْتُهَا فَلَمَّا أَنُ وَغَلْتُ فِي بَطْنِي وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ، قَالَ: نَدَمَنِي الشَّيْطَانُ فَقَالَ: وَيْحَكَ مَا صَنَعْتَ أَشْرَبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ فَيَجِيءُ فَلَا يَجِدُهُ فَيَدْعُو عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ، وَعَلَى شَمْلَةٍ إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى قَدَمِي خَرَجَ رَأْسِي وَإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ وَجَعَلَ لَا يَجِيئُنِي النَّوْمُ وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا وَلَمْ يَصْنَعَا مَا صَنَعْتُ، قَالَ: فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقُلْتُ الْآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ. فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي**»، قَالَ: فَعَمَدْتُ إِلَى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَيَّ وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَانْطَلَقْتُ إِلَى الْأَعْزِ أَيُّهَا أَسْمَنُ فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هِيَ حَافِلَةٌ وَإِذَا هُنَّ حُفْلٌ كُلُّهُنَّ فَعَمَدْتُ إِلَى إِنَاءٍ لِأَلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيهِ، قَالَ: فَحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَشْرِبْهُمْ شَرَابَكُمْ اللَّيْلَةَ**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْرَبْ. فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

اشْرَبْتُ. فَشَرِبْتُ ثُمَّ نَأَوَيْتُنِي فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَوَى وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ
صَحِحتُ حَتَّى أُلْقِيتُ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِخْدِي سَوَاتِكَ يَا
مُقْدَادُ». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذَا وَكَذَا وَفَعَلْتُ كَذَا. فَقَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذِهِ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ أَفَلَا كُنْتَ أَذْنَتِي فُتُوقَظَ صَاحِبِينَا فَيُصَيَّانِ
مِنْهَا». قَالَ فَقُلْتُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَبَالِي إِذَا أَصَبْتُهَا وَأَصَبْتُهَا مَعَكَ مَنْ أَصَابَهَا
مِنَ النَّاسِ.

وما حصل لنا بحمد الله في أيام حصار الرافضة لأهل السنة في دماج من الطمأنينة
والسكينة وهدوء البال والنصر والرفق في الجرحى، وما أظهره الله تعالى من جثث
القتلى بعد سنة ونصف من دفنهم بحيث لم تأكلهم الأرض، وغير ذلك ممّا كان
يحصل فالله عَزَّجَلَّ لطيف بعباده ولا يُشترط أن تظهر لك كرامة على صورة كذا وكذا
كما يذكرون فأحسن كرامة هي دوام الاستقامة ثمّ إذا جعل الله عَزَّجَلَّ ما يظهر، فله
الحمد وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

قال السفاريني في منظومته:

وَكُلُّ خَارِقٍ أَتَى عَنْ صَالِحٍ * مِنْ تَابِعٍ لِشَرْعِنَا وَنَاصِحٍ
فَإِنَّهَا مِنَ الْكِرَامَاتِ الَّتِي * بِهَا نَقُولُ فَاغْفُ لِلْأَدِلَّةِ
وَمَنْ نَفَاهَا مِنْ ذَوِي الضَّلَالِ * فَقَدْ أَتَى فِي ذَاكَ بِالْمُحَالِ
فَإِنَّهَا شَهِيرَةٌ وَلَمْ تَزَلْ * فِي كُلِّ عَصْرِ يَا شَقَا أَهْلَ الزَّلْ

الثاني: المعتزلة ومن إليهم الذين يُنكرون حصول الكرامات بالكلية ولا يؤمنون
بها، وزعموا أن الخوارق لو جاز ظهورها من الأولياء لالتبس النبي بغيره إذ فرق ما
بينهما -عندهم- إنما هو المعجزة، وبنوا على ذلك أنه لا يجوز ظهور خارق إلا
لنبي.

الثالث: من يتكلف ادعائها وفي البحث عنها وهم الصوفيّة حتى إنهم يجعلون ما ليس بكرامة كرامة، بل يجعلون ما هو من خصائص الله وحده كرامة لأوليائهم؛ كقول بعضهم: أن الله عبادًا لو شاءوا من الله ألا يقيم القيامة لما أقامها، وقول بعضهم: إنه يعطى في أي شيء أرادته قول كن فيكون، وقول بعضهم: لا يعزب عن قدرته ممكن كما لا يعزب عن قدرة ربه محال إلى غير ذلك من الضلالات والكفریات، ويثبتونها للفساق والضّلال ومن هذا الباب كتاب "كرامات الأولياء" للنبهاني، و"كرامات الأولياء" لليافعي، فهي كتب فيها الزندقة والإلحاد وفيها المخاريق الباطلة ومنها زعمهم أنّ العيدروس أحيا امرأته عائشة بنت عمر المحضار وأحيا الشاب الذي سرق مزرعته، ويتكلفون ادّعاء الكرامات وربّما أجاعوا أنفسهم وأتعبوها بالسهر وغير ذلك حتى تظهر له كرامة فيما يزعم بل ويجعلون المخاريق التي يقوم بها السحرة والمشعوذون من هذه فتجد أحدهم يسير في البلدان والأوطان وفي يده خنجر ويستغيث بآبن علوان ويطعن نفسه، فيُخِيل للناس أنّه طعن عينه وهو ما طعنها وإنّما هو سحر وشعوذة فهذه ليست من الكرامة في شيء بل هي من أسباب الذلّة والمهانة.



أهمية الاتباع

قال رحمه الله:

فصل

ثم من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنا وظاهرا.

(ثُمَّ) بضم الثاء المثلثة حرف عطف، وبفتحها اسم إشارة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمْرَ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]، وقد اختلفوا فيه: هل يدل على الترتيب أو عدمه؟ والصحيح: أنه لا يفيد، حتى قال الشاعر:

إِنَّ مَنْ سَادْتُمْ سَادَ أَبُوهُ * ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ
فمن طريقة أهل السنة اتباع الآثار اعتقادًا وعملاً وما سُموا أهل الأثر إلا لهذا والمتابعة تكون للنبي ﷺ في كل ما جل ودق وكبر وصغر، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، من أعظم وسائل نصرة الدعوة: قال الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ نُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَوْ نُصِيبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النور: ٦٣].

ومن الفتن العظيمة أنهيار الدعوات والرجوع إلى القهقري.

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ فَلَّازِمُونَ أَمَامُوهُ وَعِزُّوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

ومن أعظم الفلاح هو انتصار وتمكن الدعوة السلفية، فكن كما أراد الله عز وجل
تَمَكَّنَ في الدنيا والآخرة.

قال الجنيد كما قال السيوطي في "الأمر بالاتباع" (٥٣): الطرق كلها مسدودة إلا على المقتفين آثار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمتبعين سنته وطريقته، فإن طرق الخير مفتوحة عليه كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِيَّاكَ وَأَقْوَالَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخَرُوا لَكَ بِالْقَوْلِ)، وقال سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ: (وجدنا الأمر كله في الاتباع) وقال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اتبعوا ولا تبدعوا فقد كُفِيتُم)، ويقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أصحاب الرأي أعداء السنن أعتهم السنن أن يفهموها فقالوا برأيهم)، ومن جعل دينه عرضةً للرأي والخصومات أكثر التنقل. وقال عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ اسْتِلَامِ الْحَجَرِ، فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ. قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ زُحِمْتُ؟ أَرَأَيْتَ إِنْ غُلِبْتُ؟ قَالَ: (اجْعَلْ أَرَأَيْتَ بِالْيَمَنِ، رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ). رواه البخاري (١٦١١).

وسهل بن حنيف يقول: (يا أيها الناس اهتموا رأيكم، لقد رأيتموني يوم أبي جندل لو أستطيع أن أرد أمر النبي ﷺ لرددته)، ومع ذلك كادوا أن يهلكوا بسبب ذلك الأمر لولا أن الله عز وجل من عليهم بمشورة أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على أن النبي ﷺ يخرج ويحلق رأسه وينحر هديه فخرج فتتابع المسلمون على متابعة النبي ﷺ وسبب الضلال الرأي كما في حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (١٠) واللفظ له، ومسلم (٢٦٧٣)، قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَتَّزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»، وفي رواية عند البخاري «فأفتوا برأيهم»، فالرأي بلاء ومرض أصاب كثيرا من الأمة حتى سمو بالرأيين، وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: (عجبت لمن عرف الإسناد وصحته ثم يعمد إلى قول سفيان)، وقال: (لو استطعت أن لا تحكّ ظهرك إلا بأثر فافعل)، ويذكر أنه عند موته جعل يثنّ ثم ترك الأئنين لحديث بلغه عن طاووس أن الأئنين يكتب، وفي فتنه القول بخلق القرآن جعل يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (إيتوني بحديث عن رسول الله أو بآية من كتاب الله حتى أقول به)، ومن أعظم ما يدل على أن الاتباع سبب للاستمرار في الخير، والابتداع سبب للانحراف والضير: ما أخرجه الإمام مسلم (١٧٥٩) من حديث عائشة قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خير وفدك، وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال: لست تاركًا شيئًا كان النبي ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ.

ونقل الإمام الذهبي في "السير" (٨/ ٩٨) عن الإمام مالك ابن أنس قوله: سن رسول الله ﷺ ولولا الأمر بعده سننا لأخذ بها اتباع لكتاب الله واستكمال

بطاعة الله، وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها من اهتدي بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا.

وكان السلف رضوان الله عليهم يرون الاتباع كالجهاد في سبيل الله، قال أبو عبيد القاسم بن سلام كما في "السير" (١٠/٤٩٩): المتبع السنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب بالسيف في سبيل الله.

ومعلوم: أن الضرب بالسيف في سبيل الله **عَزَّوَجَلَّ** من أسباب انتشار الدين واستمرارية عزته، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«وَجُعِلَتِ الدُّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»**.
والأثر يُطلق ويُراد به آثار الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ويُطلق ويراد به آثار الصحابة رضوان الله عليهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

واتباع سبيل السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار.

ومن طريقهم اتباع سبيل السابقين من المهاجرين والأنصار في فهم الكتاب والسنة لقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: **«وَالسَّيْقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ»** [التوبة: ١٠٠]، فسبب رضوان الله على العبد اتباع المهاجرين والأنصار في دين الله الذي بعث به محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وعدم مشاقتهم قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: **«وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»** [النساء: ١١٥].



واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي».

رشدوا بسبب أخذهم بالرشد وهو الكتاب، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قَوْلًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [البجن: ١-٢]، والسنة ففي حديث عدي بن حاتم عند مسلم من يطع الله ورسوله فقد رشد.

وهَدُوا لِأَخْذِهِم بِالْقُرْآنِ وَالسَّنةِ فَإِنَّ الْهُدَىٰ فِيهِمَا وَالضَّلَالُ فِي غَيْرِهِمَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ١-٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].



وقوله: (من بعدي) أي الذين تولّوا أمر المسلمين من بعده ولا يزال الإسلام عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة كلّهم من قريش كما في حديث جابر بن سمرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (١٨٢١)، وهذا الحديث يعتبر قاصمة ظهر للرافضة ومن إليهم فهم يزعمون أنّ زمن بني أمية كان زمن ظلم وبغي وذلة للإسلام والمسلمين والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يُخبر أنّ الإسلام مازال عزيزاً منيعاً في هذه الفترة وفيه بيان أنّ حكام بني أمية يُسمّون خلفاء وإن كانوا ليسوا بالخلفاء الأربعة وحديث سفينة عند أحمد (٢١٩٢٨) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكًا بَعْدَ ذَلِكَ**»، ثُمَّ قَالَ لِي سَفِينَةُ: (أَمْسِكْ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ، وَخِلَافَةَ عُمَرَ، وَخِلَافَةَ عُثْمَانَ، وَأَمْسِكْ خِلَافَةَ عَلِيٍّ)، قَالَ: (فَوَجَدْنَاهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً، ثُمَّ نَظَرْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْخُلَفَاءِ، فَلَمْ أَجِدْهُ يَتَّفِقُ لَهُمْ ثَلَاثُونَ) أنكره ابن العربي وقال: هذا يُخالف ما في الصحيح، وهو حديث جابر بن سمرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** السابق ذكره.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«تَمَسَّكُوا بِهَا».

والتمسك بالكتاب والسنة أجره عظيم، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَآفَقُوا الصَّلَاةَ إِنَّآ لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وقال أبو بكر بن أبي داود **رَحِمَهُ اللَّهُ** في الحائية:

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى ❁ وَلَا تَكُ بِذُعِيٍّ لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ❁ أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجٍ وَتَرْبِيعُ
وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهُوْا بِدِينِهِمْ ❁ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ
فالتمسك بالأثر واجب وحتم لهذه الأدلة وغيرها.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

«وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ».

العَضُّ بالنواجذ وهي الأضراس كناية على شدة التمسك بالسنة لأنك لو مسكت بيدك ربما يفلت الحبل ولو مسكت بأسنانك وثناياك ربما انقلعت لكن النواجذ المسك بها قويٌّ فلهذا قال النبي ﷺ: «تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ» من حديث العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٤٦٠٧) واللفظ له، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢) وأحمد (١٧١٤٤).

وفي هذا بيان لحاجة العبد للتمسك بالسنة والنبي ﷺ يقول: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ» من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٢٦٠). وهذا الحديث من ثلاثيات الترمذي، ولكن للحديث شواهد، منها: قول النبي ﷺ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا» من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٤٦)، ونحوه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

«وَأَيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١).

فكل محدثة في الدين لم يشرعها الله عَزَّ وَجَلَّ ولم يُبَلِّغها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فهي بدعة، قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

(١) صحيح بشواهده: رواه أحمد (١٢٦/٤)، وأبوداود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤١٤٣) وغيرهم عن العرباض بن سارية، وقد تكلمنا على طرق الحديث في تحقيق الأربعين النووية بما يغني عن إعادته هنا - والله الحمد - فراجع إن شئت.

وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِذْ هَمَّ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» [الشورى: ١٣]،
 وقال تعالى: ﴿أَمْرٌ لَهُمْ شُرَكَائُهُمْ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]،
 فكلّ محدثة في الدين بدعة سواء أحدثها هو أو غيره ويدلّ على ذلك قوله
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» من حديث عائشة
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، ولمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ
 أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

وفي الأثر المشهور الذي أخرجه الدارمي في مقدّمة سننه وهو في آخر "مصنّف ابن
 أبي شيبة" أنّ أبا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء إلى باب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال:
 أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قُلْنَا: لَا، بَعْدُ. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا
 إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آفًا أَمْرًا
 أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَر - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - إِلَّا خَيْرًا. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنِّي عَشْتُ فَسْتَرَاهُ. قَالَ:
 رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حَلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي
 أَيْدِيهِمْ حَصَا، فيقول: كَبَرُوا مِائَةً، فيكبرون مِائَةً، فيقول: هَلَّلُوا مِائَةً، فيهللون مِائَةً،
 ويقول: سَبَّحُوا مِائَةً، فيسبحون مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتُمْ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا
 انْتَظَرْتُ رَأْيَكَ أَوْ انْتَظَرْتُ أَمْرَكَ. قَالَ: (أَفَلَا أَمَرْتُهُمْ أَنْ يَعْدُوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا
 يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ)، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلَقَةً مِنْ تِلْكَ الْحَلَقِ، فَوَقَفَ
 عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: (مَا هَذَا الَّذِي أَرَأَيْتُمْ تَصْنَعُونَ؟) قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصَا نَعُدُّ بِهِ
 التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: (فَعْدُوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ
 حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيَحْكُمَ يَا أُمّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكْتُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ، وَآيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ
 لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ). قَالُوا: وَاللَّهِ
 يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: (وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ)، إِنَّ رَسُولَ

الأوّل: أنّ المحدث شرع في الدين ما لم يأذن به الله.

الثالث: فيه طعن في الإسلام وإنه ناقص حتى أحدث هذا المحدث.

وتقسيم البدع إلى حسنة، وسيئة يرده، قول النبي ﷺ: «فَإِنْ كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٍ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» من حديث العرياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٤٦٠٧)، وقوله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وأما قول النبي ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً» من حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٠١٧)، فهذا محمول على من أحيى سنة من السنن التي شرعها الله وشرعها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ الْحَدِيثَ قَالَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي شَأْنِ ذَلِكَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَتَتَابِعَ النَّاسُ، وَالسُّنَّةُ الْحَسَنَةُ هِيَ طَرِيقَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَالسُّنَّةُ السَّيِّئَةُ هِيَ مَا أَحْدَثَهَا غَيْرُهُ وَأَمَّا قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نِعْمَةُ الْبَدْعَةِ) فالمراد بها البدعة اللغوية كما قال أهل العلم ومع ذلك مازال كثير من أهل العلم يرون أَنَّ الصَّلَاةَ فِي الْبَيْتِ أَفْضَلُ بَلْ هُوَ قَوْلُ جَمَاهِيرِهِمْ عِنْدَ التَّحْقِيقِ وَالرَّسُولِ ﷺ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ لَمَّا كَانَ مَعْتَكِفًا وَصَلَّى النَّاسُ خَلْفَهُ فَمَنْ تَأَسَّى بِالنَّبِيِّ ﷺ فَلَا يُنْكِرُ عَلَيْهِ وَلَا



يُبدع لأن الصلاة في المسجد عبادة لها أصل، أمّا من أحدث حدثاً لم يكن عليه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ولم يكن عليه أصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** فهنا تقع البدعة فالبدعة هي الدين الذي لم يأذن الله به.

قال رحمه الله:

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

لقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وقال **نَسَائِي**: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، فأصدق الكلام كلام الله، قال الله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقال **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدَل لِكَلِمَتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥]، صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿مَنْ نَزَلَ مِنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ﴾ من حديث خولة بنت حكيم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** عند مسلم (٢٧٠٨).

وجاء عن أبي هريرة عنده (٢٧٠٩)، وهذا الاعتقاد مؤداه إلى الإيمان بما دلّ عليه كلام الله وكلام رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ لأنّه يجب قبوله، ولا يردّ هذا الخبر إلّا من سفه نفسه فكون الله **عَزَّجَلَّ** يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، يجب علينا الإيمان باستواء الله على عرشه على ما يليق بجلاله لأنّ الذي أخبر بهذا هو الله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، وهو أصدق قِيلاً وأحسن حديثاً، وكذا والإيمان بأنّ الله ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل يجب الإيمان به لأنّ المتكلّم به رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهو أصدق الخلق لساناً وأفصحهم بياناً وأعلمهم برّبّه وأنصحهم للأمة وخير الهدي هدي محمّد رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهذا هو الذي

دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُسْلِمٍ (٨٦٧)، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ»، وَفِي رَوَايَةٍ (فَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ)، فَطَرِيقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ طَرِيقَةُ رُشْدٍ مَعَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَمَعَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَعَ الْعِلْمِ وَفِي جَمِيعِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَهَنِيئًا لِمَنْ حَقَّقَ طَرِيقَهُمْ وَسَارَ عَلَى سِيرِهِمْ.



تقديم أهل السنة للدليل على غيره

قال رحمه الله:

وَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى كَلَامِ غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ.

لأنّ كلام الله **عَزَّوَجَلَّ** أصدق الكلام، وأحسن الكلام وأوضح البيان، قال الله تعالى:

﴿حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾ [الزخرف: ١-٣]، وقال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ وَتُرْ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وقال **تعالى**: ﴿حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝﴾ [الجاثية: ١-٢]، فهو كتاب عظيم، المتكلم به هو العالم العليم بكل شيء لا تخفى عليه خافية **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وهو أصدق قيلاً وأحسن حديثاً فكيف لا يكون كلامه هو المقدم وهو المأخوذ به، قال الله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، بينما الناس يصبون ويخطئون ويعلمون ويجهلون ووحى الله **عَزَّوَجَلَّ** لا يأتيه الباطل لأنه تنزيل من موصوف بصفة الحكمة الذي لا يمكن أن يضع الشيء في غير موضعه، قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وتنزيل من حميد المتصف بالمحامد العظيمة والصفات الجليلة فكلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأن المتكلم به والمنزل له حكيم حميد ومع ذلك يدخل في قوله حميد العلم والقدرة والإرادة وجميع صفات الكمال لله **عَزَّوَجَلَّ** والناس تتفاوت مداركهم وتختلف أفكارهم ولهذا قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، أي اضطراباً وتفاوتاً وتبايناً، لكن كلام الله ليس فيه اختلافاً وما ظنّه المبتدعة اختلاف كالمعتزلة والجهمية ومن إليهم من الممثلة والأشاعرة والجبرية والقدرية إنّما هو لسوء معتقداتهم ولتعمق جهلهم وإلّا فعلماء السنة يعلمون أنّ كلام الله لا يناقض بعضه

بعضاً ولهذا ألف الإمام الشنقيطي **رَحِمَهُ اللَّهُ** كتاب "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"، وبابه الجمع بين الآيات التي يُظنُّ أنَّ بينها اختلافاً أو تضارباً فُيِّسَ مراد الله أو مراد رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ولهذا قال ابن خزيمة **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (لا أُوتى بحديثين صحيحين ظاهرهما التعارض إلَّا جمعت بينهما)، فالفقيه إذا نظر إلى قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ»** من حديث أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٣٤٣).

وحديث: (إِنَّمَا كَانَ الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ رُحْصَةً فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ نُهِيَ عَنْهَا) من حديث أبي بن كعب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند الترمذي (١١٠) و(١١١)، فيقال: ليس بينهما تناقض وإنما هذا متأخر وهو ناسخ للمتقدم ويقول المبتدع في قوله تعالى: **﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾** [الحديد: ٤]، وقوله: **﴿أَلَمْ تُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾** [الملك: ١٦]، هذه الآيات متضاربات مختلفات فيقول أهل السنة ليس بينهما اختلافاً ولا اضطراباً بل نُثبت لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** العلو كما يليق بجلاله ونُثبت له معية تليق بجلاله على ما تقدّم بيانه فهو معنا وهو على عرشه بائن من خلقه معنا بعلمه وقهره وسلطانه وغير ذلك من خصائص ربوبيته **عَزَّ وَجَلَّ** ومن ذلك ما زعمته الزنادقة، فقالوا في القرآن: **﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾** [الرحمن: ١٧]، **﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾** [الشعراء: ٢٨]، **﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾** [المعارج: ٤٠]، وهذا تناقض واختلاف فُيِّسَ لهم الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ** كما في كتابه الرد على الجهمية أن لا تناقض ولا اختلاف، **﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾** المشرق الذي تطلع منه الشمس والمغرب الذي تغرب فيه الشمس، و**﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾** مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغرب الصيف ومغرب الشتاء، وقوله: **﴿فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾** المراد بها منازل الشمس والقمر، كل يوم يطلع من منزلة ويغرب من منزلة وقالوا أنتم تُثبتون لله يداً أم يدين أم تُثبتون لله أيادي في قول الله

عَزَّجَلَّ: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١]؟ فكان جوب أهل السنة أن لا تناقض بل اعتقادهم وكلامهم على مقتضى لغة العرب فإنك عند إن قلت يد فلان وتضيفها تشمل جميع ما يتصف به وإذا جمعت يأتي على التعظيم والله **عَزَّجَلَّ** يُعْظَم نفسه وفي قولهم إن أقل الجمع اثنان فيكون على ظاهرها، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ذكر ما ثبت لله من صفة اليدين وهكذا في جميع ما يظنه المبتدعة تناقضاً، قال الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، قالوا فيها نفى الرؤية وهذا يتعارض مع قول الله **عَزَّجَلَّ:** ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، فقال لهم أهل السنة بل آية الأنعام موافقة ودالة دلالة صريحة على ما تضمنته آية القيامة وذلك لأن الإدراك رؤية وزيادة فالله **عَزَّجَلَّ** يرى ولا يدرك وعندنا قاعدة أن الصفات السلبية لا بد أن تتضمن كمال الضد فقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ يثبت به الرؤية ويُنفى به الإدراك على ما تقدم بيانه، هذه أمثلة نسوقها لكم وإلا فإن المبتدعة يأخذون بمتشابه القرآن ولهذا قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ» من حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** عند البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥).

والمبتدعة يتمسكون بالقرآن أكثر من تمسكهم بالسنة لأن السنة مبينة للقرآن وقاضية عليه كما قال يحيى بن أبي كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** وإن كان الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ** تخرج من قوله (وقاضية عليه) لكن معنى قاضية أي مبينة موضحة مجلية ولهذا قال عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** (أصحاب الرأي أعداء السنن)؛ لأن السنن أعيتهم وثقلت عليهم فذهبوا يأخذون بمتشابه القرآن والقرآن قد وُصف أنه بكله متشابه كما قال الله **عَزَّجَلَّ:** ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، ووصف أنه كله محكم قال الله

تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ﴾ [هود:١]، ووصف بأنّ منه المحكم والمتشابه قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران:٧]، فالتشابه في سورة الزمر يُراد به تشابه ألفاظه وسياقه وأحكامه وقصصه وبيانه والإحكام في سورة هود يريد به الاتقان والبيان والإحكام في سورة آل عمران يراد به البين الواضح المحكم النصّ والمتشابه يراد به المشكل فأهل البدع يذهبون إلى ما يظنونونه مشكلاً من آيات الكتاب ويجعلونه دينهم والله عزَّوجلَّ قد حذّرنا من هذا الصنف قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَعَجٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]، أي: ما يعلم حقيقة هذه الصفات إلا الله والكلام على هذا الباب يطول وإلا فالآيات التي يحتجّ بها المبطلون على فساد مذهبهم كثيرة جداً مثل قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَنِ﴾ [الأعراف:١٤٣] يُقدّمونها على قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، ومثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، قالوا القرآن شيء فهو مخلوق **وقال تعالى:** ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف:٣]، فقالوا (جعل) بمعنى خلق وقد تقدّم الجواب عنها جميعاً فكلّ آية يستدلّ بها المبتدعة هي ردٌّ عليهم وفيها بيان لضلالهم، فالضرر الذي يقع على المبتدعة بسبب سوء فهمهم للقرآن لا بسبب القرآن فالقرآن حقٌّ لا باطل فيه ونور لا ظلام فيه وهدى لا ضلال فيه وصدق لا كذب فيه لكن الخلل يقع من فساد معتقد المبتدعة قاتلهم الله أن يؤفكون.

قال رحمه الله:

وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ.

لأنّ هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصله القرآن ولما سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خُلُقِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فإن خلق نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان القرآن. مسلم

(٧٤٦)، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا فَرَبَّمَا تَحْضُرُ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيَكْنُسُ ثُمَّ يُنْصَحُ ثُمَّ يَوْمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا وَكَانَ بَسَاطُهُمْ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ. متفق عليه. وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الذَّاهِبِ وَلَا بِالْقَصِيرِ. متفق عليه. وَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرَى الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. متفق عليه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وقال الله تعالى في وصف نبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وكيف لا يكون عظيمًا وهو يتأول القرآن في خروجه ودخوله وفي جميع لحظاته وسكناته، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» يتأول القرآن. رواه البخاري (٨١٧) ومسلم (٤٨٤)، أي يعمل بالقرآن فهدي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أفضل الهدى وأكمل الهدى قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا يَطُّقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، فكلامه وحى من الله عَزَّ وَجَلَّ وفعله ناتج عن الوحي من الله عَزَّ وَجَلَّ واعتقاده كذلك ولهذا كان يقول في خطبه: «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ» من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٨٦٧)، ولأن الله عَزَّ وَجَلَّ أمر بذلك ف **قَالَ نَبِيُّ:** «اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» [الأعراف: ٣]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [آل عمران: ٣١]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [النساء: ٦٥]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا

قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿الأحزاب: ٣٦﴾.

قال رحمه الله:

وبهذا سُمُّوا أهل الكتاب والسنة، وسُمُّوا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي:
الاجتماع.

وسُمُّوا بأهل الكتاب لأخذهم بكتاب الله وبدلالته الحقّة وسُمُّوا أهل السنة لأخذهم بطريقة رسول الله ﷺ فأسماء أهل السنة ناتجة عن أفعالهم وعن معتقداتهم فأسمائهم أعلام وأوصاف، وسُمُّوا بالجماعة لاجتماعهم على الحقّ، والسلف لتعظيمهم منهج السلف، وأهل الأثر لجعل الآثار هي المصباح الذي يسيرون خلفه، وأهل الحديث لتعظيمهم حديث النبي ﷺ حتى قال الخواص:

وَوَهَى حَبْلُهُمْ ثُمَّ انْقَطَعَ	❖	ذَهَبَتْ دَوْلَةُ أَصْحَابِ الْبَدْعِ
وَتَدَاعَى بِانْصِرَامِ جَمْعُهُمْ	❖	جَمْعُ إِبْلِيسَ الَّذِي كَانَ جَمْعَ
هَلْ لَهُمْ يَاقَوْمٍ فِي بَدْعَتِهِمْ	❖	مِنْ فَقِيهِ أَوْ إِمَامٍ يُتَّبَعُ
مِثْلُ سُفْيَانَ أَخِي ثَوْرٍ الَّذِي	❖	عَلَّمَ النَّاسَ دَقِيقَاتِ الْوَرَعِ
أَوْ سُلَيْمَانَ أَخِي التَّيْمِ الَّذِي	❖	تَرَكَ النَّوْمَ لَهُوْلِ الْمُطْلَعِ
أَوْ قَتَى الْإِسْلَامِ أَغْنَى أَحْمَدًا	❖	ذَاكَ لَوْ قَارَعَهُ الْقُرَا قَرَعُ
لَمْ يَخَفْ سَوْطَهُمْ إِذْ خَوْفُوا	❖	لَا وَلَا سَيْفَهُمْ حِينَ لَمَعُ

قال رحمه الله:

وَصِدْهَا الْفُرْقَةُ.

أي ضدَّ السَّنة الفرقة بضمَّ الفاء من الافتراق والاختلاف، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، والفرقة ضلالة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]، وحذَّر منها بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝﴾ [الروم: ٣١-٣٢]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ» من حديث أنس رضي الله عنه عند ابن ماجه (٣٩٥٠).

ولهذا بين النبي صلى الله عليه وسلم أسباب ضلال هذه الأمة، ومنها ما تقدم. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَتَبْعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ» قلنا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟» رواه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩).

قال النووي رحمه الله: السنن بفتح السين والنون وهو الطريق والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر. اهـ

وفي البخاري (٧٣١٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ» فقيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَّارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: «وَمَنْ النَّاسُ إِلَّا أَوْلَئِكَ؟!».

قال محمد بن الحسن الآجري رحمه الله في "الشریعة" بعد رقم (٣٥): من تصفح أمر هذه الأمة من عالم عاقل، علم أن أكثرهم والعام منهم تجري أمورهم على سنن

أهل الكتابين، كما قال النبي ﷺ، أو على سنن كسرى وقيصر، أو على سنن الجاهلية، وذلك مثل السلطنة وأحكامهم في العمال والأمراء وغيرهم، وأمر المصائب والأفراح والمساكن واللباس والحلية، والأكل والشرب والولائم، والمراكب والخدام والمجالس والمجالسة، والبيع والشراء، والمكاسب من جهات كثيرة، وأشبه لما ذكرت يطول شرحها، تجري بينهم على خلاف السنة والكتاب، وإنما تجري بينهم على سنن من قبلنا، كما قال النبي ﷺ. والله المستعان.

ما أقل من يتخلص من البلاء الذي قد عم الناس، وأن يميز هذا: إلا عاقل عالم قد أدبه العلم. اهـ

أقول: هذا في زمنه رَحِمَهُ اللَّهُ، فكيف لو رأى حال الناس في هذه الأعصار وفي كثير من الأمصار، وقد تسلط الكفار، وقويت شوكتهم، فقلدهم الناس في الملبس والمأكَل والمشرب وأمور الدول والجيش والأعاب، فالله المستعان من غربة الزمان، ومع ذلك لن يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً يحفظه الله عَزَّوَجَلَّ إنجازاً لوعده بالطائفة المنصورة والفرقة الناجية.

ومن أسباب الوقوع في الضلال أيضاً اتباع المتشابه من الأدلة لغرض رد الكتاب والسنة بدعوى التعارض، وقد حذرنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ من هذا الصنف كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاخْذَرُوهُمْ» رواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

وقد ضل المبتدعة في باب الأسماء والصفات، وباب الإيمان باليوم الآخر من هذا الباب، حيث زعموا أن أدلته من باب المتشابه الذي لا يعمل إلا الله **عَزَّوَجَلَّ** والصحيح من الأقوال أن آيات وأحاديث الصفات من باب المحكم البين الواضح. ومن أسباب الضلال والانحراف عن طريق أهل الحق وعن سبيل السلف: الجدل بالباطل، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿مَا يُجَدِّلُ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٢٥]، وفي حديث أبي أمامة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾. أخرجه الترمذي (٣٢٥٣).

ويدخل في هذا الاختلاف في الكتاب والتخاصم بالباطل، ففي مسلم (٢٦٦٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: هَجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَوْمًا، قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَاكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ».

قال النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: المراد بهلاك مَنْ قَبْلَنَا هُنَا هَلَكَهُمْ فِي الدِّينِ بِكُفْرِهِمْ، وَائْتِدَاعِهِمْ، فَحَذَّرَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مِنْ مِثْلِ فِعْلِهِمْ. اهـ

ومنها: الغلو في الدين، فإنه سبب للهلاك والانحراف عن طريق السلف وطريق الاستقامة إلى طريق الخلف، ففي مسلم (٢٦٧٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «هَلَاكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا.

قال النووي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: قَوْلُهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (هَلَاكَ الْمُتَنَطِّعُونَ) أَيُّ: الْمُتَعَمِّقُونَ الْغَالُونَ الْمُجَاوِزُونَ الْحُدُودَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ. اهـ

والأدلة في النهي عن الغلو كثيرة؛ لما فيه من الهلكة على صاحبه لانقطاعه بعد ذلك، وعلى غيره لأنه سبب لتنفيرهم وصددهم عن الخير. والغلو يكون بالتفريط

والإفراط، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]، وأهل الكتاب يشمل اليهود والنصارى، وكلهم غلا في عيسى **عَلَيْهِ السَّلَام**، فالنصارى ألَّهوه، واليهود اتهموه أنه ولد زنا، والله المستعان.

ومن أسباب الهلكة: الفتور عن السنة وعن الطريقة السلفية، ففي حديث عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لِكُلِّ عَمَلٍ شَرَّةٌ، وَلِكُلِّ شَرَّةٍ فِتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ» رواه الترمذي (٢٤٥٣)، وأحمد (٢/٢١٠) واللفظ له.

ومن أسبابها: علماء السوء وأصحاب الرأي والأقيسة الفاسدة، ففي البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» وفي رواية للبخاري (٧٣٠٧): «يفتون برأيهم».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين.

الجماعة: هي جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون ومن سار على سيرهم إلى يوم الدين.

وسموا بالجماعة لاجتماعهم على الخير والصلاح، والهدى والفلاح، المتمثل في أخذ الكتاب والسنة على فهم صفوة الأمة، ومن سار على سيرهم من الأئمة.

وقد أمر ربنا **عَزَّجَلَّ** بلزوم الجماعة، ونهى عن الفرقة، فقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الزينة: ٢١].



فَرَفُّوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٦﴾ [الروم: ٣٦-٣٢]، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وحدث رسول الله ﷺ على الجماعة؛ لما فيها من نصرة الدين وظهور الحق المبين، ففي حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الآجري في "الشرعة" (٦)، و"السنة" لابن أبي عاصم ص (٨٨)، وأحمد (١/ ١٨) أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بِحُبُوحَةِ الْجَنَّةِ فَلْيُزِمِ الْجَمَاعَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ».

وبحبوحة الجنة: وسطها كما في "النهاية".

وفي حديث الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٨٦٣)، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِخَمْسِ اللَّهِ أَمْرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهَجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ. وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «وَأِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ: الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ».

ولما كانت الجماعة في الأهمية بمكان قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» أخرجه مسلم (١٨٤٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وتكمن أهمية الجماعة في كونها محفوظة من الاجتماع على الخطأ بعصمة الكتاب والسنة، قال أبو مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة. أخرجه ابن أبي عاصم (٨٥). وجاء مرفوعاً عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخرجه الحاكم (١/ ١١٦).

والجماعة: هي الإسلام الحق، والسنة تدل على ذلك.

أخرج أحمد (٣/ ٣٩٧) وغيره عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرَخَّاءٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَتَفَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ! لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلْجُهُ. وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالدَّاعِي فَوْقَ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ».

وقال عبدالله بن مسعود كما في "الشریعة" رقم (١٦): (إن هذا الصراط محتضر يحضره الشياطين، ينادون، يا عبدالله هلم هذا الصراط، ليصدوا عن سبيل الله تعالى، فاعتصموا بحبل الله تبارك وتعالى. فإن حبل الله عَزَّ وَجَلَّ هو كتاب الله جَلَّ وَعَلَا). ولا معرفة للصراط الحق إلا بالعلم النافع الذي هو علم الكتاب والسنة على ما قرره علماء الأمة.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي: والعلم هو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

وقد بين رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الخيرة في هذا العلم، ففي الصحيحين البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

وأخرج الآجري رقم (١٩) عن أبي العالية قوله: (تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرفوا عن الصراط يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسنة نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذي عليه أصحابه، فإننا قد قرأنا

القرآن من قبل أن يفعلوا الذي فعلوه خمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء. فحدثت به الحسن فقال: صدق ونصح. وحدثت به حفصة بنت سيرين، فقالت: أحدثت بهذا محمداً؟ قلت: لا. قالت: فحدثه إذاً). فالواجب على المسلمين الاعتصام بالكتاب والسنة، ولن يتم ذلك إلا بالبعد عن الافتراق والبدعة وملازمة الاتباع.

قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿تَتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، **وَقَالَ هَاقِي**: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣] لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة. هكذا فسرها السلف.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

[والإجماع]^(١) هو الأصل الثالث الذي يُعْتَمَدُ عليه في العلم والدين، وهم يَزِنُون هذه الأصول الثلاثة، جميع ما عليه الناس، من أقوال وأعمال، باطنة أو ظاهرة مما له تَعَلُّقٌ بالدين.

الأدلة عند أهل السنة ثلاثة:

الكتاب، والسنة، والإجماع؛ يدل عليه قول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وهذه الآية استدلل الإمام الشافعي **رَحِمَهُ اللَّهُ** وغيره من أهل العلم على أن إجماع الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** حجة.

ومما يُستدل به حديث العرباض بن سارية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أبي داود (٤٦٠٧)، الترمذي (٢٦٧٦)، ابن ماجه (٤٢): قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ**»، فإذا أجمعوا على

(١) في (ظ) و(م): [والاجتماع]، ولعل ما أثبتناه أصوب.

أمر وجب الأخذ به وإنك لتعجب من بعض من لم يُحقق العلم حين تستدلّ عليه بقول صحابي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فيقول لك ليس بحجة، تقول ليس بحجة إذا خالف الكتاب والسنة أما إذا لم تجد في المسألة إلا قول الصحابي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فربما كان عن اجتهاد أو أنه أخذه من عموم نصوص الشرع فلا ينبغي أن يهمل ولهذا تجد ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** وغيره من أهل العلم يُقدّمون قول أبي بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** على قول عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كما أنّهم يُقدّمون قول عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** على قول عثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أما إذا وُجد الدليل فالحجة بالدليل فنكون في حقّ الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وسط، نستفيد من فهمهم ومن علمهم ومن طريقتهم، فالقرآن نزل بلغتهم وعانوا أسباب نزوله وتلقّوه من النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** غصّاً طريّاً.

ومن أدلة الإجماع قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**إِنْ أُمِّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ**» من حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند ابن ماجه (٣٩٥٠). ومنه حديث عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «**فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بُخْبُوحَةَ الْجَنَّةِ، فَلْيَلْزِمُ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ**» رواه أحمد (١٧٧). وأدلة ساقها أهل العلم وإنّما ما ينكر حجّة الإجماع الرافضة والشيعة ومن إليهم، وما نُقل أنّ الشيخ مقبل **رَحِمَهُ اللَّهُ** كان لا يرى حجّة الإجماع فليس كما نُقل وإنّما كان الشيخ مقبل **رَحِمَهُ اللَّهُ** لا يحتجّ بالإجماعات غير الثابتة، ربّما تجد النووي ينقل الإجماع والباقي وابن عبد البرّ والمسألة خلافية بين أهل العلم فمثل هذه الإجماعات ليست بحجة وإنّما الحجّة الإجماع المتيقّن الذي لا يجوز خلافه ولهذا قال الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (من أعيته الأمور ادّعى الإجماع)، والإجماع المتيقّن هو الإجماع الذي يكون على نصّ ولا يمكن أن يوجد إجماع خلاف النصّ وقد بيّنت هذه المسألة في كتابي "فتح المجيد في القول الراجح في خطبة العيد"، وحتى في كتب الإجماع مثل الإجماع لابن قطن، والإجماع لابن المنذر،

ينقلون الإجماع في بعض المسائل ثم يقولون خالف الحسن، الحسن خلافه معتبر، فالحجة هو الكتاب والسنة والإجماع المنضبط وهو الإجماع الذي يقوم على النصوص الشرعية.

وهل تُثبت الصفات بالإجماع؟ نقل ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ الإجماع على ذلك، وكذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ويعنون بالإجماع الإجماع المتيقن الذي يقوم على النصّ لكن قد يكون النصّ خفي علينا ووجده أسلافنا ولهذا استدلّ شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ على إثبات صفة السكوت لله عَزَّجَلَّ بالإجماع على ذلك.

وأما القياس فقد اختلف العلماء فيه هل هو من الأدلة أم لا؟ والصحيح أنّه ليس من الأدلة الشرعية وهذا هو ما تطمئنّ له النفس ثمّ ما ذهب إليه أصحاب القياس من الاستدلال بأحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أنّه قاس استدلال فيه نظر، وإنّما العمل بالعمومات مثل قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** [الزّلة: ٧-٨]»، عندما سئل عن الحُمْر، قال: «**مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَازَةُ**» رواه البخاري (٢٣٧١) ومسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهذا استدلال بعموم والحُمْر داخلة تحت هذا العموم. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدُ! فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**مَا أَلَوْنَهَا؟**» قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «**هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْزَقٍ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَأَتَى ذَلِكَ؟**» قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: «**فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ**» رواه البخاري (٥٣٠٥) ومسلم (١٥٠٠).

فهذا ليس بقياس وإنّما هذا مثل ضربه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تكلم الإمام ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب (الصادع) على القياس وأبطله وهكذا الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ كان يقول: (القياس ليس بحجة ولا بأس للعالم المتمكّن أن يقيس ولا يلزم غيره به)،



لكن نقول بدل كلمة القياس نقول العمل بعموم الأدلة فإن أدلة القرآن والسنة منها العام الذي تدخل تحته أفراد كثيرة، فمثلاً الذي يذهب إلى إباحة بعض الحيوان من أصحاب القياس يستدلّ بالقياس فيقول كذا حلال قياساً على الضبع أو كذا حلال قياساً على الحمر الوحشية أو قياس على الدجاج، يأتي الذي ما يرى القياس ويقول: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [البقرة: ١٣]، فالحجة عموم الآية والمحرم ما حرّمه الله بأدلة أخرى أو ما حرّمه الرسول ﷺ بأدلة أخرى وليس هذا بسط هذه المسألة وإنما باب بسطها كتب الأصول لكن هذه إشارة وبعضهم يرى مشروعية الاستصحاب والبراءة الأصلية وغير ذلك لكن الأدلة عند أهل السنة الكتاب والسنة والإجماع، هذه هي الأدلة المجمع عليها والمنضبطة.

قال رحمه الله:

[والإجماع^(١)] الذي يَنْضَبُطُ هو: ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثرة الاختلاف، وانتشرت الأمة^(٢).

أي إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أماً بعد ذلك حصل الاختلاف وتفرّق الناس في البلدان والشعوب فربما يدّعي الإجماع ولا إجماع.



(١) في (ظ) و(م): [والاجتماع]، ولعل ما أثبتناه أصوب.

(٢) في المطبوع: [وانتشرت في الأمة]، والمثبت أولى لأن فيه زيادة في المعنى.

من أصول أهل السنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال رَحِمَهُ اللهُ:

فصل

ثم هُم مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ: يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ. ^(١)

قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ عَزَّجَلَّ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ قَالَ: هُم الَّذِينَ هَاجَرُوا مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الْمَدِينَةِ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٤٦٣).

وذهب السندي رَحِمَهُ اللهُ إِلَى أَنَّهَا لَا تَنْزِلُ إِلَّا عَلَيْهِمْ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ دِيَارِهِ وَمِنْ وَطَنِهِ وَيُحَقِّقَ الْجِهَادَ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَاللِّسَانِ إِلَّا هُمْ وَمَا بَعْدَهُمْ تَابِعَ لَهُمْ وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْآيَةَ عَلَى عَمُومِهَا وَالْمُهَاجِرُونَ يَدْخُلُونَ فِيهَا دَخُولًا أَوَّلِيًّا وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. وَقَالَ عَزَّجَلَّ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) وأدلة هذه معروفة مشهورة مبثوثة في الكتاب والسنة.

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤]، وهذه الآية نزلت في قوم ممن أسلم من أهل الكتاب ومعلوم ما حل بأصحاب السبت ولم ينج منهم إلا الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذَرَةً إِلَى رَبِّكُمُ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١١٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤-١٦٥].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باع نفسه من الله، ووعد بالحسنى، فنهيتاً له **قَالَ النَّبِيُّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٣﴾ التَّائِبُونَ الْعَمِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْخَافِضُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤].**

والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: **«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»** من حديث أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند مسلم (٤٩).

وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ فِي حَقِّ إِذَا رَأَاهُ، أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ»** من حديث أبي سعيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أحمد (١١٠١٧).

وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَكُونَ فِيمَا يُسْأَلُ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُنْكَرَ الْمُنْكَرَ إِذْ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: فَمَنْ لَقِنَهُ اللَّهُ حُجَّتَهُ قَالَ: رَبِّ رَجَوْتُكَ،**



وَحَفَّتِ النَّاسُ» من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (١١٢١٤)، فعسى أن يُعذر هذا ومراتب الأمر بالمعروف ثلاثة على ما تَضَمَّنَهُ حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

المرتبة الأولى: الإنكار باليد وهو أعظم أنواع الإنكار.

المرتبة الثانية: الإنكار باللسان.

المرتبة الثالثة: الإنكار بالقلب.

ولا بدّ من ضوابط للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنّ بعض الناس قد يُغيّر المنكر فيجلب لنفسه ولغيره ما هو أنكر منه فيقولون إن كان المنكر يُغيّر أو يُزال بالكلية فهذا واجب، وإن أزاله بما هو دونه أيضًا واجب وإن أزاله بما هو مثله فلا مصلحة وأن يُزال بأشدّ منه فهذا حرام حتى قال بعضهم:

وَمَنْ أزالَ مُنْكَرًا بِأَنْكَرٍ ❁ كَغَاسِلِ الْحَيْضِ بِبَوْلٍ أَغْبَرَا

وقد تكلم الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ على هذه المرتبة عند الحديث المذكور وذكرنا قوله وقول غيره في كتابنا (الوسائل الجليّة في نصرة الدعوة السلفيّة) فأهل السنّة يُحقّقون هذا الباب، يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر، والمعروف كلّ ما وافق الكتاب والسنّة فيدخل فيه ابتداءً التوحيد وما دونه إلى أن تصل إلى إزالة الأذى عن الطريق، والمنكر كلّ ما خالف الكتاب والسنّة فأعمقه الشرك إلى أن يصل إلى ما دونه ومنها النخامة في المسجد وكلّ معروف صدقة.



قول أهل السنة في إقامة الحجّ والجهاد والجمع والأعياد

قال رحمه الله:

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالْجُمُعِ، وَالْأَعْيَادِ مَعَ الْأَمْراءِ، أُبْرَارًا كَانُوا أَوْ فَجَارًا،^(١) وَيَحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ.

في هذا ردّ على الخوارج والروافض والمعتزلة ومن نحى نحوهم ممّن يقول لا جهاد ولا حجّ ولا عمرة ولا عيد إلّا مع الأئمة الأبرار وما زال الرافضة إلى زمن قريب لا يُجمعون ولا يُعيّدون حتى جاءهم الحُميني بدعة ولاية الفقيه، ويزعم أنّ الفقيه مفوض من المهدي فصاروا يعملون نوع من الجمع والأعياد بإذن الفقيه، وفي اعتقادهم أنه لا يجوز جمعة ولا جماعة ولا عيد إلّا مع الإمام المعصوم وهذا الإمام ما زال في السرداب فلا يُعيّدون مع المسلمين وحتى الحجّ فعندهم زيارة للمشاهد فقط وأهل السنة عندهم الحجّ والجهاد والجمعة والأعياد ماضية مع كلّ إمام كان برًّا أو فاجرًا.

(١) يدل عليه حديث أبي هريرة في البخاري (٦٩٤) عن النبي ﷺ قال: «يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»، وبوب البخاري: باب إِمَامَةِ الْمُفْتُونِ وَالْمُبْتَدِعِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: صَلَّى وَعَلَيْهِ بِدْعَتُهُ. ثم ذكر بسنده (٦٩٥) عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ خِيَارٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَهُوَ مُحْصُورٌ، فَقَالَ: إِنَّكَ إِمَامٌ عَامَّةٌ، وَنَزَلَ بِكَ مَا تَرَى، وَيُصَلِّي لَنَا إِمَامٌ فِتْنَةٌ وَنَتَحَرَّجُ؟! فَقَالَ: الصَّلَاةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ فَأَحْسَنَ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ. وانظر لهذه المسألة "مجموع الفتاوى" (٣/٣٥٢-٣٥٣) و"شرح الطحاوية" لابن أبي العز (ص ٣٧٣-٣٧٧).

وأما حديث «صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ» فلم يثبت عن النبي ﷺ جزم به شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" (٣/٣٥٨) وانظر: "الإرواء" للعلامة الألباني (٥٢٧).

قال النبي ﷺ: «يُصَلُّونَ لَكُمْ فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٩٤). وقال النبي ﷺ لأبي ذر: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمْرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا أَوْ يُمَيِّتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟» قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «صَلِّ الصَّلَاةَ لَوْ قَتَلَهَا فَإِنْ أَذْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ» من حديث أبي ذر عند مسلم (٦٤٨).

وعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ خِيَارٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مَحْضُورٌ فَقَالَ: إِنَّكَ إِمَامٌ عَامَّةٍ وَنَزَلَ بِكَ مَا نَرَى، وَيُصَلِّي لَنَا إِمَامٌ فِتْنَةٌ وَنَتَحَرَّجُ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ فَأَحْسِنَ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ. أخرجه البخاري (٦٩٥).

ولهذا كان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يرى الجمعة والعيد والجماعة خلف أئمة الجهمية حتى لا تُضَيِّع الشعيرة وتُعاد الصلاة لأنه يعتقد أنهم من أهل الردة، وقال أحمد بن الدورقي سمعت زهير بن البابي يقول إذا تيقنت أنه جهمي أعدت الصلاة خلفه الجمعة وغيرها، أخرجه عبد الله في السنة.

ومن عقيدة أهل السنة: أن ترك الصلاة خلف المبتدع بدعة، إذا لم يوجد إلا مسجد بدعة، فالسلف قد صلوا خلف الحجاج، صلى خلفه أنس بن مالك وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهم أحرص الناس على الخير وإنما إذا وُجد مسجد سنة ومسجد بدعة يُقَدِّم مسجد السنة. قال ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" (٣٧٤): اعلم -رحمك الله وإيانا- أنه يجوز للرجل أن يصلي خلف من لم يعلم منه بدعة ولا فسقا، باتفاق الأئمة، وليس من شرط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه، ولا أن يمتحنه، فيقول: ماذا تعتقد؟! بل يصلي خلف المستور الحال، ولو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته، أو فاسق ظاهر الفسق، وهو الإمام الراتب الذي لا يمكنه الصلاة إلا خلفه، كإمام الجمعة والعيد، والإمام في صلاة الحج بعرفة،

ونحو ذلك؛ فإن المأموم يصلي خلفه، عند عامة السلف والخلف، ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر، فهو مبتدع عند أكثر العلماء. والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها، فإن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون، كما كان عبدالله بن عمر يصلي خلف الحجاج بن يوسف.

وكذلك أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان يشرب الخمر، حتى إنه صلى بهم الصبح مرة أربعاً، ثم قال: أزيدكم؟! فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة!!

وفي صحيح البخاري (٦٩٥): أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما حصر صلى بالناس شخص، فسأل سائل عثمان: إنك إمام عامة، وهذا الذي صلى بالناس إمام فتنة؟ فقال: يا ابن أخي، إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم، والفاسق والمبتدع صلاته في نفسها صحيحة، فإذا صلى المأموم خلفه لم تبطل صلاته، لكن إنما كره من كره الصلاة خلفه؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب.

ومن ذلك: أن من أظهر بدعة وفجوراً لا يرتب إماماً للمسلمين، فإنه يستحق التعزير حتى يتوب، فإذا أمكن هجره حتى يتوب كان حسناً، وإذا كان بعض الناس إذا ترك الصلاة خلفه وصلى خلف غيره أثر ذلك في إنكار المنكر حتى يتوب أو يعزل أو ينتهي الناس عن مثل ذنبه - فمثل هذا إذا ترك الصلاة خلفه كان في ذلك مصلحة شرعية، ولم تفت المأموم الجمعة ولا الجماعة.

وأما إذا كان ترك الصلاة خلفه يفوت المأموم الجمعة والجماعة، فهذا لا يترك الصلاة خلفه إلا مبتدع مخالف للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكذلك إذا كان الإمام قد رتبته ولاية الأمور، ليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية، فهذا لا يترك الصلاة خلفه،



بل الصلاة خلف الأفضل أفضل، فإذا أمكن الإنسان أن لا يقدم مظهرًا للمنكر في الإمامة، وجب عليه ذلك، لكن إذا ولاه غيره، ولم يمكنه صرفه عن الإمامة، أو كان لا يتمكن من صرفه عن الإمامة إلا بشر أعظم ضررًا من ضرر ما أظهر من المنكر؛ فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظمهما، فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، بحسب الإمكان. فتفويت الجمع والجماعات أعظم فسادًا من الاقتداء فيهما بالإمام الفاجر، لا سيما إذا كان التخلف عنها لا يدفع فجورًا، فيبقى تعطيل المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة.

وأما إذا أمكن فعل الجمعة والجماعة خلف البر، فهذا أولى من فعلها خلف الفاجر وحينئذ، فإذا صلى خلف الفاجر من غير عذر، فهو موضع اجتهد العلماء: منهم من قال: يعيد، ومنهم من قال: لا يعيد، وموضع بسط ذلك في كتب الفروع، وأما الإمام إذا نسي أو أخطأ، ولم يعلم المأموم بحاله، فلا إعادة على المأموم، للحديث المتقدم، وقد صلى عمر رضي الله عنه وغيره وهو جنب ناسيًا للجنب فآعاد الصلاة، ولم يأمر المأمومين بالإعادة، ولو علم أن إمامه بعد فراغه كان على غير طهارة، أعاد عند أبي حنيفة، خلافًا لمالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه، وكذلك لو فعل الإمام ما لا يسوغ عند المأموم، وفيه تفاصيل موضعها كتب الفروع.

ولو علم أن إمامه يصلي على غير وضوء!! فليس له أن يصلي خلفه، لأنه لاعب، وليس بمصل، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن ولي الأمر، وإمام الصلاة، والحاكم، وأمير الحرب، وعامل الصدقة يطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد، بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف، ومفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم من أمر

المسائل الجزئية. ولهذا لم يجز للحكام أن ينقض بعضهم حكم بعض، والصواب المقطوع به صحة صلاة بعض هؤلاء خلف بعض.

ويروى عن أبي يوسف: أنه لما حج مع هارون الرشيد، فاحتجم الخليفة، وأفتاه مالك بأنه لا يتوضأ، وصلى بالناس، فقبل لأبي يوسف: أصليت خلفه؟ قال: سبحان الله! أمير المؤمنين. يريد بذلك أن ترك الصلاة خلف ولاية الأمور من فعل أهل البدع، وحديث أبي هريرة، الذي رواه البخاري (٦٩٤)، أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»**. نص صحيح صريح في أن الإمام إذا أخطأ فخطؤه عليه، لا على المأموم.

والمجتهد غايته أنه أخطأ بترك واجب اعتقد أنه ليس واجباً، أو فعل محظوراً اعتقد أنه ليس محظوراً، ولا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخالف هذا الحديث الصريح الصحيح بعد أن يبلغه، وهو حجة على من يطلق من الحنفية والشافعية والحنبلية أن الإمام إذا ترك ما يعتقد المأموم وجوبه لم يصح اقتداؤه به!! فإن الاجتماع والاتلاف مما يجب رعايته وترك الخلاف المفضي إلى الفساد. اهـ

والجهاد كذلك مع الأئمة الفجّار مازال المسلمون يُجاهدون ويفتحون الأمصار ربّما مع ولاة يشربون الخمر ويرتكبون المخالفات والبدع فالجهاد ماضي لا يمنعه جور جائر ولا ظلم ظالم وما جاء من الأحاديث وأنّ الجهاد ماضي مع الأئمة الفجّار كانوا أو أبراراً والصلاة مع الأئمة فجّاراً كانوا أو أبراراً لا يثبت فيه شيئاً ولكن هذا هو معتقد السلف المبني على عمومات أدلة الكتاب والسنة.



من أصول أهل السنة الدين بالنصيحة

قال رَحِمَهُ اللهُ :

وَيَدِينُونَ بالنصيحة لِلْأُمَّةِ. ^(١)

أي: من عقيدة أهل السنة أيضًا النصيحة للأمة وهم أنصح الناس للأمة ويعتقدون معنى قول النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» من حديث تميم الداري **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عند مسلم (٥٥)، **وَقَالَ تَعَالَى** مخبراً عن نوح **عَلَيْهِ السَّلَام**: «**وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**» [الأعراف: ٦٢]، وقال عن هود **عَلَيْهِ السَّلَام** يقول: «**أَبْلِغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**» [الأعراف: ٦٨]، وقال عن صالح **عَلَيْهِ السَّلَام**: «**وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ النَّصِيحِينَ**» [الأعراف: ٧٩]، فالرسل بعثوا بالنصيحة وتحقيقاً لحديث النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» من حديث تميم الداري **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عند مسلم (٥٥)، وفي رواية تكرار لفظة (الدين النصيحة) ثلاثة مرّات، وهذا حصر للدين في النصيحة، فالنصيحة مع الله بتوحيده وإفراده بما يجب له، والنصيحة لكتاب الله بالعمل به، ويكون العمل باعتقاد خبره وفعل أمره والانتهاز عن نهيه وزجره، والنصيحة لرسول الله هي الإيمان به وبما جاء به، ويدخل في ذلك طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والانتهاز عن ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله **عَزَّوَجَلَّ** إلا بما شرع، والنصيحة للمسلمين بدعوتهم إلى الخير وتحذيرهم من الشرّ، قال جرير بن عبد الله **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**:

(١) عملاً بما جاء في مسلم (٥٥) - وغيره من الأدلة - عن أبي رقية تميم الداري عن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**».

بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. أخرجه البخاري (٥٧)، مسلم (٥٦).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ يَقُولُ لَنَا: «فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ». رواه البخاري (٧٢٠٢) واللفظ له، ومسلم (١٨٦٧). وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»، قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَاجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ» رواه مسلم (٢١٦٢).

وفي حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٢٤٩٣)، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا». فالنصيحة مطلوبة شرعاً وقدرًا، شرعاً لما تقدّم وقدرًا أنّ المجتمع لا يصلح إلا بالنصيحة فالمجتمع الذي ليس فيه نصيحة يفسد ويكثر شرّه ويقلّ خيره.



اعتقاد الأخوة الدينية

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.^(١)

حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٤٨١) ومسلم (٢٥٨٥).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ».^(٢)

من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦).

ويعتقدون الأخوة في الدين قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢].

ويؤمنون بحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّكُمْ لِأَدَمَ، وَأَدَمُ مِنْ تُرَابٍ». وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالْتَّقْوَى» من حديث أبي نضرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٢٣٤٨٩).

فيعتقدون معاني الآيات والأحاديث الدالة على الإخاء والقرب من المؤمنين والبراء من المخالفين قال الله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ

(١) متفق عليه: خ (٤٨١) م (٢٥٨٥) عن أبي موسى.

(٢) متفق عليه: خ (٦٠١١) م (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير.

مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢]، ومفهوم الآية أن المؤمن يحبّ المؤمن أين كان وعلى أيّ لون كان وفي أيّ قطر كان قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧٨]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

والناس في هذا الباب كغيره من الأبواب طرفان ووسط، منهم من لا يُبالي بالأخوة ولا يرفع لها رأساً ولا يُبالي هجر إخوانه أو تركهم وصلهم أم قطعهم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه عند البخاري (٥٩٨٤)، مسلم (٢٥٥٦)، وبعضهم أخوته لكلّ أحد حتّى مع الكافر كما هو قول القرضاوي: (أُتَحَرَّجُ أَنْ أَقُولَ لَهُمْ كَفَّارٌ وَإِنَّمَا هُمْ مُسْلِمُونَ بِالثَّقَافَةِ)، ويواصل المبتدعة ويجالسهم ويأنسهم غير محقّق لقول الله عزّ وجلّ: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وأهل السنّة وسط هم الذين يُحِبُّونَ في الله ويُعَادُونَ في الله فأوثق عرى الإيمان أن تُحِبَّ في الله وتُبْغِضَ في الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ» من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عند أحمد (١٨٥٢٤).

وقال النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهُ خَالِيًا فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١)، وهكذا في النصيحة والأمر بالمعروف الناس ينقسمون إلى طرفين ووسط:

الطرف الأول: الخوارج والمعتزلة: فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندهم الخروج بالسيف على الحكّام وقتل المسلمين وقطع الطرق ونهب الأموال والتفجيرات.

الطرف الثاني: المرجئة: لا يُبالون عبَدَت الأوثان والأصنام، شُربت الخمر ولا ينصحون ولا يُنكرون.

الوسط هم: أهل السنة: يُنكرون المنكر ويبدلون النصيحة بضوابطها الشرعية محققون للأثار المروية عن النبي ﷺ محمد خير البرية فهذه من أعلى المراتب ومن أعظم الهبات أن تكون أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر قائماً بشريعة الأنبياء والمرسلين فإن الله أرسل رسله وأنزل كتبه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل الرسل يدعون إلى المعروف قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النحل: ٣٦]، والطواغيت والشرك منكر وكلهم يُحذّر منه **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَجْتَنِبُوا ظِلْفُوتَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾** [النساء: ٣٦]، **وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾** [الأنعام: ١٥١]، والنصيحة أحياناً تكون بالرفق وأحياناً تحتاج إلى تخشين وأحياناً تكون بالجلاد كما قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قول الله

عَزَّوَجَلَّ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، فبعض الناس ينظر إلى أول الآية: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾، كلما ما نهيت عن منكر قال الحكمة فلو ضربت ولدك يقول الحكمة، لو كسرت آلة لهو وطرب تستطيع كسرها وما وراءها فتنة يقول الحكمة، فمثلاً إذا كان الرجل المؤمن طائعاً منياً وقعت منه المعصية لغفلة تقول له (هذا حرام) فيترك: ﴿وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ﴾، رجل عنده خير لكن يميل إلى المعاصي، يحتاج إلى تخويف بالله **عَزَّوَجَلَّ**، وتخويف بالعذاب، وتخويف بالنار، ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقد يكون بالسيف كما فعل رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مع اليهود والنصارى ومع المشركين، جادلهم بالكلام، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، فلما أعرضوا جالدهم بالسيف، والسنان فلا نفرط ولا نفرط بل نعمل بالكتاب والسنة، فعن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قَالَتْ: مَا خَيْرُ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْتِمْ فَإِذَا كَانَ الْإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ وَاللَّهُ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ. أخرجه البخاري (٦٧٨٦).



من أصول أهل السنة الحث على الصبر

قال رَحِمَهُ اللهُ :

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلَاءِ.

لقول الله **عَزَّجَلْ** : ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، ولقوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : ﴿وَالْعَصْرُ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]، ولقوله الله **عَزَّجَلْ** : ﴿إِنَّمَا يُؤِثِّرُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ولقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ولقوله **عَزَّجَلْ** : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ولقوله النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» من حديث صهيب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عند مسلم (٢٩٩٩).

وقال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : «لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ» من حديث أبي الدرداء **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عند أحمد (٢٧٤٩٠). وقال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : «لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوْ الْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ، وَفِي مَالِهِ، وَفِي وَلَدِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ» من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** عند أحمد (٧٨٥٩).

ولمَّا جاء حُيَيْب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** للنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وقال: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا، قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيَجْعَلُ فِيهِ فَيْجَاءً بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَسْقَى بِائْتِسَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْسِطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا

دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهُ لَيَتِمِّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّابِثُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» رواه البخاري (٣٦١٢) و(٦٩٤٣). وقال النبي ﷺ «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ» من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٢٣). وكذلك قال النبي ﷺ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعَفِّهِ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "عدة الصابرين" (٥٥): الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام: صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها، وصبر على المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها.

وقال كقوله: افعل المأمور واجتنب المحذور، واصبر على المقدور، وهذه الثلاثة التي أوصى بها لقمان ابنه في قوله: ﴿يَبْنِيْ اَقِمِ الصَّلَاةَ وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَاَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]، فأمره بالمعروف يتناول فعله بنفسه، وأمره غيره به، وكذلك نهيه عن المنكر، أما من حديث إطلاق اللفظ فتدخل نفسه وغيره فيه، وأما من حيث الزوم الشرعي، فإن الأمر الناهي لا يستقيم له أمره ونهيه حتى يكون أول مأمور ومنهي، وذكر الله عَزَّجَلَّ هذه الأصول الثلاثة في قوله: ﴿اَفَمَنْ يَعْلَمُ اَنْمَّا اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ اَعْمٰى اِنَّمَا يَتَذَكَّرُ اَوَّلُو الْاَلْبَابِ﴾ ١١ الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ١٢ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا اَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ اَنْ يُّوْصَلَ وَيَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُوْنَ سُوْءَ الْحِسَابِ ١٣ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاةً وَجْهَ رَبِّهِمْ وَاَقَامُوا الصَّلَاةَ وَاَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ١٤﴾ [الرعد: ١٩-٢٢].

قال: والمقصود أن هذه الآيات تناولت مقامات الإسلام، واشتملت على فعل المأمور وترك المحذور والصبر على المقدور، وقد ذكر الله تعالى هذه الأصول في



قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

فكل موضع قرن فيه التقوى بالصبر اشتمل على الأمور الثلاثة، فإنه حقيقة التقوى فعل المأمور وترك المحذور. اهـ



طريقتهم الشكر عند الرخاء

قال :

والشكر عند الرخاء.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْزُقْهَا * فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تُزِيلُ النِّعَمَ
وقال النبي ﷺ: «يَا مُعَاذُ، قَلْبُ شَاكِرٍ وَلِسَانُ ذَاكِرٍ وَزَوْجَةُ صَالِحَةٍ تُعِينُكَ عَلَى أَمْرِ دُنْيَاكَ وَدِينِكَ، خَيْرٌ مَا اكْتَسَرَ النَّاسُ» من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البيهقي في "الشعب" (٤٤٣٠)، ونظمها بعضهم في بيتٍ بقوله:

وَحَيْرٌ مَا يَدْخُرُ الْإِنْسَانُ فِي * دُنْيَاهُ كَيْ مَا يَسْتَقِيمُ دِينُهُ
قَلْبًا شَكُورًا وَلِسَانًا ذَاكِرًا * وَزَوْجَةً صَالِحَةً تُعِينُهُ
والنبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»، وقال معلماً معاذ بن جبل: «يَا مُعَاذُ إِنِّي لِأُحِبَّكَ» فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ: بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ، قَالَ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»، قَالَ: وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذُ الصَّنَابِجِيَّ، وَأَوْصَى الصَّنَابِجِيَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَأَوْصَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ. أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، وأحمد (٤٥/٥).

وبين رسول الله ﷺ عظم الشكر في قوله: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» الحديث عند مسلم (٢٩٩٩).

وأخرج أحمد (٢٢٧/١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَانصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى إِلَيَّ، وَانصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَارًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطْوَعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا، لَكَ أَوَاهًا مُنِييًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَبُتِّ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي».

والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، والشكر يكون باللسان والقلب والجوارح، وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرِ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» أخرجه مسلم (٢٨٢٠)، ومن حديث المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (١١٣٠) ومسلم (٢٨١٩)، وجاء عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خارج الصحيح.

وأخرج أحمد (٢٢٧/١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَانصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى إِلَيَّ، وَانصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَارًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطْوَعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا، لَكَ أَوَاهًا مُنِييًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَبُتِّ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي».

قال محمود الوراق رَحِمَهُ اللَّهُ:

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً اللَّهُ نِعْمَةً * عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ وَقُوعُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ * وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمْرُ



إِذَا مَسَّ بِالسَّرَاءِ عَمَّ سُورُورُهَا ❀ وَإِنْ مَسَّ بِالضَّرَاءِ أَعْقَبَهَا الْأَجْرُ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ مَنَّةٌ ❀ تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ

قال ابن القيم في "المدارج" (٢/٢٤٤): الشكر مبني على خمس قواعد: خضوع
الشاكر للمشكور وحببه له، واعترافه بنعمته وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما
يكره، فهذه الخمس هي أساس الشكر وبنائوه عليها، فمتى عدم منها واحدة اختل من
قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم بالشكر وحده، فكلامه إليها يرجع وعليها يدور.
والشكر يجب أن يكون على جميع نعم الله **عَزَّوَجَلَّ**، وأعظمها الإسلام والتوحيد،
قال ابن القيم: شكر العامة على المطعم والمشرب والملبس وقوت الأبدان وشكر
الخاصة على التوحيد والإيمان وقوت القلوب. اهـ



طريقتهم الرضا بالقضاء

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَالرُّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ.

أي يرضون بما قضاه الله عليهم من المصائب لعلمهم أَنَّ الأمور بقدر الله ،
 قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾
 [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٢].

ويصبرون على قضاء الله كما قال السَّفَّارِينِي:

وَلَيْسَ وَاجِبٌ عَلَى الْعَبْدِ الرُّضَا ❁ بِكُلِّ مَقْضِيٍّ وَلَكِنْ بِالْقَضَا

فلا ترضى بالكفر والمعصية والشرك والمخالفات وإنَّما بما قضاه وقَّدره لأنَّ ما
 قضاه الله وقَّدر صادر عن حكمته وعلمه بينما أفعال العباد قد يكون الرضا ببعضها
 كفر فمن رضي بالسجود للصنم كافر ومن رضي بالزنا عاصٍ ومن رضي بالصيام
 والصلاة والحجّ مطيع فالمقضيّات منها الطاعات والمعاصي والسيِّئات ومنها غير
 ذلك.



دعوتهم إلى مكارم الأخلاق

قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ.

لأنَّ النبي ﷺ بُعث من أجلها كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٨٩٥٢).

ولقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلِيُحَدِّثْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ»، من حديث شَدَّاد بن أَوْس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (١٩٥٥)، وليس له في مسلم إلا هذا الحديث.

وله في البخاري حديثاً واحداً نذكره من باب الفائدة وهو حديث سيّد الاستغفار، قال النبي ﷺ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ قَالَ وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، أخرجه البخاري (٦٣٠٦).

ويعتقدون قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ [البقرة: ١٩٥]، والنبي ﷺ قال: «عُرِضَتْ عَلَى أَعْمَالِ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَدَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تَدْفَنُ»، من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٥٥٣).

وكان النبي ﷺ يسأل الله أحسن الأخلاق، فعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي فَأَغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» رواه مسلم (٧٧١).

قال رحمه الله:

وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(١).

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أبي داود (٤٦٨٢)، الترمذي (١١٦٢)، ابن ماجه (٤٥٩)، وله طريق حسن لذاته.

وحسن الخلق من الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ» الترمذي (٢٠٠٤)، والنبي ﷺ يقول: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ» من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عند أبي داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣).

(١) حسن: رواه أحمد (٢/٢٥٠) وأبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٦٢) عن أبي هريرة بسند حسن، وجاء عن غيره، والحديث في "الصحيح" للعلامة الألباني (٢٨٤)، وفي "الصحيح المسند" لشيخنا الإمام الوادعي رحمه الله (١٣٢٧).

والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٠١٨).

والنبي ﷺ كان خلقه القرآن، فَعَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ) أخرجه مسلم.

فأحسن الأخلاق وأقومها التمسك بالقرآن والعمل بالسنة والأخذ بهدي النبي ﷺ وهذه الشعائر التي تقدم ذكرها بحمد الله تكلمنا عليها بتوسع في كتاب "الوسائل الجلية لنصرة الدعوة السلفية"؛ لأن مثل هذه القربات تنصر بها الدعوة السلفية وينصر بها الداعي إلى الله وتحصل به البركات.



الأمر بصلة القاطع

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مِنْ قَطْعِكَ، وَتُعْطِيَ مِنْ حَرَمِكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ. ^(١)

أي: يحثون على صلة الرحم وإن قُطعت وأدبرت، لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٥٥٨): أَنَّ رَجُلًا قَالَ: إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسَفِّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»، وفي الحديث: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» من حديث عبد الله بن عمرو عند البخاري (٥٩٩١).

قوله: (وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ) لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٥٨٨). ولقول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ» [البقرة: ١٩٩]، وقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُفِعَ إِلَيْهِ

(١) حسن: جاء في هذه الجمل عدة أحاديث، منها: حديث عقبة بن عامر وله طرق أحسنها: من طريق إسماعيل بن عياش عن أسيد بن عبد الرحمن الخثعمي عن فروة بن مجاهد اللخمي عن عقبة بن عامر. أخرجه أحمد (١٥٨/٤) وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢٤٥/٨): رجاله ثقات. اهـ وهو كما قال؛ إلا فروة بن مجاهد - وقال البخاري وأبو حاتم: ابن مجالد - فقد ذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال الحافظ في "التقريب": "مختلف في صحبته، وكان عابداً. اهـ وإسماعيل بن عياش عن الشاميين حديثه صحيح وهذا منه، وهذا الحديث لولا الاختلاف في صحة فروة لحكمنا بصحته، فلذا هو حسن مع ما في الباب من شواهد، وقد صححه العلامة الألباني في "الصحيحة" (٨٩١) و(٢٨٦١) من حديث عقبة، وهو في "الضعيفة" (٢٨٥٦) من حديث معاذ بن أنس.

شَيْءٌ فِيهِ قِصَاصٌ، إِلَّا أَمَرَ فِيهِ بِالْعَفْوِ. رواه أبو داود (٤٤٩٧)، والنسائي (٤٧٨٣). فإن تمَّ العفو وإلا انتقل إلى الأرش والدية، فإن لم يتمَّ لا الأرش ولا الدية فالقصاص، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

ومن حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ عُمَيْرُ بْنُ حِصْنٍ بَنِ حُذَيْفَةَ فَتَزَلَّ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُھُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُمَيْرُ لِبْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ، فَاسْتَأْذَنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُمَيْرٍ فَأْذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهُ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ. رواه البخاري (٤٦٤٢). والعفو عن الكريم يؤدي إلى كرمه.

(إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ)

والعفو عن اللئيم يؤدي إلى تكبره وغطرسته، وكما قيل:

(وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا)

والعفو يُسْتَحَبُّ إِذَا كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى

اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَقْبِلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا

الْحُدُودَ» مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ (٤٣٧٥).



قال شيخ الإسلام والشيخ العثيمين رحمة الله عليهما أنه لو وُجد قاتل وكان متسلطاً على الدماء لا يجوز العفو عنه وإنما إذا قتل خطأً أو قتل وندم وكان العفو فيه مصلحة فلا بأس، وأما إن كان يستجري على الأذية لا يجوز العفو عنه.

وهذه الثلاثة التي ذكرها: (أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ) تدلّ على مكارم الأخلاق؛ لأنّ النفس مجبولة على قطيعة القاطع ومجبولة على منع المُحرم ومجبولة على الانتقام من الظالم، فحين أن تُجاهد نفسك وتُقدّم أمر الله **عَزَّوَجَلَّ** وأمر رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على هواك فهذا من مكارم الأخلاق العظيمة.



الأمير الوالدين

قال رحمه الله:

وَيَأْمُرُونَ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ.

لأمر الله بذلك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال عز وجل: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، فأمر الله بالإحسان إلى الوالدين والبر بهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٥٩٧١) ومسلم (٢٥٤٨)، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ؟ «ثُمَّ أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ؟ «ثُمَّ أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ». وفي لفظ لمسلم: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَذْنَاكَ».

فبر الوالدين من أسباب دخول الجنة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَاصْغِ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ» من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عند الترمذي (١٩٠٠)، ابن ماجه (٣٦٦٣).

وعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَفَى عَتَبَةَ الْمُنَبَّرِ فَقَالَ: «آمِينَ»، ثُمَّ رَفَى عَتَبَةَ أُخْرَى، فَقَالَ: «آمِينَ»، ثُمَّ رَفَى عَتَبَةَ أُخْرَى، فَقَالَ: «آمِينَ»، فَقَالَ: «آتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا ثُمَّ دَخَلَ

النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، وَمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، وَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ» أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٦٤٩).

وصحّ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَفَّيْهَا» قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوْ اسْتَرَدُّنَّهُ لَزَادَنِي. رواه البخاري (٥٢٧) ومسلم (٨٥).

فمن أفضل الأعمال برّ الوالدين والإحسان إليهم، وهو داخل في العمل، بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٤٨١١)، الترمذي (١٩٥٤).

فالذي لا يشكر والديه فهو لمن سواهم أظلم وأبعد، إذا كان الأب الذي يقوم عليك وكان السبب في وجودك وأطعمك وسقاك وكساك وربّاك، بعد الله تعالى، وأمّك التي سهرت من أجلك وتعبت ونصبت ثم أوديت من قبلك هذا يدلّ على عدم شكر ولهذا وصّى الله بالحقوق في آيات كثيرة، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عَنْكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].



الأمربصلة الرحم

قال رَحِمَهُ اللهُ :

وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ.

لقول الله عزَّوجلَّ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ٢٣ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٤﴾ [محمد: ٢٣-٢٤].
ولقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ » من حديث جُبَيْر بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند البخاري (٥٩٨٤) ومسلم (٢٥٥٦).

وقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَلِكَ » قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ٢٣ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٤﴾ [محمد: ٢٣-٢٤]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند البخاري (٤٨٣٠) ومسلم (٢٥٥٤).

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنْ الرَّحِمَ شَجَنَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ فَقَالَ اللهُ مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ » من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند البخاري (٥٩٨٨).

ومن علامات الإيمان بالله وباليوم الآخر صلة الرحم والإحسان إلى الرحمن، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صِفَّهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ » رواه البخاري (٦١٣٨).

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْطَلَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧).



الأمر بحسن الجوار

قال رَحِمَهُ اللهُ :

وَحُسْنِ الْجَوَارِ.

لأنَّ الله وصَّى به، قال الله تعالى: ﴿وَعَبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْقُرَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]، صاحب الجنب: الزوجة، والجار الجنب: الجار من غير العائلة، والجار ذي القربى: هو الجار من العائلة، فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي جَارَيْنِ فإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ أَبَا» أخرجه البخاري (٢٢٥٩).

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَغْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ» من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عند أحمد (٢٥٢٥٩).

والإحسان إلى الجيران مرتبة عظيمة، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ» من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عند البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٥).

فجبريل يوصي بالجار والله أمر بتأدية حق الجار، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ» قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْجَارُ، جَارٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند أحمد (٧٨٧٨).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ» رواه مسلم (٤٦)، أي: لا يدخل دخولاً أولياً وإن كان من المسلمين فهو داخل وهذا وعيد عظيم يدل على أنَّ أذية الجيران كبيرة من كبائر الذنوب.

فالجار حقّه أن يُكرم ويُعان، فلهذا كان من صفة النبي ﷺ الإحسان إلى الجوار، عندما قالت له خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (وتحسن الجوار)، وابن الدغنة يقول لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إنّك لتحسن الجوار).



الأمر بالإحسان إلى الأيتام

قال رَحِمَهُ اللهُ :

وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرَّفْقُ بِالْمَمْلُوكِ.

لعموم الأدلة في ذلك، قال النبي ﷺ: «وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا» من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند البخاري (٥٣٠٤) و(٦٠٠٥).

وكذلك المساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك، فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ لِلَّهِ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»، فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ حُرٌّ لَوْجِهَ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلْفَحْتِكَ النَّارَ أَوْ لَمَسْتِكَ النَّارَ» رواه مسلم (١٦٥٩).

وقال النبي ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عِضْوٍ مِنْهُ عِضْوًا مِنَ النَّارِ حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرْجِهِ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٧١٥) ومسلم (١٥٠٩).

وَعَنْ وَاصِلِ الْأَحْدَبِ، عَنِ الْمَعْرُورِ قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تَكْلِفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١)، فكان أبو ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُكرمه.

والنبي ﷺ يقول: «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أَكْلَةً أَوْ أَكْلَتَيْنِ فَإِنَّهُ وَلِيُّ عِلَاجِهِ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٢٥٥٧)؛ لأنه أصلحه وتعب فيه فيُكرّم، فالإسلام أمر بالرفق والإحسان إليهم بل قد أمر بمكاتبتهم فإذا أراد الخادم أن يُكاتب يُكاتب ويُعان، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣].



النهي عن مساوئ الأخلاق

قال رَحِمَهُ اللهُ :

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخِيَلَاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالْاِسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقِّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ.

(١)

أي: من طريقة أهل السنة النهي عن سفاسف الأخلاق، وقد تقدّم حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند مسلم (٧٧١)، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاهِدْنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ».

والفخر والخيلاء والبغي كلّها أمراض عظيمة تدلّ على عدم التواضع، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «وَأَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» من حديث عياض بن حمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند مسلم (٢٨٦٥).

وما من ذنب تُعَجَّلُ عقوبته في الدنيا مثل الإثم والبغي كما في حديث أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند أبي داود (٤٩٠٢)، الترمذي (٢٥١١)، ابن ماجه (٤٢١١)، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعْجَلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا آخَرَ اللَّهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ»، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣]، فبغى المرء على نفسه يؤدّي إلى دمارها وانتكاستها فلا تبغى

على الخلق ولا تختال ولا تمشي في الأرض مرحًا ولا تفخر فانت وغيرك لأدم وإنما الفضل بالتقوى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾ [الحجرات: ١٣]، والتقوى لا تؤدّي إلى التعاظم والتعالي وإنما تجعل الرجل كسيرًا خائفًا وجلًا لا يزدي الخلق، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَنْجَلِجُلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند

(١) وأدلة هذه معروفة مشهورة مبثوثة في الكتاب والسنة.

البخاري (٥٧٨٩). وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ لَقِيَ اللَّهَ، وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ» من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الحاكم في "مستدركه" (٢٠١) وبنحوه عند أحمد (٥٩٩٥) والبخاري في "الأدب المفرد" (٥٤٩)، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يخصف نعله ويخيط ثوبه، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا سُئِلَتْ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: (كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ) أخرجه أحمد (٢٤٩٠٣). ويحلب شاته فعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سُئِلْتُ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: (كَانَ بَشْرًا مِنَ الْبَشَرِ يَغْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ) عند أحمد (٢٦١٩٤). وركب على الحمار تواضعا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأردف خلفه ابن عباس ومعاذ وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنْتُ رَدَفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ، فَرَأَى الشَّمْسُ حِينَ غَرَبَتْ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَيْنَ تَغْرُبُ هَذِهِ؟» فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَامِيَةٍ» غَيْرَ مَهْمُوزَةٍ. رواه الحاكم في "المستدرک" (٢٩٦١)، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ...» أخرجه أحمد (٢٦٦٩)، فالكبر والخيلاء مرضان عظيمان يفتكان باستقامة المرء، وقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن وصية لقمان لابنه وفيها قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ٨٨ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ١٩ [لقمان: ١٨-١٩]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].



قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ سِفْسَافِهَا. ^(١)

(١) هذه إشارة إلى ما رواه الحاكم (١٥٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢٢٨/٣)، والطبراني في "الكبير" (٥٩٢٨) وفي "الأوسط" (٢٩٦٤) وغيرهم من طريق فضيل بن عياض عن محمد بن ثور الصنعاني عن معمر عن أبي حازم عن سهل بن سعد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِيمٌ، يُحِبُّ الْكَرَمَ وَمَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيُبْغِضُ سِفْسَافَهَا» وفي رواية الطبراني: «يُكْرَهُ سِفْسَافُهَا» ظاهر إسناده الصحة. قال أبو نعيم: غريب تفرد به عن أبي حازم: معمر، وعن فضيل: أحمد بن يونس. اهـ

قلت: إن عنى من وجه صحيح فنعم؛ وإلا فليس كذلك؛ فقد تابع معمرًا عن أبي حازم: أبو غسان المدني محمد بن مطرف، أخرجه الحاكم (١٥١)، ومحمد بن مطرف قال ابن معين: شيخ ثقة ثبت. لكنه من طريق حجاج بن سليمان القمري عن أبي غسان، وحجاج هذا قال عنه الحاكم: وحجاج بن قمرى شيخ من أهل مصر ثقة مأمون. اهـ وقال أبو زرعة: منكر الحديث. وقال ابن عدي: وإذا روى حجاج هذا عن غير ابن لهيعة فهو مستقيم إن شاء الله اهـ من "الكامل" (٥٣٧/٢)، وحديثه هذا عن غير ابن لهيعة كما ترى.

وخالف معمرًا وأبا غسان: الثوري؛ فرواه عن أبي حازم عن طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلاً، أخرجه الحاكم (١٥٣)، وقال شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على "المستدرک": يخشى أن يكون معمر وحجاج بن سليمان سلكا الجادة، والثوري أحفظ منهما. اهـ

وتابع الثوري: سليمان بن سحيم عن طلحة بن عبيد الله مرسلاً، أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٢/٥). ثم وقفت عليه من طريق معمر عن أبي حازم عن طلحة بن كريز الخزاعي به مرسلاً، كذا أخرجه عبد الرزاق (٢٠١٥٠)، وهو يرجح قول الثوري، وعليه فالصحيح فيه الإرسال.

لكن له طرق يتقوى بها، فقد جاء من حديث جابر وله طريقان:

الأولى: عند الطبراني في "الأوسط" (٦٩٠٢)، وفيه علتان: محمد بن صالح المدني مجهول حال، وعثمان بن سعيد الصيداوي ترجم له ابن عساكر في "تاريخه" (٣٦٧/٣٨) وذكر له هذا الحديث، ولم يذكر فيه جرّحاً ولا تعديلاً. وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢٤٥/٨): فيه من لم أعرفه. اهـ



على ما تقدّم بيانه لقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٨٩٥٢)، وصالح الأخلاق ما وافق الكتاب والسنة فأهل السنة يأمرّون بمعالِي الأخلاق وينهون عن سفاسفها يعني سقط الأخلاق والأخلاق الرديئة، وسفاسف الأمور أي سقط الأمور، وهذا من العام بعد الخاص.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا أَوْ غَيْرِهِ، فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

ومن اتبع الكتاب والسنة سلم له دينه ودنياه، ونعمت الطريقة طريقتهما والسمت سمتهم فينطقون بالكتاب ويعملون به استجابةً لله عَزَّجَلَّ ولرسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ^ط وَعَلِّمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].



الثانية: عند ابن أبي الدنيا في "مكارم الأخلاق" رقم (١٠) وفيه: مبارك بن فضالة، يدلّس تدليس التسوية وقد عنعن.

والحديث حسن بمجموع هذه الطرق، وهو في "الصحيحة" (١٣٧٨، ١٦٢٧)، وله طرق أخرى أعرضنا عنها لشدة ضعفها.



مجمل طريقة أهل السنة

قال رَحِمَهُ اللهُ :

وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ: دِينُ الْإِسْلَامِ، الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا هو الإجمال لطريقة أهل السنة والجماعة، طريقتهم ودينهم وقولهم وفعلهم واعتقادهم صادر عن دين الإسلام الذي بعث الله به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم أهل الخير والأثر والفقه والنظر.

قال رَحِمَهُ اللهُ :

لكن لما أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ»^(١).

(١) صحيح: جاء هذا الحديث عن جمع من الصحابة منهم:

- ١- أبو هريرة: أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، بسند حسن من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة.
- ٢- عوف بن مالك: أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٦٣) بسند صحيح.
- ٣- أنس بن مالك: أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) بسند حسن.
- ٤- معاوية بن أبي سفيان: أخرجه أحمد (١٠٢/٤)، وأبو داود (٤٥٩٧)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٢) بسند فيه ضعف يشهد له ما قبله، فيه: أزهري بن عبد الله الحرازي روى عنه جمع ولم يوثقه معتبر، وقال الحافظ: صدوق تكلموا فيه للنصب.
- ٥- أبو أمامة: أخرجه الطبراني في الكبير في عدة مواضع منها:

أ) (٢٦٨ / ٨) سنده حسن.

ب) (٢٧٣ / ٨) سنده حسن، وذكره في نفس الصفحة من طرق أخرى تصلح في الشواهد.

وأخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (٦٨)، وفيه: قطن بن عبد الله أبو مري ترجم له البخاري في "التاريخ الكبير" (٧٨ / ٧)، وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (١٣٧ / ٧)، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

هذا الحديث صحيح لا مطعن فيه على الصحيح، جاء عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجاء عن غيره، والحديث مخرّج في "السلسلة الصحيحة" (٢٠٤) وتكلم العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ بكلام نفيس عليه وذلك بسبب أنّ محمّد بن إبراهيم الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ أنكر منته وهكذا الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ متابعة للوزير وقد ردّ على الإمام الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ المقبلي في كتاب "العلم الشامخ" على أنّ الحديث لا نكارة فيه. واستنكره ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنّ أكثر أمة محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل الجنة، فكيف يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلّها في النار إلّا واحدة. وأمّا المتبدعة لا تبالي باستنكارهم لكن هذا الإمام له وجه فقال العلماء إنّ أكثر الذين يدخلون الجنة هم أمة محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ظاهر تلك الأحاديث وهذا الحديث لا يُعارضها وذلك أنّ أهل السنة يدخل فيهم عوام الناس وجُهلّ الناس معذورون وأهل البدع إذا كانت بدعتهم غير مكفّرة مألهم إلى الجنة وإن عُدّبوا وهُدّبوا في النار فيبقى الحديث على دلّالته وهو أنّ أهل البدع مستحقّون للوعيد والنار، ولفظ (ستفترق هذه الأمة على ثلاثة وسبعين فرقة) فقد صحّ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من دون زيادة (كلّها في النار) وهي ثابتة عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره، وقد ألف كتاب في تصحيح هذا الحديث وبيان معناه، وهذا الحديث فيه علمٌ من أعلام نبوّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد افرقت الأمة إلى ثلاثة وسبعين فرقة وليس معنى ذلك أنّ العدد للحصر ولكن هذه أصول البدع وإلّا فالرافضة وحدها ربّما يدخل تحتها أكثر من ثلاثة مائة فرقة والخوارج يدخل تحتها عشرات الفرق والمعتزلة والجهمية كذلك وقد جاء عن يوسف بن أسباط أنّ أصول المتبدعة أربعة (الجهمية، الروافض، الخوارج، المرجئة).

تنبيه: لفظة: «كلّها في النار إلّا واحدة، وهي: الجماعة» ليست في حديث أبي هريرة، وأما حديث أبي أمامة ففيه: «السواد الأعظم» بدل: «الجماعة».



قال رَحِمَهُ اللهُ :

وفي حديثٍ عنه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «**هُم مَن كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»^(١).

وهو متابعة لذلك الحديث وفي بعضها (الذين يعصيهـم أكثر ممّن يطيعهـم) وأهل السنّة الذين يعصيهـم أكثر ممّن يطيعهـم وهم نزع من القبائل يصلحون ما أفسد الناس، فأهل السنّة هم المتميّزون بهذا كلّ، ويدلّ على مثل هذا الحديث قول النبيّ

(١) ضعيفة سندًا، صحيحة معنى: رواه الترمذي (٢٦٤١) عن عبدالله بن عمرو ثم قال عقبه: هذا حديث حسن غريب مُفسّرٌ؛ لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. اه فهذه الزيادة تفرد بها عبدالرحمن بن زياد الإفريقي وهو ضعيف ليس أهلًا للتفرد، ولهذا كان شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ يضعفها.

وأما ما رواه الطبراني في "الأوسط" (٤٦٠/٥)، وفي "الصغير" (٧١١) من حديث أنس بذكر هذه الزيادة فلا يصح، تفرد بها عبدالله بن سفيان الخزاعي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن أنس، قال العقيلي في "الضعفاء" (٢٦٢/٢) عقب حديثه هذا: ليس له من حديث يحيى بن سعيد أصل، وإنما يعرف هذا الحديث من حديث الإفريقي. اه ونقله الذهبي عنه في "الميزان".

ورواه الطبراني في "الكبير" (١٥٢/٨) عن أبي الدرداء وواثلة وأبي أمامة وأنس، وهي من طريق عبدالله بن يزيد بن آدم الدمشقي، قال أحمد: أحاديثه موضوعة، وقال الجوزجاني: أحاديثه منكورة. اه من "الميزان"، وفيه: كثير بن مروان الفلسطيني، ضعفه ابن معين وغير واحد كما في "تعجيل المنفعة"، وقال ابن معين مرة: كذاب. اه

فهذه الزيادة من حيث الإسناد ضعيفة، وقد ضعفها شيخنا الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللهُ كما في "المصارعة" (ص ٢٥١)، أما من حيث المعنى فصحيحة؛ يدل عليها قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَآمَنْتُ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، وقوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾، وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ» من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم (١٠٣٧)، وجاء عن أكثر من تسعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ منها في الصحيح عن المغيرة بن شعبة وثوبان وجابر بن سمرة وجابر بن عبدالله وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ الْمُخْضِرِ، الْخَالِصِ عَنِ الشُّوبِ، هُمْ: أَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ.

أي الذين يتمسكون بالإسلام الحق الذي جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قليل وهم أهل السنة والجماعة فالمراد بالإسلام المحض والسنة المحضة من تمسك بالدين الحق الذي أنزله الله وشرعه الله، وهذا قول الله عز وجل: ﴿وَالسَّادِقُونَ السَّادِقُونَ ۝ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۝ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۝ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ ۝ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخْلَدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۝ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ۝ وَفَلَكِهِمْ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوفِ الْمَكْنُونِ ۝ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۝ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝ فِي سِدْرٍ مَحْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَبْضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ۝ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ۝ وَفَلَكِهِمْ كَثِيرٌ ۝ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝ وَفُرُشٌ مَرْفُوعَةٍ ۝ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً ۝ فَجَعَلْنَهُنَّ أَجَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۝﴾ [الواقعة: ١٠-٤٠]، في أصحاب اليمين.

قال رحمه الله:

وَفِيهِمُ الصَّادِقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ.

أي أنهم من أهل السنة والجماعة، فأبي فضل لهذه الأمة يدخل فيه دخولاً أولياً أهل السنة والجماعة وهم أحق الناس به، قال الله تعالى: ﴿وَكُنُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦]، وقال تعالى مبيّناً ذلك: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

قال رحمه الله:

وَمِنْهُمْ أَعْلَامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْتُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الْأَبْدَالُ^(١).

المراد بهم أئمة الدين، والعلماء المجددين، وأما قوله الأبدال فهو مصطلح صوفي كان الأولي تركه والتعبير بغيره.

قال رحمه الله:

وفيهم الأئمة، الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، ودرأيتهم.

والمجددون منهم لا يصلح أن يكون مجدداً من الصوفية أو من الإخوان المسلمين أو من جماعة التبليغ أو من الرافضة أو من المعتزلة لا يصلح ولا يجوز أن يكون المجدد منهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود (٤٢٩١). والمجدد هو الذي يدع إلى السنة ويحذر من البدعة فأما المبتدع فأنتي له التجديد

(١) الأبدال: جمع بدل، وهم الذين يَخْلِفُ بعضهم بعضاً في تجديد الدين والدفاع عنه.

وهو يدعو إلى البدع ويدعو إلى محدثات الأمور وكان من رءوس المجددين في هذا القرن الإمام ابن باز، الإمام الوادعي، الإمام ابن عثيمين والإمام الألباني رحمة الله عليهم أجمعين.

قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ، التي قال فيهم النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(١).

وفي رواية: (ظاهرة) والمراد بقيام الساعة قُرب قيام الساعة على ما تقدم، فإننا نعلم أن الساعة لا تقوم وعلى الأرض من يقول (الله، الله) وهذا لأن الله يبعث ريحاً من قِبَلِ اليمنِ ألين منحرير لا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته وإن كان في جوف جبل، فلا يبقى إلا شرار الخلق عليهم تقوم الساعة فهذا هو الجمع بين هذا الحديث وبين الحديث الآخر.

(١) متفق عليه: خ (٧١ و٣٦٤) م (١٩٢١ و١٠٣٧) بعد رقم (١٩٢٣) عن المغيرة ومعاوية، ولمسلم عن ثوبان وجابر بن سمرة وجابر بن عبدالله وعقبة بن عامر (١٩٢٠ و١٩٢٢ و١٩٢٣ و١٩٢٤)، وجاء عن غيرهم انظر "الصحيح المسند من دلائل النبوة" (ص ٥٤٠-٥٤٣)، و"الجامع الصحيح في القدر" (ص ٤١٢-٤١٥)، كلاهما لشيخنا الإمام الوادعي رَحْمَةُ اللَّهِ.

تم والله الحمد تحقيق هذه الرسالة المباركة ظهر الإثنين

٦/ من شهر ذي القعدة / عام ١٤٢٧هـ

وتمت المراجعة الأخيرة والمقابلة ظهر الثلاثاء

١٦ ربيع الأول عام ١٤٢٨هـ

بدار الحديث بدما جرحم الله بانيها وحرسها من كل سوء

وختم رَحْمَةُ اللَّهِ عقيدته بهذه الخاتمة النفيسة التي لو أراد الشارح أن يتوسّع فيها لطال المقام جدًّا وخرج عن المقصود؛ لأنّها خاتمة تضمّنت مكارم الأخلاق ومعاليتها في أبواب كثيرة فجاءت بكلمات جامعة مانعة لِيُبين أنّ أهل السنة طريقتهم لا تنحصر في الفصول التي ذكرها قبل وإنّما طريقتهم هي التمسك بالإسلام المحض والإسلام الحقّ الذي جاء به النبي ﷺ، والإسلام الذي لم يُشبّ ولم يتغيّر ولم يتبدّل في العقيدة والأقوال والمعاملات والعبادات وانظر كم أنواع العبادات (الصوم والصلاة والحجّ والقيام والزكاة...) وكم أنواع المعاملات (برّ الوالدين والإحسان إلى الجيران وصلة الأرحام وطاعة أولياء الأمور والمعاملة مع العدو والصديق والقريب والبعيد مع المؤمن والكافر والبرّ والفاجر...) وكم الاعتقادات التي يعتقدها المسلم وكم من الأقوال التي يتلفّظ بها المسلم، فأهل السنة والجماعة هم المتمسّكون بالإسلام الحقّ والإسلام المحض على ما جاء به النبي ﷺ وعلى ما أجمعت عليه الأمة.

قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنا مِنْهُمْ، وَأَنْ لَا يُزَيِّغَ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدانا، وَيَهَبَ لَنا لَدُنْهُ رَحْمَةً، إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ.

وهذا الدعاء في القرآن، قال الله تعالى: ﴿رَبِّنا لَا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، فالهداية لطريق الحق والاستقامة رحمة، والثبات عليها منة؛ ولهذا جاء عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الْإِيْمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ».

وعند أحمد (٣٧٩٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ يَدْعُو، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَدْعُو، فَقَالَ: «سَلْ تُعْطَهُ»، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْلَى جَنَاتِ الْخُلْدِ.

وفي "الدعاء" للطبراني: عن عبد الله بن الحارث أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا بِالْهُدَى، وَزَيِّنَا بِالتَّقْوَى، وَاعْفِرْ لَنَا فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى. ثُمَّ يَخْفِضُ صَوْتَهُ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَعَطَايِكَ رِزْقًا طَيِّبًا مُبَارَكًا، اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَ بِالدُّعَاءِ، وَقَضَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِالِاسْتِجَابَةِ، وَأَنْتَ لَا تُخْلِفُ وَعْدَكَ، وَلَا تَكْذِبُ عَهْدَكَ، اللَّهُمَّ مَا أَحْبَبْتَ مِنْ خَيْرٍ فَحَبِّبْهُ إِلَيْنَا وَيَسِّرْهُ لَنَا، وَمَا كَرِهْتَ مِنْ شَيْءٍ فَكْرِهْهُ إِلَيْنَا وَجَنِّبْنَا، وَلَا تَنْزِعْ عَنَّا الْإِسْلَامَ بَعْدَ إِذْ أَعْطَيْتَنَا.

قال رحمه الله:

والله أعلم. وصلى الله على محمد، وآله، وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

قد تقدّم الكلام على الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بداية الكتاب. وبهذا نكون قد انتهينا من تدريس هذا الدرس في ثلاثة وأربعين مجلساً، ويُعتبر ليس بالتطويل الممل ولا بالاختصار المخل، وإلا فالكتاب حقّه أكثر من هذا، ويمكن أن يُدرّس في أقلّ من هذا، والحمد لله ربّ العالمين.

وقد زدت فيه ونقصت، وهذبت ورتبت؛ تميماً للفائدة

وكان التمام من هذه المراجعة في (٢١ رمضان ١٤٣٤هـ)

في مدينة دار السلام من بلاد تنزانيا



المحتويات

٤	مقدمة الشارح.....
١١	فوائد تتعلق بالبسملة.....
٢٨	فوائد تتعلق بالحمدلة.....
٣٠	الفرق بين الحمد والشكر:
٤٩	أولاً: توحيد الربوبية:
٥١	ثانياً: توحيد الألوهية:
٥٧	ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:
٧٨	❖ الأصل الأول: الإيمان بالله عَزَّجَلَّ:
٧٩	❖ الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة:
٨٣	❖ الأصل الثالث: الإيمان بالكتب:
٨٤	❖ الأصل الرابع: الإيمان بالرسول:
٨٥	❖ الأصل الخامس: الإيمان بالبعث بعد الموت:
٨٥	❖ الأصل السادس: الإيمان بالقدر:
٩٠	الشبه التي أوصلت المبتدعة إلى التعطيل والتمثيل والرد عليها.....
٩٠	الرد على أنواع أهل البدع في هذا الباب:
٩٠	الرد على الجهمية:
٩٢	شبهة الجهمي والرد عليها:
٩٢	الرد على المعتزلة الذين أثبتوا الأسماء دون ما تضمنته من صفات:
٩٣	شبهة المعتزلي والرد عليها:
٩٤	القول في الصفات كالقول في الذات.....

- الرد على الأشاعرة ومن وافقهم ممن يثبتون الأسماء وبعض الصفات فقط: ٩٤
- الرد على الممثلة: ٩٥
- الرد على أهل التفويض: ٩٧
- * ونذكر هنا للفائدة بعض المواطن التي يُشرع فيها التسبيح: ١١٦
- وهنا قواعد أذكرها قبل الشروع في التفصيل: ١٢٩
- إثبات صفة الحياة لله عز وجل ١٥٠
- إثبات صفتي: (العلم، والحكمة) ١٥٢
- إثبات صفة القوة ١٦١
- إثبات صفتي السمع والبصر ١٦٤
- إثبات صفة المشيئة ١٧١
- إثبات صفة الإرادة لله عز وجل ١٧٦
- التفريق بين الإرادتين: ١٧٩
- والفرق بينهما: ١٨٠
- إثبات صفة المحبة لله عز وجل ١٨٢
- إثبات صفة الودّ لله عز وجل ١٩٨
- القول في صفة الرحمة ٢٠١
- إثبات صفة الرضا لله عز وجل ٢٠٨
- إثبات صفة الغضب لله عز وجل ٢١٠
- إثبات صفة السخط لله عز وجل ٢١٤

- ٢١٦ إثبات صفة الأسف لله عز وجل
- ٢١٧ إثبات صفة الكراهة لله عز وجل
- ٢١٨ إثبات صفة المقت لله عز وجل
- ٢٢٠ إثبات صفتي المجيء والإتيان لله عز وجل
- ٢٢٤ إثبات صفة الوجه لله عز وجل
- ٢٣٠ إثبات صفة اليدين لله عز وجل
- ٢٤١ شبهة والجواب عليها:
- ٢٤٤ فائدة في خلق إبليس لعنة الله عليه:
- ٢٤٦ إثبات صفة العينين لله عز وجل
- ٢٥٠ إثبات صفة السمع لله عز وجل
- ٢٥٣ إثبات أن الله يرى بعينين حقيقتين:
- ٢٥٧ إثبات صفات الجزاء والمقابلة لله عز وجل
- ٢٦٠ إثبات صفتي العفو والمغفرة لله عز وجل
- ٢٦٢ إثبات صفة العزة لله عز وجل
- ٢٦٥ القول في الإثبات المفصل والنفي المجمل
- ٢٨٤ إثبات صفة الاستواء
- ٢٩٣ إثبات صفة العلو
- ٣٠٥ شبه المعطلة على أن الله في كل مكان:
- ٣٠٨ القول في المعية

- ٣١٠ القول في المعنى الخاصة:
- ٣١٣ إثبات صفة الكلام لله عز وجل
- ٣٢٩ القول في القرآن
- ٣٣٥ افتراق الناس في مسألة الكلام:
- ٣٣٦ الرد على الفلاسفة والصابئة في تعريف الكلام:
- ٣٣٧ وأما الرد على المعتزلة والجهمية القائلين بخلق القرآن:
- ٣٥١ البيان في أن القرآن منزلٌ من الله عز وجل
- ٣٥٩ القول في الرؤية
- ٣٦٥ الرد على نفاة الرؤية:
- ٣٦٥ الشبهة الأولى:
- ٣٦٦ الشبهة الثانية:
- ٣٦٦ الشبهة الثالثة:
- ٣٦٨ مسألة: رؤية الله في المنام:
- ٣٦٩ مسألة: أن محمدًا صلى الله عليه وسلم رأى ربه:
- ٣٧٢ مذهب الأشاعرة في الرؤية:
- ٣٧٣ خاتمة الفصل
- ٣٧٩ إثبات صفة النزول إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل
- ٣٨٨ شبهات أهل التحريف في أهل النزول:
- ٣٨٩ هل نقول: نزل بذاته أم لا؟
- ٣٩٠ مسألة هل يخلو منه العرش أم لا؟
- ٣٩٢ الحركة والانتقال:



معنى النزول عند الأشعري:	٣٩٣
إثبات صفة الفرح لله عز وجل	٣٩٥
إثبات صفة الضحك لله عز وجل	٣٩٧
إثبات صفة العجب لله عز وجل	٣٩٩
إثبات صفة الرجل والقدم لله عز وجل	٤٠٢
إثبات صفة اليدين لله عز وجل	٤٠٦
إثبات صفة العلو لله عز وجل	٤٠٨
القول في المعية	٤١٧
القول في حديث: «فإن الله قبل وجهه»	٤١٨
إثبات صفتي السمع والبصر لله عز وجل	٤٢٣
القول في الرؤية	٤٢٥
مجمل طريقة الفرقة الناجية في أبواب الإيمان بالأسماء والصفات	٤٢٦
أهل السنة الوسط العدل الخيار	٤٢٨
الطرف الأول: الخوارج:	٤٣٣
الطرف الثاني: المرجئة:	٤٣٤
والوسط هم أهل السنة:	٤٣٤
القول في المعية	٤٤٤
إثبات صفة القرب لله عز وجل	٤٥٠
ملخص الجمع بين أدلة العلو والقرب والمعية:	٤٥٣

- ٤٥٤ القول في القرآن
- ٤٥٥ القول في اللفظ
- ٤٦٥ إثبات الرؤية
- ٤٦٧ الإيمان باليوم الآخر
- ٤٦٩ الكلام في القبر وما فيه
- ٤٨٤ القيامة الكبرى وما فيها
- ٤٩٤ إثبات الميزان:
- ٤٩٧ الموزونات:
- ٤٩٧ مسألة: وزن أعمال الكفار:
- ٤٩٨ هل يقام الوزن لكل الناس؟
- ٥٠٠ إثبات نشر الدواوين وصحائف الأعمال:
- ٥٠١ الإيمان بالحساب:
- ٥٠٤ الإيمان بالحوض:
- ٥٠٧ ويُطرد عنه طائفتان:
- ٥٠٩ الإيمان بالصراط:
- ٥١٣ أول من يستفتح باب الجنة وأولهم دخولاً:
- ٥١٦ الإيمان بالشفاعة وخروج الموحدين من النار:
- ٥٢٤ ثم إن الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال:
- ٥٢٤ التوسل بذوات الصالحين:
- ٥٢٩ الإيمان المجمل بكل ما علمنا وما لم نعلم مما ذكر الله تعالى ورسوله:
- ٥٣٠ الإيمان بأن الجنة والنار موجودتان الآن:

الإيمان بأن الجنة والنار لا تفنيان:.....	٥٣٥
الإيمان بالقدر.....	٥٤٠
الأولى: العلم.....	٥٤١
المرتبة الثانية: الكتابة:.....	٥٤٢
المرتبة الثالثة: المشيئة:.....	٥٤٣
المرتبة الرابعة: الخلق:.....	٥٤٤
أنواع التقدير:.....	٥٤٥
الإرادة الربانية:.....	٥٤٦
تنقسم إرادة الله عَزَّجَلَّ إلى إرادة كونية، وإرادة شرعية:.....	٥٤٦
الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية:.....	٥٤٦
مذاهب الناس في الإيمان بالقدر:.....	٥٤٧
القول في الإيمان.....	٥٦٩
القول في الاستثناء في الإيمان.....	٥٨١
العلاقة بين مسمى الإيمان ومسمى الإسلام.....	٥٨٣
القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.....	٥٩٥
أفضل هذه الأمة على التعيين بعد نبيها صلى الله عليه وسلم:.....	٦١٢
الأول: أبوبكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:.....	٦١٢
خلافته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالنص أو بالإشارة:.....	٦١٩
الثاني: عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:.....	٦٢١
الثالث: عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:.....	٦٢٥
الرابع: علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:.....	٦٢٩

- القول في آل البيت النبي صلى الله عليه وسلم..... ٦٣٢
- القول في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم..... ٦٣٧
- بيان طريقة الروافض..... ٦٤٦
- القول فيما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم..... ٦٥٥
- القول في عصمة الصحابة رضي الله عنهم..... ٦٥٩
- القول في كرامات الأولياء..... ٦٦٩
- أهمية الاتباع..... ٦٧٧
- تقديم أهل السنة للدليل على غيره..... ٦٨٨
- من أصول أهل السنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... ٧٠٤
- قول أهل السنة في إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد..... ٧٠٧
- من أصول أهل السنة الدين بالنصيحة..... ٧١٢
- اعتقاد الأخوة الدينية..... ٧١٤
- من أصول أهل السنة الحث على الصبر..... ٧١٨
- طريقتهم الشكر عند الرخاء..... ٧٢١
- طريقتهم الرضا بالقضاء..... ٧٢٤
- دعوتهم إلى مكارم الأخلاق..... ٧٢٥
- الأمر بصلة القاطع..... ٧٢٨
- الأمر ببرّ الوالدين..... ٧٣١



٧٣٣	الأمر بصلة الرحم.
٧٣٤	الأمر بحسن الجوار.
٧٣٦	الأمر بالإحسان إلى الأيتام.
٧٣٨	النهي عن مساوئ الأخلاق.
٧٤٢	مجمال طريقة أهل السنة.
٧٥٠	المحتويات.

